المثنوي المعنوي جلال الدين الرومي

الجزء الثالث

تعريب وشرح
د. ابراهيم الدسوقي شتا

" 2 "

.

الكتاب الثالث
مقدمة [المترجم]
فلسفة البقاء في الفناء عند جلال الدين

" البقاء من البداية في الفناء " البيت 4662 من هذا الكتاب " خلقتم للبقاء لا للفناء ومن هنا سُمى البعث قيامة " من شرح ملا محمد هادي السبزواري على المثنوى ص 243
–
1 - يستهل مولانا جلال الدين الرومي الكتاب الثالث من المثنوى - وهو الذي بين أيدينا - بطرح يتناول بين ثناياه معضلة من أهم معضلات التصوف الإسلامي وجدلية من أهم جدلياته إذ بينما يؤمن الصوفية جميعا بأن الوجود الحقيقي الذي لا يقبل الفناء ولا يتصور الفناء بالنسبة له ، ويعد كل الوجود بالنسبة له بمثابة الظل هو وجود الله تعالى ، يرى أكثرهم ومن بينهم جلال الدين الرومي نفسه أن الإنسان بدوره لا يقبل الفناء ولا يتصور بالنسبة له ، وربما كانت هذه الجدلية هي لب التجربة الصوفية والفلسفة الصوفية التي تسمى في المأثور الفارسي بالعرفان ، ومن هنا فإن الحل الظاهر لهذه القضية يكمن في إيجاد توافق أو - مصالحة بين نظرية - عدم - قابلية الإنسان للفناء وبين التصور الذي يقدمه كل أصحاب نظرية الوجود الحقيقي والمطلق لله تعالى ، وقد بذل مولانا جلال الدين قدرا كبيرا من الجهد في تقديم هذه المصالحة . وخلاصة ما يراه أنه بالرغم من أن الوجود الحقيقي مقصور علي الله سبحانه وتعالى فحسب ، فإنه كرم الإنسان بأن وهبة شطرا من هذا الوجود الحقيقي " فيذوب الوجود الظلي في الوجود الحقيقي كما يذوب النحاس عند تعرضه لصنعة الكيمياء " والمقصود بوجود الإنسان هنا وجوده

" 4 "

الروحي و " عمارة الروح من خراب الجسد " ، وقد تبدل أبدال الحق أو الأولياء العظام إلي أرواح خالصة .
ومن هنا يستهل مولانا هذا السفر من أسفار المثنوي بفكرة أن كل ما في الكون " أكل ومأكول " ، وواهب الحلوق التي تيسر هذا الأكل هو الله سبحانه وتعالي ، وكل يأكل ما يسر له ، ثم يصير بدوره مأكولا لمن هو فوقه في مراتب الخليقة ، والإنسان فحسب هو الذي يستطيع أن ينجو من هذا المصير - أي أن يكون مأكولا لغيره - عندما يتحول إلي " إجلالي " أي منسوبا لذي الجلال يتحول إلي روح خالصة ، فيتبدل طعامه من طعام مادي إلي طعام معنوي ، ويوهب كل - عضو - فيه خلقا جديدا بحيث تري العين - ما لا تراه العين العادية ، وتشم الأنف ما لا تشمه الأنف العادية ، وتسمع الأذن ما لا تسمعه الأذن العادية .
وتقوم دورة الخليقة - في رأي مولانا - علي هذه الفكرة ، فالحياة دائما في رقى ، وإنما يفني المأكول في الأكل ، لأنه أدنى منه مرتبة ، فالوجود في صعود ، أو بتعبير لملا محمد هادي السبزواري فيلسوف إيران المعاصر " في الصعود تكون الجمادات غذاء للنباتات ، والنباتات غذاء للحيوانات ومن ثم فكل عالم أدني يفنى فيما هو أعلي كفناء الغذاء في المتغذي ، وهذا ما تراه في الإنسان حتى يظل من الخالدين " 1 " فالفناء هنا نوع من الرقى والصعود ، عبر عنه مولانا جلال الدين بطريقته البسيطة المعجزة عن طريق حكاية السيدة التي كانت تغلي حبوب الحمص وتقلبها في القدر ، ويكسب مولانا جلال الدين حبة الحمص " حياة مفترضة " بعد أن شرحت لها السيدة " سر الغليان والنضج " فتخاطبها قائلة " ما دام الأمر هكذا يا سيدتي فلأغل جيدا وساعديني بصدق - إنك في هذا الإنضاج بمثابة المعمار لي ، فقلبيني بالمعرفة

....
(1) ملا محمد هادي سبزوارى : شرح المثنوى ص 198 - " طهران " بدون تاريخ .

فما أجمله من تقليب " 1 " وترد عليها السيدة " لقد كنت مثلك قبلا من أجزاء الأرض - وعندما احتسيت شراب الجهاد الناري ، صرت قابلة للسمو جديرة به - فغليت فترة في الأرض ، وغلبت فترة داخل قدر الجسد - ومن هذين الغليانين اكتسبت قوة الأحاسيس ، ثم صرت روحا ومن بعدها صرت سيدة لك - وكنت أقول في مرحلة الجمادية : إنك ستعبرينها مسرعة ، لكي تتحولى إلي علم وصفات معنوية - وعندما أصير روحا يكون لي غليان أخر ، أعبر به مرحلة الحيوانية " 2 " .
ليست حبة الحمص - وهي من النبات - الشيء الوحيد خارج الإنسان الذي يرى فيه مولانا معراج الصعود والترقي فحسب ، فالجمادات نفسها ذات حركة وتطور ، ألم تكن عصا موسى من قبيل الجماد ومع هذا وهبت حلقا لكي تلقف العصي الأخري فلا تمتليء بها ولا تزداد ؟ إن طعامها معنوي شأنه في ذلك شأن طعام النفس في مرتبة اليقين يفترس كل ظن ويبعد كل شك من قلب العبد ، ومن ثم فالأمور الروحانية الباطنية ذات حلوق كالأعيان ، وليس رزقها ماديا ، وهذا هو ديدن الخليقة من أدني العالم إلي أعلاه ، فكل المخلوقات بل والظواهر الروحانية غير المرئية ذات حلوق تناسب خلقتها ، وحتى تلك الروح التي يصل إليها رزقها مباشرة من ذي الجلال " 3 " .
ويعبر صدر الدين القونيوي أحد أساتذة جلال الدين عن هذه الفكرة قائلا :
" إن لكل شيء غذاء خالصا فغذاء الأسماء أحكامها بشرط المظاهر التي هي محل الحكم وغذاء الأعيان الوجود وغذاء الوجود أحكام الأعيان وغذاء الجوهر الأعراض وغذاء الأرواح وعلومها وصفاتها وغذاء الصور العلوية حركاتها وما به دوام حركاتها ، وغذاء العناصر الصورة والمزاج " " 4 " .

....
(1) أبيات 4200 - 4201 من هذا الكتاب .
(2) أبيات 4206 - 4212 من هذا الكتاب .
(3) عن شرح الأبيات 36 - 42 من هذا الكتاب .
(4) عن شرح يوسف بن أحمد 3 / 14 والأنقروى 3 / 25 .

وبمضي مولانا في تقديم هذه الصورة الحية عن عالم الخليقة ، فالجمادات نفسها في حركة دائبة ومستمرة “ وهناك عالم متجمد واسمه الجماد ، والجماد يكون متجمدا أيها الأستاذ - فانتظر حتى تسطع شمس الحشر عيانا ، لكن ترى حركة جسم العالم - ولما كانت عصا موسى قد انقلبت إلي حية هنا ، فقد أخبرت العقل عن الأمور الساكنة - وما دام قد سوى من قطعة التراب بشرا - ينبغي عليك أن تعرف التراب بأجمعه - فهم موتى في هذه الناحية “ الدنيا “ أحياء في تلك الناحية “ عالم المعنى “ ، وهم صامتون هنا متحدثون هناك - وعندما يرسلهم إلينا من تلك الناحية ، تصير تلك العصا عندنا حية - وتغني الجبال بألحان أودية ، ويصير الحديد شمعا في الكف - وتصير الرياح حاملة لسليمان ، ويتحدث البحر مع موسي - ويكون القمر مرسلا الإشارات إلي أحمد ، وتصبح النار بالنسبة لإبراهيم كزهور النسرين - ويبتلع التراب قارون كأنه حية ، ويثوب الجذع الحنان إلي رشده - ويسلم الحجر علي أحمد ، وينقل الجبل الرسالة إلي يحيي - وكلها كأنها تقول : نحن سميعون بصيرون طيبون ، لكننا معكم يا من لم يسمح لكم بالسر صامتون - ومادمتهم تسيرون نحو جماد ، فكيف يصير مسموحا لكم بروح الجماد ؟ - فامضوا من الجماد إلي عالم الأرواح ، لكي تسمعوا - ضجيج أجزاء العالم - ويأتيك تسبيح الجماد - عيانا ، ولا تتخطفك وساوس التأويل “ “ 3 “ .
وكيف يكون الجماد جمادا وقد نزل من أعلي إلي أسفل ؟ “ خلق من أعلى “ وديدن كل من انبت عن أصله أن يحن إلي هذا الأصل ولا بد أن تكون رجعته إليه “ وأصل كل النعم هبط من الفلك إلي الأرض ، جاء من أعلى إلي أسفل غذاء للروح - وعندما هبطت من الفلك إلي الأرض تواضعا ، صارت جزءا من الإنسان الحي الشجاع - ثم اكتسب هذا الجماد صفات الإنسان ، فسما سعيدا إلي أعلي العرش

....
(3) الأبيات 1008 - 1022 من هذا الكتاب .

قائلا : لقد جئت من العالم الحي منذ البداية ، وهأنذا قد عدت من أسفل إلي أعلى وجملة الأجزاء متحركة كانت أو ساكنة ، ناطقةإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ" 1 " .
وينتقل مولانا دائما - كدأبه في كل أجزاء المثنوي - من العالم الكبير " الكون " إلى العالم الصغير " الإنسان " مع فارق جوهري ، وهو أن مولانا يعتبر الكون تصغيرا للإنسان الذي هو في رأيه " العالم الأكبر " مما سيتضح في كتاب تال ، علي كل حال يدق مولانا سواء تناول الإنسان أو الكون علي أن البقاء والصعود والسمو كامن - في الفناء المرحلى ، والتشابه - موجود علي الدوام بين مراتب الحياة الجسمانية ، ومراحل الكمال الروحاني ، فالإنسان في رقي وسمو دائم ، من جنين يتغذي علي الدم إلي رضيع يتغذي علي اللبن ، ثم أكل للطعام ثم نابذ للطعام سام بروحه إلي أفاق عليا ، الفكرة نفسها التي وردت عند سنائي في الحديقة من منطلق أن الله حافظ للإنسان في كل مراحل حياته ، ولا يمكن أن يضيعه بعد موته " 2 " .
وفي هذا السير التطوري يصبح الموت مجرد بوابة إلي حياة جديدة وأفضل ، ويفيض مولانا كغيره من الصوفية في شرح هذه الفكرة ، أن في الموت خراب الجسد لكن فيه أيضا عمارة الروح يقول : " كنت مثل ادم من البداية في حبس وكرب ، وامتلأ الآن الشرق والغرب بنسل روحي - كنت شحاذا في هذا المنزل - الشبيه بالجب ، وصرت ملكا ، والملك في حاجة إلي قصر - ذلك أن الملوك يأنسون إلى القصور ، أما الموتى فيكفيهم القبر منزلا ومكانا - لقد ضاقت هذه الدنيا علي الأنبياء ، فمضوا كالملوك إلي اللامكان - وإن لم تكن ضيقة فلماذا هذا الصراخ ؟ ، وكيف انحنى كل من عاش فيها طويلا ؟ - وكيف تحررت الروح عند النوم من ذلك المكان ؟ ، وكيف صارت من نومها هذا " بادية " السعادة ؟ لقد تخلص الظالم ثانية من ظلم الطبع ، وانفلت السجين " خارجا " من تفكيره في السجن " " 3 " .

....
(1) الأبيات 460 - 464 من هذا الكتاب .
(2) انظر شروح الأبيات 50 - 68 من هذا الكتاب .
(3) الأبيات 3538 - 3544 من هذا الكتاب وشروحها .

وإذا كان كل عنصر يعود إلى أصله ومنبته ، فإلي أين تمضي الروح إذن إن لم تمض إلي أصلها ومنبتها ؟ والمثنوي بأجزائه الستة عبارة عن تتبع لرحلة الروح في العودة إلي منبتها . وافتتاحية الكتاب الأول عبارة عن أنين الناي شوقا إلي الغاب أو أنين الروح شوقا إلي الجنة ، يقول مولانا في هذا المعنى : “ يقول التراب لتراب الجسد : عد ، اترك الروح وأقبل نحونا كالغبار - إنك من جنسنا وأولي بك أن تكون عندنا ، - وأفضل لك أن تنجو من الجسد ومن تلك الرطوبة التي فيه - فيقول : لبيك ، لكني مقيد القدم ، بالرغم من أنني في ألم من الهجران مثلك - ويطلب الماء رطوبة الجسد قائلا لها : أيتها الرطوبة عودي إلينا من الغربة - ويستدعي الأثير حرارة الجسد قائلا لها : أنت من نار فعودي إلي أصلك - وهناك اثنتان وسبعون علة من العلل في الجسد ، فاقدة للزمام في جذب العناصر - ثم تأتي العلة “ الكبري “ حتى تفتت البدن ، وحتى تترك العناصر بعضها البعض الآخر - وهذه العناصر طيور أربعة مقيدة القدم ، والموت والمرض والعلة هي التي تفك قيد القدم - وعندما تفك قيودها ، يشرع طائر كل عنصر في الطيران علي وجه اليقين - وجذب هذه الأصول لفروعها ، تضع في كل لحظة ألما علي أجسادنا - حتى تمزق كل هذه التراكيب ، ويعود طائر كل عنصر محلقا إلي أصله - ولما كان كل جزء يبحث عن اللحاق برفيقه ، فكيف تكون الروح الغريبة في الفراق ؟ إنها تقول : يا أجزائي الأرضية الدنية ، إن غربتي أكثر مرارة فأنا من العرش “ 1 “ .

لا نقص إذن من الموت والفناء ، فالفناء سبيل إلي البقاء ، هو تمام الدائرة ، فقبل قوس الصعود كان قوس النزول ، لكي تتم دائرة الكون التي يعبر عنها الرقص المولوي ، ويلخص مولانا هذه الفكرة في أبيات هي أشهر أبيات هذا الكتاب الثالث من المثنوى “ لقد مت من الجمادية وصرت ناميا ، ومت من النماء

....

(1) الأبيات 4424 - 4240 من هذا الكتاب .

وانقلبت حيوانا - ومت من الحيوانية وصرت إنسانا ، إذن فمن أي شيء أخاف ؟
ومتي نقصت من الموت ؟ - وأموت مرة أخري من البشرية ، حتى أخذ من الملائكة
أجنحتها وقوادمها - ومن الملائكية ينبغي أن أقلع عن الطلب ، ذلك أن كل شيء هالك
إلا وجهه - ثم أصير بعدها فداء من الملائكية ، وأصير إلي مالا يحده وهم - إذ أصير
عدما والعدم كالأرغنون ، يتغنى لي قائلا :إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ- فاعلم أن الموت هو ما
اتفقت عليه الأمة ، من أن ماء الحيوان مخبوء في الظلمة " 1 " .
وإياك أن تقيس هذه الأمور بمقياس العقل ، فكما جئت تعود ، فهل تعلم كيف جئت ؟
هذه المراحل تطلب في البداية انتفاء المكان والزمان والكثرة والأعداد وكل ما يتعلق
بمنطق الجسد ، فإنك إن فعلت لا يمكن تصور هذه الأفكار إلا كجزء من أخيلة
الشعراء وتهاويم الصوفية عند السكر وغلبة الوجد .
ولكن مولانا يقدم قياسات عديدة تتصل بنظرية تكامل الأنواع عنده ، فإن المادة التي
تنقلب إلي موجود حي هي مادة ميتة ، لكنها تكتسب حياة قائمة علي الوحدة مع
عناصر الحياة المتعددة ، وقد تناول الهجويري هذه القضية تحت عناوين مختلفة ،
وعندما يتناول بالحديث فرقة الطيفورية اتباع أبي يزيد البسطامي يقول : إن نظريتهم
الخاصة هي الغلبة والسكر ، ولقضية الصحو والسكر علاقة وثيقة بقضية البقاء والفناء
فقد كان أبو يزيد وأتباعه يرجحون السكر علي الصحو ، في حين أن الهجويري نفسه
كان يفضل الصحو علي السكر ، إذ كان أبو يزيد يعتقد أن الصحو يتضمن إثبات
الأعراض البشرية التي تقف كحائل أمام الإنسان في سيره إلي الله ، في حين أن السكر
يتضمن نفي الصفات البشرية ، بحيث تبقي فيه فحسب تلك الملكات التي لا تنتسب إلي
البشرية وهي أعظم ملكاته على الإطلاق .

....
(1) الأبيات 3904 - 3909 من هذا الكتاب .

ولا أظن أن صوفيا ما يري بإثبات الصفات للإنسان ، بل أن الهجويرى برغم مخالفته الظاهرة للبسطامى يخلص إلي نتيجة أقرب إلى فكر البسطامي ، ويرى أن كل مشايخ الصوفية يتفقون علي أنه عندما يفر الإنسان من أسر المقامات ، ويتخلص من ظلام الأحوال ، ويتحرر من عالم الكون والفساد ، يكون حضوره مع الله بلا نهاية ، ولا يبقى وجوده متعلقا بعلة ، بل يصير ربانيا يفني عن دنياه واخرته " 1 " .
هذا ما يسميه مولانا جلال الدين الميلاد الثاني ، وهو ليس إلا موت الذات والبقاء في الله وهو ما يعبر عنه بقوله : " وعندما يولد المرء للمرة الثانية ، فإنه يضع قدمه فوق مفرق العلل - فلا تكون العلة الأولي دينا له ، ولا تحقد عليه العلة الجزئية أو تعاديه " " 2 " .
وكل القياسات التي يقدمها مولانا لبيان هذه الفكرة عن فقدان الذات البشرية الذي يعبر عنه الصوفية عموما بلفظ الفناء ليس إلا تحول النفس الدنية إلى نفس عالية أو ما عبر عنه الهجويري ب " إسقاط الصفات المذمومة وابدالها إلي صفات محمودة " " 3 " ، ولا يمل مولانا من تصوير الجهاز الدقيق للحياة الكلية الإلهية ، وعلي كل امريء أن يسعي لكلى يصبح جزءا من هذا الجهاز الدقيق الحي ، وإلا صار في حكم الجزء المنقطع عن الجسد الإنسانى الحي والذي يتحول إلي ميتة : فإذا انقطع الجزء عن الكل صار بلا نفع ، وإذا انقطع العضو عن الجسد صار ميتة - وما لم يتصل بالكل مرة ثانية ، يكون ميتا لا خبر عنده عن الروح - وإذا تحرك فليس هذا في حد ذاته دليلا علي حياته ،

....

(1) خليفة عبد الحكم : عرفان مولوى - الترجمة الفارسية لأحمد محمدي وأحمد مير علائى ص 153 والنص من الترجمة العربية لكشف المحجوب للهجويرى لكاتب هذه السطور وآخرين ص 192 القاهرة 1974 .
(2) البيتان 3578 - 3579 من هذا الكتاب .
(3) كشف المحجوب الترجمة العربية ص 291 .

فإن العضو الذي بتر حديثا يختلج أيضا - وإذا قطع الجزء من هذا الكل يضيع تماما ، إذا لا يصبح بعدها كلا ذلك الذي انقطع - أن قطعة ووصله لا يتأتيان في مقال ، لقد قيل شيء ناقص على سبيل المثال " 1 " .
هذا الموضوع إذن - وهذه نقطة يدق عليها مولانا ويكرر القول فيها - لا يتأتي في مقال ، ولا يمكن التعبير عنه صراحه بل لابد من الأمثلة والقياسات ، فالإنسان لا ينمحى ولا يفنى تماما ، وحتى إذا انمحى في الذات الإلهية فإنه يشبه انمحاء نور الشمع في ضوء النهار " قال قائل : ليس في الدنيا درويش ، وإن كان ثم درويش فليس بدرويش فهو " باق " من ناحية ببقاء ذاته ، لكنه أفني صفاته في صفات الحق - مثل شعلة الشمعة أمام الشمس ، تكون فانية لكنها موجودة في الحساب - تكون ذاتها موجودة بحيث إنك عندما تضع قطعة من القطن عليها تحترق من لهيبها ، وتكون فانية فهي لا تمنحك ضياء ، إذا تكون الشمس قد أفنتها في نورها " " 2 " . أو كالظل والشمس " وهكذا يكون الباحث عن العتبة الإلهية ، عندما يتجلى الإله يصير هو فانيا - وبالرغم من أن ذلك الاتصال بقاء خالص ، لكن ذلك البقاء متوقف في البداية على الفناء - والظلال التي تكون باحثة عن النور ، تنعدم عندما يظهر لها ذلك النور - فمتى يبقي العقل عندما يطل هو ،كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ- إنما يهلك أمام وجهه الوجود والعدم ، والوجود في العدم أمر طريف في حد ذاته - وفي هذا المحضر تاهت العقول ، وعندما وصل القلم إلي هنا انكسر " " 3 " .
فناء الإنسان أمر يحتوي علي درجة من الوعي في الفاني في الله ، ويكاد مولانا هنا ينقل تعبيرا عن الهجويري " فمن فني عن مراده بقي في مراد الله ،

....
(1) الأبيات 1938 - 1942 من هذا الكتاب .
(2) الأبيات 3671 - 3675 من هذا الكتاب .
(3) الأبيات 4661 - 4666 من هذا الكتاب .

لأن مرادك فان ومراد الله باق ، فإذا بمرادك كنت متصلا بالفناء ، ولكن إذا خضعت لمراد الله تعالى صرت متصلا بالبقاء ، وكان ذلك أشبه بالقوة التي تشعل كل ما يقع فيها من أشياء ، وحيث إن قوة مراد الله تعالى هي أكبر وأشد من النار ، فالنار تؤثر في الحديد ولا تغير مادته ، لأن الحديد لا يمكنه أن يكون نارا " " 1 " وهذا هو عين ما عبر عنه مولانا فالحديد المذاب يكتسب خاصية النار دون أن يفقد تماما خاصية كونه حديدا ، " فلون الحديد ينمحى في لون النار ، وكأن الحديد في صمته يباهي بناريته - فحين غدا في حمرته مثل ذهب المنجم ، فهو يباهي بدون لسان قائلا : أنا النار - لقد صار مهيبا بلون النار وطبيعتها ، فهو يهتف قائلا : أنا النار أنا النار - إنني أنا النار فإن كنت في شك من ذلك أو ريب ، فلتجرب ولتضع فوقي يدك - إنني أنا النار ، فإن كان لك في ذلك اشتباه ، فضع وجهك فوق وجهي لحظة واحدة - والإنسان حين يقتبس النور من الله ، يكون الجدير بسجود الملائكة ، لأن الله اجتباه - وكذلك يكون جديرا بسجود الإنسان ، الذي خلصت روحه من الشك والطغيان مثل الملائكة - وما النار ؟ وما الحديد ؟ ألا فلتغلق شفتيك ولا تهزأ بلحية تشبيه المشبه " " 2 " إنه ليس فناء إذن بل مجرد تحول وتغير وفقدان لصفات واكتساب صفات أخرى .
والأمر كله معنوي ، فلا معني هنا للقرب والبعد ، والمعراج ليس دائما إلى أعلى ، والرسول صلّى الله عليه وسلم اعتبر غياب يونس عليه السلام في بطن الحوت معراجا ، ويسوق مولانا هذه الرواية " قال الرسول عليه السلام : إنه ليس لمعراجي فضل علي معراج يونس بن متى - إن كان معراجي علي الفلك وكان معراجه تحت الأرض ، ذلك أن قرب الحق خارج عن الحسب - وليس القرب هو الذهاب إلي أعلى أو إلى أسفل ، إن قرب الحق هو الخلاص من حبس الوجود - فأي مكان

....

(1) كشف المحجوب - الترجمة العربية ص 293

(2) كفافي : الكتاب الثاني ص 143

للعالي والسافل في عالم العدم ؟ وليس فيه عجلة أو بعد أو تأخير " " 1 " والعالم الذي يسميه مولانا عالم العدم هو عالم الغيب وعالم الأمر ، وهو فيما وراء العالم المحسوس ، أي عالم الكون ، وهو حقيقة لا تنكر ، لكن لا يمكن التعبير عنه ، فإذا عبر عنه انقلب إلى عالم كثرة قابل لإدراك الحواس والمشاعر " 2 " .
ومن هنا فإن تصور مولانا للوجود ينبع من تصوره للنفس المتسامية وعقائده المثالية ، فالذي يدرك أن حياته الدنيا هي محض تجربة وامتحان ، وأنها مرحلة من مراحل الخلق ومراحل وجود الإنسان الخالد الذي لا يفني ، متي يخشي الموت ؟ إن هو إلا بوابة للرقي " 3 " والجسد مجرد ظل للروح وليست الروح ظلا للجسد " لم يكن يدرى أنهم قد نجوا ، وجلسوا على كوة نور القلب - واعتبروا أجسادهم التي هي ظلالهم من أنفسهم ، أي من أرواحهم ، فهم مسرعون نشطاء متحملون مرحون - فلو أن هاون الفلك قد دقهم ومزقهم إلي مائة قطعة في موطن الطين هذا ، ما داموا قد رأوا أصل هذا التركيب ، فقد قل خوفهم من فروع الوهم ، وهذه الدنيا حلم فلا تتوقف على الحلم والظن ، فإن بترت يد في حلم فلا بأس " " 4 " الخلاص إذن في ذلك القلب الذي يسكنه النور ، فإنه جوهر الوجود الإنسانى " لقد ظننت أن قلبك هو هذا الملوث ، فلا جرم أنك فصلت عن أصحاب القلوب - وهل تجيز أنت نفسك أن يكون ذلك الذي يكون عاشقا للبن والعسل قلبا ؟ - إن لطف اللبن والعسل انعكاس للقلب ، وإن كان ثمة لذة فهي حاصلة من القلب - ومن ثم فإن القلب جوهر والعالم عرض فكيف يكون عرض القلب غرضا للقلب ؟ " " 5 " .

....

(1) الأبيات 4515 - 4518 من هذا الكتاب .
(2) الأبيات 3092 - 3100 من هذا الكتاب .
(3) شروح الأبيات 3529 - 3536 من هذا الكتاب .
(4) الأبيات 1727 - 1731 من هذا الكتاب .
(5) الأبيات 2265 - 2268 من هذا الكتاب .

- 2 - وإذا كانت فكرة البقاء في الفناء ، هي الخيط الجامع لهذا الكتاب ، فإن موضوع العشق هو الخيط الجامع لكل كتب المثنوي الستة ، وهو العالم الرحب الذي يسرع فيه بيان مولانا جلال الدين ركضا ، وهو أيضا الذي يستطيع أن يمنح العقلانية والمنطقية لكل هذه البيانات الغربية عن أهل الشرع وأهل الكلام وأهل الفلسفة .
وقد لاحظ بعض الباحثين أن الجانب الوحيد الذي يمنع ذهاب سعى مولانا جلال الدين في تحليلاته للأمور سدى ، هو بياناته الحافلة بالوجد بشأن العشق وهو الذي يجعل وجه الاشتراك بين الفرضية والحياة والتجربة منعدما " 1 " فلو كان حديثه عن العشق يحتوي فحسب على أشواق غنائية أو جذبات عاطفية لكان الأمر ميسورا ، لكننا نلتقى من خلاله بقضايا عاطفية تهز في داخلنا أوتارا من الأعماق ، وتثير في نفوسنا أحوالا لا يمكن التعبير عنها بالكلمات ، وبينما يمنح هذا الجانب جلال الدين صفة العالمية والقرب من قارئه أيا كانت اللغة التي يقرأ بها أعماله ، إلا أنه إحدي النقاط التي تثير الجدل في المثنوي فبينما يحدثنا مولانا حديثا مفهوما يضمنه تجربته الأخلاقية والحياتية الواسعة الغنية ، ينتقل إلى الحديث عن العشق فيزج بنا داخل بحر متلاطم الأمواج يفصم عري التجاوب المشترك ، فمن بين مستويات جلال الدين في الحديث والتي المحث إليها في شروحى على هذا الكتاب يبقي مستوى العشق خاصا بالكمل الواصلين الذين أدركوا النذر اليسير من هذا العالم الشديد الغني ، فمولانا يعبر عن تجربته هذه بشكل باطني حافل بالوجد ينعكس على اللغة ، بحيث إن مولانا نفسه الذي يعترف بأن العشق هو الدافع والمحرك لكل إنتاجه الأدبي ويقول : " أمر العشق كلامي فظهر ، ما جدوي المرأة إن لم تعكس الصور ؟ " 2 " لا يجد ما يعينه علي

....

(1) عرفان مولوى ص 59 .
(2) الكتاب الأول من المثنوى بيت 34 .

بيان حقيقة العشق إلا الموسيقي " أنين الناي والرباب " ، فالأسرار كلها مخفية في وتري الجهير والخفيض " 1 " ، وبرغم أن العشق هو القاسم المشترك الأعظم للمثنوي ، وهو الموضوع الغالب تماما على ديوانه الكبير الذي سماه باسم شيخه شمس الدين التبريزي ويحتوي على مائة ألف بيت أو يزيد ، يظل مولانا ينبه على أنه لم يقدم عن العشق الحديث الجدير به " كل ما أتحدث به عن العشق من شرح وبيان ، أخجل منه عندما أصل إلى العشق نفسه - وحتى وإن كان بيان اللسان واضحا ، فإن العشق أكثر وضوحا بلا بيان . " 2 " ولكي نلقي بعض الضوء هنا عن بيان مولانا عن العشق نشير إلى ما يلي :

(أ) العشق موجه إلى الجمال ، والجمال الإلهي هو أصل الجمال ، وكل جمال في هذا الكون المرئي ما هو إلا شعاع أو انعكاس للجمال الإلهي ، كأنه انعكاس الشمس على الجدار وعندما تولى الشمس وجهها عن الجدار انظر أي جمال يبقي فيه : " كان ذلك شعاعا على جدارهم ، وعندما سطعت الشمس محت تلك العلامة - وكلما يقع الشعاع على شئ تقوم أنت بعشقه أيها الشجاع ، ويمض النور من الجدار نحو الشمس ، فامض أنت أيضاً نحو الشمس الجديرة بالمعنى " 3 " .

ومن هنا لا ينبغي أن ينصب العشق علي كل شيء ذي نور مؤقت ومستعار ، بل ينبغي أن ينتقل من المظهر إلى الجوهر والأصل ، أي إلي جوهر الجمال وأصله ، أو بتعبير مولانا معدن الجمال ومنجمه ، كما عبر في كليات ديوان شمس الدين التبريزي " 4 " .

....

(1) الكتاب الأول بيت 12 .

(2) الكتاب الأول البيتان 112 - 113 .

(3) الأبيات 552 - 553 - 559 من هذا الكتاب .

(4) كليات ديوان شمس الدين التبريزي غزل 441 بيت 6 ص 303 طهران أمير كبير بدون تاريخ .

(ب) العشق أحد مبادئ الاتحاد والفناء ، وهناك قوى جذابة في كل ذرة من ذرات الوجود ، وبها تنجذب العناصر إلى بعضها وتحدث أشكال الحياة وصورها ومن هنا تصبح الحياة كلها تجليا للعشق ، وأمور الكسب فيها قائمة على العشق ، فهو المحرك لكل مظاهر الحياة : " إن لم يكن العشق متى كان الوجود ؟ ومتى رزقك بالخبز ومتى خلقت ؟ - ومن أي شيء صار لك الخبز ؟ من العشق والاشتهاء ، وإلا فمتي كان لك لتنجو بروحك ؟
إن مجرد عشق الخبز ليحي الميت ، ويجعل الحياة باقية فيه " 1 " . وإذا كان العالم الأرضي يحركه العشق لميت فان فكيف لا يحركه العشق للحى الذي لا يموت ؟ " وما أكثر المنعمين الذين يحملون الشوك ، أملا في محبوب قمري الوجه وردي الوجنة - وما أكثر الحاملين الذين صاروا ممزقى الظهور ، من أجل محبوباتهم الفاتنات ذوات الوجوه كالأقمار - وذلك الحداد سود وجهه الجميل حتى يقبل القمر عندما يجن الليل - والسيد مسمر في حانوت حتى الليل ، ذلك أن سروة ممشوقة القوام قد مدت بجذورها في قلبه - وتاجر يمضي في البر والبحر ، لكي يسرع بحب نحو - قعيدة منزل - إن لكل واحد منهم شهوة مع ميت ، أملا فيمن عنده ملامح حي - فكن مجتهدا علي أمل الحي الذي لا يتحول بعد يومين إلى جماد " 2 " . لقد زاول الناس عشقهم مع من مصيره إلى الزوال ، في حين أنهم إن زاولوه مع الحي الذي لا يموت فإن ما يظنونه موتا سوف يكون حياة متجددة ، فالعشق بجذبه يقضي علي كل ما هو زيف في وجود البشر ويقدم لهم بدلا منه حياة جديدة ، " وللعشاق في كل لحظة موت ، وموت العشاق في حد ذاته ليس من نوع واحد - إن له مائتي روح من الهدي ، يضحي بها كلها في لحظة واحدة - وكل روح يأخذها

....

(1) المثنوى - الكتاب الخامس 2012 - 2014 .
(2) الأبيات 540 - 547 من هذا الكتاب

يردها بعشرة أرواح ، وأقرأ من القرآنعَشْرُ أَمْثالِها، فإن سفك دمي ذلك الحبيب الوجه ، فإنني أضحي بها أمامه راقصا ، لقد جربت الأمر ، وموتى في حياتي ، وعندما أنجو من هذه الحياة فهذا هو الثبات " 1 " .
(ج) هذا العشق الإلهي لا يتأتي بالدروس أو التعليم أو النقل ، إنه عطية وهبة إلهية توهب للعبد ، نوع من الصلة الخاصة بين الخالق والمخلوق يقول مولانا : " وعندما يتضرع أريج ذلك الحبيب ، تتحير كل اللغات - ولأقصر فلقد ورد ذكر الحبيب في الحديث فاستمع والله أعلم بالصواب وعندما يتوب العاشق فليحل بك الخوف أنذاك ، فهو كالعيارين يعطي الدروس وهو علي المشنقة - وبالرغم من أن هذا العاشق يمضي إلي بخاري ، فإنه يمضي لا إلى درس ولا إلى أستاذ - لقد صار حسن الحبيب هو المدرس للعشاق ، ودفترهم وواجبهم المدرسي هو وجهه - إنهم صامتون لكن صيحات وجدهم المتوالية تمضي حتى عرش محبوبهم - وفي بخاري تكون ناضجا رشيدا في العلم ، وعندما تتجه نحو الذلة تصير فارغا من هذه الأمور - ولم يكن لذلك البخاري اهتمام بالعلم ، كان يقصر بصره علي شمس الأبصار " 2 " . - " وما شأن الدروس بألام العشق " وفي تلك الناحية التي زاد فيها العشق الألم ، لم يدرس الشافعي وأبو حنيفة " 3 " " وهذا المعني نفسه جعله حافظ الشيرازي مجال أحاديث طويلة فيما بعد ، ويجمع كل هذه المعاني في بيت واحد ويقول : (امح الأوراق إن كنت رفيقا لنا في الدرس ، فإن علم العشق لا يوجد في كتاب) " " 4 " .

....

(1) الأبيات 3836 - 3841 من هذا الكتاب .
(2) الأبيات 3845 - 3850 - 3856 - 3857 من هذا الكتاب .
(3) البيت 3838 من هذا الكتاب .
(4) ديوان حافظ الشيرازي تحقيق مسعود فرزاد غزلية 228 بيت 5 ص 182 - كيهان 1346 ه . ش .

(د) وإذا كان العاشق يطلب المعشوق فإن المعشوق أيضا يطلب العاشق ، وهذه الجاذبية المتبادلة هي السر في بقاء الكون وبقاء الخليقة " من القلب إلي القلب كوة علي وجه اليقين ، ليست منفصلة أو بعيدة مثلما يكون الجسدان - وقاعدتا مصباحين لا يلتقيان ، لكن نوريهما يمتزجان في مجاله - ولا يوجد عاشق قط يكون باحثا عن الوصل ، ولا يكون معشوقه باحثا عنه - وعندما لمع في هذا القلب برق حب الحبيب ، اعلم أن الحب موجود علي وجه اليقين في ذلك القلب - وعندما صار حب الحق في قلبك زائدا ، فعند الحق بلا شك الحب لك " 1 " .
ليس العشق إذن مقصورا علي الخالق والمخلوق بل إن الذي يجعل الكون كله علي درجة من الانسجام والتناسق هو العشق " إن الظمأن يجأر بالشكوى قائلا : أين الماء العذب ؟ والماء يشكو أيضا قائلا : أين الشارب ؟
- إن هذا العطش في أرواحنا جذب للماء ، نحن له وهو أيضا لنا - وكلمة الحق في القضاء والقدر ، قد جعلت كلامنا عاشقا للآخر - وكل أجزاء الدنيا من ذلك الحكم السابق ، صات أزواجا كل عاشق لزوجه " 2 " . " وكل جزء في العالم طالب لزوجه ، تماما كما يجذب الكهرمان قطع القش - وتقول السماء للأرض مرحبا ، إنني معك كما يكون حجر المغناطيس وبرادة الحديد - والسماء هي الرجل والأرض هي المرأة في نظر العقل ، وكل ما تلقيه السماء تربية الأرض - وعندما لا تبقي فيها حرارة ترسلها إليها ، وعندما لا تبقي فيها رطوبة أو ماء تعطيها إياهما - والبرج الترابي مدد لتراب الأرض ، والبرج المائي يبث فيها الرطوبة - والبرج الهوائي يحمل إليها السحاب ، حتى يجذب منها الأبخرة الوخمة - وحرارة الشمس

....

(1) الأبيات 4394 - 4399 من هذا الكتاب

(2) انظر الأبيات 4401 - 4419 وشروحها من هذا الكتاب .

من البرج الناري ، وهو كالمقلاة الحمراء من النار ظهرا ووجها - والفلك دوار حول الأرض ، مثل الرجال حول الكدح من أجل النساء - وهذه الأرض تتكفل بالتدبير ، وتقوم بأمور الولادة والرضاع - فاعلم إذن أن الأرض والفلك من العقلاء ، فهما يقومان بأعمال العقلاء - وإن لم يكن هذان الحبيبان يستمع كل منهما بالآخر ، فلماذا إذن يتداخلان كالأزواج ؟

- وبدون الأرض متي ينمو الورد والأقحوان ، وماذا يتولد إذن من ماء السماء وحرارتها ؟ ومن أجل هذا يكون الميل في الأنثي إلي الذكر ، حتى يكمل كل منهما الآخر - لقد وضع الحق الميل في الرجل والمرأة ، حتى تجد الدنيا البقاء من هذا الاتحاد ، ويضع الميل أيضا في كل جزء إلى جزء ، ومن اتحادهما معا يوجد توليد “ 1 “ وهذا البقاء يعقبه فناء فيعود كل جزء إلي أصله في الفلك ، ومن ثم تعود الروح إلي أصلها ، فالعشق حركة صوب الكمال وأصل من أصول التوحيد .

(ه -) هذا الإحسان الفياض الكوني هو جوهر الدين “ إن كسب الدين هو العشق وهو الجذب الباطني - انه القابلية لتلقى نور الحق أيها الحرون “ 2 “ والإنسان الذي يحس هذا الإحساس لا يمكن أن يسمي ملحدا ولا أهمية للشكل الذي يبدو به إيمان المرء بالنسبة للآخرين ، فيكون القلب قابلا لكل صورة ، والطرق إلي الله تكون بعدد أنفاس بني آدم ، ومذهب العشق منفصل عن كل المذاهب ، والحديث عن المذاهب في ظله محض هراء “ “ 3 “ .

وهذا التصور يقضى تماما على كل الشكوك والخلافات التي تنتج من عكوف المرء على الصور وحرصه علي المظاهر ، وتلاعبه بالألفاظ “ عشقه

....

(1) انظر الأبيات 4401 - 4419 وشروحها من هذا الكتاب .

(2) المثنوى - الكتاب الثاني - الأبيات 2601 - 2602 .

(3) الأبيات 4722 - 4724 من هذا الكتاب .

نار محرقة للعقال ، ونور النهار يمحو كل خيال “ 1 “ : “ ومن ثم فهذا الاتجاه اللامتناهى عند الإنسان ينفر من كل متناه فلا يصح أن يكون جبل المعاني ويسرع في أثر الصدى “ 2 “ وماذا بشأن الشكوك والخلافات إذن ؟ فلتبحث عن الجواب عليها من حيث نبع السؤال “ ابحث أيها المرتضي عن الجواب من تلك الناحية التي جاءك منها السؤال “ “ 3 “ .

(و) وهذه التجربة لا يمكن أن تستوعب في مقال ، فكيف يمكن التعبير عن العشق وهو غير أرضي بلغة أرضيه ؟ وكيف يمكن التعبير عن هذه التجربة الباطنية بلغة تراعي أصول العقل والمنطق ؟ كيف يمكن التعبير عن هذه التجربة أهل الظاهر ، وأهم من هذا كله كيف يمكن التعبير عنها بعد زوالها ؟

“ إن مطرب العشق يتغني بهذا وقت السماع ، العبودية قيد والسيادة صداع - إذن فماذا يكون العشق ؟ إنه بحر العدم ، لقد حطم العقل هنا القدم - صارت العبودية والسلطنة معلومتين ، وعن هذين الحجابين كتم العشق - وليت الوجود كان ذا لسان ، حتى يرفع الحجب عن الموجودات وكل ما تقوله يا نفس الوجود عنه ، اعلم إنك قد وضعت به عليه حجابا أخر إن أفة الإدراك هو ذلك المقال والحال - وغسل الدم بالدم محال محال “ 4 “ .

وتبلغ الحيرة مداها عندما لا يستطيع العاشق الحديث ولا يستطيع الصمت في الوقت نفسه “ عندما يتحدث اللسان عن سره ولطفه ، تتلو السماء :

يا جميل الستر - فكيف أسعي في إخفاء سره وهو يطل كالعلم قائلا :

....

(1) البيت 1136 - من هذا الكتاب .

(2) البيت 1139 - من هذا الكتاب .

(3) البيت 1137 - من هذا الكتاب .

(4) الأبيات 4725 - 4730 من هذا الكتاب .

هأنذا - إنه يأخذ برغم أنفي بكلتا أذني قائلا : إيها الغبي كيف تخفية ؟ أخفة إذن " " 1 " .
3 - بقي هنا أن نقدم بعض للملاحظات علي الحكاية في هذا الكتاب ، فلا شك أن المثنوي كتاب تعليمي وضع في الأصل لتربية المريدين ، ولا يمكن اعتبار سياق الحكايات مقطوعا عن السياق العام لهذا الكتاب ، فالحكاية سيقت في الأصل لتوضيح فكرة ما ، فهي مرتبطة بهذه الفكرة إلى حد كبير ، وتتداخل الحكايات بقدر ما تتداخل الأفكار ، وتنقطع الحكاية في الكتاب الواحد ، وقد لا يعود إليها مولانا إلا في كتاب تال .
وبمجرد أن ينتهي مولانا من مقدمة الكتاب عن نظرية الاكل والمأكول يدخل إلي حكاية قصة أكلي ولد الفيل وهي مناسبة للسياق تماما ، فطالما كان الأكل علي النسق الذي وضعه الله فلا بأس ، وإن خرج عن إطاره الطّبعي فالنتيجة معلومة ، وتعن لمولانا بعض الأفكار الجانبية فيضرب بعض الأمثال ، وعندما يتحدث عن التفيهق وعمارة اللفظ مع خراب المعني يتحدث عن بلال لله وعن عجمته في الأذان برغم باطنه الغني ، وعندما يتحدث عن الحزم يسوق حكاية من أطول حكايات هذا الكتاب القروي والحضروي ، وتتجلي فنيات مولانا في هذه الحكاية وكيف ابتعد بها عن الأصل الذي نقله عنها ، ليقدم حكاية ذات مستويات عديدة من المعاني كأغلب حكاياته بحيث يجد فيها المريد المتعلم أيا كان مستواه ما يستطيع أن يتعلمه منها .
وللقصص الديني نصيب كبير في المثنوي ككل وفي هذا الكتاب على وجه الخصوص ، لكن لا ينبغي أن يتبادر إلي الذهن أن مولانا يعيد نظم ما ورد في المأثور الديني لمجرد النظم ، فالقصص الديني هنا " نقد للحال " وإياك أن تعتبره كالكفار مجرد أساطير ، فكل ما فيه موجود فيك ، ولأن مولانا شديد الاهتمام

....

(1) الأبيات 4735 - 4738 من هذا الكتاب .

بقضية الطغيان ، ويعتبره من أشد أفات النفس فإن قصة موسي وفرعون تجد منه اهتماما خاصا ، لكن موسي وفرعون موجودان في داخلك أيضا ، وإن كان لا يستطيع أن يتحدث إليك مباشرة حتى لا يأتيك النفور من هذا الكتاب ، وأغلب القصص الديني قد سيق بتفسيرات صوفية ، ولا غرو ، فالولي هو وريث النبي ، وعندما ينتهي مولانا من حكاية ما ، ينصرف إلي الحديث عن الدروس المستفادة منها ، وفي تعليقاته عليها يدخل في حكايات أخري ، ويتعامل مع شخوصه تعامله مع شخوص حية ، فيعتذر لها إن نسيها قليلا في تدفقه وانطلاقه في حكايات أخري ، بل ويبدي الشكوى أنه لا يستغرق في الحكايات علي حساب ما يريد أن يتحدث فيه بالفعل ويتدارك فيقول : إنها ليست حكايات ، لكنها تجسيد للحال ، ووصف لحضور صديق الغار ، أو بتعبير الفيلسوف السبزواري شهود لمولانا يجده في هذه الحكايات ، ويقصد بالطبع أن مولانا قد يستغرق في فكرة ما حتى يشهدها مجسدة في شخصيات يبعثها حية ، من القصص الديني ، أو من التاريخ وسير الصوفية ، أو من زواياهم ، وقد ينزل إلي الشارع والواقع المعاش فيقدم قصصا بادية البساطة لكنها تحتوي في ثناياها على أعمق المعاني .

ويحذر مولانا من التعلق بظاهر القصص " 1 " ، إنها مجرد صورة فاتخذها صورة وانصرف إلي المعني كما ينصرف المرء من التبن إلى القمح ، وقد تكون الحكاية ساخرة أو مسلية أو جنسية ، لكن ما إلي هذا قصد مولانا مما شرحته باستفاضة ، فاطلبه في شروح هذا الكتاب .

وبعد ، فقد قصدت بهذه المقدمة تقديم صورة كلية لهذا الكتاب ، قد يختلف معي كثيرون حولها بعد قراءتهم للكتاب ، فأتركهم إذن وما يذوقون وما يتقبلون ، وقد يغفر لي أخطائي جهدي الذي بذلت ، ولله سبحانه وتعالي الأمر من قبل ومن بعد ، ومنه جل وعلا التوفيق .

....

(1) البيت 1281 - من هذا الكتاب .

[الدفتر الثالث]
(النص)

" 24 "

.

[ديباجة الدفتر الثالث]
الحكم جنود الله يقوى بها أرواح المريدين ، ينزه علمهم عن شائبة الجهل وعدلهم عن شائبة الظلم ، وجودهم عن شائبة الرياء ، وحلمهم عن شائبة السفه ، ويقرب إليهم ما بعد عنهم من فهم الآخرة ، وييسر لهم ما عسر عليهم من الطاعة والاجتهاد ، وهي من بينات الأنبياء ودلائلهم ، تخبر عن أسرار الله وسلطانه المخصوص بالعارفين ، وإدارته الفلك النوراني الرحماني الدري الحاكم على الفلك الدخاني الكري كما أن العقل حاكم علي الصور الترابية وحواسها الظاهرة والباطنة ، فدوران ذلك الفلك الروحاني حاكم علي الفلك الدخاني ، والشهب الزاهرة ، والسرج المنيرة ، والرياح المنشئة ، والأراضي المزجية ، والمياه المطردة ، نفح الله بها عباده وزادهم فهما ، وإنما يفهم كل قارىء على قدر نهمته وينسك الناسك علي قدر قوة اجتهاده ، ويفتي المفتي مبلغ رأيه ، ويتصدق المتصدق بقدر قدرته ، ويجود الباذل بقدر موجوده ، ويقتني الموجود عليه ما عرف من فضله ، ولكن مفتقد الماء في المفازة لا يقصر عن طلبه معرفته ما في البحار ، ويجد في طلب ماء هذه الحياة قبل أن يقطعه الاشتغال بالمعاش عنه ، وتعوقه العلة والحاجة ، وتحول الأغراض بينه وبين ما يتسرع إليه ولن يدرك العلم مؤثر هوي ولا راكن إلي دعة ولا منصرف عن طلبه ولا خائف علي نفسه ، ولا مهتم بمعيشته ، إلا أن يعوذ بالله ويؤثر دينه علي دنياه ويأخذ من كنز الحكمة الأموال العظيمة التي لا تكسد ولا تورث ميراث الأموال ، والأنوار الجليلة والجواهر الكريمة والضياع الثمينة ، شاكرا لفضله معظما لقدره مجللا لخطره ، ويستعيذ بالله من خساسة الحظوظ ، ومن جهل يستكثر القليل مما يري في نفسه ويستقل الكثير العظيم من غيره ويعجب بنفسه ما لم يأذن له الحق ، وعلي العالم الطالب أن يتعلم ما لم يعلم ، وأن يعلم ما قد علم ، ويرفق بذوي الضعف في الذهن ، ولا يعجب من بلادة أهل البلادة ولا يعنف علي كليل الفهم " كذلك كنتم من قبل ، فمن الله عليكم " سبحانه وتعالي عن أقاويل

الملحدين ، وشرك المشركين ، وتنقيص الناقصين ، وتشبيه المشبهين ، وسوء أوهام المتفكرين ، وكيفيات المتوهمين ، وله الحمد والمجد علي تلفيق الكتاب المثنوي الإلهي الرباني ، وهو الموافق والتفضل وله الطول والمن ، لا سيما علي عباده العارفين علي رغم حزب يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ ،فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ ما سَمِعَهُ فَإِنَّما إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ والحمد لله رب العالمين ، وصلي الله علي سيدنا محمد وصحبه الطيبين الطاهرين أجمعين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

1 - يا ضياء الحق يا حسام الدين هات هذا الدفتر الثالث ، فقد جرت السنة علي " أن يكون الأمر ثلاث مرات " .
- ولتفتح خزانة الأسرار ، ولتترك في هذا الدفتر الثالث الأعذار .
- فإن قوتك تنبع من قوة الحق ، لا من العروق التي تنبض من الحرارة .
- ومصباح الشمس ذاك الذي يشرق ، لا هو من الفتيل ولا من القطن ولا من الزيت .

5 - وسقف الفلك الذي هو دائم هكذا ، ليس بقائم علي طنب وأعواد .
- وقوة جبريل ليست من الطعام الذي يطبخ ، بل هي من مشاهدة خالق الوجود .
- وكذلك قوة أبدال الحق ، اعلم أنها من الحق لا من الطعام ولا من الطبق .
- فأجسامهم عجنت من النور ، حتى تفوقت علي الروح والملائكة .
- وما دمت موصوفا بالأوصاف الجليلة ، تجاوز عن نار الأعراض كالخليل " 1 "

10 - فتصير النار عليك بردا وسلاما ، يا من تكون العناصر عبيد مزاجك .
- فلكل مزاج أساس من العناصر ، لكن مزاجك أعلي من كل مرتبة .
- فمزاجك هذا صار مستمدا لوصف الوحدة من العالم المنبسط .
- وا أسفاه فإن ساحة أفهام الخلق ، قد ضاقت جدا ولا حلق للخلق .
- وبحذق رأيك يا ضياء الحق ، تهب حلواك الحلق للحجر .

15 - لقد وجد جبل الطور في التجلي حلقا ، حتى شرب هذه الخمر ولم يهدرها .

....

(1) في نسخة جعفري (محمد تقي جعفري : تفسير ونقد وتحليل مثنوى جلال الدين محمد بلخى - الجزء السادس - ط 11 - تهران 1336 (فيما بعد ج / 6) :
- لقد استكانت لك الحواس الخمسة والجهات الستة ، يا من صارت العناصر عبيدا لمزاجك .

- " صار دكا منه وانشق الجبل ، هل رأيتهم من جبل رقص الجمل " ؟ " 1 " .
- إن الجود بالطعام يتأتي من كل إنسان لآخر ، لكن الجود بالحلق من فعل الله فحسب .
- إنه يهب الحلق للجسد والروح ، ويهب كل عضو من أعضائك حلقا علي حده .
- ويهبك بحيث تصير منسوباً إلي ذي الجلال ، بريئا من الفضول والاحتيال والنفاق .

20 - وذلك حتى لا تبوح بسر السلطان لأحد ، وحتى لا تصب السكر أمام الذباب .
- وإنما لتسمع أسرار الجلال ، أذن ذلك الشخص الذي يشبه زهرة السوسن له مائة لسان لكنه أخرس .
- ولطف الله يهب التراب حلقا ، بحيث يتشرب الماء فينبت منه مائة نبات .
- ثم يهب المخلوق من تراب حلقا وفما ، حتى يأكل النبات ويجد في طلبه .
- وعندما أكل النبات صار الحيوان سمينا ، ثم صار الحيوان طعاما للإنسان ومضى في سبيله .

25 - ثم صار التراب ثانية أكلا للبشر ، عندما غادرت البشر الروح والبصر .
- لقد رأيت الذرات كلها مفتوحة الأفواه ، ولو ذكرت طعامها لطال بنا الحديث .
- والزاد لأوراق " النبات " من إنعامه ، ولطفه الكلي حاضن لكل الحواضن .
- فهو الذي يهب الأرزاق الأرزاق ، وإلا فكيف ينمو القمح دون غذاء ؟ ! .

....

(1) بالعربية في المتن .

- وليس لشرح هذا الحديث من نهاية ، إنما ما قلته مجرد جزء من أجزاء تعلمها .

30 - فاعلم أن العالم بأجمعه أكل ومأكول ، وأن ما تبقي منه مقبل ومقبول .
- وأهل هذه الدنيا وسكانها منتشرون ، أما ذلك العالم وسالكوه فخالدون .
- وهذه الدنيا وعشاقها منقطعون ، وأهل ذلك العالم مخلدون مجتمعون .
- ومن ثم فالكريم هو الذي يسقي نفسه ماء الحيوان حتى يبقي إلى الأبد .
- والكريم هو قبيل الباقيات الصالحات ، ومن سلم من مئات الأخطار والمخاوف والآفات .

35 - وهؤلاء وإن بلغوا الآلاف إلا أنهم ليسوا أكثر من شخص واحد ، ولا يجد هذا الأمر وهم من يحصي عددا .
- فللآكل والمأكول حلق وقصبة حلق ، وللغالب والمغلوب عقل ورأي .
- لقد وهب الحلق لعصا العدل ، فالتهمت العديد من العصى والحبال .
- ولم تزد من ذلك الأكل ، فلم تكن حيوانا ذات أكل وشكل .
- كما وهب اليقين حلقا كالذي وهبه للعصا ، حتى التهم كل وهم تولد .

40 - ومن هنا فللمعانى حلوق كالأعيان ، وواهب المعاني حلوقا هو الله .
- ومن هنا فمن أدني العالم إلي أعلاه “ 1 “ ، لا يوجد أحد في الخليقة ليس له حلق لجذب المادة “ 2 “ .

....

(1) حرفيا : من السمكة إلى القمر .

(2) ج / 6 - 99 : وحلق النفس إن صار خاليا من الوسوسة ، يصبح جديرا بالوحي الإجلالى .

- وحلق الروح منزه عن فكر الجسد ، ومن هنا فإن قُوتَها الإجلال “ 1 “ .
- واعلم أن الشرط هو تبديل الطبيعة ، فمن طبيعة السوء يكون موت الأشرار .
- وعندما صارت طبيعة الآدمي أنه أكل للطين ، صار أصفر سيىء اللون وسقيما وذليلا .

45 - وعندما تبدلت طبيعته السيئة ، انتفي القبح عن وجهه وتألق كالشمع .
- فأين الحاضنة للطفل الرضيع ، لتجعل فمه السيىء طيبا بنعمتها ؟ “ 2 “ .
- وعندما تقطع طريق الثدي عليه ، تفتح أمامه الطريق إلي مائة بستان .
- وذلك لأن الثدي حجاب لذلك الضعيف ، أمام آلاف النعم والموائد والرغائب .
- وإذن فحياتنا متوقفة على الفطام ، فجاهد رويدا رويدا ، هذه هي خلاصة الكلام .

50 - وعندما كان الإنسان جنينا كان الدم غذاءه ، فهو يستمد الطهر من النجس ، وهكذا المؤمن “ 3 “ .
- ومن فطام الدم يصير غذاءه اللبن ، ومن فطام اللبن يصير أكلا للطعام .

....

(1) ج / 6 - 99 : وحلق العقل والقلب عندما خليا من الفكر ، وجد صاحبهما الرزق البكر دون هضم من المعدة

(2) ج / 6 - 110 واين الحاضنة للطفل الرضيع ، حتى تغذية بالنعم .

(3) ج / 6 - 100 : - وعندما كان الانسان ضعيفا كان آكلا للدم فحتام يكون سدى وجوده ولحمته من الدم ؟ !

- ومن فطام الطعام يصير " في حكمة " لقمان ، طالبا لكل خفي فيما هو ظاهر .
- فلو أن أحدا قال للجنين وهو في الرحم : هناك عالم في الخارج شديد النظام .
- هناك أرض نضرة ذات عرض وطول ، فيها مئات النعم وكثير من الأكولين .

55 - وفيها الجبال والبحار والصحاري والبساتين والحدائق والمزارع .
- وهناك سماء عالية جداً شديدة الضياء ، فيها شمس وقمر ومئات من نجوم السها .
- ومن " رياح " الجنوب والشمال والدبور ، فيها حدائق ذات أعراس وبهجة .
- ولا توصف عجائبها . . . فأية ظلمة هذه التي تكون فيها ممتحنا ؟
- تأكل الدم في إطار مضيق من الحبس والأنجاس والعناء .

60 - لكان هو بحكم حاله منكرا ، ولأعرض عن هذه الرسالة وكفر بها .
- قائلا : إن هذا محال وخداع وغرور ، وذلك لأن وهم الأعمي لا يستطيع التصور .
- وما دام إدراكه لم ير جنس الشيء ، فإن إداراكه المنكر لا يستمع إلي شيء .
- وهكذا الخلق علي وجه العموم في هذا العالم ، عندما يحدثهم الأبدال عن ذلك العالم (قائلين) :
- هذه الدنيا جب شديد الظلمة والضيق ، وخارجها عالم " شفاف " لا لون له ولا رائحة .

65 - فإن أذانهم لا تنصت علي الإطلاق إلي شيء من هذا ، لأن طمعهم " في الدنيا " حجاب غليظ وكثيف .
- فالطمع هو الذي يسد الأذن عن الاستماع ، كما أن الغرض يعمى العين عن الاطلاع .

- مثلما يكون طمع ذلك الجنين في الدم ، فهو غذاؤه في الأوطان الدنية .
- ومن ثم يحجب عن الحديث عن هذا العالم ، لأنه يعلم إلا الدم طعاما له “ 1 “ .

قصة آكلي ولد الفيل من الحرص وترك نصيحة الناصح

- هل سمعت أن أحد العلماء رأي في الهند جماعة من الأصدقاء .

70 - كانوا جياعا عراة بلا زاد ، وصلوا من سفر طويل .
- ففاض العالم محبة لهم ، وهش لهم وبش وتهلل وجهه كروضة الورد .
- وقال : “ أعلم أن المتاعب قد تجمعت عليكم من الجوع ومن وعثاء الطريق في هذه المفازة المهلكة “ “ 2 “ .
- لكن ناشدتكم الله . . . ناشدتكم الله أيها الأجلاء ، ألا يكون قوتكم من وليد الفيل .
- فهناك فيلة في هذه الناحية التي تسيرون إليها فلا تذبحوا وليد الفيل . . .
واسمعوا .

75 - إن جراء الفيلة في طريقكم ، وصيدها محبب جدا إلي قلوبكم .
- وهي شديدة الضعف واللطف والسمنة ، لكن لها أما تترصدكم في مكمنها .

....
(1) ج / 6 - 101 : ويبُعد من كل هذه النعم ، ولا يستطيع أن يأكل إلا الدم . والطمع عندك في لذة هذه الدنيا ، صار حجاباً على تلك اللذة الخالدة - والطمع في هذه الحياة المليئة بالغرور ، أبعدك عن حياتك الحقيقية . . . فاعلم أن الطمع يجعلك أعمى ، ويخفى عنك اليقين بلا شك : ويبدي لك الحق الباطل ومن الطمع ، يصير عماك مائة عمى ، فضق من الطمع مثل الصادقين - حتى تضع قدمك هذه العتبة - فعندما تدخل من هذا الباب تنجو وتخرج من الحزن والسرور . تضاء عين روجك فترى الحق ، ويصبح نور الدين خاليا من طلام الكفر فاستمع إلى نصيحة المشايخ بإخلاص - حتى تنجو من الخوف وتصبح في أمان - واسمع الان إلى قصة مثلا حتى تجد في الحقيقة نور الحبيب .
(2) حرفيا : في كريلاء هذه .

- وهي في سبيل وليدها تقطع طريقا يبلغ مائة فرسخ ، وهي في تأوه وحنين .
- ومن خرطومها ينطلق الدخان والنار ، . . . فحذار من وليدها البريء هذا . . حذار .
- والأولياء هم أطفال الحق يا بني ، وهم علي علم به في الغيبة والحضور .

80 - فلا تظنن أن الغيبة من نقص فيهم ، إنه ينتقم من أجل أرواحهم .
- لقد قال : إن هؤلاء الأولياء هم أطفالي ، وهم في غربتهم منفردون خالون من الأبهة والعظمة (الظاهرة) .
- وهم أذلاء يتامى ابتلاء لهم ، لكنهم داخل سري أصدقاء ندماء .
- إن ألوان عصمتي ظهير لهم جميعا ، وكأنهم أنفسهم أجزاء منى .
- فانتبهوا جيدا ، إن لابسي الخرقة الذين يخصونني ، هم مئات الألوف " عددا " لكنهم وجود واحد .

85 - وإلا متي يتأتي لموسي بقطعة من الخشب ذات الفضل أن يجعل عالي فرعون سافله ؟ .
- وإلا متي كان يتأتى لنوح أن يجعل الشرق والغرب غريقا في طرفانه بلعنة واحدة ؟
- ولما اقتلع دعاء من لوط العظيم ، مدينة بأكملها من المحرومين (من رحمه الله) ؟ !
- فصارت مدينتهم التي تشبه الفردوس نهرا من الماء الأسود ، فأذهب وانظر إلي الآثار .
- هذه الآثار وهذه الدلائل ناحية الشام ، تراها وأنت مار في الطريق إلي القدس .

90 - ومئات الآلاف من الأنبياء عبدة الحق كانوا في حد ذاتهم عقوبة في كل قرن .

- ولو تحدثت عنهم لطال هذا البيان ، فأي شيء يكون الكبد " الذي يتحمل " والجبال تصير دما .
- تصير الجبال دما وتتجمد ، وأنت لا تري تحولها إلي دم عمي ونكرانا .
- فما أعجبه من أعمي بعيد النظر حاد البصر ، لكنه لا يري من الجمل سوي الوبر .
- والإنسي يري كل الأمور شعرة بشعرة محض الحرص ، لكنه يرقص بلا هدف كأنه الدب " 1 " .

95 - فارقص حيثما تحطم نفسك " التي بين جنبيك " ، وتنفض القطن عن جرح الشهوة .
- إنهم يرقصون ويجولون في الميدان ، لكن الرجال يرقصون في دماء ذواتهم .
- وعندما يتخلصون من سيطرة ذواتهم عليهم يصفقون ، وعندما يبرءون من نقائص " النفس " يرقصون .
- ومطربوهم من الداخل ينقرون علي الدفوف، وترغي البحار وتزيد وجداً معهم "2".
- إنك لا تري " هذا " لكن إنصاتا لهم ، حتى الأوراق علي الأغصان تقوم بالتصفيق .

100 - إنك لا تري تصفيق الأوراق ، إذ يلزمك أذن القلب لا إذن البدن هذه .
- فسد أذنيك اللتين في رأسك عن الهزل والباطل ، حتى تبصر مدينة الروح ذات ضياء " 3 " .
- وإن أذن " محمد " لتجذب السر (مما وراء) الكلام ، ومن أجل هذا يقول الحق في القرآن " هو أذن " .

....
(1) ج / 6 - 136 : والانسان يرى الأمور شعره بشعره من من حرصه ، ورقصه خال من الخير ملىء بالشر .
(2) ج / 6 - 136 : وأنك لا ترى الأوراق مع الأغصان راقصة من تحريك الصبا .
(3) ج / 6 - 136 : - هيا وسد فمك عن الهزل يا عماه ، ولا تتحدث إلا عن وجهه .

- فهذا النبي كله أذن وعين ، هو حاضنة لنا متهللة الوجه ونحن الصبيان .
- وهذا الكلام لا نهاية له ، فسق ثانية إلي أهل الفيل وعودا علي بدء .

بقية قصة المعتدين على جراء الفيلة

105 - إن الفيل يشم كل فم ، ويحوم حول معدة كل إنسان .
- وما إن يجد رائحة شواء وليده في مكان ما ، حتى يبدي انتقامه وقوته .
- إنك تأكل لحوم عبيد الله وتغتابهم ، لا بد أن تنال الجزاء .
- فحذار إن الذي يشم رائحة أفواهكم هو الخالق ، فمن الذي ينجو بروحه إلا من هو صادق ؟
- وويلاه لذلك المخدوع الذي يكون من يشم رائحته في القبر منكر ونكير .

110 - فلا قدرة علي إخفاء الفم عن هذين العظيمين ، ولا إمكان أيضا علي تغيير رائحة الفم بأي معالجين .
- فلا عطاء هناك للمداهنة والرياء ، وليس للعقل والفهم من طريق إلي الحيلة .
- فكثيرا ما تسقط ضربات مقامعهم علي رأس كل عابث مهذار وعلي دبره .
- فانظر إلي اثار مقامع عزرائيل ، وإن لم تر خشبا أو حديدا مصهورا .
- بل إنه يظهر بصورته في بعض الأحيان ، ومن هنا فإن المريض يكون علي وعي به .

115 - ويقول هذا المريض : أيها الأصدقاء ما هذا السيف الذي يعمل فوق مفرقي ؟ " 1 " .
- ونحن لا نري فتقول : ربما يكون خيالا ، أي خيال هذا ؟ إنه ارتحال .
- أي خيال هذا فإن هذا الفلك المتقلب ، صار مرتعدا الآن رعبا من هذا الخيال .

....
(1) ج / 6 - 153 : - وعندما لا يرى أحد من رفاقه يجيبون قائلين : يا عماه ! !

- لقد صارت المقامع والسيوف محسوسة أمام المريض فنكست رأسه .
- إنه يري أن هذا “ الأمر “ من أجله هو ، وانغلقت عين العدو عن هذا وعين الصديق .

120 - لقد ذهب عنه حرص الدنيا وقوي بصره ، واستضاءت عيناه فقد أن أوان سفك الدم .
- وصارت عينه طائرا مغردا في غير أوان نتيجة لكبريائه وغضبه .
- ومن الواجب إذن قطع رأس ذلك الطائر الذي يؤذن في غير أوان .
- وفي كل لحظة يكون النزع لجزء من روحك ، فانظر إلي نزع روح إيمانك .
- وعمرك شبيه بكيسة الذهب ، والليل والنهار شبيهان بمن يعد الدنانير .

125 - إنهما يعدان الدنانير وينفقانها بلا توقف ، حتى يخلو الكيس ويحل الخسوف .
- ولو أنك تأخذ من جبل دون أن تحفظ “ ما تأخذه “ في موضع ما ، فإن هذا الجبل يخسر من هذا العطاء .
- إذن فعليك أن تضع عوض كل لحظة في مكانه ، حتى تجد الغرض من قوله تعالي :وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ.
- ولا تكن كثير السعي هكذا في كل الأمور ، لا تسع إلا في أمر يكون في سبيل الدين .
- وإلا فإنك سوف تمضي في النهاية ناقصا ، أعمالك بتراء وخبزك لم ينضح بعد .

130 - وعمارة القبر واللحد لا تكون بالحجارة ولا بالخشب والبرص الكثير .
- بل عليك أن تحفر قبرا لنفسك في الصفاء ، وتقوم بدفن أنيتك في أنيته .

- تصير ترابا مدفونا في الاهتمام به ، حتى يجد نفسك الإمدادات من نفسه .
- فالمقابر والقباب والشرف ، لا تتأتي كلها من أصحاب المعني .
- وانظر الآن إلي الحي الذي يلبس الديباج ، فهل يوجد ديباج يأخذ بيد الفهم ؟

135 - إن روحه تلك تكون في عذاب بئيس ، وعقرب الغم " تلدغ " قلبه الذي هو وعاء للغم .
- وعلي ظاهره من الخارج زينة ونقوش ، لكن أفكاره في الباطن في ألم مقيم .
- أما ذلك الذي تبصره في الخرقة القديمة ، فهو في فكر حلو كسكر النبات وحديثه كالشهد .

عودة إلى حكاية الفيل

- قال الناصح : استمعوا إلي نصيحتي هذه ، حتى لا تمتحن قلوبكم وأرواحكم .
- اقنعوا بالأعشاب وأوراق " الأشجار " والهويني في صيد جراء الفيلة .

140 - لقد وضعت عن كاهلي دين النصح ، ومتي كانت عاقبة النصح إلا السعادة ؟
- لقد أتيت فحسب لإبلاغ الرسالة ، حتى أنجيكم من الندم .
- فحذار أن يقطع الطمع طريقكم ، ويقلعكم الجشع في الزاد من جذوركم .
- هكذا قال وتمني لهم الخير ومضي في سبيله ، فاشتد القحط والجوع في طريقهم .
- وفجاة رأوا علي جانب من الطريق ، جرو فيل سمين حديث الميلاد .

145 - فهجموا عليه كالذئاب الهائجة ، وأتوا عليه ثم غسلوا أيديهم .
- لكن واحدا منهم لم يأكل وقدم إليهم النصح ، فقد كان يتذكر حديث لدرويش .
- ومنعه ذلك للحديث من أكل الشواء ، فإن الإقبال الجديد يهبك عقلا محنكا مجربا .
- ثم سقطوا جميعا نياما بينما بقي ذلك الجوعان كراع في قطيع .
- فرأي فيلا ضخما يقترب منهم ، وبادر الحارس فأسرع إليه .

150 - وأخذ يتشمم فمه ثلاث مرات ، فوجد أن فمه لا يفوح برائحة غير محببة (إليه) .
- فطاف حوله عدة مرات ومضي في سبيله ، ولم يؤذه ذلك الفيل الضخم ، المهلول .
- وتشمم فم كل نائم ، وكانت الرائحة تفوح منه .
- إذ كان قد أكل من شواء وليد الفيل ، فمزقه الفيل وقتله علي وجه السرعة .
- وفي برهة من الزمان أخذ يمزق تلك الجماعة فردا فردا دون أن يلقي إلي أحد منها بالا .

155 - أخذ يقذف بكل واحد منهم في الهواء غير عابيء به ، وعندما كان يصل إلي الأرض كان ينشطر شطرين .
- فيا شارب دماء الخلق ارجع عن هذا الطريق ، حتى لا تأتي بك دماؤهم إلي الوطيس .
- فاعلم أن مالهم هو دمهم علي وجه اليقين ، ذلك أنهم يحصلون علي المال بشق الأنفس .
- إن أم وليد الفيل ذاك تشعر بالحقد ، فتقتل أكل وليدها عقابا له .
- وأنت تأكل وليد الفيل يا أكل الرشوة ، فإن خصمك الفيل يوردك موارد الدمار .

160 - إن الرائحة قد فضحت ذلك الذي يفكر في المكر ، والفيل يعرف رائحة وليده .
- وذلك الذي يشم رائحة الحق من اليمن ، كيف لا يشم رائحة الباطل مني ؟
- وكيف شم المصطفى الرائحة من الطريق البعيد ولا يشم رائحة البخر من أفواهنا ؟
- إنه يشمها لكنه يستر علينا ، والرائحة الطيبة والسيئة كلتاهما تصعدان إلي السماء .
- إنك تنام لكن رائحة ذلك الحرام تفوح فوق السماوات الزرقاء .

165 - إنما تصاحب أنفاسك السيئة حتى تمضى إلي أولئك الذين يشمون الرائحة فوق الفلك .
- ورائحة الكبر ورائحة الحرص ورائحة الطمع ، تفوح عن الحديث كأنها البصل .
- وحتى إذا أقسمت قائلا : متي أكلت هذا “ البصل “ ؟ لقد تجنبت البصل والثوم .
- فإن هذا القسم نفسه ينم عليك ، ويفوح أمام أنوف جلسائك .
- ومن هنا لا يستجاب الدعاء من رائحته ، ويبدو خبث القلب على اللسان .

170 - ويستجاب الدعاء منه بكلمة “ اخسئوا “ ، وتكون عصا الطرد جوابا لكل خبيث .
- وإذا كان حديثك معوجا وكان معناه صادقا ، فإن اعوجاج اللفظ يكون مقبولا عند الله “ 1 “ .

....
(1) ج / 6 - 1172 : وإن كان المعنى معوجا واللفظ حسنا ، فاعلم أن ذلك المعنى لا يساوى ربع دائق .

" بيان أن خطأ المحبين يكون أفضل عند المحبوب من فصاحة الغرباء "

- كان بلال الصدق ذاك عند الأذان ، ينطق كلمة " حي " " هي " مخبتا .
- فقالوا : " أيها الرسول : ليس هذا الخطأ من المستحسن الآن ونحن في أول البناء .
- يا نبي الله ويا رسول الخالق ، ائت لنا بمؤذن أكثر فصاحة .

175 - فمن العيب في أول الدين والصلاح ، أن ينطق لفظ " حي علي الفلاح " " لحنا " .
- فغضب الرسول غضبا شديدا ، وقال رمزا أو رمزين من العنايات الخفية .
- أيها الأخساء إن " هي " بلال عند الله ، أفضل من مائة " حي " و " خى " وتفاصح منكم .
- لا تعكروا صفوي وإلا أفشيت أسراركم " وحدثتكم " عن مبدئكم ومنتهاكم .
- وإذا لم يكن لديك نفس حسن في الدعاء ، فإذهب وداوم علي طلب الدعاء من إخوان الصفاء .

" أمر الحق لموسى : ادعني بفم لم تذنب به "

" 1 "

180 - قال : يا موسي الجأ إلي داعيا بفم لم تذنب به .
- قال موسي : أنني لا أملك هذا الفم قال : ادعني بأفواه الآخرين .
- فمتي تكون قد أذنبت بأفواه الآخرين ، تضرع بألسنة الآخرين قائلا : يا الله .

....

(1) ج / 6 - 199 : من أجل هذا قال الله لموسى عليه السلام ، وقت حاجة القلب في الدعاء به .

- وهكذا فافعل حتى تدعو لك الأفواه في الليل والنهار .
- " ليكن ذلك إذن " من الفم الذي لم ترتكب به ذنبا ، واعتذر بذلك اللسان الذي هو لسان الغير .

185 - وإلا فطهر فمك ، وانض عن روحك أثقالها .
- فذكر الحق طاهر وعندما يحل الطاهر ، يجمع الدنس حوائجه وينصرف خارجا .
- فإن الأضداد تفر من الأضداد ، ويفر الليل عندما يبزغ الضياء .
- وعندما يحل الاسم الطاهر في الأفواه ، لا الدنس يبقي ولا الذنوب .

" بيان أن قول المتضرع يا الله هو عين قول الحق لبيك "

- كان أحدهم يهتف يا الله ذات ليلة ، حتى يحلى شفتيه بذكره .

190 - فقال له الشيطان : أخر الأمر أيها الثرثار . . أين (لبيك) لكل هذا التضرع بيا الله " 1 " .
- إنه لا يتأتي جواب من أمام العرش ، وأنت لا زلت تكرر يا الله ، يا الله بوجه ملحاح ؟ .
- فانكسر قلبه وطأطأ رأسه ، فرأي في منامه الخضر يتمشي في الخضرة .
- فقال له : " انتبه ! ! كيف انصرفت عن الذكر ، وكيف ندمت علي دعائك ؟ " .
- فقال : لا يأتي جواب بلبيكم ، ومن هنا أخاف أن أكون مردودا عن الباب " 2 " .

....
(1) ج / 6 - 203 : لقد قلت الله كثيرا من العتو أين لبيك لنداء واحد منك .
(2) ج / 6 - 203 : قال له : لقد قال لي الله ، اذهب إليه وقل ، أيها الممتحن .

195 - قال : " إن الله " منك هي نفسها " لبيك " منا ، وتضرعك وألمك وحرقتك هي الرسول إلينا " 1 " .
- وإن جهدك وسعيك جذب لنا ، وهما " في الوقت نفسه " فك لقدميك .
- وليست روح الجاهل إلا بعيدة عن هذا الدعاء فليس عنده الإذن بأن يقول : " يا رب " .
- وعلي فمه وفوق قلبه قفل وقيد ، حتى لا يشكو أمام الله عندما يحل به أذي .

200 - لقد وهب فرعون مئات من الأملاك والأموال ، بحيث ادعي العز والجلال .
- لكنه لم يشك طوال حياته صداعا ، حتى لا يتضرع أمام الله ذلك السيىء الأصل .
- لقد أعطاه تلك الدنيا بأسرها ، ولم يهبه الحق الألم والتعب والهموم .
- فالألم أفضل من ملك الدنيا ، وذلك حتى تدعو الله في السر .
- ودعاء الله بلا ألم من موت القلب ، ودعاؤه بألم من عبودية القلب .

205 - وإن وضع الهمس تحت اللسان ، هو تعريف للمبدأ والبداية .
- وهكذا صار الصوت صافيا وحزينا ، عندما يقول : يا الله ويا مستغاث ويا معين .
- وأنين القلب في طريقة ليس خاليا من الجذبة ، وذلك أن كل راغب أسير لمانع .
- مثل كلب أهل الكهف الذي تخلص من الجيفة ، فجلس في صدر موائد الملوك .
- وحتى القيامة يشرب أمام الغار ، ماء الرحمة كالصوفية بلا كأس .

210 - وما أكثر من يرتدون جلود الكلاب ولا أسماء لهم ، لكنهم وراء الحجاب لم يحرموا من تلك الكأس .

....

(1) ج / 6 - 203 : وألست أنا الذي أدخلتك في هذا الامر ، وألست أنا الذي جعلتك مشغولا بالذكر .

- فضح بروحك من أجل تلك الكأس يا بني ، فمتي يكون ظفر بلا جهاد .
- أو اصبر ولا حرج في الصبر من أجل هذا ، فاصبر فإن الصبر مفتاح الفرج .
- وبلا صبر وحزم لم ينج أحد من هذا الكمين ، فالصبر هو يد الحزم وقدمه .
- كن حازما عن الطعام فهو نبات مسموم ، والحزم هو قوة الأنبياء ونورهم .

215 - ويكون قشة ذلك الذي يقفز عند كل ريح ، ومتي يعطي الجبل للرياح وزنا ؟
- وفي كل ناحية هناك غول يناديك قائلا : " يا أخ تريد طريقا . . هيا تعال " .
- " إنني أدلك علي الطريق وأكون لك رفيقا ، فأنا المرشد في هذا الطريق الدقيق " .
- ولا هو بالمرشد ولا هو بالذي يعرف الطريق ، فيا يوسف قلل الذهاب نحو من فيه طبيعة الذئب ذاك .
- والحزم هو ألا يخدعنك دسم هذه الدار ولا عسلها ولا فخاخها .

220 - فلا دسم لديها ولا عسل عندها ، إنها تتلو سحرا وتنفثه في أذنيه .
- قائلة : " تعالي يا ضيفنا يا أيها النور ، الدار دارك وأنت لنا " .
- والحزم هو أن تقول " إنني متخم . . أو إنني ملول سقيم في هذا القبر " :
- أو قل " إن رأسي تؤلمني فعالج صداعي ، أو : لقد دعاني من قبل ابن الخال " .
- ذلك أنها تعطيك جرعة من العسل مع كثير من الوخز ، وعسلها يغرس فيك الجراح .

225 - وعندما تعطيك الذهب سواء أعطتك خمسين أو ستين ، فإنها تضع لك اللحم في الشص أيتها السمكة .
- وإذا أعطت ، فأي شيء تعطيه لك كثيرة الاحتيال هذي ، إن قول الخبيث جوز متعفن .
- وصوت كسر (ذلك الجوز المتعفن) يسلب لبك ، ولا يعتبر مئات الآلاف من العقول “ في قيمة “ عقل واحد .
- إن صديقك هو عيبتك وكيسك ، فإن كنت “ رامين “ فلا تبحث إلا عن “ ويس “ الخاص بك .
- و “ ويس “ المعشوق الخاص بك هو ذاتك ، وكل ما هو خارجك فهو افات لك .

230 - إن الحزم أنهم عندما يدعونك هو ألا تقول : “ إنهم مفتونون بي عاشقون لي “ .
- واعلم أن دعوتهم هي بمثابة الصفير للطائر ، يقوم به الصياد وهو مترصد في مكمنه .
- يضع أمامه طائرا ميتا علي أنه هو الذي يغرد ، ويطلق هذا الصوت والحنين .
- فيظن الطائر أنه من جنسه ، فيتجمع حوله فيقوم الصياد بسلخ جلده .
- هذا فيما عدا الطائر الذي وهبه الله الحزم ، بحيث لا ينخدع بهذا الحب والملق .

235 - وعدم الحزم هو الندم يقينا ، واستمع إلي هذه الحكاية في شرح هذا المعني “ 1 “ .

....
(1) ج / 6 - 205 : - ذلك أن عدم الحزم يفضى إلى الشقاء ، يفقد الإنسان الدين ويصيبه بالصداع - واستمع إلى هذه الحكاية في شرح هذا ، حتى تصبح حازما من أجل حفظ الدين .

“ خداع الريفي للحضرى ودعوته له بضراعة وإلحاح شديدين “
- فيما مضى ، كان هناك يا أخي حضرى قد تعرف علي ريفى .
- وعندما كان الريفي يأتي إلي المدينة ، كان يحط رحاله في الحي الذي يسكن فيه ذلك الحضري .
- كان ينزل عليه ضيفا شهرين وثلاثة شهور ، كان ملازما لمتجره ولمائدته .
- وكلما كانت تعن له حاجة في ذلك الزمان ، كان الحضري يقضيها له بالمجان .

240 - فالتفت إلي الحضري وقال : “ أيها السيد ، ألن تأتي إلي القرية أبدا متنزها ؟
- بالله ، هلا أتيت بكل أبنائك في هذا الوقت الذي تكون فيه الرياض في بداية الربيع .
- أو تعال في الصيف أوان الثمر ، حتى أعقد الحزام في خدمتك .
- أقبل بخيلك وولدك وأهلك ، وامكث في قريتنا ثلاثة شهور أو أربعة .
- ففي أوقات الربيع تكون القرية جميلة ، والمزارع وزهور الشقائق تشرح الصدر .

245 - وكان الحضري يعده تهدئة لحاله ، حتى مر علي الوعد ثماني سنين .
- كان كل عام يقول له : “ متى تتحرك فإن الشتاء “ 1 “ قد حل “ ؟ .
- فكان الحضري يتعلل قائلا : “ هذا العام سوف يأتينا ضيف من مكان كذا “ .
- وفي العام المقبل إذا فرغنا مما يهمنا ، فسوف نسرع إلي ذلك المكان “ .
- قال “ القروي “ : إن أهلي في انتظار أبنائك يا أهل البر “ “ 2 “ .

250 - ثم يعود في كل عام كطائر اللقلق لكي يقيم في قبة “ مسجد “ المدينة .

....
(1) حرفيا شهر ديماه وهو من الشهور الإيرانيه ويوافق ديسمبر ويناير .
(2) ج / 6 - 231 : ثم كان يعود إليه في كل عام طامعا ، ويضرب خيمتة في منزل الحضري .

- وكان السيد في كل عام ينفق عليه من ذهبه ومن ماله ويبسط عليه جناحيه .
- وفي المرة الأخيرة مدله هذا الجواد الموائد لثلاثة شهور في الإصباح والإمساء .
- ومن الخجل كرر “ الريفي القول للسيد “ حتام الوعد ؟ وحتام التعلل ؟ .
- فقال السيد : إن جسدي وروحي طالبان للوصل ، لكن كل حركة في حكمه سبحانه وتعالي .

255 - والإنسان كأنه السفينة والشراع ، والرياح توجه الشراع حيثما تشاء .
- ثم أقسم عليه ثانية قائلا : أيها الكريم هات ابناءك وتعال ، فانظر النعيم .
- فأخذ بيديه ثلاث مرات معاهدا وقائلا : ناشدتك الله أن تسعي وتأتي سريعا “ 1 “ .
- وعلى هذا المنوال مرت عشر سنوات ، وكل سنة “ تتكرر “ مثل هذه التضرعات والوعود الحلوة .
- فقال أبناء السيد له : يا أبانا إن القمر والسحاب والظلال تسافر أيضا .

260 - لقد أثبت عليك الحقوق ، وتحملت أنت كثيرا من المشاق في سبيل أعماله .
- وهو يريد أن يؤدي بعض حقوقك عليه عندما تنزل عليه ضيفا .
- وكم أوصانا هو في الخفاء قائلا : “ اجذبوه إلي القرية بإلحاحكم “ .
- فأجاب : “ كل هذا حق لكن يا من أنت في فصاحة سيبويه اتق شر من أحسنت إليه “ .
- إن الصداقة هي بذرة النفس الأخير ، وأخشي ما أخشاه عليها الفساد .

....
(1) . . .

265 - فهناك صحبة كأنها السيف البتار ، وكأنها زمهرير “ 1 “ الشتاء في البساتين والحقول .
- وهناك صحبة كأنها فصل الربيع ، منها العمران والدخل الذي لا يحصى ولا يعد .
- والحزم هو سوء الظن ، حتى تفر وتنجو من السوء .
- الحزم هو سوء الظن ، هكذا قال الرسول ، فاعتبر كل خطوة فخا أيها الفضولي .
- ووجه الصحراء ممهد وواسع ، وكل قدم فيها فخ فقلل الانطلاق بتهور .

270 - وذلك الماعز الجبلي يسرع قائلا : أين الفخ ؟ وعندما يجري يأخذ الشراك بحلقه .
- هذا هو ما كنت تتساءل عن مكانه فانظر إليه ، كنت تري الصحراء ولا تري الكمين .
- وبلا كمين أو شبكة أو صياد أيها العيار ، متي يكون الدسم موضوعا وسط المزرعة ؟
- وأولئك الذين ساروا علي الأرض مرحا انظر إلي عظامهم وجماجمهم .
- وعندما تمضى إلي الجبانة أيها المرتضي ، اسأل عظامهم عما مضى .

275 - حتى تري رأي العين كيف سقط هؤلاء السكاري العميان في بئر الغرور .
- فإذا كانت لك عين لا تمش كالعميان ، وإذا لم تكن لك “ عين “ فامسك بيدك عصا .

....
(1) حرفيا : شهر ديماه .

- وهذه العصا هي الحزم والاستدلال ، اجعلها لك دليلا علي الدوام إن لم تكن مبصرا .
- وإذا لم تكن عصا الحزم والاستدلال ، لا تقف علي مفترق كل طريق بلا صاحب عصا .
- وأخط كما يخطو الأعمي ، حتى تخلص قدميك من الكلب ومن البئر .

280 - إنه يسير مرتعشا بخوف وبحذر حتى لا يتخبط .
- يا من فررت من دخان فسقطت في نار ، وبحثت عن لقمة فصرت فريسة لحية .

قصة أهل سبأ وكفرانهم النعمة

- إنك لم تقرأ قصة سبأ ، أو أنك قرأتها ولم تدرك منها إلا ظاهرها .
- إن ذلك الجبل لا علم له بالصوت ذاته ، فلا طريق للب الجبل إلي المعني .
- إنه يردد الصوت بلا أذن ولا عقل ، وعندما تصمت يصمت هو أيضا .

285 - لقد وهب الله أهل سبأ كثيرا من الرفاهية ، مئات الآلاف من القصور والإيوانات والبساتين .
- لكن هؤلاء الأشرار لم يؤدوا حق شكرها ، وكانوا في الوفاء أقل من الكلاب .
- فالكلب عندما تصله لقمة خبز من باب ما ، يلزم خدمة هذا الباب " 1 " .
- يصبح حارسا علي الباب وخفيرا ، مهما جري عليه من جور وشدة .
- يصير ذلك الباب مقره ومستقره ، ويري اختيار غيره من قبيل الكفر .

290 - وإذا أتي كلب غريب في ليل أو نهار ، فإن تلك الكلاب تأدبه في التو واللحظة .
- قائلة : اذهب إلي ذلك المكان الذي هو منزلك الأول ، فهي مقيمة بقلوبها علي حق تلك النعمة .

....
(1) . . .

- إنها تعضه قائلة : اذهب إلي مكانك ، وكفاك نكرانا لحق تلك النعمة .
- وطالما شربت أنت ، من باب القلوب وأهل القلوب ، ماء الحياة وتفتحت عيناك .
- وكثيرا ما تناولت غذاء السكر والوحد والانسلاخ عن الذات من باب أهل القلوب .

295 - ثم تركت هذا الباب من الحرص ، وأخذت تطوف أمام دكان كدب “ اللاعب بالدب “ .
- وعلى أبواب أولئك المنعمين المترفين ، تسرع من أجل الثريد الذي لا قيمة له .
- فاعتبر المكان الذي تربي فيه الروح هو “ موضع “ الدسم ومن الخير هنا أمر القانط .

“ تجمع أصحاب العاهات كل صباح علي باب صومعة عيسى عليه السلام هادفين طلب الشفاء بدعائه “

- إن صومعة عيسى هي مائدة أهل القلوب ، فانتبه أيها المبتلي ولا تترك هذا الباب .
- كان الخلق يجتمعون من كل صوب ، من ضرير وأعرج ومشلول وفقير .

300 - كانوا يجتمعون علي باب صومعة عيسى كل صباح ، حتى يخلصهم بأنفاسهم من الجُناح .
- عندما كان يفرغ من أوراده ، كان يخرج في الضحى إليهم ذلك الطيب المذهب .
- فكان يري جماعة من المبتلين المساكين ، قد جلسوا علي بابه في رجاء وانتظار .

- فيقول : يا أصحاب الآفة ، إن حاجتكم جميعا مقضية من الله سبحانه وتعالي .
- هيا سيروا بلا ألم وعناء ، إلي غفران الله وإكرامه .

305 - وجميعهم كالإبل التي عقلت قوائمها ، ثم يفك العقال عن رُكَبِها ، - كانوا يسيرون مسرعين مسرورين نحو منازلهم ، يعدون علي أقدامهم " ببركة " دعائه " 1 " .
- لقد عانيت أنت أفاتك كثيرا ، وظفرت بالعافية من ملوك الدين هؤلاء .
- وكم صار عرجك إسراعا في السير ، وكم صارت روحك بلا حزن أو أذى .
- فيا أيها المغفل اعقد خيطا علي قدمك ، حتى لا تضل عن نفسك أيضا أيها الغوي .

310 - ذلك أن جحودك ونسيانك ، لا يذكرانك بشربك العسل .
- فلا جرم أن أغلق هذا الطريق أمامك ، عندما تعبت قلوب أصحاب القلوب منك .
- فالحق بهم سريعا واستغفر لذنبك ، وابك نائحا كأنك السحاب .
- حتى تتفتح رياضهم أمامك ، وتتساقط الثمار الناضجة عليك .
- وطف أيضا حول ذلك الباب ، ولتكن أقل من كلب ، إذا كنت قد أصبحت تابعا لكلب لأهل الكهف .

315 - وهذا مثل الكلاب التي تنصح الكلاب الأخري بأن تلزم قلوبها المنزل الأول .
- فذلك الباب الأول الذي أكلت منه العظام ، تمسك به جيدا وابق مؤديا لحقه .

....

(1) ج / 6 - 250 : كانوا جميعا بلا وجع أو ألم أو تعب ، أصحاء مسرورين محترمين ، - يسرعون إلى بيوتهم ، من النفس الميمون لذلك السلطان .

- إنها تعضه حتى يذهب أدبا إلي ذلك المكان ، ويصير مفلحا في مقامه الأول .
- تعضه قائلة : أيها الكلب الجحود امض ولا تبغ علي ولي نعمتك .
- وكن ملازما لذلك الباب كأنك حلقته ، وكن حارسا جلدا متحفزا .

320 - ولا تكن صورة لنقض الوفاء عندنا ، ولا تفش الغدر دون داع .
- ولما كان الوفاء شعارا للكلاب ، امض ولا تجلب العار وسوء السمعة للكلاب .
- ولما كان الغدر عارا علي الكلاب ، فكيف تجيز أنت الغدر وتبديه ؟
- لقد فخر الله سبحانه وتعالي بالوفاء فقال : “ من أوفي بعهده من الله “ .
- واعتبر الوفاء للغادر نقضا لوفاء الحق ، ولا يسبق “ حق “ أحد حقوق الحق “ 1 “ .

325 - وقد صار حق الأم في المقام الثاني ، لأن ذلك الكريم يحملها غرم كونك جنينا .
- وصورك داخل جسدها ، وأعطاها السكينة في الحمل والتعود عليه .
- فرأتك كجزء متصل بها ، وجعل تدبيره المتصل منفصلا .
- لقد صنع الحق ألافا من الصنائع والفنون ، حتى شملتك الأم بحنانها .
- ومن هنا فحق الله سابق علي حق الأم ، وكل من لا يعرف ذلك الحق فهو حمار .

330 - فهو الذي خلق الأم والثدي واللبن ، وجعلها قرينة للأب فلا تفترض أن هذا منها هي .

....

(1) ج / 6 - 251 : وكن نورا مع النور وناراً مع النار وكن وردا في موضع الورد وشوكا في موضع الشوك .

- فيا إلهي يا قديما إحسانك ، إن ما أعلمه وما لا أعلمه هو لك .
- لقد أمرت بأن أكر الحق ، قائلا : إن حقي لا يصير قديما .
- فاذكر اللطف الذي أبديته ذلك الصباح ، عندما حفظتكم في سفينة نوح .
- وقد أعطيت نطف أجدادكم ذلك الزمان الأمان من الطوفان .

335 - كان ماء ناري الطبع قد أحاط بالأرض ، وكان موجه يختطف قمم الجبال .
- وقد حفظتكم في وجود أجداد أجدادكم ، ولم أطردكم “ عن بابي “ .
- فكيف أضربك علي قدميك عندما صرت رأسا ؟ وكيف أضيع صنعي ؟
- وكيف تصير ضحية للغادرين ، وتمضي من ظنك السيىء إلي الوجهة الأخري ؟
- وأنا بريء من السهو ومن الغدر ، ثم تأتى نحوى وأنت تظن في السوء ؟

340 - فاحمل ظن السوء إلي ذلك المكان الذي تتقدم فيه إلى عاجز منحنٍ مثلك .
- وكثيرا ما اتخذت أصدقاء ورفاق سوء ، وإذا سألتك أين هم قلت : لقد تولوا .
- لقد مضى رفيقك الطيب فوق الفلك الأعلي ، وذهب صديق فسقك إلي قاع الأرض .
- أما أنت فقد بقيت بينهما كنار بقيت من قافلة ولا تجد المدد .
- فتشبث بطرف ردائه أيها الصديق الهمام ، فهو منزه عن الفوق والتحت .

345 - فهو ليس مثل عيسى الذي يسمو إلي الفلك ، ولا مثل قارون الذي تميد به الأرض .

- وهو بلا مكان لكنه معك في كل مكان ، عندما تنفصل عن دارك وعن متجرك .
- إنه هو الذي يستنبط الصفاء من الكدر ، ويعتبر وفاء كل ما قدمته من جفاء .
- وعندما تجفو يرسل إليك من يعرك أذنيك ، حتى تتقدم من النقصان نحو الكمال .
- وعندما كنت تترك وردا في السلوك ، يأتيك فيض من الألم والحمى “ 1 “ .

350 - وهو تأديب معناه : لا تقم بهذا الفعل ، لا تتحول أبدا عن العهد القديم .
- وذلك قبل أن يكون هذا القبض مستمرا كالغل الحديدى ، ويكون هذا الذي يقبض القلب غلا في القدم .
- فإن ألمك المعنوي قد صار محسوسا علي الملأ ، حتى لا تهمك هذه الإشارة .
- فأنواع القبض في المعاصي تنبعث في القلب ، وبعد الموت قد صارت أنواع القبض أغلالا .
- وذلك مصداقا لقوله تعالىوَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى.

355 - وعندما يسرق اللص أموال الناس ، يَخِزُ القبض والاكتئاب قلبه .
- فيتساءل عجبا ! ما هذا القبض ؟ ! ، إنه قبض ذلك المظلوم الذي يبكى من شرك .
- وعندما يقلل اهتمامه بهذا القبض ، فإن ريح الإصرار تنفخ في ناره .

....

(1) ج / 6 - 252 : تترك وردا وفي التوف اللحظة ، يأتيك القبض والظلام ، اعلم هذا جيدا .

- وانقلب قبض القلب إلي قبض العسس ، وصارت تلك المعاني محسوسة علي الملأ .
- انقلبت إلى غصص السجن والتعذيب ، فالغصة كأنها الجذر والجذر ينبت فروعا .

360 - والجذر الذي كان مخفيا صار سريعا معلنا وواضحا ، فاعتبر القبض والبسط جذرين داخليين .
- وعندما يكون الجذر سيئا اقتلعه سريعا ، حتى لا ينبت الشوك القبيح في الرياض .
- وعندما تحس بقبض عالج هذا القبض ، وذلك لأن كل القمم تنمو من الجذور .
- وعندما تحس ببسط قم بري بسطك ، وعندما تنمو ثماره هبها للأصدقاء .

بقية قصة أهل سبأ

" 1 "
- كان أهل سبأ من أهل الجهل والغفلة ، كانوا سذجا ، وكان ديدنهم مع الكرام كفران النعمة .

365 - ويكون كفران النعمة علي سبيل المثال ، أن تدخل مع المحسن إليك في جدال .
- قائلا : إن هذا الإحسان لا يلزمني ، وأنا منه في ألم فلماذا تشق علي نفسك .

....
(1) ج / 6 - 285 : ها هي قصة أهل سبأ تعود ، فأعد فيها القول لأقول لك مرحبا .

- فالطف بي ، وابعد عني هذا الإحسان ، أنا لا أريد عينا فاجعلني أعمي علي وجه السرعة .
- ومن ثم قال أهل سبأ " باعد بيننا ، " شيننا خير لناخذ زيننا " " 1 " .
- ونحن لا نريد هذا الإيوان ولا هذا البستان ، ولا النساء الحسان ولا الأمن والفراغ .

370 - إن المدن القريبة من بعضها شيء سيىء ، وتلك الصحراء جميلة ففيها توجد " الوحوش " .
- " يطلب الإنسان في الصيف الشتا ، فإذا جاء الشتا أنكر ذا .
- فهو لا يرضي بحال أبدا ، لا بضيق لا بعيش رغدا .
- قتل الإنسان ما أكفره ، كلما نال هدي أنكره " 2 " .
- والنفس علي هذا المنوال ومن هنا صارت جديرة بالقتل ، ولذا قال هذا السني " اقتلوا أنفسكم " .

375 - إنها شوك ثلاثي الأطراف أينما وضعته يخز فمتي تنجو من وخزه ؟
- فاضرم نار ترك الهوي في الشوك ، وتشبث بكلتا يديك بالمحسن .
- وعندما جاوز أهل سبأ الحد قائلين : إنما يستوي لدينا الصبا والوبا .
- أقبل الناصحون ينصحونهم ، وأخذوا يمنعونهم عن الكفر والفسوق .
- هموا بالاعتداء علي الناصحين وقتلهم ، وطفقوا يغرسون بذور الفسوق والكفر .

....

(1) في الأصل باللغة العربية .
(2) في الأصل باللغة العربية .

380 - وعندما يحم القضاء تضيق هذه الدنيا ، ومن القضاء تصير الحلوي ألما للفم .
- لقد قيل : إذا جاء القضا ضاق الفضا ، تحجب الأبصار إذ يأتي القضا .
- وعندما يحم القضاء تعمي الأبصار ، بحيث لا تري العين كحل العين .
- إن مكر ذلك الفارس هو أنه أثار الغبار ، وذلك الغبار هو الذي أبعدك عن الاستغاثة .
- فامض نحو الفارس ولا تمض نحو الغبار ، وإلا أطبق عليك مكر ذلك الفارس .

385 - لقد قال الحق لذلك الذي أكله الذئب : إنك رأيت غبار الذئب فكيف لم تستغث ؟
- وكيف قام بالرعي مع هذا القدر من العلم ؟ إنه لم يكن يميز غبار الذئب .
- فالخراف تعرف رائحة الذئب المفترس ، وتثب في كل صوب .
- وأدراك الحيوان يميز رائحة الأسد فتغادر المرعى .
- ولقد شممت رائحة أسد الغضب فعد ، وكن منهمكا في المناجاة والحذر .

390 - وتلك الجماعة لم ترجع من غبار الذئب ، فأتاهم ذئب المحنة القوى من بعد الغبار .
- ومزق غاضبا تلك الخراف التي أشاحت بأبصارها عن الراعي العاقل .
- لقد دعاهم كثير من الرعاة ولم يرجعوا ، وأخذوا يحثون غبار الغم في عيون الرعاة .

- قائلين لهم : اذهبوا إننا أكثر منكم علما بفن الرعي ، وكيف نكون تبعا وكل منا رئيس .
- لنكن فريسة للذئاب ولا نكون رفقاء لكم ، ولنكن حطبا للنار ولا هذا العار .

395 - كانت حمية جاهلية موجودة في الرؤوس ، ونعق غراب الشؤم علي دمنهم .
- كانوا يحفرون من أجل المظلمومين بئرا ، فسقطوا هم في البئر وأخذوا يتأوهون .
- كانوا يشقون سترات من هم أمثال يوسف ، وكل ما عملوه وجدوه " حاضرا " عملا بعمل .
- فمن هو يوسف ذاك ؟ إنه قلبك الباحث عن الحق وهو كالأسير مقيد في موطنك .
- لقد ربطت جبريل " روحك القدسية " علي جذع ، وجرح جناحاه وقوادمه في مائة موضع .

400 - وقدمت إليه عجلا حنيذا لتجذبه به ، فهلا أتيت به إلي مستودع التبن ؟
- قائلا له : كل هذا وهو لنا الدسم واللحم ، وليس له من قوت إلا لقاء الله .
- ومن هذا التعذيب والامتحان الذي يتعرض له ذلك المبتلى ، يحمل شكواه منك إلي الله .
- قائلا : يا الله ، المستغاث من هذا الذئب العجوز ، فيقول له : لقد قرب الفرج فاصبر .
- سوف أنال حقك من كل غافل ، ومن يعطى الحق إلا الله العادل .

405 - فيظل يقوله له : لقد نفد صبري من فراق وجهك يا ربنا .
- إنني “ أحمد “ سقط في أيدي اليهود ، وأنا صالح ابتلي بسجن ثمود .
- يا واهب السعادة لأرواح الأنبياء ، اقتلنى أو ادعني إليك أو تعالى إلي .
- ففي فراقك لا صبر حتى للكفار ، فالكافر يقول “ يا ليتني كنت ترابا “ .
- هذا هو حاله وهو ليس في طريقك وضال عنك ، فكيف يكون امرؤ بدونك وهو لك ؟

410 - فيقول الحق : نعم أيها النزيه ، لكن . . صبرا والصبر أفضل لك .
- والصبح قريب فكفاك صياحا ، وسوف أسعى في سبيلك فلا تسع أنت “ 1 “ .

بقية قصة ذهاب السيد بدعوة الريفي إلى القرية

- حجاوز الأمر حده ، هيا عد أيها الصديق العظيم ، وانظر إلى ريفي حمل سيدا إلي بيته .
- ونح قصة أهل سبأ جانبا ، وتساءل كيف جاء السيد إلي القرية .
- لقد برع الريفي في فن الملق ، حتى جعل حزم السيد بددا .

415 - لقد ضل من رسائله المتتالية ، بحيث صار حزم السيد كدرا وكان كالماء الزلال .
- حتى وهم لا يزالون في موطنهم أخذ أولاده يتغنون سعداء ب - “ نرتع ونلعب “ .

....

(1) ج / 6 - 287 : والصبح قريب ، فصمتا ، قلل الصياح ، وأنا أجاهد فلا تجاهد أنت ، وسعيي أفضل من سعيك ، ومري أفضل من حلواك . هيا ، تحمل ، وامض فاصمت ، حرك لسانك قليلا وكن أذنا واعلم أن حيلته ومكره وتلبيسه ألعوبة ، وكل ما يبعدك عن رفيقك .

- مثل يوسف الذي ويا للعجب ، أخذنه “ نرتع ونلعب “ من كنف الأب .
- فهي ليست لعبة بل هي تضحية بالروح ، إنها حيلة ومكر وتفنن في النفاق .
- وكل ما يبعدك عن رفيقك لا تستمع إليه فهو خسارة في خسارة .

420 - حتى ولو كان نفعا لا تعتبره نفعا خالصا ، ومن أجل الذهب لا تبتعد عن كنز الفقير .
- واستمع إلي الله تعالى قد زجر كثيرا ، وتحدث إلي أصحاب النبي بالأخضر واليابس .
- ذلك أنهم من أجل أصوات الطبول في سنة قحط ، أبطلوا الجمعة دون إبطاء .
- وذلك حتى لا يشتري الآخرون البضاعة بثمن بخس ، لقد قالوا في أنفسهم : إنهم سوف يشترون أرخص منا .
- وبقي الرسول عليه السلام وحيدا في الصلاة ، ومعه اثنان أو ثلاثة من الفقراء ثابتي الإيمان ممتلئي الضراعة .

425 - فقال : كيف يقطعكم طبل ولهو وتجارة عن الربانية ؟
-” فانفضضتم نحو قمح هائما * ثم خليتم نبيا قائما “ “ 1 “- ومن أجل القمح غرستم بذور الباطل * وتركتم رسول الحق ذاك - وصحبته خير من اللهو والمال ، فانظر من خليت وحك عينيك .
- ألم يكن لديكم في حرصكم هذا اليقين ، إنني أنا الرزاق وخير الرازقين ؟

....

(1) بالعربية في المتن .

430 - وذلك الذي يهب القمح رزقا من لدنه . . . متي جعل توكلك ضائعا .
- بحيث إنك من أجل القمح ، فارقت ذلك الذي أرسل القمح من السماء .دعوة البازي البط من الماء إلى الصحراء
- يقول البازي للبط . . . اقفز من الماء حتى تري الصحاري التي تفيض بالشهد .
- فيقول له البط العاقل : أيها البازي ابتعد ، فإن الماء بالنسبة لنا حصن وأمن وسرور .
- والشيطان كالبازي فانتبه أيها البط ، ولا تخرج من حص الماء .

435 - وقل اللبازي : امض امض وارجع عنا ، وأرفع يدك عن رؤسنا أيها العظيم .
- نحن أبرياء مما تدعونا إليه فدعوتك مردودة عليك ، ونحن لا نستمع إلى وسوستك أيها الكافر .
- إن الماء بالنسبة لنا شهد وليكن موضع الشهد لك ، وأنا لا أريد هديتك فخذها فهي لك .
- وما دامت الروح موجودة فإن الدسم لا يكون قليلا ، وعندما يكون الجيش لا تقل الأعلام .
- وكم اعتذر ذلك السيد الحازم ، وكم تعلل مع ذلك الشيطان المريد .

440 - قال : لدى أعمال مهمة الآن ، وإذا جئت فسوف تتعطل .
- لقد كلفني الملك بمهمة دقيقة ، وفي انتظار “ إنجازها “ لا ينام الملك الليل .

- ولا جرأة لدي علي إهمال أمر الملك ، ومن المحال أن يصفر وجهي أمامه .
- وفي كل صباح ومساء يصل إليَّ منه رسول خاص يطلب مني الحلول " لمشاكله " .
- فهل تجيز أن أتي إلي القرية ، واجعل الملك يستشيط علي غضبا ؟

445 - ومن بعدها كيف أعالج أنا غضبه ؟ هل أدفن نفسي حيا أنذاك ؟
- وعلي هذا النمط كرر الكثير من الأعذار ، لكن الحيل لا تجدي مع حكم الله .
- ولو احتالت كل ذرات العالم ، فكل احتيالها هباء مع قضاء السماء .
- وكيف تهرب هذه الأرض من السماء ؟ وكيف تخفي نفسها عنها ؟
- وكل ما يأتي من السماء صوب الأرض ، لا مفر منه ولا مناص ولا ملاذ .

450 - فالشمس تمطرها بالنار ، وهي أمام نارها تطأطيء رأسها .
- ولو نزل عليها المطر كالطوفان ، فحطم كل ما عليها من عمران .
- فإنها تسلم كأنها أيوب ، قائلة : إنني أسيرة لك فهات ما تشائين .
- ويا من أنت جزء من هذه الأرض لا تتمرد ، وعندما تتعرض لحكم الله لا تعاند .
- وما دمت قد سمعت " خلقناكم من تراب " فإذا طلب منك أن تكون ترابا لا تشح بوجهك .

455 - فانظر " أيها الإنسان " لقد زرعت بذرة في التراب ، وفعلت ما يفعله التراب فرفعتها .
- فاحترف الترابية مرة أخري ، حتى أجعلك أميرا علي كل الأمراء .

- إن الماء ينزل من أعلي إلي أسفل ، ثم يصعد من بعدها من أسفل إلي أعلي .
- والقمح بُذِرَ من عَلٍ في التراب ، ثم استطال علي سوقه وصار سنابل .
- وبذرة كل ثمرة كانت في الأرض ، ثم أطلت برأسها من مدفنها .

460 - وأصل كل النعم " هبط " من الفلك إلي الأرض ، جاء من أعلي إلي أسفل غذاء للروح .
- وعندما هبطت من الفلك إلي الأرض تواضعا ، صارت جزءا من الإنسان الحي الشجاع .
- ثم اكتسب هذا الجماد صفات الإنسان ، فسما سعيدا إلي أعلي العرش .
- قائلا : لقد جئت من العالم الحي منذ البداية ، وهأنذا قد عدت من أسفل إلي أعلي .
- وجملة الأجزاء متحركة كانت أو ساكنة ، ناطقة " إنا إليه راجعون " .

465 - وذكر الأجزاء الخفية وتسابيحها ، أقامت ضجة في السماء .
- وعندما مارس القضاء النيرنجات والحيل ، جعل حضريا مغلوبا لريفي .
- وبالرغم من آلاف أنواع الحزم التي لديه ، فإن السيد قد غلب وصار في تلك الرحلة معرضا للآفات .
- كان اعتماده علي ثباته ، وبالرغم من أنه كان جبلا فإن نصف سيل قد اختطفه .
- وعندما يطل القضاء برأسه من الفلك ، فإن العقلاء جميعا يصيرون صما وعميانا .

470 - وتخرج الأسماك من البحار ، ويأخذ الفخ بالطائر المحلق مهيض الجناح .
- ويصير الجني والشيطان في زجاجة واحدة ، بل ويمضي هاروت إلي بابل .
- وليس سوي ذلك الذي فر من القضاء إلي القضاء من لا يستطع أي تربيع " للكواكب " أن يسفك دمه .
- وليس سوي الهروب من القضاء إلي القضاء من حيلة أخرى تنجيك منه .

قصة أهل ضروان واحتيالهم حتى يقطفوا حدائقهم
دون إزعاج من الفقراء

- هل قرأت قصة أهل ضروان ؟ إذن لماذا بقيت في شرك الاحتيال ؟ .

475 - أخذ عدد من العقارب اللادغة في الاحتيال ، كيف يسلبون حق عدد من الفقراء .
- وكانوا طوال الليل يمكرون وهم متواجهون ، ذلك العدد ممن كانوا يستمون بعمرو وبكر .
- كانوا يتناجون فيما بينهم هؤلاء الأشرار " زاعمين " أن ذلك " خوفا " من أن يعلم الله ما يبيتون .
- وهل يمكر الطين على داهن الطين ، وهل تقوم اليد بالعمل خفية عن القلب ؟
- لقد قال :" ألا يعلم نجواك من خلق * إن في نجواك صدقا أم ملق

480 -كيف يغفل عن ظعين قد غدا * من يعاين أين مثواه غدا ؟-أينما قد هبطا أو صعدا * قد تولاه وأحصى عددا "" 1 "

....
(1) الأبيات بين الأقواس بالعربية في النص ، وبعده (ج / - 324) : كانوا يتناجون بالأسرار خفية عن الله ، تلك الكلاب العمياء ، من جلها وعماها . واستمع الأن إلى حديث السيدة كيف ذهب إلى القرية ونال جزاءه .

- فطهر الأذن من الغفلة الآن واستمع إلى هجر هذا المحزون " 1 "
- واعلم أنها زكاة تلك التي تعطيها للمحزون ، عندما ترهف السمع إلى بثه .
- فاستمع إلى أحزان متعبي القلوب ، فإن فاقة الروح الشريفة من الماء والطين .

485 - إن له منزلا مليئا بالدخان فهو واحد ممن يحتالون كثيرا ، فافتح له عليها كوة من الإصغاء .
- فتصير أذنك بالنسبة له كطريق للتنفس ، وينقشع دخان المرارة عن منزله قليلا .
- وقدم لنا السلوى أيها السالك ، إذا كنت تمضي صوب الرب الأعلى .
- فهذا التردد حبس وسجن ، يمنع الروح عن المضي نحو جهة ما .
- يجذبها هذا إلى هذه الجهة وذاك إلى تلك ، وكل منهما قائل له : أنا طريق الرشد .

490 - إن هذا التردد عقبة في طريق الحق ، فما أسعد ذلك الذي يكون مطلق القدم **!** .
- إنه يمضى بلا تردد في الطريق المستقيم ، وإذا كنت تعرف الطريق فابحث عن " أثر " خطواته .
- فتتبع الغزال وامض سالما معافى ، حتى تصل من " أثر " خطو الغزال إلى نافجته .
- ومن هذا السير تمضى إلى الأوج الأنور ، أيها الرفيق حتى إن كنت تسير على النار .
- ولا تخف من البحر ولا من الموج ولا من الزبد ، وما دمت قد سمعت الخطاب ب " لا تخف " .

....
(1) ج / 6 - 324 : وأية بلايا حلت به ومحن ، في طريق القرية ، عندما هجر مدينته ! !

495 - واعلم أن : “ لا تخف “ من الحق ما دام هو الذي أعطاك الخوف ، إنه يرسل الخبز ما دام قد أرسل إليك الطبق .
- فالخوف يكون لذلك الشخص الذي لا يخاف ، والحزن لذلك الشخص الذي لا طواف له هنا .

حركة السيد نحو القرية

- بدأ السيد في العمل وأعد الزاد ، وساق طائر عزمه سريعا نحو القرية .
- وأعد الأهل والأبناء عدتهم للسفر ، ووضعوا حاجياتهم علي ثور العزم .
- وأسرعوا سعداء نحو القرية ، قائلين : أبشروا فإننا لآكلون الثمار من القرية .

500 - فإن مقصدنا مرعى حسن ، وصديقنا هناك كريم بشوش .
- لقد دعانا بألاف من أنواع الترغيب ، ومن أجلنا غرس غرسا كريما .
- ثم نعود من عنده صوب المدينة ، بذخيرة القرية للشتاء الطويل .
- ويؤثرنا عليه بحديقته ، ويجعل لنا موضعا في سويداء روحه .
- “ عجلوا أصحابنا كي تربحوا “ ، وكان العقل يقول من الباطن “ لا تفرحوا “ .

505 -” من رياح الله كونوا رابحين * إن ربي لا يحب الفرحين “-” افرحوا هونا بما أتاكم * كل أت مشغل ألهاكم ““ 1 “ .
- كن فرحا منه ولا تكن فرحا من غيره ، فهو الربيع وغيره زمهرير الشتاء “ 2 “ .

....
(1) ما بين الأقواس باللغة العربية في المتن .
(2) حرفيا : شهر “ دى “ .

- وكل ما سواه استدارج لك ، مهما كان بالنسبة لك عرشا وملكا وتاجا .
- وكن فرحا من الحزن هو شراك اللقاء ، والرفعة من التواضع في هذا الطريق .

510 - فالحزن كنز وألمَكُ معدنه ، لكن متي يكون هذا بذي تأثير في الأطفال .
- فالأطفال عندما يستمعون إلى اسم اللعبة ، يصيرون جميعا في سرعة حمار الوحش .
- ويا أيتها الحمر الضريرة في هذه الناحية فخاخ ، وهنا سفاحون مترصدون في هذه الناحية .
- وهنا قوس خفي يطلق السهام من الغيب ، ويصيب الشباب منه مائة سهم من الشيب .
- وليكن خطوك في صحراء القلب ، ففي صحراء الطين لا يوجد فتح .

515 - والقلب عمران أمن أيها الأصدقاء ، فيه عيون ورياض في رياض .
- “ عج إلي القلب وسر يا سارية ، فيه أشجار وعين جارية “ “ 1 “ .
- ولا تذهب إلي القرية فالقرية تجعل المرء أحمق ، وتجعل العقل بلا نور أو رونق .
- وأستمع إلي قول الرسول أيها المجتبي ، “ وفحواه “ أن مقبرة العقل في الريف .
- وكل من يقيم في القرية شهرا كاملا صباح مساء لا يكون عقله كاملا .

520 - وحتى شهر لا يكون عقله كاملا ، فماذا يحصد من القرية إلا عشب القرية .
- وكل من يبقي شهرا في الريف ، تكون الأيام لديه جهلا وعمي .

....

(1) بالعربية في المتن .

- وماذا تكون القرية سوى شيخ لم يصل ، تعلق بيديه بالحجة والتقليد .
- وهذه الحواس أمام مدينة العقل الكلي ، كالحمر المعصوبة " تدور " في الطاحون .
- فدعك من هذا وتعلق بظاهر الحكاية ، اترك حبات الدر وخذ حبات القمح .

525 - وإذا لم يكن لك طريق إلى الدر فانتبه وخذ القمح ، وإذا لم يكن لك طريق إليه أيضا فامض صوب تلك الناحية .
- وخذ بظاهرة بالرغم من أن الظاهر مضل ، لأن الظاهر يحمل إلي الباطن في النهاية .
- وبداية كل إنسان في الصورة ذاتها ، ثم بعد ذلك " تنفخ " الروح التي هي جمال السيرة .
- وما أول كل ثمرة إلا صورتها ، ثم بعد ذلك " تأتي " اللذة التي هي معناها .
- إنهم يقيمون مخيما ومعسكرا ، ثم يدعون بعد ذلك الترك إلي الضيافة .

530 - فاعلم أن المخيم هو صورتك والمعنى هو الترك ، واعتبر المعنى بالنسبة لك كالملاح والصور كالفلك .
- واترك هذا من أجل الحق برهة واحدة ، حتى يحرك حمار السيد الجرس .

ذهاب السيد وقومه نحو القرية

- أعد السيد وأولاده جهازا ، وعلي مطاياهم اتجهوا نحو القرية .
- ساقوا فرحين نحو الخلاء ، وأخذوا يرددون " سافروا كي تغنموا " .
- فمن الأسفار يصير القمر بدرا تام البهاء ، وبلا أسفار متى صار القمر بدر تمام ؟

535 - ومن الأسفار يصير بيدق " الشطرنج " حصانا ، ومن السفر وجد يوسف الصديق مائة مراد .
- فأحرقوا الوجوه نهارا في ضوء الشمس ، وليلا كانوا يهتدون بالنجم في طريقهم .
- لقد صار الطريق الوعر سهلا أمامهم ، وفرحا بالقرية صار الطريق كأنه الجنة .
- فالمر يصير حلوا " إذا صدر " عن ذوى الشفاء الحلوة ، والشوك يصير شارحا للقلوب في الرياض .
- ومن المعشوق يصير الحنظل رطبا ، وتصير الدار مرجا من رفيقة الدار .

540 - وما أكثر المنعمين الذين يحملون الشوك ، أملا في محبوب قمري الوجه وردي الوجنة .
- وما أكثر الحمالين الذين صاروا ممزقي الظهور ، من أجل محبوباتهم الفاتنات ذوات الوجوه كالأقمار .
- وذلك الحداد سود وجهه الجميل ، حتى يقبل القمر عندما يجن الليل .
- والسيد مسمر في حانوت حتى الليل ، ذلك أن " سروة " ممشوقة القوام قد مدت بجذورها في قلبه .
- وتاجر ما يمضي في البر والبحر ، لكي يسرع بحب نحو قعيدة منزل .

545 - إن لكل واحد منهم شهوة مع ميت ، أملا فيمن عنده ملامح حي .
- فذلك النجار اتجه نحو الخشب ، أملا في الحضور بين يدي حسناء فاتنة الوجه .
- فكن مجتهدا علي أمل الحي الذي لا يتحول بعد يومين إلي جماد .
- ولا تختر خسيسا مؤنسا ، فالأنس من خسيس يكون شيئا مستعارا .
- فأين أنسك مع أبيك ومع أمك ، إذا كان هناك وفاء عند مؤنسيك جميعا سوى الحق .

550 - وماذا جري لأنسك مع الحاضنة والمربي ، إذا كان لأحد غير الحق أن يكون لك عضدا .
- لم يبق أنسك مع اللبن ومع الثدي ، ولم يبق أيضا نفورك من أول مدرسة .
- كان ذلك شعاعا علي جدارهم ، وعادت تلك العلامة نحو الشمس (الساطعة) ! !
- وكلما يقع هذا الشعاع علي شيء ، تقوم أنت بعشقه أيها الشجاع .
- وعشقك لكل ما هو في الخليقة ، هو بالنسبة لصفة الحق كان طلاء ذهب .

555 - وعندما ذهب الطلاء الذهبي إلى حال سبيله وبقي النحاس مل منه الطبع وطلقه .
- فاسحب قدمك خارجا من صفاته ذات الطلاء الذهبي ، وكفاك قولا من الجهالة أن الزيف حلو .
- فإن تلك السعادة في الزيف عارية ، وتحت الزينة مادة بلا زينة .
- فالذهب من فوق الزيف يمضى إلي معدنه ، فامض أنت أيضا نحو المعدن حيثما يمضى .
- ويمضى النور من الجدار نحو الشمس ، فامض أنت أيضا نحو الشمس الجديرة بالمعنى .

560 - ومن ذلك الوقت فصاعدا خذ الماء من السماء ، ما دمت لم تر وفاء من القناة .
- وأصل " الإلية " لا يكون فخا لذئب ، فمتى يعلم الذئب المهول أصلها ؟
- لقد ظنوا أن الذهب معقود في سلكه ، فأخذ هؤلاء المغرورون يسرعون نحو القرية .

- وهكذا أخذوا يمضون ضاحكين راقصين ، وأخذوا يدورون حول هذه الساقية .
- وعندما كانوا يرون طائرا يطير نحو القرية ، كان صبرهم " ينفد " ويمزق ثوبة " 1 " .

565 - بل إن كل من كان يأتي من ناحية القرية نحوهم كانوا يقبلون وجهه .
- قائلين له : لقد رأيت وجه حبيبنا ومن ثم فأنت روح للروح وبصيرة لنا .

ملاحظة المجنون لذلك الكلب الذي كان في حي ليلى

- وهذه يشبه المجنون الذي كان يلاطف كلبا ، كان يقبله ويذوب " رقة " أمامه .
- كان يطوف حوله خاضعا ، وكان يسقيه محلول السكر صافيا " 2 " .
- فقال له فضولي : أيها المجنون الساذج : ما هذا الخبال الذي لا تزال تبديه ؟

570 - إن فم الكلب دائما ما يأكل النجس ، كما أنه ينظف مؤخرته بفمه .
- وعدّد عيوب الكلب الكثيرة ، والذي يعد العيوب لا يظفر بالنذر اليسير عن علام الغيوب .
- فقال له المجنون : إنك بأجمعك صورة وجسد ، فتقدم وانظر إليه بعيني - إنه هو الطلسم المعقود بالمولي ، وهو أيضا حارس حي " ليلي " .
- فانظر إلي همته وقلبه وروحه ومعرفته ، وانظر أي مكان اختاره مقاما له **! !** .

....

(1) ج / 6 - 347 : - وكل نسيم كان يهب في ناحية القرية ، كأنه كان يرى منهم النفس والروح .
(2) ج / 6 - 365 : - كان يطوف حوله خاضعا ، كما يطوف الحاج حول الكعبة صادقا . - كان يقبل رأسه وقدمه وسرته ، وكان يسقيه الجلاب صافيا .

575 - إنه كلب كهفي مبارك الوجه ، بل هو شريكي في الألم وشريكي في اللهفة .
- وذلك الكلب الذي يكون مقيما في حيها ، متي أعطي شعرة واحدة منه في مقابل أسود ؟
- فيا من تكون الأسود غلمان كلابه ، لا إمكان للقول فصمتنا والسلام .
- وانكم أن تجاوزتم الصورة أيها الرفاق ، توجد الجنة ورياض في رياض .
- وعندما تحطم صورة " الذات " وتحرقها ، فقد تعلمت إذن أن تحطم الصورة الكلية

580 - وبعد ذلك تستطيع أن تحطم كل صورة ، وتكون مثل " حيدر " تقتلع باب خيبر .
- لقد صار ذلك السيد السليم ضحية لصورة ، إذ أخذ يسعي نحو القرية " مخدوعا " بقول سقيم .
- " وأخذ يمضي " نحو فخ ذلك المرائي سعيدا ، مثل طائر نحو " حب " الابتلاء .
- لقد اعتبر تلك الحبة من الكرم ، وذلك العطاء هو غاية الحرص وليس جودا .
- والطيور المسكينة - طمعا في تلك الحبة - طائرة مسرعة نحو ذلك الاحتيال فرحة .

585 - فلو أنني أخبرك بمقدار فرح السيد ، فإنني أخاف أيها السالك أن أضلك .
- ومن هنا اختصرت ، وعندما ظهرت القرية ، لم تكن القرية المقصودة إذا اختار طريقا أخر .
- فأخذوا يتنقلون من قرية إلي قرية قرابة شهر ، وذلك لأنهم لم يعرفوا طريق القرية جيدا .

- وكل من مضي في الطريق بلا دليل ، يكون الطريق الذي يستغرق يومين هو طريق مائة عام .
- وكل من يسير نحو الكعبة بلا دليل ، يصير ذليلا مثل هؤلاء الضالين .

590 - وكل من يحترف مهنة بلا أستاذ ، يصير أضحوكة الحضر والريف .
- وليس إلا نادرا في الخافقين أن يخلق أدمي إلا من والدين .
- ويجد المال ذلك الذي يعمل ، ومن النادر أن يظهر كنز .
- فأين المصطفى الذي يكون جسمه روحا ، لكي يعلمه الرحمن القرآن .
- لقد علم كل أهل الجسد بالقلم ، ونشر الواسطة في بذل الكرم .

595 - وكل حريص محروم يا بني فلا تسرع كالحريصين ، وامش الهويني .
- وفي ذلك الطريق كابدوا المشاق والحمي ، كما يكابد الطائر البري العذاب في الماء .
- فضاقوا بالقرية وبالريف ، ومن صب ذلك ليس بأستاذ " لحديث " كالسكر .

وصول السيد وقومه إلى القرية وتجاهل القروي لهم وإنكاره إياهم

- وعندما وصلوا بعد شهر إلي ذلك المكان ، كانوا بلا زاد وكانت المطايا بلا علف .
- فانظر إلى الريفي من سوء نيته ، ماذا يفعل بعد ما قدمه من وعود " 1 " .

600 - فهو يخفي عنهم وجهه نهارا ، حتى لا يمدوا أفواهم نحو حديقته .
- ومثل ذلك الوجه الذي كله احتيال وشر أولي بأن تخفيه عن المسلمين .

....
(1) حرفيا بعد اللتيا والتي أي بعد التفاصح والفيهقة في تقديم الوعود .

- وهناك وجوه تقف فوقها الشياطين كالذباب وكأنها حرس عليها .
- فعندما تنظر إلي مثل هذا الوجه تقع فيك ، فإما ألا تري هذا الوجه وأما إن رأيته الا تضحك سعيدا .
- وفي مثل هذا الوجه الخبيث العاصي ، قال الله تعالىلَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ.

605 - وعندما سألوا ووجدوا منزله ، أسرعوا إلي الباب كأنهم الأهل .
- فأغلق أهل منزله الباب ، وجن جنون السيد من هذا الاعوجاج .
- لكن الوقت لم يكن وقت الغلظة ، وما دمت قد سقطت في البئر فماذا تجديك الحدة ؟
- فبقوا علي بابه خمسة أيام ، في برودة الليل ولفح الشمس في النهار .
- لم يكن البقاء من الغفلة أو الغباء ، كان من الاضطرار والفاقة .

610 - فالكرام يرتبطون باللئام اضطرارا ، والأسد تأكل الجيف من الجوع الشديد .
- لقد كان يراه ويلقي عليه السلام ، قائلا له : أنا فلان . . أنا أسمي كذا .
- فيرد عليه قائلا : وهو كذلك فأي علم لي من أنت . . هل أنت شرير أو قرين للطهر ؟ “ 1 “ .
- فقال “ السيد “ هذه اللحظة صارت شبيهة بالقيامة ، حتى إن الأخ ليفر من أخيه .
- وأخذ يفسر له : إنه أنا ذلك الذي أكلت “ الطعام “ الدسم علي مائدته مثني و “ ثلاث “ .

....
(1) ج / 6 - 379 : - انني واله ليل نهار في صنعه وليس عندي أدنى اهتمام بعده .
- وليس لي أدنى خبر بذاتى ، وليس لي من وجودي مقدار شعرة .
- وليس عند لبى معرفة إلا بالحق ، وليس في قلب المؤمن سوى الله .

615 - وفي يوم كذا اشتريت منك ذلك المتاع ، وكل سر جاوز الاثنين شاع .
- وسر الحب بيننا قد سمعه كل الخلق ، ويستحي الوجه عندما يأكل النعمة الحلق .
- فأخذ “ الريفي “ يقول له : ما هذه الترهات التي تتفوه بها ؟
إنني لا أعرفك ولا أعرف اسمك أو مسكنك .
- وفي الليلة الخامسة تلبدت السماء بالسحب وأمطرت ، بحيث كانت السماء نفسها تتعجب من مطرها .
- وعندما بلغت السكين العظم ، دق السيد حلقة الباب صائحا : استدعوا “ السيد العظيم “ .

620 - وعندما جاء بعد إلحاح شديد إلي الباب ، قال : ما الأمر أخرا يا روح أبيك ؟
- قال “ السيد “ : لقد تركت كل هذه الحقوق ، وأقلعت عن كل ما كنت أفكر فيه .
- لقد ذقت كبد خمس سنوات في خمسة أيام ، وروحي مسكينة في هذه الحرارة والاحتراق .
- وجفاء واحد من الأهل وذوي القربى في ثقله كأنه مضاعف آلاف الأضعاف “1”.
- ذلك أن القلب لم يألف جورا أو جفاء من ذلك الذي اعتادت روحه علي لطفه ووفائه .

625 - وكل ما هو “ جار “ علي الناس من بلاء وشدة ، أعلم يقينا أنه علي خلاف العادة .
- ثم قال : أيتها الشمس وحبك إلي زوال ، لو أنك سفكت دمي فهو لك حلال .

....

(1) حرفيا : كأنه ثلاثمائة ألف

- إن الليلة ممطرة فأعطنا ركنا نأوي إليه ، و “ جازاك الله “ بأن تجد الزاد يوم القيامة .
- فقال الريفي : هناك ركن وهو للناطور ، وهو حارس “ الحديقة “ وهناك ذئب .
- ففي كفه سهم وقوس من أجل الذئب ، حتى يقتله إذا أتي ذلك الذئب المفترس .

630 - فإذا “ قبلت “ أن تقوم بهذه المهمة فالمكان لك ، وإلا تفضل وابحث عن مكان أخر .
- فقال “ السيد “ : بل أقوم بمائة مهمة ، فقط أعطني مكانا ، وضع هذا القوس والسهم في يدي .
- ولن أنام بل سأقوم بحراسة الكرم ، وإذا أتي الذئب أصبت رأسه بالسهم .
- فبحق الله لا تتركني هذه الليلة أيها القاسي ، ماء المطر ينصب فوق رأسي وقدمي في الطين .
- فأخلي الركن وذهب إليه مع عياله وهو مكان ضيق لا سعة فيه .

635 - فركبوا كأنهم الجراد بعضهم فوق بعض ، “ وانكمشوا “ خوفا من السيل في ركن من الغار .
- وظلوا جميعا طوال الليل يقولون : يا الله . . . هذا هو جزاؤنا . . . هذا هو جزاؤنا . . هذا هو جزاؤنا .
- هذا هو جزاء من يصادق الأخساء ، أو يقدم الإحسان لمن ليس أهلا له .
- هذا هو جزاء من يترك في سبيل طمع لا يتحقق محضر تراب الكرام .
- وإن لعق تراب الأطهار وجدرانهم ، أفضل من العوام وكرمهم ورياضهم .

640 - وأن تكون عبدا لامريء مستنير القلب ، أفضل لك من أن تصير علي مفرق الملوك .

- ومن ملوك التراب لن تجد يا رسول السبل “ المتفرقة “ إلا أصوات الطبول .
- إن أهل الحضر أنفسهم أشبه بقطاع الطرق بالنسبة للروح ، وماذا يكون الريفي إلا أحمق بلا فتوح .
- هذا جزاء ذلك الذي دون تدبير من العقل ، أتاه صوت “ الغول “ فاختاره نقلا .
- وعندما ينتقل الندم من القلب إلي الشغاف ، فلا جدوي من ذلك الوقت فصاعدا من الاعتراف .

645 - كان ذلك القوس والسهم في يده ، و “ ظل “ باحثا عن الذئب طوال الليل من ناحية إلي أخري .
- ولما كان الذئب مسيطرا عليه كأنه الشرر ، فقط ظل باحثا عن الذئب غافلا عن “ ذئبه “ الذي بين جنبيه .
- وصارت كل بعوضة وكل برغوث مثل ذئب ، وأخذوا في لدغهم في تلك الخرابة .
- ولم تكن هناك فرصة حتى يطرد البعوض ، رعبا من هجوم الذئب الضاري .
- فما لم يأت الذئب ويجندل قتيلا ، فإن الريفي سوف يقتلع لحية السيد .

650 - وهكذا ظلوا حتى منتصف الليل تصطك أسنانهم ، حتى بلغت الروح منهم الحلقوم .
- وفجأة أطل تمثال لذئب هزيل من فوق تل .
- فأطلق السيد سهمه من القوس ، وضرب ذلك الحيوان حتى جندله ذليلا ،

- وعند سقوط الحيوان أفلتت منه حبقه " 1 " ، فصاح الريفي ضاربا كفا بكف .
- " وصاح قائلا " : أيها الفدم إنه جحشي ، فقال : لا بل هو ذئب كأنه الشيطان .

655 - وفيه أمارات الذئبية ظاهرة ، كما أن شكله ينبيء عن ذئبيته .
- قال الريفي : لا وإن الريح التي انطلقت من مؤخرته ، أعرفها كما أعرف الماء من الخمر .
- لقد قمت بقتل جحشي في الرياض ، فلا كان لك أبدا بسط من الانقباض .
- قال " الحضري " : من الأفضل أن تتحري الأمر ، فالوقت ليل والشخوص في الليل محتجبة عن الناظر .
- إن الليل يحدث كثيرا من الشبهات ويبدل كثيرا ، وليس لكل امريء نظر صائب في الليل .

660 - وهي سواء الليل والغيوم والمطر المنهمر ، هذه الظلمات الثلاث تتسبب في أخطاء كثيرة .
- قال : إنها بالنسبة لي كالنهار المنير ، فأنا أعلم بحبق جحشي .
- وأنا أعرف هذه الريح من بين مائة ريح كما يعرف المسافر زاده .
- فقفز السيد وتقدم غير هياب وأمسك بخناق الريفي .
- قائلا له : أيها الأبله اللص المخادع ، يا من قد تعاطيت الحشيش والأفيون معا .

665 - إنك في الظلمات الثلاث تعرف ريح الحمار ، فكيف لا تعرفني يا دائر الرأس .

....

(1) حبقه : أي ضرطة .

- وذلك الذي يعرف “ الجحش “ “ 1 “ في منتصف الليل ، كيف لا يعرف رفيق عشر سنوات ؟
- إنك تجعل من نفسك عارفا ووالها ، بينما تحثو عين المروءة بالتراب **! !** - ولا تفتأ تقول : أنا لا علم لي بنفسي . . ولا مجال في قلبي إلا لله ، - وما أكلته بالأمس لا أذكره ، وهذا القلب “ الذي لي “ لا يسعد إلا بالحيرة .

670 - إنني عاقل ومجنون بالحق فاذكر ذلك ، واعذرني في غيبتي هذه عن نفسي .
- وذلك الذي يأكل الميتة أي النبيذ ، فاسلكه أيها الشرع في عداد المعذورين .
- وليس للمثل أو من هو في غيوبة الحشيش من طلاق وبيع ، فهو كالطفل معاف ومعتق .
- والسكر الذي يتأتي من عبير الملك الفرد ، لا يفعل مائة دن خمر فعله في الرأس واللب .
- فكيف إذن يجوز علي “ من يعانيه “ التكليف ، لقد سقط الجواد وصار بلا أقدام أو قوائم .

675 - وفي الدنيا من الذي يضع حملا فوق جحش ؟ ومن الذي يقوم بتعليم “ أبي مرة “ (إبليس) الفارسية ؟
- إنهم ينزلون الحمل من “ فوق الدابة “ عندما تصاب بالعرج ، ولقد قال الحق” لَيْسَ عَلَى الْأَعْمى حَرَجٌ “ *.
- “ إنك لا تفتأ تقول “ صرت أعمي أمام نفسي وبصيرا بالحق ، إذن فأنا معافي من القليل والكثير .

....
(1) في النص العجل وذلك لكي يوفق مولانا صنعه الجناس ومن الأوفق للسياق أن يكون الجحش .

- وتثرثر عن الفقر والانسلاخ عن الذات ، وعندك صيحات وجد سكاري الإله .
- وتظل تقول : لا أعرف الأرض من السماء ، فإذا بغيره “ الإله “ تقوم بامتحانك أي امتحان ! !

680 - وهكذا فضحتك ريح جحش ، وقامت بإثبات “ ما ادعيته “ من نفي ذاتك .
- وهكذا يفضح الحق المحتال ، وهكذا يأخذ الصيد الهالع .
- وهناك مئات الآلاف من أنواع الامتحان أيها الأب “ ومع ذلك “ فكل واحد يقول لقد أصبحت حاجب الباب .
- وإذا لم يكن العوام يعرفونه “ علي حقيقته “ من الامتحان ، فان الناضجين يبحثون عن أمارات إلي طريقه .
- وعندما يدعي أحد مهنة الحياكة ، فإنه يلقي أمامه بأطلس من النوع الفاخر .

685 - قائلا له : اصنع من هذا فراجة واسعة ، ومن الامتحان يبرز له قرنان .
- وإذا لم يكن هناك امتحان لكل شرير ، لكان كل مخنث بطلا في الوغي كرستم .
- فافترض أن المخنث مدرع من الحديد ، لكنه عندما يري الطعان يسقط كأنه الأسير .
- وكيف يصير ثمل الحق مفيقا من ريح الدبور ؟ إنه ثمل الحق لا يفيق ولو بنفخ الصور .
- وخمر الحق تكون حقا ولا تكون باطلا ، لقد شربت المخيض شربت المخيض شربت المخيض .

690 - وجعلت من نفسك الجنيد وبايزيد ، قائلا امض عني إنني لا أعرف الطبر من المفتاح .

- فكيف تجعل خبث الجبلة والكسل والحرص والطمع مختفية بالمكر أيها الأفاق ؟ !
- أتجعل من نفسك منصورا الحلاج ، ثم تضرم النيران في أقطان الرفاق ؟
- وأنت لا تفتأ تقول : لا أعرف عمر من أبي لهب ، “ ثم تقول “ أعرف ربح جحشي في منتصف الليل .
- أيها الحمار ومن يصدقك يكون حمارا ، ويجعل نفسه أصم وأعمي من أجلك .

695 - فكفاك اعتبار نفسك من السالكين ، إنك رفيق لمن يتبرزون في الطريق ، فلا تتحدث بالهذر .
- وطر ثانية من المكر تجاه العقل سريعا ، فمتي يحلق في السماء جناح المجاز ؟
- لقد ادعيت أنك عاشق للحق ، لكنك مارست العشق مع الشيطان الأسود .
- والعاشق والمعشوق يشدان معا يوم القيامة بحل واحد ويساقان بعنف زوجا زوجا .
- فماذا إظهارك لنفسك ذاهلا فاقد الوعي ؟ وأين دم الكرم وقد شربت دماءنا .

700 - وتقول : “ امض فأنا لا أعرفك وانصرف عني ، إنني أنا العارف الذاهل وأنا بهلول القرية “ .
- وكل ما تتوهمه عن القرب من الحق ، أن صانع الطبق لا يكون بعيدا عن الطبق .
- ولا تري أن قرب الأولياء ، فيه مائة كرامة وشأن وأبهة .

- فالحديد يصير من داود كأنه الشمع ، والشمع في يدك يكون مثل الحديد .
- فالقرب من حيث الخلق ومن حيث الرزق عام للجميع ، والقرب من وحي العشق لهؤلاء الكرام .

705 - فالقرب علي أنواع أيها الأب ، والشمس تشرق علي الجبل وعلي الذهب .
- لكن هناك قربا للشمس مع الذهب ، لا يكون الصفصاف علي علم به .
- والغصن اليابس والأخضر كلاهما قريب من الشمس ، ومتي توارت الشمس عن كليهما بالحجاب .
- لكن أين تلك القربة للغصن الأخضر الذي تأكل أنت منه الثمار الناضجة ؟ !
- من قربة الغصن اليابس من تلك الشمس ؟ قل له اظفر بشيء غير الإسراع نحو التيبس ! ! " 1 " .

710 - فلا تكن ثملا إلي ذلك الحد أيها المجنون الذي يجعلك تندم عندما تعود إلي وعيك .
- بل كن مثل أولئك السكاري الذين تتحسر العقول الناضجة منهم عندما يثملون .
- ويا من أنت كالقط لم تصد سوي فأر عجوز ، لو أنك بهذه الخمر تستطيع أن تصيد أسدا فصد أسدا .
- ويا من احتسيت من خيال الكأس هباء ، لا تغرب كسكاري الحقائق .
- إنك تتمايل هذه الناحية وتلك الناحية كالثمل ، فيا من أنت من هذه الناحية ليس مسموحا لك بتلك الناحية .

....
(1) ج / 6 - 383 : انظر إلى الغصن اليابس في قرب الشمس ، هل ينال غير الجفاف شيئا آخر .

715 - فلو وجدت الطريق إلي تلك الناحية بعد ذلك ، تمايل برأسك حينا إلي هذه الناحية وحينا إلي تلك الناحية .
- وإنك بجملتك منسوب إلي هذه الناحية فلا تثرثر عن تلك الناحية ، وما دمت لا تملك الموت فلا تقتلع روحك عبثا .
- وذلك الذي روحه كالخضر بحيث يهلع منه الموت ، يجوز له ألا يعرف مخلوقا .
- وإنك لتجعل الفم حلوا من لذة متوهمة ، وتقوم بالنفخ في قربتك فتجعلها ضخمة .
- ثم تفرغها من الريح بإبرة واحدة ، فلا كانت مثل سمنة الجسد هذه (نصيبا) لعاقل .

720 - وإنك لتصنع أنية من الثلج في الشتاء ، فمتي تفي لتلك الآنية عندما تري الماء .

سقوط ابن آوى في دن صباغ وتلونه وادعاؤه الطاووسية بين أبناء آوى

- سقط ابن أوي في دن صباغ ، ومكث في ذلك الدن برهة من الزمن .
- ثم خرج وقد تلون جلده قائلا : لقد صرت طاووس عليين .
- لقد وجد شعرا ملونا ذا رونق حسن ، وجعلت الشمس تلك الألوان تلمع
- لقد رأي نفسه أخضر وأحمر وأزرق وأصفر ، فعرض نفسه علي أبناء أوي .

725 - فصاحوا جميعا : يا أُبين أوي ما الخبر ؟ إن الانتشاء قد تضاعف

في رأسك .
- وابتعدت اختيالا ومرحا عنا . . فمن أين أتيت بهذا الكبرياء ؟
- وتقدم أحد أبناء أوي منه قائلا : يا فلان : أهذا مكر أم صرت من سعداء القلوب ؟
- هل مكرت حتى تصعد علي المنبر ، حتى تصيب هؤلاء الخلق بالحسرة من نفاجك ؟
- لقد سعيت كثيرا فلم تجد قبولا ، ثم أظهرت التوقح من مكرك .

730 - إن القبول للأولياء والأنبياء ، والتوقح هو ملاذ كل مراء محتال .
- وذلك لكي يجذبوا انتباه الخلق إليهم قائلين : نحن أطهار وهم في الباطن في غاية الشر “ 1 “ .

دهان رجل نفاج لشاربه وشفتيه كل صباح بجلدة إليه وخروجه قائلا بين أصدقائه : أكلت كذا وكذا

- وجد شخص متواضع الحال جلد ألية خروف ، فكان كل صباح يدهن شاربه به .
- ثم يمضي فيجلس بين المرفهين قائلا : لقد أكلت لحما سمينا في المحفل .
- ويضع يده فوق شاربه متهللا ، إشارة تعني : انظروا إلى الشارب .

735 - هذا هو دليل صدق قولي ، وهذه أمارة أكل الدسم والحلو .
- وكانت بطنه تقول له بلا صوت : أباد الله كيد الكائدين .
- إن تنفجك قد وضعنا على النار ، ألا اقتلع الله شاربك المدهون .

....
(1) ج / 6 - 407 : وليس إلا الحيلة والمكر والعناد ، جهاز لمن اسودت وجوههم .

- فإن لم يكن تنفجك القبيح أيها الشحاذ ، لرحمنا أحد الكرماء .
- ولو أظهرت العيب وقللت الاعوجاج ، لصنع له أحد الأطباء دواء .

740 - لقد قال الحق لا تحرك الأذن والذيل باعوجاج ، إذ " ينفعن الصادقين صدقهم " .
- فلا ترقد باعوجاج أيها الجنب ، وأبد ما لديك و " استقم " .
- وإن لم تعترف بعيبك مرة اصمت ، ولا تقتل نفسك من التظاهر ومن الرياء " 1 " .
- وإذا وجدت شيئا حاضرا فلا تفتح فمك ، ففي الطريق أحجار الامتحان .
- وقبل أحجار الامتحان أيضا ، هناك امتحانات في أحوالك .

745 - لقد قال الله تعالى : إنهم من الميلاد إلي الحين " الوفاة " ، يفتنون في كل عام مرتين .
- وهناك امتحان فوق امتحان أيها الأب ، فحذار ولا تثر نفسم بأقل امتحان " 2 " .

اطمئنان بلعم بن باعوراء الذي امتحنه الحق كثيرا وخرج موفقا أبيض الوجه

- لقد صار بلعم بن باعوراء وإبليس اللعين مهانين من الامتحان الأخير " 3 " .
- فذاك " الرجل النفاج المدعي " كان يدعي ميل الحظ إليه ، بينما تقوم معدته بلعن شاربه .

....

(1) ج / 6 - 409 : ولا تعتمد كثيرا على شاربك المدهون ، فإن القط سرق الالية صامتا .
(2) ج / 6 - 409 : ولا تكن آمنا من امتحانات القضاء ، وخف من الفضيحة ، يا رفيقا في العبودية ! !
(3) ج / 6 - 4286 : كانا آمنين من مكر الله على ، فقد اجتازا امتحانات ثم افتضحا في النهاية ولعلك سمعت حديثهما .

- قائلة : اللهم ابد ما يخفيه وافضحه فقد قضي علينا وأحرقنا .

750 - فكل أجزاء جسده خصوم له ، فهو يدعي أنه في الربيع وهي في زمهرير الشتاء .
- وإن الادعاء يقتلع عطايا الكرم ، كما أنه يجتث غصن الرحمة من جذوره .
- فتحدث بالصدق أو فاصمت ، وأنذاك انظر إلي الرحمة وارتو منها .
- وذلك الذي بطنه في خصومة مع شاربه ، رفعت أكف الدعاء في السر قائلة :
- يا إلهي افضح تنفج اللئام هذا ، حتى تتحرك نحونا رحمة الكرام .

755 - فاستجاب الله لدعاء تلك البطن ، وكشفت حرقة الحاجة الأمر علي الملأ .
- إذ قال الحق : حتى ولو كنت فاسقا وعابد صنم ، فإنك عندما تدعوني استجب لك .
- فالزم الدعاء جيدا وابتهل ببكاء ، وهو في النهاية سوف ينجيك من برائن الغول .
- وعندما سلمت البطن أمر نفسها لله ، جاء قط وسرق جلد تلك الإلية .
- وطاردوا القط لكنه هرب ، وهرب لون الطفل خوفا من عقاب أبيه .

760 - فجاء وسط المجلس ذلك الطفل الصغير ، وأذهب ماء وجه الرجل المتنفج .
- وقال : إن تلك الشحمة التي كنت تدهن بها شفتيك وشاربك كل صباح .
- قد جاء قط فجأة وسرقها ، وقد جريت خلفه كثيرا دون نتيجة تذكر .
- فأغرق الحاضرون في الضحك متعجبين ، ثم تحركت شفقتهم عليه .

- فدعوه وأشبعوه ، وغرسوا بذور الرحمة في أرضه .

765 - وعندما رأي لذة الصدق من الكرام ، صار عبدا للصدق بلا كبرياء “ 1 “ .

ادعاء ابن آوى الذي وقع في دن الصباغ الطاووسية

- جاء ابن أوي الملون ذاك وهمس في أذن اللائم قائلا له :
- “ انظر إليّ اخر الأمر وإلي لوني ، فليس هناك وثني لديه وثن بهذا الجمال “ .
- لقد صرت كالروضة جميلا ذا مائة لون ، فاسجد لي ولا تتمرد علي .
- وانظر إلي الأبهة والعظمة وإلي الرواء والحسن ، وادعني فخر الدنيا وركن الدين .

770 - لقد صرت مظهرا للطف ، وصرت لوحا يشرح الكبرياء الإلهي .
- يا أبناء أوي : حذار من مناداتي بابن اوي ، فمتي كان لابن اوي كل هذا الجمال ؟ !
- فتجمع أبناء اوي حوله ، كما يتجمع الفراش حول الشمع .
- قائلين : إذن فماذا تناديك . . قل أيها العظيم ، فأجاب : “ نادوني “ الطاووس الفحل كأنه كوكب المشتري .

775 - فقالوا له : إن طواويس الروح تتجلي في الرياض .
- فهل تتجلي أيضا ؟ قال : لا فكيف أتحدث عن مني وأنا لم أذهب إلي البادية ؟
- فقالوا له : إذن فهل تصدح كالطواويس ؟ قال : لا قالوا لست بطاووس يا سيد أبا العلا .

....

(1) ج / 6 - 433 : واجعل الصدق ديدنك على الدوام ، حتى تصبح حسن السمعه في الدارين .

- إن خلعة الطاووس هبة من السماء ، فكيف تبلغها أنت باللون والادعاء ؟

تشبيه فرعون وادعائه الألوهية بابن أوى
الذي ادعى الطاووسية

- إن ذلك يشبه أمر فرعون الذي رصع لحيته ، وادعي من حماريته أنه فوق منزلة عيسى .
- كان هو بدوره قد ولد من أنثي ابن اوي ، وسقط في دن المال والجاه .

780 - وكل من رأي ماله وجاهه سجد ، وخدع هو بسجود من انخدعوا فيه .
- ومن سجود الخلق وانبهارهم به ، انتشي ذلك الشحاذ مهلهل الثياب .
- فالمال حية ذلك أن السم كامن فيه ، وقبول الخلق وسجودهم أفاعي .
- فحذار يا فرعون لا تته كبرياء ، أنت ابن اوي فلا تدع أنك طاووس .
- ولو أنك ظهرت بين الطواويس ، لعجزت عن التجلي ولا فتضحت .

785 - كان موسي وهارون كالطواويس ، فضرباك علي رأسك ووجهك بجناح التجلي .
- فظهر قبحك وافتضاحك ، وسقطت منقلبا من عليائك .
- وعندما تعرضت للمحك ، أسود لونك كالذهب المغشوش ، وانمحت صورة الأسد وظهر تحتها كلب .
- فيأيها الكلب الأجرب القبيح من الحرص والإلحاح ، لا تضع علي نفسك إهاب الأسد .
- فإن زئير الأسد يطلبك للامتحان ، اثم صورة أسد وأخلاق الكلاب ؟ “ 1 “ .

....

(1) ج / 6 - 437 : - ويا أبين أوى عديم الجمال والفضل ، لا تظن قط أنك طاووس - وإلا يمتحنك الطواويس ، وتبقى ذليلا فاقد الرواء في الدنيا .

تفسير " وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ "

790 - قال الله تعالى للنبي في الكتاب الكريم ، إن هناك علامة " تستطيع أن تميزها " بسهولة عند أهل النفاق .
- ومهما كان المنافق ضخم " المظهر " ذكيا ، فإنك تعرفه في لحن القول .
- إنك عندما تشتري انية فخارية ، تقوم باختبارها أيها المشتري .
- فلماذا تربت علي هذه الآنية بيديك ؟ هذا لكي تعرف " الآنية " المكسورة من طنينها .
- فصوت الآنية المكسورة يكون مختلفا ، والصوت حارس يتقدمها .

795 - يصدر الصوت بحيث ينبيء عنها ، كما " ينبيء " الفعل عن حالة صرفه .
- وعندما عرض حديث الامتحان ، تذكرت قصة هاروت وماروت .

قصة هاروت وماروت وجرأتهما على امتحان الحق تعالي

- فيما سلف كنا قد ذكرنا جزءا يسيرا منها ، وماذا " يمكن " أن نقول نحن ؟ جزءا من آلاف الأجزاء .
- وكنت قد أردت أن أذكرها ببعض التفصيلات ، لكن الأمر تعطل ، " عطلته " معوقات . " 1 " .
- فهاك مرة أخري قليل من كثيرها ، إن ما يقال هو شرح عضو من أعضاء الفيل .

800 - فاستمع إلي هاروت وماروت ، يا من نحن عبيد وغلمان لوجهك .
- كانا ثملين من النظر إلي الإله ، ومن عجائب استدراج المليك .
- وهذا القدر من السكر من استدراج الحق ، فأية ألوان من السكر يقوم بها معراج الحق ؟

....

(1) ج / 6 - 444 : وسق أذن القلب لحظة واحدة هذا الصوب ، حتى أحدثك عن أسرار الحبيب .

- فالحبة في شراكه تبدي مثل هذا السكر ، فأية حبوب تفتقها مائدة إنعامه ؟
- كانا ثملين متخلصين من الوهق ، يطلقان صيحات الوجد بعشق .

805 - وكان هناك كمين وامتحان في الطريق ، ريحه الصرصر كانت تختطف الجبل وكأنه القشة .
- وكان يقلبهما في الامتحان ظهرا لبطن ، فمتي يكون عند الثمل علم بهذا ؟
- فالخندق والميدان عنده سيان ، والبئر والخندق أمامه طريق ممهد .
- وذلك الماعز الجبلي فوق ذلك الجبل السامق ، يسعي في أثر طعامه بلا أذي .
- وبينما هو يجمع عشبه يري فجأة ، لعبة أخري من حكم السماء .

810 - إنه يلقي نظرة علي جبل اخر ، فيري ما عزا أخري علي ذلك الجبل الآخر
- وتلك الآلاف من الأذرع يبديها له القضاء ذراعين ، حتى يظهر عنده الميل إلي القفز من سكره .
- ويبديها له “ القضاء “ قريبة ، وكأنه يطوف حول بالوعة الدار .
- ويغشي بصره في لحظة واحدة ، ويقفز ثمل الرأس من هذا الجبل إلي الجبل الآخر .
- وعندما يقفز يسقط بين الجبلين دون حذر .

815 - لقد هرب من الصيادين إلي قمة الجبل ، وملجؤه هذا هو نفسه الذي سفك دمه .
- إذ كمن الصيادون بين الجبلين ، في انتظار هذا القضاء العظيم .
- وأغلب صيد الماعز يكون علي هذا النسق، وإلا فهو جلد سريع عالم “بخصمه” .
- ورستم وإن كان ذا رأس وشوارب ، فإن الفخ الذي يجر قدمه هو الشهوة يقينا .

- فاقلع عن سكر الشهوة مثلما فعلت ، وانظر إلي سكر الشهوة في البعير .

820 - ثم إن سكر الشهوة في الدنيا ، اعلم أنه بالنسبة لسكر الملك شيء هين .
- فإن هذا السكر يقضي علي ذاك السكر ، فمتي يلتفت " الملك " إلي الشهوة ؟
- وما لم تشرب الماء العذب فإن الماء المالح يكون حلوا كأنه النور داخل العين .
- وقطرة واحدة من خمور السماء ، تسلب الروح من الخمر ومن السكاري .
- فما بالك بسكر الملائكة ، " وسكر " الأرواح الطاهرة من الجلالة .

825 - فهم برائحة واحدة قد تعلقوا بقلوبهم بتلك الخمر ، وحطموا دنان خمور هذه الدنيا .
- اللهم إلا هؤلاء البائسين المبعدين ، مثل الكفار المعذبين في القبور .
- صاروا في قنوط من كلا العالمين ، وغرسوا أشواكا لا نهاية لها .
- فقالا من ألوان السكروا أسفاه ، لو نزلنا علي الأرض لفعلنا بها فعل الغيث .
- وبسطنا العدل والإنصاف والعبادات والوفاء في هذا المكان الظالم .

830 - قالا هذا ، وكان القضاء يقول لهما : قفا ، فإمام أقدامكم كثير من الفخاخ الخفية .
- حذار ، وأياك أن تسرع جريا في صحراء البلاء ، حذار ، وإياك وأن تعدو بعمي في كربلاء .
- فمن شعور الهالكين وعظامهم ، لا تجد أقدام السالكين طريقا .
- فالطريق كله شعور وعظام وعروق ، وما أكثر الأشياء التي أبادها سيف القهر .

- ولقد قال الحق : إن العبيد المقرونين بالعون ، يسيرون علي الأرض ببطء وهون .

835 - وكيف يسير “ المرء “ حافيا في مزرعة الشوك إلا بتمعن وفكر وخشية ؟
- كان القضاء يحدثهما عن هذه الأمور لكن أذانهم كانت مغلقة في حجاب وجدهما .
- لقد أغلقوا جميعا العيون والآذان ، اللهم إلا أولئك الذين تخلصوا من أنفسهم .
- وما الذي يفتح العيون إلا العناية ؟ : وماذا يطفئ الغضب إلا المحبة ؟ “ 1 “ .
- فلا كان لأحد في الدنيا جهد بلا توفيق ، والله أعلم بالسداد .

قصة رؤيا فرعون موسى عليه السلام
وتدبره في تدارك هذا الأمر

840 - لما كان جهد فرعون بلا توفيق ، فإن كل ما يرتقه كان فتقا .
- كان تحت حكمه الآلاف من المنجمين ، ومثلهم من مفسري الأحلام والسحرة .
- وقد رأي مقدم موسي في نومه ، علي أنه هو الذي سوف يحطم فرعون وملكه .
- وتباحث مع مفسري الأحلام والمنجمين ، في كيفية دفع هذا الخيال والحلم والمشئوم .
- قالوا جميعا : فلنتدبر أمرنا ولنقطع طريق الميلاد كما يفعل قطاع الطرق .

845 - حتى جاءت تلك الليلة التي هي ليلة الحمل “ 2 “ وهكذا رأي أتباع فرعون .

....

(1) ج / 6 - 450 : فالجهد الذي بلا توفيق نزع للروح ، أقل من حبة ذرة وإن كان بيدرا .
(2) في النص الميلاد والسياق يفرض أنها ليلة الحمل .

- أن ينقلوا في ذلك اليوم ومنذ الفجر ، عرش الملك ومجلسه نحو الميدان .
- منادين : هلموا يا بني إسرائيل جميعا ، إن الملك يدعوكم إلي ذلك المكان .
- حتى يسفر لكم عن وجهه دون نقاب ، ويحسن إليكم جلبا للثواب .
- فلم يكن لهؤلاء الأسري من نصيب إلا الإبعاد ، ولم يكن مسموحا لهم برؤية فرعون .

850 - ولو كان يصادفهم في الطريق ، كانوا طبقا لذلك اللقانون ينكبون علي وجوههم .
- كان القانون هو ألا يري أحد من الأسري وجه فرعون ذاك في وقت أو في غير وقت .
- وعندما كانوا يسمعون أصوات الحراس في الطريق ، كانوا يستديرون إلي الجدران كيلا يروا وجهه .
- ومن يري وجهه يكون مجرما ، ويحيق به أشد أنواع العقاب .
- فكانوا حريصين علي هذا اللقاء الممتنع ، لأن الإنسان حريص علي ما منع .دعوة بني إسرائيل إلى الميدان من أجل الإقبال لمنع ولادة موسى عليه السلام " 1 "

855 - أيها الأسري ، أسرعوا نحو الميدان ، فالأمل في رؤية الملك وفي نيل جوده .
- وعندما سمع بنو إسرائيل البشري كانوا ظمأي في شدة الشوق " 2 " .
- فانطلت عليهم الحيلة وأسرعوا نحو ذلك المكان ، وأعدوا أنفسهم من أجل الجلوة " 3 " .

....
(1) ج / 6 - 642 : أخذ مناد يطوف بالأحياء ، يصبح حيا بعد حي مروراً .
(2) ج / 6 - 462 : سروا كثيرا من الخير ، واتخذوا طريقهم في التو إلى الميدان .
(3) ج / 6 - 463 : حتى يذهبوا ويروا وجه ، ويعرفوا ما تأثير رؤته - كانوا غافلين عن الأمر أغبياء ، وخرجوا جميعا من طمعهم .

حكاية

- وهذا يشبه ما فعله مغولي هنا محتال ، إذ قال : إنني أبحث عن شخص من المصريين .
- اجمعوا المصريين هذه الناحية ، حتى أعثر علي من أريد .

860 - وكان يقول عندما يأتي أحد : لا ليس هذا أدخل أيها السيد واجلس في هذا الركن .
- حتى تجمع الجميع بهذا الأسلوب ، فقطعوا رقابهم جميعا بهذه الحيلة .
- إنهم من شؤمهم ما كانوا يلبون داعي الله ، لو أن الأذان يدعوهم ليتضرعوا في الصلاة .
- ومع ذلك فقد أثرت الدعوة الماكرة فيهم ، وحذار من مكر الشيطان أيها الرشيد .
- فاستمع إلي أصوات الفقراء والمحتاجين ، حتى لا يأخذ صوت محتال بأذنيك .

865 - فإذا كان الشحاذون طامعين في طبعهم السوء ، فابحث في الشرهين عن صاحب قلب .
- وفي قاع البحر توجد الحجارة مع الدر ، وألوان الفخر موجودة بين ألوان العار .
- ومنذ الفجر تحرك بنو إسرائيل مسرعين نحو الميدان .
- وعندما حملهم إلي الميدان بالحيلة ، كشف لهم عن وجهه وهش لهم وبش .
- وأبدي لهم التعاطف ووهبهم العطايا ، وبذل ذلك الملك الهبات والوعود .

870 - ثم قال لهم : إن كنتم حريصين علي أرواحكم ، ناموا جمعيا في الميدان هذه الليلة .
- فأجابوه : سمعا وطاعة ، وإن أردت ، نبقي هنا شهرا .

عودة فرعون من الميدان إلى المدينة فرحا بتفريقه بين بني إسرائيل ونسائهم ليلة الحمل المرتقب

- وفي الليل عاد الملك قائلا “ لنفسه “ : الليلة هي ليلة الحمل المرتقب وهم بعيدون عن نسائهم .
- وكان خازنه عمران في خدمته ، وجاء إلى المدينة أيضا في صحبته .
- فقال له : يا عمران نم على هذا الباب ، وإياك أن تمضى إلى زوجتك أو تطلب وصلها .

875 - قال له : لأنم في بلاطك هذا ، ولا . فكر في شئ إلا في رضاك .
- كان عمران من بني إسرائيل ، ولكنه كان قلبا لفرعون وروحا .
- فمتى كان يجول في فكر فرعون أن يعصاه ، ويفعل ما كان فرعون يخافه أشد الخوف “ 1 “

جماع عمران مع أم موسى وحمل أم موسى عليه السلام

- ذهب الملك ، ونام عمران علي ذلك الباب ، وفي منتصف الليل جاءت زوجته لرؤيته .
- وسقطت المرأة عليه وقبلت شفتيه ، وأيقظته من نومه في ليلته تلك .

880 - فاستيقظ ورأي المرأة جميلة ، فأمطر بشفتيه شفتيها بالقبل .
- وسألها عمران : كيف أتيت في هذا الوقت من الليل ؟ فأجابت : من الشوق ومن قضاء الله .

....

(1) ج / 6 - 466 : كان مطمئنا إلى عمران وإلى أحواله ، لكن هذا في حد ذاته كان جزاءه - ومتى كان يجول في خاطر فرعون ، أن قدره كقدر عاد ثمود ؟ ! .

- فضمها الرجل إلي أحضانه حبا ، ولم يقاوم نفسه في تلك اللحظة .
- فجامعها وأودع الأمانة ، ثم قال ، أيتها المرأة ليس هذا بالأمر الهين .
- تصادم حديد مع حجر فولد نارا ، “ ولد “ نارا منتقمة من فرعون وملكه .

885 - فأنا السحاب وأنت الأرض وموسي البنات ، والحق هو ملك الشطرنج ونحن قطع ميتة فيه .
- واعلمي أن الخسارة والكسب من المليك أيتها العروس ، ولا تعديها منا ولا تخدعينا .
- وما كان فرعون يخشاه قد وقع بالفعل في تلك اللحظة التي صرت فيها زوجا لك .

وصية عمران لزوجته بعد الجماع
بأن تعتبر نفسها لم تره

- إياك أن تفضي هذا الأمر لأحد أو تنبسي عنه ببنت شفة ، حتى لا يصيبني ويصيبك مائة حزن .
- فسوف تبدو في النهاية اثار هذا الأمر ، عندما يحين حين الأمارات أيتها المحبوبة .

890 - وفي نفس الوقت ، ومن ناحية الميدان ، كانت صيحات الخلق تملأ الفضاء وتصل إليهما .
- وخوفا من تلك الأصوات قفز فرعون في تلك اللحظة حافيا صائحا : أي ضجيج هذا . . . حذار .
- أي صوت هذا من ناحية الميدان وأي ضجيج يهلع الجني والشيطان خوفا منه .

- فقال عمران : أطال الله عمر مليكنا ، وإن بني إسرائيل مسروررون منك .
- إنهم في مرح وسعادة من عطاء الملك ، فهم يرقصون ويصفقون .

895 - قال فرعون : ربما يكون الأمر هكذا ، لكن الوهم والفكر قد ملآني تماما

خوف فرعون من ذلك الصوت

- “ قال فرعون “ : إن هذا الصوت قد غير روحي ، وشيبني من الحزن والهم المرير .
- وأخذ يروح ويجيء طوال الليل كالحامل عندما يأيتها المخاض .
- وكان كل لحظة يقول : يا عمران ، إن هذه الأصوات قد اقتلعتني بشدة من مكاني .
- ولم تكن لدي عمران المسكين الجرأة لكي يقص عليه أمر مضاجعته لامرأته .

900 - وإن امرأة عمران قد دبت علي عمران حتى يظهر نجم موسي .
- وكل رسول توضع نطفته في الرحم ، يظهر نجمه علي الفلك .

ظهور نجم موسى عليه السلام في السماء
وصياح المنجمين في الميدان

- ظهرت نجمته تلك في السماء ، برغم فرعون ومكره واحتياله .
- طلع النهار فقال له : يا عمران اذهب وتحر عن هذا الضجيج والصياح .
- فأسرع عمران إلي الميدان وسأل : ماذا كان ذلك الصياح ؟ إن الملك لم ينم .

905 - كان كل منجم عاري الرأس ممزق الثياب يهيل التراب علي رأسه كأصحاب العزاء .
- كانت أصواتهم كمن هم في مأتم مخنوقة من صراخهم ونحيبهم .

- كانوا قد اقتلعوا شعورهم ولحيهم وخمشوا وجوهم وأهالوا التراب علي رؤوسهم وعيونهم ملأي بالدم .
- فقال : خيرا ، وما هذا الضجيج والعجيج ؟ ، إن سنة النحس تبدو من أماراتها السيئة .
- فاعتذروا قائلين : أيها الأمير ، إن يد تقديره قد جعلتنا أساري .

910 - ومع كل ما فعلناه لم يوات الحظ ، ووجد عدو الملك وانتصر .
- والليلة ظهرت نجمة ذلك الطفل عيانا علي جبين السماء بالرغم من أنوفنا .
- ظهر نجم ذلك النبي علي السماء ، أما نحن فصرنا نمطر الأنجم من عيوننا بكاء .
- وتقلب عمران سعيداً مسروراً لكن من النفاق أخذ يلطم وجهة صائحا : اه . . الفراق .
- وأبدي عمران نفسه مستشيط الغضب عبوسا ومضى كالمجانين بلا عقل أو وعي .

915 - وتجاهل الأمر “ الذي يدريه “ وانطلق في أقوال خشنة غليظة يصبها علي الجميع .
- تظاهر بالعبوس والحزن ، وأخذ يقول ما يخالف باطنه “ 1 “ .
- وقال لهم : هل خدعتم مليكي ؟ . . . ألم تمكروا طمعا وخيانة ؟
- وسقتم الملك نحو الميدان ، وأذهبتم ماء وجه مليكنا .
- لقد وضعتم أيديكم علي صدوركم ضامنين قائلين : إننا سوف نجعل مليكنا فارغا من الأحزان .

………………………………………………………
(1) حرفيا : لعب زهرات النرد بشكل مقلوب .

920 - وسمع الملك فقال : أيها الخونة ، لأصلبنكم جميعا بلا إمهال .
- لقد جعلت من نفسي أضحوكة ، وخسرت أموالي و " أنفقتها " علي الأعداء .
- حتى ابتعد بنو إسرائيل جميعاً عن نسائهم تلك الليلة .
- وضاع المال ، والكرامة ، ولم يتم الأمر ، أهذا هو العون وأفعال الكرام ؟
- ولسنوات وأنتم تأخذون الأرزاق والخلع ، وتنهبون الممالك وهي مسلمة لكم .

925 - وهكذا كان رأيكم ، والعلم ، والنجوم ، وأنتم أكلون بالمجان مكرة مشئومون .
- لأشنقنكم ولأضرمن فيكم النيران ، ولأقطعن أنوفكم وأذانكم وشفاهكم
- ولأجعلن منكم حطبا للنيران ، ولأجعلن سروركم السالف مرارة عليكم
- فسجدوا قائلين : أيها المليك ، إذا كان الشيطان قد تغلب علينا مرة واحدة .
- فقد قمنا لسنوات بدفع البلاء ، والأفهام حائرة من ذلك الذي قمنا به .

930 - لقد سبق السيف العذل " 1 " وحدث الحمل به ، وقفزت نطفته واستقرت في الرحم .
- لكن علي سبيل التعويض لهذا الأمر ، فلنتدارك يوم الميلاد أيها الملك وأيها العظيم .
- فلنترصد يوم ميلاده ، حتى لا يفوتنا ، ولا يظهر هذا القضاء .
- وإذا لم نتداركه اقتلنا ، يا من تكون الأفكار والعقل خدما لرأيك .
- ولتسعة أشهر ظل يعد الأيام يوماً بيوم ، حتى لا ينطلق السهم المهلك للخصوم .

935 - وكل من يغير علي القضاء بليل ، ينقلب ويأكل من دمه " 2 " .

....

(1) حرفيا : لقد فات الأمر .
(2) ج / 6 - 474 : عندما يغير المكان علي الامكان ، فإنه يفسك دم نفسه ويوقع نفسه في البلايا .

- وعندما تجعل الأرض من نفسها خصما للسماء ، تفور وتسرع نحو الموت .
- وعندما يجادل النقش النقاش ، فإنما يقتلع عبثا لحيته وشاربه .

دعوة فرعون للنسوة حديثات الوضع إلى الميدان مكراً

- وبعد تسعة أشهر أخرج الملك العرش إلي الميدان وأمر بأن ينادي ويكرر النداء .
- " أيتها النسوة ، أقبلن إلي الميدان مع أطفالكن الصغار ، واخرجوا يا بني إسرائيل كافة .

940 - وكما حدث من الرجال السنة الماضية ، وأخذوا الخلع ونال كل منهم الذهب .
- هيا أيتها النسوة فالإقبال لكن هذا العام ، حتى تجد كل منكن ما تتمني .
- سوف يخلع علي النساء الخلع ويصلهن ، ويضع علي رؤوس الأطفال القلانس الذهبية .
- وعلي كل من وضعت هذا الشهر أن تأتي لتأخذ الكنوز من الملك المكين .
- فخرجت النسوة مع الأطفال الصغار ، وجئن سعيدات حتى خيمة الملك .

945 - وخرجت كل امرأة وضعت حديثا من المدينة ، نحو الميدان غافلة عن المكر والقهر .
- وعندما تجمع النسوة جميعهن ، أخذوا كل مولود ذكر من أمه .
- وقطعوا رأسه قائلين : إن هذا من الحيطة ، حتى لا ينمو الخصم ولا يزيد التخبط .

مولد موسى ومجىء العسس إلى منزل عمران والوحي إلى أم موسى بأن تلقى به في النار

- كانت امرأة عمران التي حملت في موسي قد ابتعدت عن كل هذه الضجة والمعمعة .
- فأرسل هذا الماكر الخبيث الحواضن إلي البيوت من أجل التجسس .

950 - فنقلن إليه أن هناك طفلا ، ولم تأت به أمه إلي الميدان من خوفها وشكها .
- ففي حارة كذا امرأة حسناء لديها طفل لكنها شديدة الذكاء .
- وجاءها العسس لكنها ألقت بالطفل في التنور بأمر من الله .
- هكذا أوحي إلي هذا المرأة حتى تصبح علي علم أن هذا الوليد من نسل الخليل .
- ولديه عصمة أمره تعالي" يا نارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً "، فلا تكون النار عليه حراً شارداً .

955 - فألقت به المرأة في النيران ، ولم تؤثر النار علي بدن موسي .
- وعاد العسس خائبين عن ذلك المكان ، لكن الجواسيس الذين علموا بالأمر .
- أخبروا العسس بما حدث أمام فرعون من أجل بضعة دوانق .
- فقال لهم : عودوا أيها العسس إلي ذلك المكان ، وفتشوا جيداً في الغرف .الوحي إلى أم موسى بأن تلقى موسى في اليم
- ثم جاءها الوحي أن ألقيه في اليم ، وكوني راجية في الله ولا تمزقي شعرك .

960 - ألقيه في النيل وثقى في الله ، وسوف أجعلك تلتقين به عزيزا وضاء " 1 " .
- وهذا الكلام لا نهاية له ، فإن مكر فرعون كان كله يلتف حول ساقيه وقدميه .
- كان يقتل ألاف الأطفال في الخارج ، وموسي في الداخل متصدرا الدار .
- ومن جنونه كان يقتل كل " 2 " طفل حيثما يكون ، من احتياله ، ذلك الأعمي حاد البصر .
- كان كالأفاعي مكر فرعون العنود ، ابتلعت مكر كل ملوك الدنيا .

965 - لكن ظهر من هو أكثر " فرعونية " منه ، ابتلعه وابتلع كل مكره .
- كان أفعي وصارت العصا أفعي ، وأكلت هذه الأفعي تلك الأفاعي بتوفيق من لله .
- ويد تصير أعلي من يد . . . إلي أين ؟ إلي الله إذ إن إليه المنتهي ،
- فإن ذلك البحر الذي بلا غور ولا شاطىء ، تكون كل البحار أمامه كالسيل
- وإذا كانت الحيل وأنواع المكر أفاعي ، فهي كلها أمام "إلا لله" كأنها كلمة "لا" .

970 - وعندما وصل بياني إلي هذا الحد طأطأ رأسه وانمحي والله أعلم بالرشاد .
- وكل ما هو في فرعون موجود فيك أنت ، لكن أفاعيك حبيسة جب .
- وا أسفاه ، فإن أحوالك كلها سوف تضعها علي كاهل فرعون ذاك " 3 " .
- فلو تحدثوا عنك سوف يتولد لديك الخوف ، ولو تحدثوا عن اخر سوف

....
(1) ج / 6 - 487 : فألقت به أمه في النيل ، وسلمت أمرها إلي نعم الوكيل .
(2) في النص : جنين .
(3) ج / 6 - 487 - وكل ما قلتة هو أحوالك ، بل أنني لم أقل واحداً في المائة مما هي عليه .

يبدو لك الأمر وكأنه أسطورة .
- وكم تقوم بالتخريب داخلك هذه النفس اللعينة ، ويلقي بك هذا القرين بعيدا جداً .

975 - وليس لنارك حطب فرعون ، وإلا لصارت مثل فرعون ناشرة للهب “ 1 “ .

حكاية صياد الحيات الذي ظن أن الأفعى المتجمدة ميتة
وربطها بالحبال وأحضرها إلى بغداد

- استمع إلي حكاية من راوي التاريخ ، حتى تعرف نذرا يسيراً من هذا السر الخفي .
- ذهب صياد الحيات إلي مكان جبلي ، لكي يصيد الحيات بتعاويذه .
- وإن يكن بطيء الخطا أو سريعها ، فإن من جد وجد .
- فاسع في الطلب دائما بكلتا يديك ، فإن الطلب في الطريق هو خير دليل .

980 - حتى ولو كنت أعرج معوجا مائل الشكل بلا أدب ، أسع نحوه دائما وداوم علي طلبه .
- حينا بالقول وحينا بالصمت وحينا بالشم ، تنسم رائحة المليك من كل صوب .
- وهكذا قال يعقوب لأولاده : تحسسوا عن يوسف بما يزيد عن الحد .
- وليعمل كل منكم حسه في هذا الأمر بجد ، وليكن علي كل ناحية في شكل مستعد .
- وقال أيضا : لا تيأسوا من روح الله ، فامض أنت أيضا من ناحية إلي أخري كمن ضاع ابنه .

....
(1) ج / 6 - 487 : وليس لمستوقد نفسك قش ، وإلا كانت ناشرة للهب كفرعون .

985 - اسألوا عن الطريق بحس الفم ، وأرهفوا السمع علي مفترق الطرق .
- وحيثما تفوح رائحة طيبة شموا ، وسيروا نحوها فأنتم عارفون بذلك العالم .
- وحيثما تري لطفاً من أحد ، اسع في الطريق نحو أصل اللطف لعل وعسي .
- وكل هذه الطيبات من البحر العميق ، فاترك الجزء واتجه نحو الكل .
- وحروب الخلق من أجل الحسن “ في الدنيا “ ، والقدرة علي الاستغناء من أمارات طوبي .

990 - وغضب الخلق يكون من أجل الصلح ، وفخاخ الراحة دائما ما تكون بلا راحة .
- وكل عقاب يكون من أجل الإكرام ، وكل عتاب يقرن بالشكر .
- فانقل تنسمك الرائحة من الجزء إلي الكل أيها الكريم ، واجعل تنسمك الرائحة من الضد إلي الضد أيها الحكيم .
- فإنها الحروب هي التي تؤدي إلي السلام حقا ، وصياد الحيات بحث عن الحيات من أجل العون علي المعيشة .
- والإنسان يبحث عن الحية من أجل العون ، ويعاني الهم من أجل قرين فارغ من الهم .

995 - كان “ الصياد “ يبحث عن حية ضخمة حول الأماكن الجبلية أيام الثلج .
- فرأي أفعي ضخمة ميتة في ذلك المكان ، بحيث ملىء قلبه رعبا من شكلها .
- كان صياد الحيات ذات شتاء قارس البرودة يبحث عن حية فرأي أفعي متجمدة .
- وصياد الحيات من أجل إدهاش الخلق ، يصيد الحيات وهذا هو جهل الخلق .

- والإنسان كالجبل فكيف يصير مفتونا ؟ وكيف يصير الجبل مندهشا من أجل حية ؟

1000 - فالآدمي المسكين لم يعرف نفسه ، بدأ من الزيادة وأخذ في النقصان .
- وباع الإنسان نفسه رخيصة ، كان أطلس فخاط “ نفسه “ علي خرقة .
- ومئات الآلاف من الحيات والجبال حائرة فيه، فكيف صار هو مندهشا محبا للحيات؟
- فأخذ صياد الحيات هذه الأفعي ، وجاء بها إلي بغداد ليدهش بها الناس .
- أخذ يجر أفعي كأنها عماد البيت من أجل أن ينصب حلقة للعب .

1005 - مناديا : لقد أتيت بأفعي ميتة ، وكم تحملت من المشاق في صيدها .
- كان يظنها ميتة لكنها كانت حية ولم يدقق فيها النظر .
- كانت قد تجمدت من البرودة والثلج ، كانت حية لكنها كانت تبدو ميتة .
- وهناك عالم متجمد واسمه الجماد ، والجماد يكون متجمدا أيها الأستاذ .
- فانتظر حتى تسطع شمس الحشر عيانا ، لكي تري حركة جسم العالم .

1010 - ولما كانت عصا موسي قد انقلبت إلي حية هنا ، فقد أخبرت العقل عن الأمور الساكنة .
- وما دام قد سوي من قطعة من التراب بشرا ، ينبغي عليك أن تعرف التراب بأجمعه .
- فهم موتي في هذه الناحية “ الدنيا “ أحياء في تلك الناحية “ عالم المعني “ ، وهم صامتون هنا متحدثون هناك .

- وعندما يرسلهم إلينا من تلك الناحية ، تصير تلك العصا عندنا حية .
- وتغني الجبال ألحانا داودية ، ويصير الحديد شمعا في الكف .

1015 - وتصير الرياح حاملة لسليمان ، ويتحدث البحر مع موسي ،
- ويكون القمر مرسلا الإشارات إلي أحمد ، وتصبح النار بالنسبة لإبراهيم كزهور النسرين .
- ويبتلع التراب قارون وكأنه حية ، ويثوب الجذع الحنان إلي رشده .
- ويسلم الحصي علي أحمد ، وينقل الجبل الرسالة إلي يحيي " 1 " .
- وكلها كأنها تقول : نحن سميعون وبصيرون وطيبون ، لكننا معكم يا من لم يسمح لكم بالسر صامتون .

1020 - وما دمتم تسيرون نحو جماد ، فكيف يصير مسموحا لكم بروح الجماد ؟
- فامضوا من الجماد إلي عالم الأرواح ، لكي تسمعوا ضجيج أجزاء العالم
- ويأتينك تسبيح الجماد عيانا ، ولا تتخطفك وساوس التأويل .
- وما دامت القناديل لم تلق بنورها علي روحك ، فقد تأولت كثيراً في موضوع " الرؤية " " 2 " .
- قائلا : متي يظهر غرض هذا التسبيح ؟ إن دعوي الرؤية من خيال الغي

1025 - بل إن الناظر إلي هذا الجماد ، يعتبر فيقوم بالتسبيح .
- ومن ثم فما دام " الجماد " يدفعك إلي التسبيح ، فإن هذا الأمر يتخذ علي أنه هو الذي قام بالتسبيح .
- وهذا هو تأويل أهل الاعتزال ، ومن لم يكن لديه قبس من نور الحال .

....

(1) / 6 - 498 : وكل ذرات العالم في الخفاء تحدثك ليل نهار .
(2) ج / 6 - 498 : وكانت دعوي الرؤية عاراً ، إنها بالنسبة للناظر كجدار - إذن فما دام (الجماد) يعلمك التسبيح تكون هذه الدلالة كالقول .

- وما لم يخرج الإنسان عن " قيود " الحس ، يكون عاجزا عن " إدراك " الصور الغيبية .
- وهذا الكلام لا نهاية له ، فصياد الحيات أخذ في جر تلك الحية بمشقة شديدة .

1030 - حتى جاء إلي بغداد ذلك الباحث عن تجمع الناس ، وذلك لكي ينصب حلقة علي مفارق الطريق .
- وعلي الشاطئ نصب الرجل حلقته ، فوقعت ضجة في مدينة بغداد .
- " وطير الخبر " بأن صيادا قد جاء بأفعي ، وأنه صاد صيداً عجيبا نادراً .
- وتجمع مئات الآلاف من السذج ، فصاروا صيداً له كما تحول هو إلي صيد من حمقه .
- كانوا منتظرين كما كان هو منتظرا ، حتى تجمع الخلق المتفرقون .

1035 - وعندما يزداد الناس عددا في الحلقة ، فإن التكدي والارتزاق يكون أفضل .
- تجمع مئات الآلاف من الهازلين ، وتحلقوا ملتصقين .
- فلم يكن لرجل علم بامرأة من الازدحام ، واختلطا معا كيوم القيامة ، الخاص والعام .
- وعندما كان يحرك الغطاء الذي كان يغطيها به ، كان الجمع المتحلق يشرئبون بحلوقهم .
- والأفعي التي كانت قد تجمدت من الزمهرير ، وكانت تحت مائة نوع من الخرق والأغطية .

1040 - وكان قد شد وثاقها بحبال غليظة ، واحتاط للأمور ذلك الحويط .
- وفي فترة الانتظار وتجمع " الناس " ، سطعت فوق تلك الأفعي شمس العراق .

- وأدفأتها شمس المناطق الحارة ، فذهبت عن أعضائها أخلاط البرودة .
- كانت ميتة فبعثت حية من الانتظار ، وأخذت الأفعي تتلوي حول نفسها .
- ومن تحرك هذه الحية الميتة تضاعف عجب الخلق أضعافا مضاعفة .

1045 - ومن شدة دهشتهم جأروا بالصراخ ، ومن حركتها أخذوا جميعا في الفرار .
- كانت تقطع القيود بصوت مهول ، وكانت تتحرك في كل صوب مصلصلة بقيودها .
- وقطعت القيود وخرجت من تحت الأغطية ، أفعي قبيحة ذات فحيح كأنه " زئير " الأسد .
- وقتل كثير من الخلق عند تقهقرهم ، ومن الذين سقطوا قتلي تكدس مائة قتيل .
- وتجمد صياد الحيات من الخوف في مكانه . قائلا : ما الذي أتيت به من الجبل والخلاء ؟

1050 - لقد أيقظت تلك الشاه العمياء الذئب ، وسعت البلهاء إلي حتفها بظلفها .
- وابتلعت الأفعي ذلك الأبله دفعة واحدة ، ومن السهل علي " الحجاج " سفك الدماء .
- ولفت نفسها علي جذع وشدت ، فدقت عظامه الهشة ثم ابتلعته " 1 " .
- والنفس أفعي ، فمتي ماتت ؟ لقد تجمدت هما من انعدام المكنة .
- ولو - كان - فرعون - قد و - جد المكنة والوسيلة ، لما - جري الماء في النهر إلا بأمره .

....
(1) ج / 6 - 498 : وخلت المدينة ، وتحركت الأنعي نحو الجبل ، وهي تثير في سيرها الغبار من الصحراء .

1055 - وكل من يضع الأساس لبناء فرعوني ، فإنه يقطع الطريق علي مائة من " أمثال " موسي وهارون .
- وتلك الأفعي لم تكن سوي دودة قز ، ومن المال والجاه تتحول البعوضة إلي صقر .
- فلتحتفظ بالأفعي في جليد الفراق ، وإياك أن تجرها إلي شمس العراق .
- وما دامت هذه الأفعي متجمدة ، فإن فريستها تنجو كما تنجو هي نفسها أيضا .
- فاقتلها وكن امنا من القتل ، وإياك أن ترحمها فهي ليست من أهل الصلة .

1060 - فإن حرارة الشمس تلك تؤجج الشهوة ، ويحلق خفاشك التافه بجناحيه - فداوم علي جذبها إلي الجهاد وإلي القتال ، كما يفعل الرجل والله يجزيك الوصال .
- وعندما أتي ذلك الرجل بالأفعي ، صارت في الجو الحار الحسن شيطانا مريداً .
- فلا جرم أنها أحدثت من الفتن أيها العزيز قدر ما قلناه عشرين مرة .
- وأنت لا زلت تطمع أن تقيدها في الوقار والوفاء وذلك بلا جفاء ؟

1065 - ومتي يصل كل خسيس إلي هذه الأمنية ؟ ينبغي أن يوجد موسي حتى يقتل الأفعي .
- إن مئات الألوف من الخلق قد قتلوا عند تقهقرهم من أفعاه وهذا من رأيه " 1 " .

تهديد فرعون موسى عليه السلام

- قال له فرعون : لماذا أيها الكليم قتلت الخلق وأوقعت فيهم الرعب .
- وعند فرارهم سقط الخلق خوفا منك ، وعند فرارهم قتل الخلق من سقوطهم بعضهم فوق بعض منزلقين .

....
(1) ج / 6 - 50 : ومن الطمع ذري هو نفسه أدراج الرياح ، وقد قيل هذا والله أعلم بالسداد .

- فلا جرم أن الناس قد اعتبروك عدوا ، ووقر الحقد عليك في قلوب الرجال والنساء .
1070 - وكنت تدعو الناس إليك وانقلب الأمر إلي عكسه ، ولا بد للناس من مخالفتك .
- وأنا أيضا وإن كنت أعاني من شرك ما أعاني ، فإنني عقابا لك أدبر لك أمرا .
- فاصرف عن قلبك أنك تستطيع خداعي ، أو أن أحداً ، سوف يتبعك ، اللهم إلا ظلك .
- ولا تغتر بما صنعت ، أو أنك أوقعت الرعب في قلوب الخلق .
- فهات أضعاف ما أتيت به ، وتفتضح ، تذل وتصير أضحوكة للغوغاء .

1075 - فقد كان هناك كثير من المشعوذين والمحتالين أمثالك ، وفي النهاية افتضحوا في مصرنا .

جواب موسى على فرعون وعلى ما هدده به

- قال له - موسي : لا إشراك - عندي مع أمر الحق ، و - لو سفك أمره دمي - فلا ضير .
- فأنا راض وأنا شاكر أيها الخصم ، أن أكون مفتضحا هنا لكني شريف أمام الحق .
- وأن أكون أمام الخلق ذليلا محقراً موضع سخرية ، وأن أكون أمام الحق محبوبا ومطلوبا ومحموداً .
- إنني أبدي هذا قولا وإلا فإن الله سوف يجعلك أنت من المفتضحين غداً .

1080 - فالعزة له ولعبيده ، وأتل من نبأ ادم وإبليس اية ذلك .
- وإن شرح " آيات " الحق كالحق بلا نهاية ، فهيا أغلق فمك ، واشرع في كلام غير هذا " 1 " .

....
(1) حرفيا : اعبر هذه الأوراق .

جواب فرعون على موسى عليه السلام

- قال له فرعون : إن الكلام كله “ 1 “ مسير بحكمنا ، والدفتر وديوان الحكم الآن لي .
- وقد اختارني أهل الدنيا ، فهل أنت أعقل منهم يا هذا ؟ ! - يا موسي لقد أصبت بالعجب بنفسك فامض ، وكفاك غرورا ولا تغتر بنفسك .

1085 - ولأجمعن لك سحرة الدهر ، حتى أبدي جهلك للمدينة .
- ولن يتم هذا في يوم أو يومين ، بل أمهلني حتى أربعين ، أي إلي تموز وشدة الحر .

جواب موسى عليه السلام على فرعون

- قال موسي : لا إذن لي بذلك ، وأنا عبد ولست مأمورا بإمهالك .
- فإذا كنت قويا وأنا بلا رفيق ، فأنا عبد لأمره تعالي ولا شأن لي بما تريد .
- ولأقاتلنك بكل ما وسعني ما دمت حيا ، وما شأني بانتصاري وأنا عبد .

1090 - فلأقاتل حتى يصلني أمره تعالي ، وهو الذي يفصل بين كل خصمين .

جواب فرعون على موسى ونزول الوحي على موسى عليه السلام

- قال فرعون : لا . . لا ، ينبغي أن تمنح المهلة ، وكفاك خداعا وقلل من هذر الكلام .
- فأوحي الله تعالى إليه في التو واللحظة أن أعطه المهلة واسعة ولا تخش منها .
- أعطه الأربعين يوماً مهلة طوعاً ، حتى يفكر في ألوان المكر لونا لونا .
- وحتى يسعي هو فلست بنائم ، وقل له : جد في السير فقد أخذت أنا أول الطريق .

....
(1) حرفيا : الأوراق .

1095 - وسوف أحبط حيلهم جميعاً ، وكلما زادوا فيها جعلتها قليلا .
- ليأتوا بالماء فأجعله نارا ، وليأخذوا العسل والشهد ولأجعلنه مرا .
- ليعقدوا الود ولأقم بنقضه ، ولأفعلن كل ما لا يأتي لهم في وهم .
- ولا تخف أنت وأعطه مهلة مطولة ، قل له : أجمع جيشك وقم بمئات الحيل .

إمهال موسى لفرعون حتى يجمع السحرة
من المدائن

- قال له موسي : لقد جاء الأمر فاذهب والمهلة لك ، وأنا ذاهب إلي مكاني فقد تخلصت مني .

1100 - وطفق يسير والأفعي في أثره ، كأنها كلب الصياد مدربة ومطيعة .
- مثل كلب الصياد مبصبصة بذنبها ، تجعل الحجارة رملا تحت أقدامها .
- وتبتلع الحجارة والحديد في لحظة واحدة ، وتبدي الحديد في فمها وهي تمضغه .
- تمد جسدها في طباق الجو فتكون أعلي من البرج ، حيث يفر منها " هلعا " الروم والكرج .
- وتلقي بالزبد كأنها البعير الهائج ، وكلما سقطت قطرة من زبدها علي أحد أصابه الجذام .

1105 - وكان صرير أسنانها يحطم القلوب ، وتضيع منها أرواح الأسود السوداء
- وعندما وصل إلي قومه ذلك المجتبي ، أمسك بشدقها فانقلبت ثانية إلي عصا .
- فاتكأ عليها وقال : واعجباه ، هي بالنسبة لنا شمس وبالنسبة للخصم ليل .
- واعجباه إذ لم ير هذا الجيش ، عالما مليئا بشمس الضحي .
- العين مفتوحة والأذن مفتوحة وهذه ذكاء ، كم أنا حائر من الغشاوة التي وضعها الله علي العيون .

1110 - أنا حائر منهم وهم حائرون مني ، ومن ربيع واحد هم شوك وأنا زهر فل - وقد حملت إليهم كثيراً من كئوس الرحيق ، فصار ماؤهم خمرا هذا الفريق .
- جمعت لهم باقات الورد وقدمتها لهم ، صارت كل وردة كالشوك وصار العسل وخزا .
- لكنها من نصيب أرواح من سلبوا نفوسهم ، ومتي تبدو عيانا لأولئك الذين يحسون بذواتهم .
- ينبغي أن يكون المرء نائما مستيقظا أمامنا ، حتى يري الأحلام في اليقظة .

1115 - لقد صار فكر الخلق عدوا لهذا الحلم الجميل ، فالحلق مسدود ما لم ينم الفكر " في الذات " .
- وتنبغي حيرة حتى تكنس الفكر ، فإن الحيرة هي التي تبتلع الفكر والذكر .
- وكل من يكون كاملا في الفضل ، يكون بالمعني مؤخرا وإن بدا بالصورة أكثر تقدما .
- لقد قال : " راجعون " والرجوع يكون علي هذا النسق ، أن يعود القطيع ويمضي نحو المنزل .
- وعندما يعود القطيع من الورود ، يتقهقر ذلك الماعز الذي يكون مرشد القطيع .

1120 - ويتقدم هذا الماعز الأعرج الذي كان في المؤخرة ، وتضحك الرجعي وجوه العابسين .
- ومتي صار هؤلاء القوم عرجا جزافا ، فأعطوا الفخر واختاروا العار . ؟

- يمضي هؤلاء القوم إلي الحج محطمي الأقدام ، ومن الحرج طريق خفي إلي الفرج .
- وهذا الفريق محا " العلوم " من القلوب ، وذلك لأن هذه العلوم لا تعرف هذا الطريق .
- إذ تنبغي " علوم " يكون أصلها من تلك الناحية ، لأن كل فرع دليل إلي أصله .

1125 - ومتي يطير كل طائر فوق عرض البحر ، حتى يأخذ العلم من جهة " العلم اللدني " .
- إذن لماذا تعلم أحداً علما ينبغي أن يمحي من صدره ؟
- ومن هنا : لا تبحث عن القدم في هذه الناحية وكن أعرج ، وعند الرجعة كنت أنت قائد القطيع .
- وكن أيها الأريب من الآخرين السابقين ، إذ تكون الفاكهة اللذيذة سابقة علي الشجرة .
- وبالرغم من أن الثمرة تظهر اخرا في الوجود ، فهي الأولي لأنها هي المقصودة .

1130 - وكن كالملائكة وقل :لا عِلْمَ لَنا، حتى تأخذ بيدك عَلَّمْتَنا.
- ولو أنك لا تعرف الهجاء في هذه المدرسة ، فإنك تصبح مثل أحمد تمتلئ بنور الحجي .
- وعندما لا تكون مشهوراً في البلاد ، فلست بالقليل والله أعلم بالعباد .
- وتلك الخرابة التي لا تكون معروفة ، تكون من أجل حفظ كنوز الذهب .
- ومتي توضع الكنوز في الأماكن المعروفة ، من هنا كان الفرج في التعب .

1135 - والخاطر يأتي بالشبه كثيراً في هذا الموضع ، لكن الدابة القوية تقطع العقال .

- وعشقه نار محرقة للعقال ، ونور النهار يمحو كل خيال .
- واطلب الجواب أيها المرتضي من نفس ذلك المكان الذي جاءك منه السؤال .
- والقلب الذي لا زاوية له زاويته طريق شديد الاتساع ، ونوره من قمر لا شرقي ولا غربي .
- وأنت كالشاذ من التردد بين هذه الناحية وتلك الناحية ، فيا جبل المعني أي بحث لك عن الصدي .

1140 - وليكن طلبك من تلك الناحية ففي أوان ألمك ، تصبر وأنت ذاكر " بياربي " منحنيا .
- فعند الألم والموت تنادي تلك الناحية ، وعندما مضي أملك كيف حالك ؟ أخرس وأصم .
- ففي وقت المحنة لا تفتأ تنادي يا الله ، أتنادي عندما تمضي المحنة أين الطريق ؟ " 1 " .
- لقد تأتي هذا مع أن كل من عرف الحق فهو بلا شك مقيم عليه .
- وكل من حجابه من العقل والوهم ، أحيانا محجوب وأحيانا ممزق الجيب .

1145 - والعقل الجزئي حينا منتصر وحينا منقلب ، والعقل الكلي امن من ريب المنون .
- فبع العقل والفضل واشتر الحيرة ، وامض نحو الذلة لا إلي بخاري أيها الابن " 2 " .
- فكيف انغمسنا نحن في الكلام ، صرنا من حكاية حكاية .
- إنما أنمحي وأصير عدما في أنيني ، حتى أجد التقلب في الساجدين .

....

(1) ج / 1 - 637 : وفي زمان الحزن والألم تذكره ، وعندما يمضي تغفل ؟
(2) ج / 1 - 638 - حتى تجد بخاري أخري في داخلك ، الساكنون في محفلها (لا يعقلون) .

- وهذه ليست حكاية أمام رجل العمل ، هي وصف حال وهي حضور صديق الغار .

1150 - و " أساطير الأولين " تلك التي تفوه بها ذلك العاق بالنسبة لكلمات القران كانت من اثار النفاق .
- واللامكان هو الذي فيه نور الله ، ومن أين له " ألفاظ " الماضي والمستقبل والحال؟
- وإن ماضيه ومستقبله أمران بالنسبة لك ، وكلاهما شيء واحد وإن خلته اثنين ! !
- وشخص واحد يكون بالنسبة لأحد أب وبالنسبة لنا ابن ، والسقف تحت زيد ويكون (فوق) " بالنسبة لعمرو " .
- والفوق والتحت بالنسبة لهذين الشخصين ، أما السقف بالنسبة " له " فهو سقف فحسب .

1155 - وليس هذا الكلام بمثل أنه مثال ، فالألفاظ القديمة قاصرة عن التعبير عن المعاني الجديدة .
- وما دام شاطىء الجدول ليس موجودا فضم شفتيك أيتها القربة ، فبلا شاطىء ولا ساحل كان بحر السكر هذا " 1 " .

إرسال فوعون إلى المدائن في طلب السحرة

- عندما عاد موسي وبقي فرعون ، استدعي أمامه أهل الرأي والمشورة . " 2 "
- وتشاوروا قائلين : إن لدينا من السحرة من كل واحد منهم إمام في سحره فرد "3".
- وهكذا رأوا أن يجمعهم ملك مصر وصرافها من أطراف البلاد .

....

(1) ج / 6 - 638 : وهذا الكلام لا نهاية له فعد ، نحو فرعون المتكبر لنر ماذا فعل ؟

(2) ج / 7 - 102 : (محمد تقي جعفري - تفسير ونقد وتحليل مشنوي جلال الدين محمد مولوي قسمت دوم از دفتر سوم - ط 11 تهران ربيع 1367 - فيما بعد : ج / 7) - واجتمعوا وأصروا ، عرض كل منهم راية - وفي النهاية قال هامان الدني - وأبدي رأيه وولِه قائلا : أيها الملك المظفر زاد الغم وينبغي أن تجمع السحرة سريعا .

(3) هذا البيت من إضافات نسخة استعلامي .

1160 - وفي التو واللحظة أرسل كثيراً من الرسل إلي كل جهة من أجل جمع السحرة .
- وحيثما كان ساحر مشهور ، أنفذ إليه سريعاً عشرة من الرسل .
- وكان هناك شابان ساحران مشهوران ، كان سحرهما ينفذ إلي قلب القمر - كان مشهوراً عنهما أنهما حلبا من القمر لبنا ، وأنهما في أسفارهما كانا يركبان دنا .
- وأبديا ضوء القمر كأنه قماش الكرباس ، وقاساه وباعاه سريعاً .

1165 - وقبضا الثمن ثم أفاق المشتري ، وأخذ يلطم وجهه بيديه حسرة .
- ومئات الآلاف من أمثال هذا السحر ، كانا مبتكرين فيها ، ولم يكونا كالمقلدين .
- وعندما جاءتهم تلك الرسالة من الملك ، " قائلين لهما " : إن الملك يطلب منكما حلا .
- ذلك أن رجلين من الدراويش قد جاءا ، ونصبا حلقتهما علي الملك وعلي قصره .
- وليس معهما إلا عصا ، تتحول بأمره إلي أفعي .

1170 - وقد صار الملك والعسكر بلا حيلة ، وضاق الجميع ذرعا بهذين الشخصين .
- وينبغي أن يكون هناك حل بالسحر ، حتى ينجو بروحه من هذين الشخصين .
- وعندما نقلت الرسالة لهذين الساحرين ، تنازع قلب كل منهما الرعب والإعجاب .
- وعندما أخذ عرق المجانسة في الحركة ، وضع كل منهما رأسه فوق ركبته متفكراً .
- لأن الركبة هي مدرسة الصوفي ، والركبتان ساحرتان في حل المشاكل .

نداء هذين الساحرين لوالدهما من القبر وسؤالهما روحه عن حقيقة موسى عليه السلام

1175 - ثم قالا : تعالي يا أمنا . . أين قبر أبينا ، كوني دليلنا إليه .
- فاصطحبتهما إلي القبر وأرشدت عن الطريق ، وكان أمامهما ثلاثة أيام ليلحقا بالملك .
- فقالا : يا أبانا إن الملك قد أرسل إلينا رسالة “ تبدي “ خوفه وقلقه .
- وأن رجلين قد ضايقاه أشد الضيق ، وأراقا ماء وجهه أمام العسكر .
- وليس معهما سلاح أو جند ، “ ليس معهما “ إلا عصا فيها الشر والفتنة .

1180 - لقد مضيت أنت إلي عالم الصادقين ، بالرغم من أنك في الظاهر قد رقدت تحت التراب .
- وإذا كان هذا سحرا فأخبرنا ، وإذا كان أمرا إلهيا أيها الأب الحبيب .
- فأخبرنا أيضا حتى نسجد وحتى نعرض نفسينا علي الكيمياء (الإلهية) .
- فنحن قانطان وقد وصل الأمل ، ونحن مطرودان والكرم يدعونا .

جواب الساحر الميت على ولديه

- فصاح “ 1 “ : يا ولديّ الحبيبين ، إن الجواب صراحة علي هذا الأمر مرهون بشيء .

1185 - فلست مأذونا بأن أجيب علي الأمر صراحة وعلي الإطلاق ، لكن السر ليس بعيداً عن عيني .
- لكني أبدي لكما أمارة حتى يصير هذا السر مكشوفا لكما .
- يا نور عيني ، عندما تذهبان إلي ذلك الموضع ، اعلما أين ينام .
- وعندما ينام هذا الحكيم ، اقصدا تلك العصا ودعكما من الخوف .

....
(1) ج / 7 - 107 : قال لها في النوم يا ولدي ، ليس من الممكن الحديث في هذا ظاهرا .

- فإذا سرقتماها واستطعتما ذلك فهو ساحر ، وحيلة الساحر موجودة لديكما .

1190 - وإن لم تستطيعا فالحذر الحذر فهذا أمر إلهي ، وهو رسول من ذي الجلال ومهتد .
- ولو أن الدنيا ملأي بالفراعين من شرقها إلي غربها ، فسوف يقلبها الله عندما تستعر الحرب .
- وقد أعطيتكما هذه الأمارة الصادقة يا روح أبيكما ، فاكتباها والله أعلم بالصواب .
- يا روح أبيكما عندما ينام الساحر لا يكون لسحره ومكره موجه .
- وعندما ينام الراعي يطمئن الذئب ، وعندما ينام الساحر يسكن جهده .

1195 - لكن الحيوان الذي يرعاه الله ، من أين يكون للذئب رجاء فيه وطريق إليه ؟
- فالسحر الذي يقوم به الله حق وصدق ، ومن الخطأ أن يسمي الله بالساحر .
- وهذا برهان قاطع يا روح أبيكما ، وحتى إذا مات فالحق رافعه .

تشبيه القرآن المجيد بعصا موسى ووفاة المصطفى عليه السلام بنوم موسى والقاصدين تغيير القرآن بابنى الساحر اللذين قصدا سرقة العصا عندما وجدا موسى نائما

- لقد وعد اللطف الإلهي المصطفى قائلا : إذا مت أنت فلن يموت هذا الدرس
- فأنا رافع لكتابك ومعجزتك ، وحائل دون من يزيد في القرآن أو ينقص منه .

1200 - أنا حافظك في الدارين ، ورافض للطاعنين في حديثك .
- ولن يستطيع أحد أن يزيد فيه أو ينقص منه ، فلا تطلب حافظا أخر خيراً مني .
- ولأزد من رونقك يوماً بعد يوم ، ولأضرب اسمك علي الذهب وعلي الفضة .
- ولأضع من أجلك منبرا ومحرابا ، ومحبة لك صار قهري هو قهرك .
- إنهم يذكرون اسمك الآن في السر خوفا ، وعندما يصلون يتخفون .

1205 - ورعبا وخوفا من الكفار الملاعين يتخفي دينك تحت الأرض .
- لكني سوف أملأ الآفاق بالمأذن ، وأصيب بالعمي عيني من ينكر هذا
- ويستولي أتباعك علي المدن ويزدادون جاها ، وينتشر دينك من الآفاق إلي الآفاق .
- وسوف أبقيه أنا حتى تقوم الساعة ، فلا تخف من نسخ الدين أيها المصطفى .
- يا رسولنا لست ساحرا ، أنت صادق ورفيق لموسي في الخرقة .

1210 - والقران بالنسبة لك كالعصا بالنسبة له ، يبتلع الكفر وكأنه الأفعي .
- وأنت وإن نمت تحت التراب ، اعتبر ما قلت كأنه عصاه .
- فليست للقاصدين قدرة علي عصاه ، فنم أنت أيها المليك نوم العافية .
- فالجسد نائم ونورك علي افاق السماوات ، قد شد قوسه من أجل الدفاع عنك .
- والمتفلسف وكل من يطعن فيه ، يصمي بسهم من قوس نورك .

1215 - وكذلك فعل وفوق ما قاله ، فقد نام “ المصطفى “ لكن حظه وإقباله لم ينما .

- " وواصل الساحر الأب " : يا روح أبيكما : إذا نام الساحر ، يصير أمره بلا رونق أو قدرة .
- وقبل كلاهما القبر ومضيا نحو مصر من أجل هذا الصراع المرير .
- وعندما قدما إلي مصر من أجل هذا العمل طلبا موسي ومنزله .
- واتفق أنه في يوم مجيئهما ، كان موسي نائما في ظل نخلة .

1220 - ثم دلهما الناس عليه ، قائلين لهما : امضيا فابحثا عنه عند هذا النخيل .
- وعندما أتيا أبصرا في ظلال النخيل نائما كان هو نفسه " يقظ " الدنيا .
- أغلق إكراما عينيه اللتين في رأسه ، لكن العرش والفرش كليهما كانا تحت ناظريه .
- وما أكثر أيقاظ العيون نيام القلوب ، وأي شيء تراه حقا عيون الماء والطين ؟
- وذلك الذي يكون قلبه يقظا ، إذا نامت منه عين الجسد يتفتح فيه مائة بصر .

1225 - وإذا لم تكن من أهل القلب فكن يقظا، كن طالباً للقلب وجاهد "من أجل هذا" .
- وإذا استيقظ قلبك فنم هنيئا ، فليس نظرك غائبا من " السماوات " السبع والجهات الست .
- فقد قال الرسول عليه السلام " تنام عيني " ، لكن متي ينام قلبي ويأتيه الوسن ؟
- فافترض أن الملك يقظان وإن كان الحارس نائما ، ألا فلتكن الروح فدي للنائمين ذوي القلوب البصيرة .
- ووصف يقظة القلب أيها المهتم بالمعاني ، لا تستوعبها آلاف من الكتب المسماة بالمثنوي .

1230 - وعندما رأياه كان قد نام ممدداً ، فاحتالا من أجل أن يسرقا العصا .
- واتجه الساحران إلي العصا سريعاً ، مستديرين من خلفه لكن يقوما باختطافها .
- وعندما تقدما في “ تنفيذ “ حيلتهما قليلا ، بدأت تلك العصا في الحركة .
- وهكذا تحركت تلك العصا والتوت حول نفسها ، فتيبس كلاهما في مكانه خوفا .
- ثم تحولت إلي أفعي وهجمت عليهما ، فهرب كلاهما مصفر الوجه .

1235 - وبدا في التعثر من الخوف ، وهما يتدحرجان عند الفرار في كل منخفض .
- فتيقنا أنها من السماء ، وذلك لأنهما كانا يعرفان حدود السحر “ 1 “ .
- ثم ظهر عليهما الوهن “ وأصابتهما “ الحمي ، وبلغ بهما الأمر إلي الاحتضار وتسليم الروح .
- فأرسلا في التو واللحظة رجلا إلي موسي يحمل إليه الاعتذار منهما قائلين :
- لقد امتحانك ومتي يصل بنا الأمر إلي امتحانك إنه لم يكن ثم حسد .

1240 - نحن مجرما فرعون فاعف عنا ، يا من أنت في بلاط الجلالة من خواص الخواص .
- فعفا عنهما فارتدت إليهما العافية في التو واللحظة ، وأخذا في إظهار الخضوع والمذلة أمام موسي .
- فقال لهما موسي : لقد عفوت عنكما يا من أنتما من الكرام ، وصارت روحاكما وجسداكما حراما علي النار .

....

(1) ج / 7 / 113 : - ومن ثم فتعلم علم السحر ، صار ممنوحا وحراما ومحقرا - ومن أجل التمييز بين الحق الطيب والباطل ، صار علم السحر حراما أيها الصديق .

- فأنا لم أركما يا صديقي ، فهيا كفا عن الاعتذار .
- بل وادخلا في الصراع وأنتما عالمان (بنتيجته) دون أن تبديا ذلك للملك “ 1 “ .

1245 - فقبلا الأرض بين يديه ومضيا ، وظلا ينتظران الوقت والفرصة .

تجمع السحرة من المدائن عند فرعون وتلقيهم ألوان التشريف و “ وقوفهم واضعين أيديهم على صدورهم من أجل الانتصار على الخصم قائلين له : اكتب علينا هذا

- عندما أتي أولئك السحرة إلي فرعون ، خلع عليهم الخلع الثمينة .
- ووعدهم بالوعود وقدم لهم العبيد والخيل والمال والبضائع والزاد .
- ثم أخذ يقول لهم : هيا أيها السابقون فلو كنتم الغالبين في هذا الامتحان
- فسوف أنثر عليكم العطاء الكثير ، بحيث يتمزق حجاب الجود والسخاء .

1250 - فقالوا له : بإقبالك أيها الملك ، سوف نكون نحن الغالبين ويصير أمره إلي تباب .
- نحن في هذا الفن أبطال صناديد ، ولا أحد في الدنيا له ما لنا من قدرة فيه .
- لقد صار ذكر موسي قيدا علي الخواطر ، فكم من قائل : مالنا نحن وهذه الحكايات القديمة ؟
- إن ذكر موسي هنا مجرد دريئة وحجاب ، لكن ليكن لك منه نور موسي أيها الرجل الطيب .
- إن موسي وفرعون في وجودك ، وينبغي أن تبحث عن هذين الخصمين في داخلك .

1255 - وهناك نتاج من موسي حتى القيامة ، وليس نورا اخر وإن تغير السراج .
- فهذه المشكاة وهذه الفتيلة من نوع اخر ، لكن نورها لم يتغير لأنه من تلك الناحية .

....

(1) ج / 7 - 113 : وكل ما لديكما من الفنون ، اجمعاه من الداخل والخارج .

- وإذا نظرت في الزجاجة فإنك تضل ، ففي الزجاجة توجد الأعداد والإثنينية .
- وإذا نظرت إلي النور تنجو من الإثنينية وأعداد الجسد المتناهي المحدود .
- ويا لب الوجود ، إن الخلاف بين المؤمن والمجوسي واليهودي نتيجة لاختلاف وجهات النظر .

الاختلاف في كيفية الفيل

1260 - كان الفيل " موجوداً " في حجرة مظلمة ، وكان الهنود قد عرضوه فيها .
- ودخل الناس من أجل مشاهدته إلي تلك الحجرة المظلمة فردا فرداً .
- ولما كانت رؤيته بالعين غير ممكنة ، أخذوا يتحسسونه بأيديهم في تلك الظلمة .
- فوقعت كف أحدهم علي خرطومه ، فقال : إن شكله مثل الأنبوبة .
- ووصلت كف اخر إلي أذنه ، فبدا له كأنه المروحة .

1265 - أما الثالث فعندما تحسس قدمه فقد صاح ، لقد أدركت شكل الفيل ، إنه كالعمود .
- أما ذلك الذي وضع يده علي ظهره فقد قال : هذا الفيل كأنه نجد .
- وهكذا فكل من وصل منهم إلي جزء منه ، كان يفهمه طبقا لما بلغ مسامعه عنه في كل مكان .
- واختلفت أقوالهم من اختلاف وجهات النظر ، قال أحدهم : إنه " معوج " كالدال ، وقال اخر بل " مستقيم " كالألف .
- ولو كانت في يد كل واحد منهم شمعة ، لا نتفي الاختلاف عن أقوالهم .

1270 - وعين الحس مثل كف اليد فحسب ، وليست لكف واحدة قدرة الإحاطة به ككل .

- وعين البحر شيء وزبده شيء مختلف ، فاترك الزبد وانظر لعين البحر .
- إن حركة الزبد من البحر ليل نهار ، وأنت لا تفتأ تنظر إلي الزبد ولا تنظر إلي البحر وهذا أمر عجيب .
- ونحن كالسفن . يصطدم بعضها ببعضها الآخر ، ونحن عمي الأبصار في الماء الصافي .
- ويا من قد رحت في النوم في سفينة الجسد ، لقد رأيت الماء فانظر إلي ماء الماء .

1275 - فللماء ماء يسيره ، وللروح روح تدعوها .
- وأين كان موسي وعيسى عندما كانت شمس " الحقيقة " تروي بالماء مزرعة الموجودات ؟
- وأين كان ادم وحواء ذلك الزمان الذي وضع الله تعالى فيه هذا الوتر في القوس ؟
- إن هذا الكلام ناقص أبتر ، وذلك الكلام الذي ليس بناقص هو من تلك الناحية .
- فلو تحدثت عنه لزلت قدمك ، وويلاه إن لم تنبس عنه ببنت شفة .

1280 - ولو قيل إنه علي مثال الصورة ، فإنك تتعلق بنفس الصورة أيها الفتي .
- وأنت مقيد القدم كأنك النبات في الأرض ، وتحرك رأسك بهبة نسيم دون يقين .
- لكن لا قدرة لك علي الانتقال ، أو اقتلاع قدميك من هذا الطين .
- فكيف تقتلع القدم من هذا الطين وحياتك منه ؟ إن السير في حياتك هنا أمر شديد الإشكال .

- وعندما تستمد الحياة من الحق أيها السالك ، تصبح بها مستغنيا وتمضي عن الطين " 1 " .

1285 - فالرضيع عندما يفطم عن مرضعته ، فإنه يتركها ويصير أكلا لكل ما لذ وطاب " 2 " .
- وأنت ملتصق بلبن الأرض كالغلال ، فابحث عن فطامك من قوت القلوب .
- وتغذ من كلام الحكمة فإن النور قد صار مضمرا فيه ، يا من لست قابلا لنور بلا حجب .
- حتى تصبح قابلا للنور أيها الحبيب ، حتى تري المستور بلا حجب .
- فتتجول كالنجوم فوق سماك الأفلاك ، بل تسافر بلا فلك سفرا لا وصف له ولا كيفية .

1290 - ألست بهذه الطريقة قد جئت من العدم إلي الوجود ؟ هيا . . وقل كيف أتيت ؟ لقد أتيت ثملا .
- لقد انمحت طرق المجيء من ذاكرتك ، لكننا سوف نتلوا عليك رمزا عنها .
- فاترك الفهم وكن آنذاك ذا فهم ، وسد أذنيك وكن أنذاك صاحب أذن .
- لا ، لن أتحدث إليك فإنك لا تزال فجا ، إنك لا زلت في الربيع لم ينضجك هجير الصيف " 3 " .
- وهذه الدنيا كالشجرة أيها الكرام ، ونحن عليها كالثمار الفجة .

1295 - والثمار الفجة شديدة الالتصاق بالأغصان ، وذلك لأنها من فجاجتها لا تليق بالقصور .

....

(1) ج / 7 - 121 : تمضي فارغاً مستغنيا صوب القلب ، تمضي بلا قيد حراً من أهل الطين . 88
(2) حرفيا : أكلا للدسم .
(3) حرفيا : لم تر حرارة تموز .

- وعندما تنضج وتصير مقبولة للمذاق ، فإنها تحتقر الأغصان بعدها .
- وعندما تتذوق الأفواه حلاوة هذا الإقبال ، يهون بعدها ملك الدنيا علي الإنسان .
- إن التنطع والتعصب من قبيل الفجاجة ، وما دمت جنينا فإن ديدنك هو شرب الدم .
- وبقي شيء اخر ، لكن قوله لك منوط بالروح القدس ، يتحدث به إليك دون واسطة مني .

1300 - لا ، إنك أيضا تتحدث به إلي نفسك ، تهمس به في أذني نفسك ، لا أنا ولا غيري يتحدث به إليك يا من أنت مني .
- ومثل ذلك عندما تروح في النوم ، إنك تنتقل من جوار نفسك إلي جوار نفسك .
- تسمع من نفسك وتظن أن فلانا من الناس قد تحدث إليك في النوم وأفضي إليك بهذا السر .
- ولست واحداً قائما بذاتك أيها الرفيق ، بل إنك فلك وبحر عميق .
- وما هو قوي فيك هو ذاتك ذات التسعمائة طية ، هي محيط وموضع غرق لمائة ذات .

1305 - وما هو حد النوم واليقظة نفسهما ؟ لا تتحدث ، الله أعلم بالصواب " 1 " .
- لا تتحدث حتى تسمع من المتحدثين ، ما لم يأت علي لسان أو يرد في بيان
- لا تتحدث حتى تستمع من تلك الشمس ، ما لم يأت في كتاب أو خطاب .
- لا تتحدث حتى تتحدث الروح من أجلك ، واترك العوم وأنت في سفينة نوح .

....
(1) ج / 7 - 122 : لا تتحدث حتى تسمع من هذا القمري الطلعة ، هيا . . أيها اللاعبون بطهر هيا . - لا تتحدث حتى تسمع أسرار الحال ، من اللسان الذي لا لسان له ، قائلا لك : تعال .

- مثل “ كنعان “ الذي كان يسبح قائلا : لست أريد سفينة نوح العدو .

1310 - “ فيقول له “ : هيا . . تعال واركب سفينة أبيك حتى لا تغرق في الطوفان أيها المهين .
- فقال : لا ، لقد تعلمت السباحة ، وأشعلت شموعا غير شموعك .
- هيا لا تفعل فهذا هو موج طوفان البلاء ، واليد والقدم والعوم كلها أمور لا تجدي .
- وثمة ريح للقهر والبلاء تطفئ الشموع ، ولا يجدي أمامها إلا شموع الحق فاصمت .
- قال : لا ، اويت إلي هذا الجبل المرتفع ، وهو عاصمني من كل أذي .

1315 - انتبه وأقلع عن هذا فالجبل قشة الآن ، وهو لا يهب الأمن إلا لحبيبه .
- قال : متي كنت انتصح بنصحك ، لقد طمعت أن أكون من بين أسرتك .
- إن قولك لم يقع قط موقعا من قلبي ، وأنا بريء منك في الدارين .
- هيا يا بني لا تفعل . . فليس اليوم يوم الدلال ، وليس لله تعالي قريب أو شريك .
- لقد فعلت ما فعلت وهذه اللحظة حاسمة ، ومن الذي يقبل الدلال علي هذه العتبة ؟

1320 - إنه لم يلد ولم يولد من القدم ، لا أب له ولا ابن ولا عم .
- فمتي يتحمل دلال الأبناء ؟ ، ومتي سيسمع دلال الآباء ؟

- " إنه يقول " : لست مولودا فقلل الدلال أيها الأب ، ولست والدا فقلل الاندفاع أيها الشاب .
- ولست زوجا ولست بالذي تسيطر عليه الشهوة ، فاتركي الدلال هنا أيتها السيدة .
- وليس إلا للخضوع والعبودية والاضطرار في هذه الحضرة من اعتبار .

1325 - قال : يا أبي ، لقد تحدثت بهذه الأمور سنوات طويلة ، وها أنت ذا تكررها ثانية بجهل وتخوض فيها .
- لقد تحدثت بهذه الأمور مرات مع كل إنسان ، وسمعت الجواب المر عليه كثيراً .
- وكلامك السخيف هذا لم يصادف مني أذنا صاغية ، فهل سيعقل الآن وقد صرت عالما وكبيراً ؟
- قال نوح : يا بني ماذا ستخسر إذا سمعت - ولو مرة واحدة - نصيحة أبيك ؟
- وهكذا ظل يمحضه النصيحة الخالصة ، وظل الابن يرد هذا الرد العنيف .

1330 - فلا الأب كف عن نصح كنعان ، ولا كلمة واحدة منه صادفت أذنا من ذلك المدبر .
- وبينما كانا في هذه المحاورة إذ ضرب الموج المتلاطم رأس كنعان ومزقه إربا .
- وقال نوح : أيها الملك الحليم ، إن لي حماراً قد مات وسيلك جارف للأحمال .
- لقد وعدتني أنت مرات ومرات ، " وقلت لي " : إن أهلك ناجون من الطوفان .

- وقد اعتمدت علي هذا راجيا فيك واثقا ، إذن فلماذا جرف السيل " كليمي " مني ؟

1335 - قال : إنه ليس من أهلك وأسرتك ، ألم تر أنت نفسك أنك أبيض البشرة وهو أسودها ؟
- وعندما يقع السوس في أسنانك ، اقتلعها فليست بأسنان أيها الأستاذ .
- وذلك حتى لا يشتكي بقية الجسد منها ، وبالرغم من أنها بضعة منك إلا أنه عليك أن تستغني عنها .
- قال نوح : إنني ملول ضائق من كل ما هو سواك - ولا سواك ، وإن كان فليكن هالكا منك .
- إنك تعلم كيف أنا معك ، أضعاف أضعاف " 1 " ما تكون الأمطار مع الرياض .

1340 - إنني حي بك ، سعيد منك ، محتاج إليك ، مستمد لغذائي دون واسطة أو حائل .
- ولست متصلا ولا منفصلا أيها الكمال ، إنها علاقة بلا كيفية أو بحث عن علة .
- إننا أسماك وأنت بحر الحياة ، ونحن أحياء من لطفك يا حسن الصفات .
- وإنك لا تستوعب في نطاق فكرة ، ولست مقترنا بمعلول فأنت علة " العلل " .
- وقبل هذا الطوفان وبعده ، كنت مخاطبا إياي " مخبراً " لي عن كل ما حدث .

....

(1) حرفيا : عشرون ضعفا .

1345 - كنت أتوجه إليك لا إليهم بالحديث ، يا واهب الكلام الحديث والحال القديم - أليس هكذا يفعل العاشق ؟ يتوجه بالحديث ليل نهار حينا إلي الأطلال وحينا إلي الدمن .
- لقد توجه إلي الأطلال في ظاهر الأمر ، فإلي من يتحدث بالثناء عليك إلي من ؟
- لقد أوليت الشكر للطوفان الآن ، ذلك أنك رفعت (به) واسطة الأطلال .
- وذلك لأن الأطلال كانت لئيمة شريرة ، فلا هي تنادي ولا هي تسمع الحديث .\

1350 - وأنا سوف أريد تلك الأطلال التي عند الخطاب ، تكون كالجبل تردد الصوت عندما تريد الجواب .
- وذلك حتى أسمع اسمك مرتين ، لأنني عاشق لاسمك الذي يريح الروح .
- وكل نبي يحب الجبل لهذا السبب ، وذلك حتى يسمع اسمك مترددا مضاعفا .
- وإلا فإن ذلك الجبل الذليل الذي هو من الحجارة ، يليق بالفأر مقاما لا بنا .
- إنني أتحدث وهو لا يصير نديما لي في الحديث ، إنه يبقي صامتا عند حديثي .

1355 - وأولي بالنسبة له أن تسويه بالأرض ، فليس برفيق تصاحبه خطوة بخطوة .
- قال الله تعالى : يا نوح لو أنك تريد “ من غرقوا “ جميعا ، لامرن بالحشر ولأخرجنهم جميعا من الثري .
- ولا أجعلك كسير القلب من أجل كنعان ، لكني أنبئك “ بحقيقة “ الأحوال .
- قال نوح : لا . . لا ، أنا راض حتى وإن تغرقني أنا نفسي إن كانت هذه مشيئتك .

- أغرقني في كل لحظة فأنا سعيد بهذا ، وحكمك هو الروح أرضي به كما أرضي بالروح .

1360 - ولا أتحول بنظري إلي أحد وإن فعلت ، يكون هو مجرد دريئة وأنت المنظور .
- وأنا عاشق لصنعك شاكر لك صابر " علي بلائك " ، ومتي أكون عاشقا للمصنوع كالمجوس ؟
- إن عاشق صنع الله يكون ذا مجد وجلال، أما عاشق مصنوعه فيكون كافرا "1" .

التوفيق بين الحديثين الشريفين : " الرضا بالكفر كفر "
والحديث الآخر - " من لم يرض بقضائي فليطلب ربا سواي "

- بالأمس سألني سائل " كان مغرما " بالجدال .
- قال : هناك حديث يقول : " الرضا بالكفر كفر " وقد قاله الرسول وكلامه ختم " لكلام الأنبياء " .

1365 - لكنه قال في موضع اخر " ما فحواه " : إن علي المسلم أن يكون راضيا بكل قضاء .
- أليس الكفر والنفاق من قضاء الله ؟ وإذا رضيت بهما إذن فهذا شقاق .
- وإذا لم أرض بهما فهو الخسران ، فما حيلتي إذن بين هذين الحديثين ؟
- فأجبته : إن الكفر مقضي لا قضاء ، فهذا الكفر حقيقة من اثار القضاء .
- ولتعلم إذن القضاء من المقضي أيها السيد ، حتى يرفع الإشكال لديك في التو واللحظة .

1370 - فأنا أرضي بالكفر من حيث إنه قضاء ، لا من حيث يكون نتيجة جدالنا وخبثنا .

....
(1) ج / 7 - 148 : وبين هذين الاثنين فرق خفي ، وإنما يعرفه ذو الرؤية الصافية .

- فالكفر جهل والقضاء بالكفر علم ، فمتي كانا سواء الحلم والجهل .
- وقبح الخط لا يعني قبح الخطاط ، لكنه أبدي القبح من ناحيته .
- والقوة في النقاش أنه يصور القبح كما يستطيع أن يصور الجمال .

1375 - ولو واصلت المناقشة جدلا ، لتعددت الأسئلة ولطال الجواب .
- ولمضت لذة نقاط العشق مني ، ولصار دور خدمتي دوراً اخر .مثل في أن الحيرة تمنع البحث والفكر
- جاء رجل أشيب متعجلا إلي أحد الحلاقين المهرة .
- فقال له : انزع الشعرات البيضاء من لحيتي ، ذلك أنني سأزف إلي عروس جديدة أيها الفتي .
- فحلق لحيته كلها ووضعها أمامه ، وقال له : اختر أنت فعندي عمل مهم

1380 - هذا هو السؤال وهذا هو الجواب فاختر ما تشاء ، فإن رؤوس (هؤلاء) لا تحتوي علي ألم الدين .
- لقد صفع أحدهم " زيدا " فحمل " زيد " عليه رداً علي كيده .
- فقال الصافع : إنني سوف أسالك سؤالا فأجبني عليه ثم اصفعني .
- لقد صفعتك علي قفاك صفعة ذات رنين ، وأسالك الآن سؤالا طالبا للوفاق .
- أكان هذا الصوت من كفي أو من موضع " الصفع " علي قفاك يا فخر العائلة ؟

1385 - فأجاب : إن الألم الذي أحس به لم يترك لي مجالا للفكر والتفكر .
- وأنت لا تحس بالألم فاستغرق في التفكير ، والذي يحس بالألم لا يفكر علي هذا النحو فانتبه " 1 " .

....
(1) ج / 7 - 161 : والمتألمون لا يفكرون في الغير ، فاذهب إلي المسجد أن شئت أو الدير .
وليس لصاحب الألم إلا حزن الذين ، وهو يعلم التمييز بين الرجل والغبار .
ويضع حكم الحق علي رأسه ووجهه ، ويلقي بحفظه وفكره جانبا

حكاية

- قل من كان حافظا " للقرآن " من الصحابة ، بالرغم من أن أرواحهم كانت شديدة الشوق .
- وذلك أنه كلما كان لب الثمرة ممتلئا ناضجا ، كانت قشرتها شديدة الرقة وتشققت .
- ومن ثم فثمار الجوز واللوز والفستق عندما يمتلئ لبها ترق قشورها .

1390 - وعندما يزداد لب العلم تقل قشوره ، ومن قبيل ذلك أن العاشق يمزق جيبه .
- وما دامت طبيعة المطلوب تكون ضد طبيعة الطالب ، فإن الوحي وتجلي نوره يكونان محرقين " لصورة " القران .
- وما دامت أوصاف القديم قد تجلت ، فإن الحجاب (الذي هو) وصف الحادث قد احترق .
- ومن ثم فقد كان يسمع من الصحابة " أنهم يقولون " : جل فينا من يحفظ ربعا من القران .
- وجمع الصورة إلي مثل هذا المعني العميق ، ليس ممكنا إلا لسلطان مهيب وعظيم .

1395 - وفي مثل هذا السكر لا تجب مراعاة للأدب ، وإن وجبت لكان هذا أدعي للعجب .
- وعند الاستغناء تكون مراعاة الابتهال ، جمعا للضدين " كجمع " المستدير والطويل معا .
- والعصا في حد ذاتها تكون محبوبة لدي العميان ، والأعمي نفسه يكون صندوقا للقران .

- وقد قال العميان أنفسهم : إنهم صناديق مملوءة من ألفاظ المصحف ومن الذكر والنذر .
- وأيضا فإن الصندوق الملئ بالقران أفضل من صندوق خال في اليد .

1400 - ثم إن الصندوق الذي يكون خاليا من الثمار ، أفضل من صندوق يكون مليئا بالفئران والحيات .
- والخلاصة أنه عندما يصل المرء إلي الوصال ، تصير الدلالة أمامه عنه لا نفع فيها .
- وما دمت قد وصلت إلي مطلوبك أيها المليح ، فإن طلب العلم حينذاك يكون قبيحا .
- وما دمت قد سموت إلي عنان السماء ، يكون سخيفا البحث عن السلالم وطلبها .
- وليس إلا من أجل الباري وتعليم الخير ، يكون طريق الخير سخيفا من بعد وصول الخير .

1405 - وعندما تكون المراة صافية مضيئة ، من الجهل أن تسلمها للصقال .
- والجلوس أمام السلطان بسعادة وقبول ، قبيح أثناءه البحث عن الخطاب والرسول .

قصة انشغال عاشق بقراءة كتب العشق ومطالعة رسائل العشق ، في حضور معشوقه ، وعدم استحسان المعشوق لذلك ، طلب الدليل عند حضور المدلول قبيح والاشتغال بالعلم بعد الوصول إلى المعلوم مذموم

- كان أحدهم قد أجلسه حبيبه في محضره ، فأخرج رسالة وقرأها أمام حبيبه .

- كانت تحتوي علي أبيات في المدح والثناء والشكوي والمسكنة وكثير الضراعات " 1 " .
- فقال المعشوق : إن كان هذا من أجلي وعند الوصول فهو تضييع للعمر .

1410 - أنا حاضر إلي جوارك وأنت قارىء للرسائل ، وليس في هذا أمارة العاشقين .
- فقال العاشق : إنك حاضر إلي جواري ، لكني لا أجد نصيبا منك جيداً
- وذلك الذي كنت أناله منك في السنة قبل الماضية ليس موجودا الآن وإن كنت أري الوصال .
- لقد شربت ماء زلالا من تلك العين ، وجددت قلبي وروحي من الماء الزلال .
- إنني أري العين ولكن لا ماء ، وكأن قاطع طريق قطع الماء علي .

1415 - قال : حسبك ، لست معشوقا لك ، أنا في البلغار ومرادك في " قتو " .
- إنك عاشق لحال ما " يطرأ علي " و " الحال " لا يدوم أيها الفتي .
- ومن ثم فلست مطلوبا لك بكليتي ، والجزء الذي تقصده مني كان لك في زمن ما .
- إنني منزل المعشوق ولست المعشوق " نفسه " ، والعشق يكون للنقد لا للصندوق .
- والمعشوق هو الذي يكون واحداً " صمداً " ، ويكون بالنسبة لك المبدأ والمنتهي .

1420 - وعندما تجده لا تظل منتظرا ، إنه يكون ظاهرا ويكون أيضا خفيا " في الوقت نفسه " .

....

(1) ج / 7 - 170 : والبكاء والصراخ والحزن والألم الذي لديه ، وذله وهو انه علي الأقارب والأباعد - والألم والتعب في هجر الجيب ، وذكر من أرسلهم تفصيلا - وهكذا أخذ يقرأ لحبيبه ، ما يزيد عن الحد والحصر .

- إنه أمير الأحوال لا يكون موقوفا علي حال ، بل يكون " المرء " عبدا لذلك القمر طوال الشهور والسنين .
- وعندما يتحدث يسيطر علي الحال كلية ، وعندما يشاء يجعل الأجساد أرواحاً .
- ولا يكون منتهي " أمل " ذلك الذي يكون موقوفا علي حال باحثا عنه - تكون يده بالنسبة " للحال " كأنها الكيمياء ، ويحرك اليد فيصير النحاس ثملا به .

1425 - وإذا شاء الموت يكون الموت حلوا " بالنسبة له " ، ويكون الشوك والحسك بمثابة النرجس والنسرين .
- أما الذي يتوقف علي الحال فهو مجرد إنسان ، حينا في الزيادة وحينا في النقصان .
- والصوفي وإن كان " ابن الوقت " علي سبيل المثال ، فإن الصافي فارغ من الوقت والحال .
- فالأحوال متوقفة علي عزمه وعلي رأيه ، حية من " نفسه " الذي يشبه نفس المسيح .
- إنك عاشق لحال ولست عاشقا لي ، وإنك لتدور حولي املا في حال ما .

1430 - وذلك الذي يكون لحظة كاملا ولحظة ناقصا ، ولا يكون محبوبا للخليل بل يكون أفلا .
- وذلك الذي يكون أفلا وحينا " هذا " وحينا " ذاك " لا يكون محبوبا لقائل " لا أحب الآفلين " .
- وذلك الذي يكون حينا طيبا وحينا قبيحا ، ويكون حينا ماء وحينا نارا ، - يكون برج قمر ولكن لا قمر ، ويكون صورة صنم ولكن لا حياة .

- فالصوفي الباحث عن الصفاء هو ابن الوقت ، لقد تشبث بالوقت كأنه أبوه .

1435 - أما الصافي فهو غريق في نور ذي الجلال ، وليس ابنا لأحد بل هو فارغ من الوقت والحال .
- إنه غريق في نور من لم يولد ، ومن لم يلد ولم يولد هو الله .
- فامض وابحث - عن - مثل - هذا العشق إن كنت حيا ، وإلا فإنك عبد للأوقات المختلفة .
- فلا تمعن النظر في صورتك الحسنة أو القبيحة ، ولكن تمعن في العشق وفي مطلوبك .
- ولا تنظر إلي كونك حقيراً أو ضعيفا ، ولكن انظر إلي همتك أيها الشريف .

1440 - وداوم الطلب أيا - كان الحال الذي أنت - فيه ، داوم علي طلب الماء يا - جافَّ الشفة .
- وذلك لأن شفتك الجافة تدل علي أنك سوف تصل في النهاية إلي المنبع .
- إن جفاف الشفة رسالة من الماء الذي سوف يقضي يقينا علي هذا الاضطراب .
- فإن هذا الطلب حركة مباركة ، وهذا الطلب في طريق الحق مانع للهلاك .
- وهذا الطلب مفتاح لمطلوباتك ، وهو جيشك ونصرة لراياتك .

1445 - وهذا الطلب مثل الديك الذي يصيح ، إنه يصيح “ مبشرا “ بأن الصبح ات .

- وحتى إن لم تكن تملك الوسيلة فاطلب ، فلا حاجة إلي الوسيلة في طريق الإله .
- وكل من تراه طالبا يا بني ، كن رفيقا له وطأطىء رأسك أمامه .
- فمن جوار الطالبين تصير طالبا ، وتحت ظلال الغالبين تصير غالبا .
- فإذا كانت نملة قد طلبت مرتبة سليمان ، فلا تنظر إلي طلبها هذا هونا .

1450 - وكان مالك من حرفة ومال ، ألم يكن طلبا وفكرا من البداية ؟ “ 1 “

حكاية ذلك الشخص الذي كان يدعوا ليل نهار في عهد داود عليه السلام قائلا : ارزقني رزقا حلالا دون تعب

- كان أحدهم في عهد داود النبي ، عند كل عالم وأمام كل غبي .
- يدعو بهذا الدعاء ملحا وقائلا : “ يا الله هبني ثروة دون تعب “ .
- فما دمت قد خلقتني كسولا بطيء الحركة والسعي .
- لا يمكن وضع أحمال الخيل والبغال ، علي الحمر جريحة الظهر .

1455 - وما دمت قد خلقتني كسولًا أيها الغني ، فارزقني أيضا عن طريق الكسل .
- فأنا كسول نئوم في ظل الوجود ، قد نمت في ظل هذا الفضل والجود .
- وأنت قد كتبت للكسالي النائمين في الظل رزقا علي شكل اخر ؟
- فكل من له قدم يبحث عن رزق ما ، فكن سلوي لكل من ليس له قد
- وسق الرزق نحو ذلك الحزين ، وسق السحاب دائما صوب كل أرض

....

(1) ج / 7 - 172 : وإذا كان من النادر أن يجد أحدهم كنزا ، فإنه أن قعد عن الطلب فهو مقصر
- وكل من جد وجد ، ما دام قد أسرع في جده - فهيا ، لا تكن أيها السيد لحظة بلا طلب ، حتى تجد ما تريد دون تعب
- وفي النهاية من جد وجد ، ما دام في قد أسرع في الخدمة فكن جلدا في الطلب وهذا هو فتح الباب ، وداوم علي الطلب والله أعلم بالصواب .

1460 - ولما لم يكن للأرض قدم “ تسعي بها “ ، فإن جودك يسوق السحاب إليها منحنيا “ طاعة “ .
- ولما لم يكن للطفل قدم فإن أمة تأتي وتصب رزقه فوق رأسه .
- أريد رزقا فجائيا دون سعي ، فليس لي من السعي سوي الطلب .
- وظل يردد هذا الدعاء مدة طويلة ، من النهار حتى الليل وطوال الليل حتى الضحي .
- فكان الناس يضحكون من قوله ، “ ويعذلونه “ علي طمعه الساذج وعلي إلحاحه .

1465 - قائلين : عجبا ، ماذا يقول هذا الأبله ؟ أتري قد دس له أحد حشيشا سالبا للعقل ؟
- إن طريق الرزق هو الكسب والسعي والتعب ، ولقد أعطي كل إنسان حرفة “ ووسيلة “ للطلب .
- “ اطلبوا الأرزاق من أسبابها : ادخلوا الأوطان من أبوابها “ “ 1 “ .
- بل إن الملك والسلطان ورسول الحق في زمامنا هذا هو داود النبي ذو الأفضال .
- ورغم كل هذا العز والألطاف الإلهية التي يعيش في ظلها ، بحيث اختارته العناية الإلهية .

1470 - ومعجزاته بلا حصر ولا عد ، وأمواج العطاء بالنسبة له متتالية في أثر بعضها .
- ولم يكن لأحد من بني ادم حتى الآن صوت كأنه الأرغنون .
- بحيث يميت في كل عظة مائتين ، فالله لم يجعل لأحد صوته الحلو .
- والأسد والغزال يجتمعان عند تذكيره هذا غافل عن ذاك .

....

(1) بالعربية في المتن .

- والجبال والطير تؤوب من إنشاده ، كلاهما في وقت الدعوة صفي ونجي .

1475 - هذا وأضعاف - هذا مع المعجزات ، ونوره “ مطلق “ في - كل الجهات وبلا جهات .
- ورغم كل هذا التمكين ، فإن الله سبحانه وتعالي قد جعل رزقه موقوفا علي الكدح والسعي .
- فلا يأتيه رزقه دون صناعة للدروع وكدح مع كل ما له من نصرة “ إلهية “
- “ ثم يأتي “ مثل هذا المخذول المتروك العاجز المتعفن داخل داره “ كسلا “ والمطرود من الأرض والفلك .
- “ يأتي “ مثل هذا المدبر ويريد أن يملأ حجره بالربح دون تجارة ! !

1480 - يأتي مثل هذا الأبله ويجهر بالقول : أريد أن أصعد إلي الفلك دون درجات .
- فكان هذا يقول له ساخرا : لقد وصلك الرزق اذهب وخذه ، لقد جاء “ بهذا “ البشير .
- وكان ذاك يضحك قائلا : أعطينا مما أعطاكه “ الله “ هدية يا عين الأعيان ! !
- لكن كل هذا العذل والسخرية ، لم يكن يقلل من دعائة وتقربه بالدعاء .
- حتى صار معروفا وشهيراً في المدينة ، إنه يبحث عن الجبن من قربة فارغة .

1485 - صار ذلك الشحاذ مثلا في الطمح المحال ، لكنه لم يقلع عن هذه الرغبة .

إسراع ثور إلى منزل ذلك الملح في الدعاء قال النبي عليه السلام :
إن الله يحب الملحين في الدعاء ، ذلك أن عين الطلب من الحق
وإلحاح الطالب أفضل مما يطلبه منه

- حتى حدث ضحي ذات يوم ، بينما كان هذا " الرجل " يدعو بنحيب وتأوه .
- أن أسرع ثور فجأة إلي داخل منزله ، ضرب الباب بقرنه فكسر المزلاج والقفل .
- وقفز الثور الهائج إلي المنزل ، فهب الرجل واقفا وقيد قوائمه .
- ثم ذبح ذلك الثور في التو واللحظة ، بلا تمعن ولا انتظار ولا إمهال .

1490 - وعندما ذبحه ذهب إلي القصاب ، " ليأتي به " فيسلخ إهابه في الحال .

اعتذار الناظم مطلب المدد

- يا أيها السائل ، إن ما يدور " في الباطن " من معان كالجنين ، فكيف تسألني أن أكمله لك ؟
- فسهل وأبد الطريق ووفق ، أو دعك من هذا السؤال لا تضعه علي كاهلنا .
- وكيف تسأل المفلس ذهبا ، ألا فلتهبن الذهب للسر أيها الملك الغني .
- وبدونك من الذي يجزؤ علي التفكر في النظم و " حبك " القوافي في الليل أو الفجر أو يدور في خاطره هذا ؟

1495 - فالنظم والتجنيس والقوافي أيها العليم عبيد لأمرك " تلبيه " خوفا وهلعا .

- وما دمت قد جعلت كل شئ مسبحا ، سواء الذات المميزة وغير المميزة .
- ولكل منهما تسبيح من نوع مختلف ، يقوله وهذا غافل عما قاله ذاك .
- والإنسان ينكر التسبيح علي الجماد ، في حين أن ذلك الجماد أستاذ في العبادة .
- بل إن الاثنتين والسبعين ملة كل ملة منها لا تدري شيئا عن الأخري وتشك فيها .

1500 - وإذا كان الناطقون كل منهم غافل عن الآخر فما بالك بالجدار والباب ؟
- وما دمت غافلا عن تسبيح الناطق ، فكيف يعلم قلبي تسبيح الصامت .
- فللسني تسبيح خاص ، ولا مناص للجبري من تسبيح مخالف لهذا التسبيح .
- والسني غافل عن تسبيح الجبري ، والجبري بلا خبر عن تسبيح السنى .
- هذا يقول : ذاك ضال وتائه ، وغافل عن الحال وعن الأمر بالقيام .

1505 - وهذا يقول : أي علم لهذا ؟ وأوقع الله الحرب بينهما من قدره .
- وذلك حتى يظهر أصل كل منهما عيانا ، وحتى يكشف المستحق من غير المستحق .
- وكل امرئ يعرف القهر من اللطف ، عالما كان أو جاهلا خسيسا .
- لكن هناك لطفا مخفيا في القهر ، كما أن هناك قهرا أتي في قلب اللطف .
- وقليل من يعرف هذا إلا من كان ربانيا ، ذلك الذي يكون في قلبه محك روحاني .

1510 - والباقون يسيرون علي الظن فيما يتصل بهذين " القهر واللطف " ويطيرون نحو أعشاشهم بجناح واحد .

بيان أن للعلم جناحين وللظن جناحا واحدا فالظن ناقص وأبتر في طيرانه ومثال الظن واليقين في العلم

- للعلم جناحان وللظن جناح واحد ، فالظن ناقص في طيرانه وأبتر .
- والطائر ذو الجناح الواحد سريعا ما يسقط منقلبا ، ثم يطير لكن خطوتين أو أكثر .
- يمضي طائر الظن متعثرا بجناح واحد املا في " الوصول " إلي عشه .
- وعندما يتخلص من الظن يبدو علمه ، ويصير ذا جناحين هذا الطائر ذو الجناح الواحد ، ويفتح جناحيه .

1515 - وبعد ذلك يمضي مستقيما ، ليس علي وجهه مكبا أو سقيما .
- أو يطير بجناحين مثل جبريل ، بلا ظن ولا تردد أو قال أو قيل .
- ولو أن كل العالم قال له : إنك تمشي باستواء علي طريق الله والدين .
- فإنه لا يصير من قولهم أكثر حماسا ، وروحه المغردة لا تأتلف مع " أرواحهم " .
- ولو قيل له : إنك ضال تظن نفسك جبلا وأنت لا تعدو قشة .

1520 - فإنه لا يقع في الظن من سبهم ، ويصير متألما من طعنهم .
- ولو أن البحر والجبل جاءا إليه وقالا له : إنك قد صرت علي ضلال .
- فإنه لا يسقط مثقال ذرة من الوهم ، أو يصير مريض الحال من طعن الطاعنين .

مثال مرض الإنسان بوهم تعظيم الخلق رغبة الطلاب فيه وحكاية المعلم

- لقد رأي أطفال المكتب من الأستاذ ، عناء من الجد والاجتهاد .

- فتشاوروا من أجل تعطيل الأمور ، وذلك حتى يقع المعلم في الاضطرار .

1525 - “ أخذوا يتساءلون “ : كيف لا يصاب بمرض علي الإطلاق حتى يبتعد عشرة أيام ؟
- وحتى نستريح من الحبس والضيق والعمل ، إنه مثل حجر الصوان ثابت في مكانه .
- فدبر أكثرهم حيلة تدبيرا وهو أن يقول : يا أستاذ مالك شاحب الوجه ؟
- خيرا ، إن لونك ليس علي ما يرام ، أهو من أثر الهواء أو من حمي ؟
- وهو بهذا الشكل يقع بالتدريج في الوهم ، وأنت أيها الأخ ساعدني علي هذا النحو .

1530 - عندما تدخل من باب المكتب قل : خيرا يا أستاذ ، ماذا جري لك ؟
- فيزداد وهمه قليلا قليلا ، فمن الوهم يصير العاقل مجنونا **! !**
- والثالث والرابع والخامس علي نفس النمط ، يبدون بعدنا الأسي والتفجع **!**
- فإذا تواتر الخبر عند أطفال “ المكتب “ الثلاثين ، واتفقوا عليه يصير ثابتا .
- فقال له كل واحد منهم : بوركت أيها الذكي ، وليكن حظك مستندا علي العناية الإلهية .

1535 - واتفقوا وأخذوا بينهم موثقا ألا يغير أحدهم أو يبدل في الكلام .
- ثم جعلهم جميعا يقسمون علي ألا يشي واش بما اتفقوا عليه .
- إن رأي هذا الطفل قد تغلب علي آراء الجميع ، كان عقله يسير إلي الأمام من القطيع .
- وهذا هو التفاوت في عقول البشر والذي يكون بين الحسان في الصور .
- ومن هذا القبيل ما قاله “ أحمد “ في بيانه : “ إن حسن الرجال يكون مخبوءا تحت اللسان “ .

عقول الخلق متفاوتة في أصل الفطرة وعند المعتزلة متساوية
وتفاوت العقول من تحصيل العلم

1540 - إن اختلاف العقول موجود في الأصل ، وينبغي أن تسمع ذلك وفقا لأهل السنة .
- وهذا علي خلاف قول أهل الاعتزال ، وهو أن العقول متساوية في الأصل - والتجربة والعلم قلا أو كثرا ، يجعلان أحدهم أعلم من الآخر .
- وهذا باطل وإلا فإن رأي الطفل الذي لا تجربة له في طريق ما .
- قد انبثق فكرا من ذلك الطفل الصغير ، لم يدرك منه شيخ واسع التجربة النذر اليسير " 1 " .

1545 - وإن الزيادة التي تكون من الفطرة ، أفضل من الزيادة التي تكون من الجهد والفكرة .
- وقل أنت : هل تكون عطية الله أفضل ، أو أفضل منها أعرج يسير كما يسير العداء ؟

إلقاء الأطفال للأستاذ في الوهم

- وطلع النهار وجاء هؤلاء الأطفال إلي المكتب وقد وقرت الفكرة في نفوسهم .
- وقفوا جميعاً خارج المكتب منتظرين ، حتى يأتي في المقدمة ذلك الرفيق المصر .
- وذلك لأنه كان منبع هذا الرأي من البداية ، فالرأس دائما ما تؤم القدم .

....
(1) ج / 7 - 197 : وإن رجال الأمر لتفيب عنهم الفكرة ، ويعجزون عن العمل مضطرين .

1550 - ويا أيها المقلد لا تطلب التقدم عليه ، “ فرأيه “ نابع من نور السماء .
- فدخل وقال : سلاماً أيها الأستاذ ، خيراً ، إنك شاحب الوجه .
- فقال الأستاذ : لا بأس علي ، أذهب ، اجلس “ مكانك “ ولا تهزل .
- لقد نفي الأمر لكن غبار الوهم السئ ، طرق قلبه فجأة وقليلا قليلا .
- فدخل اخر وكرر نفس القول ، فزاد الوهم قليلا لهذا الأمر .

1555 - وعلي هذا النمط “ فعلوا “ حتى قوي الوهم عنده ، وبقي في عجب شديد من حاله .

مرض فرعون أيضا بوهم تعظيم الخلق

- إن سجود الخلق من نساء وأطفال ورجال ، قد وقر في قلب فرعون فجعله مريضا .
- وخطاب كل إنسان له قائلا : أيها الملك الإله ، قد جعله متهتكا من الوهم .
- حتى جرؤ علي ادعاء الألوهية ، صار أفعي ولم يكن يشبع قط .
- فافة العقل الجزئي الوهم والظن ، وذلك أن موطنه في الظلمات .

1560 - ولو أن طريقا علي الأرض عرضه نصف ذراع ، فإن الإنسان الخالي من الوهم يسير عليه امنا .
- لكنك لو سرت علي جدار عال ، تسير مائلا ولو كان عرضه ذراعين .
- بل إنك تسقط من رعشة القلب بالوهم ، فانظر جيدا إلي الخوف “ الناتج “ عن الوهم وافهمه .

مرض الأستاذ بالوهم

- لقد وهن الأستاذ من الوهم والخوف ، فقفز يتلفع بجبته .
- وغضب علي زوجته التي ضعف ودها له ، وأخذ يقول لنفسه : إنا علي هذه الحال وهي لم تسأل ولم تهتم .

1565 - ولم تخبرني عن شحوب وجهي ، لا بد أنها تريد أن تتخلص من عيشتي النكدة .
- ولقد صارت مغترة بحسنها وهيئتها ، غافلة عن انكشاف أحوالي .
- فجاء إلي “ داره “ وفتح الباب بعنف ، والأطفال “ يجرون “ في أثر ذلك الأستاذ .
- فقالت المرأة : خيرا ؟ لماذا عدت سريعاً ؟ هل أصاب فضيلتك سوء لا قدر الله ؟
- فأجاب : هل أنت عمياء ؟ انظري إلي شحوبي وحالي ، إن الغرباء في حنين شفقة علي .

1570 - وأنت معي في منزل واحد ومن البغض والنفاق ، لا ترين حالي وأنا في احتراق .
- قالت المرأة : يا سيدي لا عيب فيك ، وما بك وهم وظن من لا شيء ولا معني لهما .
- قال لها : أيتها الفاحشة لا زلت في لجاج أفلا ترين هذا التغير والارتعاد ؟ !
- فإذا كنت قد صرت عمياء صماء فما ذنبنا ونحن في هذا الألم والحزن والابتلاء ؟
- فقالت : أيها السيد لتأت بمرأة ، حتى تعلم أنه لا ذنب لي .

1575 - قال لها امضي فلا كنت رفيقة لي ولا كانت مراتك ، فأنت دائما في حقد وبغض وعنت .
- فهيا ابسطي لي فراشي علي وجه السرعة ، حتى أنام فقد ثقلت رأسي .
- وتوقفت المرأة فصاح فيها الرجل : أسرعي أيتها العدوة فما أنا فيه خليق بك .

سقوط الأستاذ في فراشه من الوهم وأنينه من وهم المرض

- فأحضرت المرأة الفراش وبسطته ، وهي تقول لنفسها : لا قدرة لي عليه وباطني مليء بالحرقة .
- فإذا أفصحت “ عن الحقيقة “ اتهمني ، وإذا سكت فسوف تنقلب الحكاية إلي جد “ لا هزل فيه “ .

1580 - فإن فأل السوء لا يزال يصيب بالمرض الإنسان الذي لا شئ به يشكو منه .
- ولا بد من أن تصدق قول الرسول عليه السلام “إن تمارضتم لدينا تمرضوا” “1”.
- فإذا تحدثت إليه “ بالحقيقة “ ، فسوف يظن بالتأكيد “ ويحدث نفسه “ بأن المرأة لا بد وأنها تريد الخلوة لفعل تفعله ؟
- ولا بد من أنها لا تريد وجودي في المنزل ، من أجل أن تخادن وتخدعني ؟
- فأعدت له الفراش وسقط الأستاذ ، وهو يطلق الصرخات والتأوهات .

1585 - وجلس الأطفال وهم يتمتمون بالدرس وقد تملكهم الحزن .
- كانوا يحدثون أنفسهم “ قائلين “ : لقد فعلنا كل ما فعلنا ولا زلنا سجناء ، كان بناء سيئا ونحن بناة سيئون “ 2 “

إيهام الأطفال الأستاذ ثانية قائلين : إن صداعك يزداد من قراءتنا للقرآن

- قال ذلك الذكي : أيها القوم المحمودون ، اقرءوا الدروس وارفعوا أصواتكم .
- وعندما أخذوا في القراءة قال ، أيها الأطفال : إن أصواتنا تضر بالأستاذ .

....
(1) بالعربية في المتن .
(2) ج / 7 - 325 : هيا ولتفكر في شئ اخر ، حتى نجد الفرج سريعا من هذه المحنة .

- إن هذا الضجيج يزيد من صداع الأستاذ ، فهل يستحق الأمر أن يتألم من أجل دانق ؟

1590 - قال الأستاذ : إنه ينطق بالصدق ، اذهبوا ، لقد زاد صداعي فأخرجوا .

" خلاص الأطفال من المكتب بهذا المكر "

- فسجدوا شكر لله " وصاحوا : يا كريم ، أبعد الله عنك المرض والبأس .
- ثم قفزوا خارجين إلي منازلهم ، وكأنهم الطيور في طلب الحب .
- فغضبت أمهاتهم وقلن لهم : اليوم يوم دراسة وأنتم تلهون .
- إن الأوان هو أوان الدرس والتحصيل ، وأنتم تهربون من الكتاب والأستاذ ؟ "1".

1595 - فاعتذروا قائلين : يا أمهاتنا تمهلن ، فليس الذنب ذنبنا وليس التقصير منا .
- فقد شاءت إرادة الله أن يصبح أستاذنا مريضا سقيما مبتلي .
- قالت الأمهات : مكر وكذب ، إنكم تكذبون مائة كذبة طمعا في المخيض .
- وسنمضي نحن في الصباح إلي الأستاذ ، حتى نري أصل مكركم هذا
- فقال الأطفال : امضين باسم الله ، وقفن علي كذبنا أو صدقنا .

ذهاب أمهات الأطفال لعيادة الأستاذ

1600 - في الصباح ذهب أولاء الأمهات ، كان الأستاذ نائما وكأنه شديد المرض .
- كان قد تصبب عرقا من كثرة الأغطية ، وربط رأسه ولف وجهه في سجاف اللحاف .
- كان يطلق الآهات بوهن ، فأخذن جميعا يحوقلن قائلات .
- خيراً يا أستاذ ، هذا الصداع " الذي ألم بك " ، بحق روحك لم يكن لنا علم به ؟

....
(1) هذا البيت زائد في نسخة استعلامي .

- قال : أنا نفسي لم يكن لي علم به ، لكن أولاد الفواحش أخبروني به .

1605 - لقد كنت غافلا مشغولا بقال وقيل ، وكان في داخلي مثل هذا الألم التقيل .
- وعندما يكون المرء مشغولا بالجد ، فإنه يكون أعمي عن رؤية الألم " الذي يحيق به " .
- لقد صار يوسف سمرا بين نسوة مصر ، بحيث فقدن الوعي من انشغالهن به .
- ولقد قطعن أيديهن ومزقنها إربا ، وروح الواله لا تري قدامها أو وراءها .
- وما أكثر الرجال الصناديد في الحرب ، الذي يجرح الطعان منهم اليد أو القدم .

1610 - وهم منهمكون فيما هم فيه من النزال ، ظنا منهم أنهم صامدون في أماكنهم .
- ثم يدرك المرء منهم أن يده قد ضاعت في المعركة ، وأن دما كثيراً قد نزف منه دون علم منه .

في بيان أن الجسد هو بمثابة لباس للروح وأن هذه اليد هي كم ليد الروح وأن هذا القدم حذاء للروح

- وذلك حتى تعلم أن الجسد كاللباس ، فاذهب وابحث عن اللابس ولا تلعق اللباس .
- وأفضل للروح توحيد الله ، غير ما يبدو في الظاهر توجد يد أخري وقدم أخري .
- إنك تري في النوم اليد والقدم " تعملان " في ائتلاف ، فاعلم أن هذا الأمر حقيقة ولا تعده من جزاف القول .

1615 - فأنت الذي تكون بلا بدن تملك البدن ، ومن ثم لا تخف من خروج الروح من الجسد " 1 " .

حكاية ذلك الدرويش الذي كان قد اعتزل في جبل
وبيان حلاوة الانقطاع والخلوة
والدخول في هذه المنقبة القائلة :
أنا جليس من ذكرني وأنيس من أستأنس بي
لو أنك مع الناس جميعا فأنت * بدونهم جميعا إذا كنت بدونى
ولو أنك بدون الجميع فأنت * معهم جميعا إذا كنت معي" 2 "

- كان هناك أحد الدراويش قد أقام في جبل ، كانت الخلوة ضجيعا له ونديما
- ولما كانت الشمول تنصب له من الخالق ، فقد كان ملولا من أنفاس الرجال والنساء
- وكما يكون الحضر سهلا بالنسبة لنا ، يكون السفر سهلا بالنسبة لقوم آخرين .
- وكما يكون أحدهم عاشقا للسيادة ، يكون اخر عاشقا للحدادة .

1620 - لقد خلق الله كل إنسان من أجل عمل ما وألقي الميل إلي هذا العمل في قلبه .
- ومتي تتحرك اليد والقدم دون ميل ؟ ومتي يمضي الشوك والقذي دون ريح وماء ؟
- فإذا كنت تري ميلك نحو السماء فافتح جناح الدولة كأنك طائر البُلَح .

....

(1) ج / 7 - 333 : فللروح بدون البدن جلبة وشأن ، وو الطائر في القفص يكون شديد القلق - فإنتظر حتى يخرج الطائر من القفص ، حتى ترى الأفلاك السبعة مساكين أمامه

(2) ج / 7 - 336 : ولا قصن عليك حكاية إن سمعتها ، لملت حقيقة إلى الحقيقة .

- وإذا كنت تري ميلك نحو الأرض ، فأكثر النواح ولا تقعد عن التفجع .
- والعقلاء هم الذين يبادرون بالنواح ، لكن الجهال هم الذين يلطمون الخدود عند عواقب الأمور .

1625 - فانظر إلي عواقب الأمور من بدايتها ، حتى لا تصير نادما يوم الدين .رؤية الصائغ لعاقبة الأمر وحديثه إلى مستعير الميزان وفقا للعاقبة
- جاء أحدهم إلي صائغ قائلا : أعرني ميزانك فسوف أزن ذهبا .
- قال الصائغ : اذهب فليس عندي غربال ، فقال : أعطني الميزان ودعك من هذه السخرية .
- قال : ليس عندي مكنسة في الدكان ، قال : كفاك كفاك وتوقف عن هذا الهزل .
- أعطني الميزان الذي أطلبه ، ولا تتظاهر بالصم وتنتقل من موضوع إلي موضوع .

1630 - قال : لقد سمعت كلامك ولست بالأصم ، وحتى لا تظن أنني أتحدث بكلام لا معني له .
- لقد سمعت ما تقول لكنك شيخ مرتعش ، تهتز يدك وجسمك ليس بالمنتعش .
- وذلك الذهب الذي لديك هو برادة ذهب حقيرة ولا قيمة لها ، ويدك ترتعش ، ومن ثم فسوف تسقط منك برادة الذهب .
- وسوف تقول : أيها السيد هات المكنسة ، حتى أبحث عن ذهبي في التراب .

- وعندما تكنس التراب سوف تجمعه ، وتقول لي : أريد غربالا أيها الهمام “ 1 “ .

1635 - ومنذ البداية رأيت النهاية تماما ، فاذهب من هنا إلي مكان اخر ، والسلام “ 2 “ .

قصة ذلك الزاهد المعتزل في الجبل الذي كان قد نذر قائلا :
إنني لن أقطع ثمرة من شجرة جبلية ،
ولن أهز الشجرة ولن أطلب من أحد تصريحا أو كناية أن يهزها ،
وما آكله هو ما تسقطه الريح من الشجرة” 3 “

- كان في ذلك الجبل أشجار وثمار ، وكانت الكمثري الجبلية في ذلك المكان لا تحصي ولا تعد .
- وقال ذلك الدرويش : يا رب إنني أتعهد أمامك ألا أقطف من هذه “ الثمار “ في أي وقت .
- “ ولن أقرب “ إلا تلك الثمار التي تسقطها الريح ، وفيما عدا ذلك لن أقطف من هذه الأشجار النضرة .
- وقد أو في بعهده فترة من الزمن ، حتى حلت به امتحانات القضاء .

1640 - ولهذا السبب قال تعالي أن “ استثنوا “ ، قولوا : إن شاء الله ثم عاهدوا .
- ذلك أنني في كل لحظة أضع في القلب ميلا ما ، وفي كل نفس اسم القلب بوسم مختلف .

....
(1) ج / 7 - 342 : إن من يري البداية فحسب يكون أعمي ، وكل من يري العاقبة باله من صاحب معني - وكل من ينظر في بداية الأمر إلي نهايته ، لا يكون خجلا في نهايته - ولما كان الحكم قائماً علي العاقبة ، فإن المكولة عبدة للفقر الصوفي ، والناظرون إلي العاقبة هم أهل إشاد ، فانظر والله أعلم بالسداد .
(2) ج / 7 - 342 : حتى أغربل التراب وأفصل عنه الذهب ، وحتى يكون غربال في محلي ؟ !
(3) ج / 7 - 344 : هذا الكلام لا نهاية له فتحدث عن السر وقل قصة هذا الرجل الزاهد . تمم الحديث الشيخ الفريد ، الذي كان عيشه في ذلك الجبل .

- “ كل إصباح لنا شأن جديد : كل شيء عن مرادي لا يحيد “ 1 “ .
- وقد ورد من الحديث “ الشريف “ أن القلب مثل قشة في فلاة رهن بريح صرصر .
- فالريح تسوق القشة نحو كل صوب كيفما اتفق ، حينا ذات اليمين وحينا ذات اليسار وباختلاف شديد .

1645 - وورد في حديث اخر أن : اعلم أن هذا القلب كما يكون الماء الذي يغلي من النار في قدر .
- ففي كل لحظة يكون للقلب رأي مختلف ، وليس هذا منه بل من موضع اخر .
- إذن : لماذا تكون مطمئنا إلي رأي القلب ، وتتعهد ثم تصير خجلا في النهاية ؟
- إن هذا أيضا من تأثير الحكم والقدر ، أن تري البئر ولا تستطيع منه الحذر .
- وليس عجيبا من الطائر المحلق ألا يري الشراك ثم يسقط في العطب .

1650 - إن العجيب هو أن يري الشراك ويري الوتد ، ويسقط فيه طوعا أو كرها .
- فهو مفتوح العين مفتوح الأذن والشراك أمامه ، لكنه يطير نحو ذلك الشراك بجناحيه .

تشبيه قيود القضاء وشراكه بصورة خفية ذات أثر واضح

- إنك تري ابنا لعظيم عاري الرأس مهلهلا في الأسمال ساقطا في البلاء .
- قد احترق في هوي بغي ، فباع ثيابه وأملاكه .
- صار فاقدا لكل أملاكه ذليلا سيىء السمعة ، تجري عليه مشيئة العدو كأي مدبر مشئوم .

....
(1) في المتن بالعربية .

1655 - فيري زاهدا فيصيح به : أيها العظيم ، همتك في الدعاء من أجلي لوجه الله الكريم .
- فلقد سقطت في هذا الإدبار القبيح ، وفقدت المال والذهب والنعم .
- همتك في الدعاء لعلي أنجو من هذا المصير ، وقد أقفز بقدمي خارج هذا الطين الكدر .
- ولا يفتأ يطلب الدعاء من العامي وممن هو من الخواص ، هاتفا :
الخلاص الخلاص الخلاص .
- فيده مطلقة ، وقدمه مطلقة ، ولا قيد ، ولا حارس فوق رأسه ولا أغلال من حديد تغله .

1660 - فمن أي قيد يا تري تريد " يا هذا " الخلاص ، ومن أي سجن تبحث عن الملاذ ؟
- إنه قيد القضاء والتقدير الخفي ، ذلك الذي لا تبصره إلا روح الصفي ! ! !
- فهو - وإن لم يكن الأمر ظاهرا - في ورطة ، أسوأ من السجن ومن الغل الحديدي .
- ذلك أن الأغلال الحديدية يحطمها الحداد ، كما أن الحفار يستطيع أن ينقب جدار السجن .
- فوا عجبا من هذا القيد الخفي الثقيل الذي يعجز الحدادون عن تحطيمه .

1665 - إن رؤية أمثال هذه القيود قد تيسرت لأحمد ، " عندما أبصره " علي حلق من عقدت حبلا من مسد .
- وقد أبصر علي ظهر زوجة أبي لهب ، حملا من الحطب فلقبها :
حمالة الحطب .

- ولم تر الحبل أو الحطب عين سواه ، وذلك لأن كل خفي كان يظهر له .
- والباقون جميعا قد أولوا هذا الأمر ، وذلك لأنهم واعون بينما تبدو هذه الصورة مما وراء الوعي .
- لكن ظهره كان محنيا من تأثيره ، وكان شاكيا أمامك .

1670 - قائلا : همتك بالدعاء حتى أنجو ، وحتى أتخلص من هذا القيد الخفي .
- ذلك الذي يري هذه الأمارات عيانا ، كيف لا يعرف الشقي من السعيد .
- إنه يعرف لكنه يكتم بأمر ذي الجلال ، إذ لا يكون كشف سر أودعه إياه الحق من قبيل الحلال .
- وهذا الكلام لا نهاية له ، إن ذلك الدرويش قد ضعف من الجوع وانهد جسده

اضطرار الدرويش الذي نذر إلى قطع الكمثرى من الشجرة ، ووصول عقاب الله على الفور

- ولم تسقط تلك الريح ثمرة واحدة من ثمار الكمثري طيلة خمسة أيام ، ومن نار الجوع فر الصبر منه .

1675 - وفي طرف غصن رأي عددا من ثمار الكمثري ، لكنه صبر وكبح جماح نفسه .
- وهبت الريح وانحني الغصن ، وأرغم الطبع علي أكل " الثمار " .
- فالضعف والجوع وقوة جذب القضاء ، جعل الزاهد يحنث بعهده .
- وعندما تدلت الثمار من شجرة الكمثري ، صار واهنا في نذره وعهده .

- وأيضا وفي تلك اللحظة وصل عقاب الحق ، فتح عينيه وعرك أذنيه " 1 " .

اتهام هذا الشيخ مع اللصوص وقطع يدة

1680 - كان ذلك المكان عشرون من اللصوص أو ما يزيد ، أخذوا يقسمون مسروقاتهم .
- وكان أحد " البصاصين " قد أخبر الشرطة ، فهجم رجال الشرطة سريعا .
- وفي نفس المكان بتروا أرجلهم اليسري وأيديهم اليمني وارتفع الضجيج والعويل .
- وقطعت يد الشيخ علي سبيل الخطأ ، وهموا أيضا بقطع رجله .
- ووصل في التو واللحظة فارس من المصطفين ، فصاح بالجلاد : تنبه أيها الكلب .

1685 - إن هذا الرجل هو فلان الشيخ من أبدال الله فلماذا قطعت يده ؟
- فمزق ذلك الجلاد ثيابه ، وجري إلي رئيس الشرطة ينبهه مضطربا .
- فتقدم الشرطي حافي القدم معتذرا قائلا : لم أعلم والله شاهدي .
- هيا اجعلني في حل من هذا العمل القبيح ، يا كريما ويا زعيما لأهل الجنة .
- قال الشيخ : إنني أعلم سبب هذا العقاب ، وأنا أعلم الذنب الذي " به أخذت " .

....
(1) ج / 7 - 353 : والمخلصون دائما في خطر عظيم ، وهناك امتحانات في الطريق يا بني - فإما ألا تنذر ما لا تستطيع الوفاء به ، ولا تعقد في مواضع الخطر واقفز منها سريعاً .
- وينبغي الوفاء بالنذر في طريق الحق ، لكن الحق نفسه من يعطي السبق ، ولقد عاجدنا كثيراً في الأمور ، ونذرنا في السير مرار .
فأين تلك القوة لنفي بها ، ونحن عجزة غير مقتدرين مضطرون . وان لم يأخذ فضله بأيدينا ، فيا ويلنا . . . أية فضيحة تحيق بنا
- ولأعد إلي قصة الفقير عندما حنث بالعهد ، سقط أسيراً في التو وعاقبتة غيرة الحق سريعاً ، إذ قال : أوفوا بالعقود .

1690 - لقد اعتديت علي حرمة إيمانه ، فلا شك أن محكمته قد حكمت بقطع يميني .
- لقد نكثت بالعهد وعملت أن هذا “ أمر “ سيىء ، حتى حاق شؤم جرأتي هذه بيدي .
- ولتكن أيدينا وأرجلنا وألبابنا وجلودنا فداء أيها الوالي لحكم الحبيب .
- كان هذا قدري وقد جعلتك في حل منه وسامحتك فيه ، فلم تكن تعلم ولن يصببك وبال .
- ومنفذ الأمر هو أعلم مني ومنك ، فأي موضع هنا للجدال مع الله .

1695 - ورب طائر محلق باحث عن الحب ، مزق حلقه ذاته حلقومه .
- ورب طائر بسبب معدته وشدة جوعه ، صار حبيسا في قفص قريب من السقف .
- ورب سمكة في أعماق الماء ، صارت فريسة للشص من حرص حلقها .
- ورب مخدرة عقيلة كانت في حجابها ، فضحها شؤم الفرج والحلق .
- ورب قاض حبر حسن الطوية ، اصفر وجهه من جراء حلقه ومن “ تعاطيه “ الرشوة .

1700 - بل إن هذا الشراب كان بالنسبة لهاروت وماروت مانعا من العروج إلي العرش .
- ومن أجل هذا احترز أبو اليزيد ، عندما رأي في نفسه كسلا في الصلاة .
- وفكر ذو اللباب ذاك في سبب هذا البلاء ، فرأي أن العلة هي شرب الكثير من الماء .
- فقال “ معاهدا “ : لن أشرب الماء ولمدة عام ، وبر بعهده فرزقه الله الاحتمال .

- وقد كان هذا أقل جهد له في الدين ، فصار سلطانا للعارفين وقطبا لهم .

1705 - وعندما بترت اليد من جراء الحلق ، أغلق الرجل الزاهد باب الشكوي .
- وصار اسمه عند الخلق الشيخ الأقطع، وجعلته افات الحلق معروفا بهذه الصفة "1".

كرامات الشيخ الأقطع وقيامه بجدل الزنبيل بكلتا يديه

- راه أحد الزائرين في عريشه ، وهو يجدل زنبيلا بكلتا يديه .
- فقال له " الشيخ " يا عدوا لروحك ، لقد جئت إلي كوخي وتجسست " علي " .
- فلماذا تسرعت هكذا " وكأنك " في سباق ؟ فأجابه : من فرط الحب والاشتياق .

1710 - فبش له قائلا : ادخل الآن ، ولكن أكتم عني هذا الأمر أيها العظيم المبجل .
- ولا تحدث أحداً بهذا الأمر حتى موتي ، قرينا كان أو حبيبا أو حقيراً .
- ثم أطل عليه قوم آخرون من كوة كوخه ، واطلعوا علي ما يقوم به من عمل .
- فقال " مناجيا " : إنك تعلم الحكمة في هذا يا ربي ، إنني أخفي وأنت تعلن .
- فجاءه الإلهام بأن الناس منذ فترة وهم ينكرون عليك هذه المحنة قائلين :

....
(1) ج / 7 - 362 : وإذا أردت اسمه الأول ، فاعلم أنه أبو الخير التيناتي .

1715 - ربما كان مرائيا في الطريق ، بحيث فضحه الله من بين أقرانه .
- وأنا لا أريد أن يكفر هذا القطيع ، ويمضون ضالين في ظن السوء .
- ومن هنا أظهرنا هذه الكرامة ، إننا نرد إليك يدك عندما تقوم بالعمل .
- حتى لا يرد هؤلاء المساكين سيئي الظن عن جناب السماء .
- ومن قبل أن أهبك هذه الكرامات ، كنت أهبك السلوي من ذاتي .

1720 - ومتى وهبتك هذه الكرامة من أجلهم ، ووضعت لك هذا المصباح لهذا السبب .
- وقد جاوزت أنت مرتبة أن تخشي من موت الجسد ومن تفرق أعضاء البدن .
- فالخوف من انفصال الرأس والقدم قد مضي عنك ، ورزقت درعا شديد العظم لدفع الوهم “ عنك “ .

سبب جرأة سحرة فرعون على قطع أيديهم وأرجلهم

- ألم يهدد فرعون اللعين السحرة بالعقاب في الحياة الدنيا قائلا لهم :
- لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ، ثم لأصلبنكم ، ولن أعفيكم من هذا العقاب .

1725 - وكان يظن أنهم لا يزالون “ مقيمين “ علي نفس الوهم والخوف والوسواس والظن .
- وأنهم كانوا يرتعدون فرقا وهلعا من الأوهام وتهديدات النفس .
- لم يكن يدري أنهم قد نجوا ، وجلسوا علي كوة نور القلب .
- وميزوا بين ظلالهم وذواتهم فهم مسرعون نشطاء متحملون مرحون .
- فلو أن هاون الفلك قد دقهم ومزقهم إلي مائة قطعة في موطن الطين هذا !

1730 - ما داموا قد رأوا أصل هذا التركيب ، فقد قل خوفهم من فروع الوهم .
- فهذه الدنيا حلم فلا تتوقف علي “ الحلم “ والظن ، فإذا بترت يد في حلم فلا بأس .
- وإذا بترت رأسك في الحلم ، “ فاعلم “ أن عمرك طويل ، ورأسك “ الحقيقية “ لا تزال في مكانها .
- وإذا رأيت نفسك في النوم مشطورا إلي نصفين ، فأنت إذا قمت تقوم صحيح الجسد ولست بالسقيم .
- والخلاصة أن نقصان البدن في النوم لا خوف منه حتى وإن تمزق إلي مائتي قطعة .

1735 - لقد قال الرسول عليه السلام : إن هذه الدنيا الموجودة بصورتها هي حلم نائم ، وقد صدقت هذا علي سبيل التقليد .
- أما السالكون فقد رأوا هذا الأمر عيانا ، حتى وإن لم يخبرهم به الرسول .
- وأنت نائم في رابعة النهار ، لا تقل ليس هذا بنوم ، إن الظل فرع ولا أصل إلا ضوء القمر .
- فاعلم أيها السيد السنة أن نومك ويقظتك يشبهان ما يراه النائم الذي غرق في النوم .
- لقد ظن وقال علي سبيل هذا الظن : إنني نائم الآن ، وهو غافل عن أنه في النوم الثاني .

1740 - والفخاري إذا كسر الإناء ، هو نفسه الذي يستطيع أن يصلحه ثانية .
- والأعمي يخشي من البئر في كل خطوة ، ويسير في الطريق بخوف لا نهاية له “ 1 “ .

....
(1) حرفيا : مع مائة ألف من أنواع الخوف .

- والبصير يري عرض الطريق ، فيعلم أين تكون الحفر وأين يكون البئر
- ولا ترتعد قدماه وركبتاه في كل لحظة ، فمتي يعبس بوجهه من كل هم " يلم به " .
- فاستيقظ يا فرعون ، فنحن لسنا من أولئك الذين يتوقفون من جراء كل صوت وكل " غول " .

1745 - ومزق خرقنا فالحائك موجود ، وإلا فإن العري أفضل بالنسبة لنا .
- عراةً نكونُ وهذا المعشوق إلي جوارنا ، وهذا أمر نحبذه أيها العدو الفاسد .
- وليس هناك أجمل من التجرد من الجسد ومن الطبيعة ، يا فرعون الأبلة عديم الإلهام .

شكوى البغل للجمل قائلا : إنني أسقط كثيرا في الطريق
وأنت لا تسقط إلا نادرا

- قال البغل للجمل : أيها الرفيق الطيب ، إنك في المرتفعات والمنخفضات والطريق شديدة الضيق .
- لا تسقط علي رأسك وتسير بيسر ، فكيف أسقط أنا علي رأسي كالغوي ؟

1750 - إنني أنكب علي وجهي كل ان ، سواء في الأرض اليابسة أو الأرض المرطوبة .
- فقل لي ما هو السبب ، حتى أعلم بدوري كيف ينبغي العيش ؟
- قال " الجمل " إن عيني أقوي إبصاراً من عينيك ، ثم إنها ناظرة من عل
- وعندما أصعد فوق جبل عال فإنني أري اخر العقبة منتبها .
- إذن : فالإله هو الذي فتح عيني علي كل مرتفعات الطريق ومنخفضاته .

1755 - فأخطو كل خطوة بتوجيه من الرؤية ، وأنجو من العثار والسقوط .
- وأنت لا تري أمامك إلا بخطوة أو خطوتين ، إنك تري الحب ولا تري عناء الفخ .
- “ يستوي الأعمي لديكم والبصير في المقام والنزول والمسير “ “ 1 “ .
- وعندما يهب الله الجنين الحياة في البطن ، فإنه يخلق في مزاجه جذب الأشياء .
- فيجذب الأجزاء من الطعام ، وينسج بها سدي جسده ولحمته .

1760 - وحتى سن الأربعين جعله الله حريصا علي جذب الأشياء من أجل أن يتم النمو .
- لقد علم الروح جذب الأشياء ، فكيف لا يعلم الملك الفرد جذب الأشياء ؟
- إن شمس الوجود جامعة لهذه الذرات ، وتستطيع أن تجذب أجزاءك خطفا دون غذاء .
- ففي تلك اللحظة التي يستيقظ فيها من النوم ، يستدعي الوحي والإحساس الغائبين سريعاً .
- حتى تعلم أنه لا يغيب عنه ، وأنه يعود عندما يأمره قائلا : عد .

اجتماع أجزاء حمار عزير بعد تحللها وجمعها معا
وتركيبها بإذن الله أمام بصر عزير

1765 - هيا يا عزير : أنظر إلي حمارك الذي تحلل وتبعثرت أعضاؤه إلي جوارك .
- ولنجمع أجزاءه أمام بصرك ، رأسه وذيله ورجله .
- فلا يد لكنه “ سبحانه “ يضع الجزء فوق الجزء ، ويمنح الأشتات

....
(1) بالعربية في المتن الفارسي .

الاجتماع .
- فانظر إلي صنعة الرتق ، فهو الذي يرتق الشيء المهترىء دون سم خياط .
- فلا خيط ولا سم خياط عند الرتق ، وهو يخيط بحيث لا يظهر الرفو .

1770 - افتح عينيك وانظر إلي الحشر عيانا ، حتى لا يبقي لديك شك في يوم الدين .
- وحتى تري كيف أجمع “ الأجزاء “ بشكل تام ، وحتى لا ترتعد عند الموت من الهم .
- فهو كما تكون عند النوم امنا ، من فوت كل أحاسيس البدن .
- ولا ترتعد خوفا علي حواسك عند النوم ، بالرغم من أنها تتحرك وتتفرق .

عدم جزع أحد المشايخ على موت أبنائه

- كان فيما مضي أحد الشيوخ المرشدين ، كان شمعا سماويا فوق الأرض .

1775 - كان كالرسول بين أمته ، فاتحا لأبواب روضه دار الجنان .
- قال الرسول إن الشيخ الواصل ، يكون كالنبي بين قومه .
- وذات صباح قالت له زوجته : كيف تكون قاسي القلب يا طيب السجايا .
- إننا من موت أبنائك ورحيلهم ، ننوح وقد انقصمت ظهورنا .
- فلماذا لا تبكي أنت ولا تنوح ؟ أتري قلبك لا تحل فيه الرحمة أيها العظيم ؟

1780 - وإذا كان باطنك خاليا من الرحمة ، فأي أمل يكون لنا فيك الآن ؟
- ونحن علي أمل فيك أيها المرشد ، ألا تتركنا في العدم .
- وعندما يزينون العرش يوم الحشر ، فأنت نفسك شفيعنا في هذا اليوم

العصيب .
- ونحن في مثل ذلك اليوم والليل الذين لا أمان فيهما " نحيا " علي رجاء إكرامك .
- فأيدينا وأطراف ثوبك في ذلك الزمان ، الذي لا يكون فيه لمجرم أمان أبدا .

1785 - لقد قال الرسول عليه السلام : متي أترك المجرمين يوم الحشر يذرفون الدموع .
- فسوف أكون شفيعا للعصاة بكل ما وسعني ، وذلك حتى أنجيهم من العذاب الأليم .
- فأنجي العصاة وأهل الكبائر بكل جهد ، من عقاب نقضهم للعهد .
- أما علماء أمتي فهم أنفسهم فارغون من شفاعات يوم العقاب .
- بل تكون لهم هم أنفسهم شفاعات ، وتجري أقوالهم كأنها الحكم النافذ .

1790 - ولا يزر وازر قط وزر اخر ، ولست بالوازر هكذا رفعني الإله .
- ومن هو بلا وزر شيخ أيها الشاب ، هو في قبول الحق كما يكون القوس في اليد .
- ومن هو الشيخ ؟ أهو كبير السن أشيب الشعر ، فاعرف معني هذا الشعر يا ذا الأمل الباطل ! !
- إن الشعر الأسود هو وجوده ، ومعني الشيب ألا يبقي من وجوده مقدار شعرة واحدة .
- وما لم يبق من وجوده شيء فهو شيخ ، ولو كان أسود الشعر أو أشمط .

1795 - فذلك الشعر الأسود هو صفات البشرية ، وليس المقصود به شعر الرأس أو شعر اللحية .
- فعيسي في المهد أطلق النفير قائلا : إنني أنا الشيخ والمرشد وأنا لم أبلغ الصبا بعد .
- لكن " المرء " إذا تخلص من بعض أوصاف البشر ، لا يكون شيخا بل يكون كهلا يا بني .
- وعندما لا تبقي فيه شعرة واحدة مما وصفناه انفا ، فهو شيخ ومقبول من الله .
- وإذا كان أشيب الشعر وكان مع ذاته فهو ليس بشيخ وليس من خاصة الله

1800 - وإذا بقي من وصفه مقدار طرف شعرة ، فهو ليس من العرش بل من الآفاق " 1 " .

اعتذار الشيخ على عدم بكائه على أبنائه

- قال لها الشيخ : لا تظني أيتها الرفيقة ، أنني خال من الرحمة والحنان وليس لي قلب شفيق .
- فإننا نحس بالرحمة حتى بالنسبة لكل الكفار ، بالرغم من أن أرواحهم جميعا كافرة بالنعمة .
- وعلي الكلاب مني رحمة وعطاء ، و " دوما أتساءل " لماذا ترمي دائما بالحجارة عقابا ؟
- إنني أدعو لذلك الكلب العقور ، قائلا : يا إلهي خلصه من هذه الخصلة .

1805 - فَحُل أيضا بين هؤلاء الكلاب وبين التفكير في العقر ، بحيث لا يتعرضون للحجارة من الناس .

....
(1) ج / 7 - 377 - ونحن كلنا علي رجاء منك ، وجامعو - فتات - مائدة إحسانك - لكن مع كل هذا أنت بلا شفقة ، فلماذا تخلو من الرأفة علي أولادك - أو ربما لا يرق قلبك ، حدثنا يا شيخ عن أحوالك .

- ومن أجل هذا أتي بالأولياء إلي الأرض ، وذلك لكي يجعل منهم رحمة للعالمين .
- إنهم يدعون الناس إلي العتبة الخاصة ، ويدعون الحق قائلين اجعل الخلاص وافرا .
- وهم يقومون بكل جهدهم في الدنيا من أجل الوعظ ، وعندما لا تؤثر عظاتهم يدعون قائلين : يا إلهي لا تغلق الأبواب .
- إن الرحمة الجزئية إنما توهب للعوام ، لكن الرحمة الكلية تذهب لأهل الهمة .

1810 - ذلك لأن رحمتهم الجزئية قد اتصلت بالرحمة الكلية ، ورحمة البحر تكون هادية للسبل .
- فجاهد لتجعل الرحمة الجزئية لديك متصلة بالكلية ، وانظر إلي الرحمة الكلية هادية وامض في سبيلك .
- وما دام المرء جزئيا فهو لا يعرف طريق البحر ، وكل غدير يجعله من أشباه البحر .
- إنه يتصل بالبحر عندما يسلك الطريق إلي البحر كما يفعل السيل والنهر .

1815 - وإذا كان يقوم بالدعوة فهو يقوم بها علي سبيل التقليد ، لا من العيان والوعي والتأييد .
- قالت الزوجة : " إذن ما دمت تشعر بالرحمة تجاه الجميع ، وأنت كالراعي حول هذا القطيع .
- فكيف لا تنوح جزعا علي أولادك ، عندما يخزهم فصاد الأجل بمبضعه ؟
- وإذا كانت دموع العين علامة علي الرحمة ، فلماذا " أري " عينيك خاليتين من البكاء والدموع .

- فالتفت إلي المرأة قائلا : أيتها العجوز ، لا يكون “ زمهرير “ شهر ديماه مثل هجير “ تموز “ .

1820 - فسواء - كانوا جميعا أحياء أو أمواتا ، متي كانوا - غائبين عن عين القلب .
- وما دمت أراهم عيانا أمامي ، فلا سبب لكي أصك الوجه وأخمشه مثلك ؟
- إنهم وإن كانوا خارج دوران الزمان ، فإنهم حولي يلعبون .
- والبكاء يكون من الهجر أو من الفراق ، لكني مع أعزائي في وصال وعناق .
- إن الناس يرونهم في النوم ، لكني لا زلت أراهم في اليقظة عيانا .

1825 - إنني أخفي نفسي برهة من الزمان عن هذه الدنيا ، وأنفض أوراق الحس عن شجرة (الوجود) .
- وكما يكون الحس أسير اللعقل يا هذي ، اعلمي أن العقل بدوره أسير للروح .
- وقد غلت الروح يد العقل وقيدتها ، وجعلته معتادا علي الأمور المحدودة .
- والأحاسيس والأفكار فوق الماء الصافي ، تكون كالقذي فوق سطح الماء - لكن يد العقل تزيح هذا القذي دفعة واحدة ، فيظهر الماء “ صافيا “ أمام العقل .

1830 - فالقذي يكون متراكما فوق الجدول كالحباب ، وعندما يزاح القذي جانبا يظهر الماء .
- وعندما لا يفتح الله علي قدرة العقل ، فإن القذي يزداد من الجو فوق مائنا .

- إنه يجعل الماء مختفيا لحظة بعد أخري ، ويكون الجو ضاحكا بينما يكون العقل باكيا .
- وعندما تقيد التقوي يد الهوي ، فإن الحق يفك الأغلال عن كلتا يدي العقل .
- فتصير الحواس الغالبة طوع أمرك ، ما دام العقل قد صار سيدا ومخدوما لك .

1835 - إنه يجعل الحواس في نوم دون أن يكون هناك نوم ، حتى تطل الغيوب من الروح .
- فتري الأحلام في اليقظة ، وتتفتح الأبواب من الفلك .

قصة قراءة الشيخ الضرير في المصحف وهو أمامه
وعودة إبصاره إليه وقت القراءة

- رأي ذلك الشيخ الفقير في الأيام السالفة ، مصحفا في منزل شيخ ضرير .
- كان ضيفا عليه في هجير أيام تموز واجتمع الزاهدان عدة أيام .
- فقال لنفسه : عجبا ؟ لماذا يوجد المصحف هنا ؟ ما دام هذا الدرويش الصادق ضريرا ! !

1840 - وزاد تفكرا من هذا التساؤل ، إذ لم يكن سواه في ذلك المكان رائح أو غاد .
- إنه وحيد وقد وضع مصحفا “ في صومعته “ ، وأنا لست بالمجترىء علي السؤال أو المختلط عليه .
- حتى أوجه إليه السؤال ، لا ، صمتا ولأصبر ، حتى أصل إلي مرادي بالصبر “ 1 “ .
- فصبر وظل فترة في حرج ، ثم انكشف له الأمر ، فالصبر مفتاح الفرج .

....

(1) ج / 7 - 399 : فالصبر كنز فاصبر يا بني ، حتى نجد الشفاء من دائك القديم . والصبر هو الرائد لكشف كل سر ، والصبر مر لكن ثمرة حلو .

صبر لقمان عندما رأى داود عليه السلام يصنع الحلقات عن سؤاله بنية أن الصبر عن السؤال يوجب الفرج

- ذهب لقمان نحو داود الصفاء ، فرآه يضع حلقات من الحديد .

1845 - كان يوصلها كلها ببعضها ، " وكان يصنعها " من الفولاذ ذلك الملك رفيع الشأن .
- لم يكن قد رأي صنعة الزراد إلا قليلا ، فظل متعجبا وزاد وسواسه .
- " وأخذ يتساءل بينه وبين نفسه " ماذا يمكن أن يكون هذا ؟ فلأسأله : ماذا تصنع بهذه الحلقات المتداخلة ؟
- ثم قال لنفسه : إن الصبر أولي ، فإن الصبر أسرع في إبلاغ المقصود .
- وعندما لا تسأل تتكشف لك الأمور سريعا ، وطائر الصبر أسرع في طيرانه من بقية الطيور .

1850 - وإن تسأل يتأخر المراد في الحصول ، والسهل دون صبر منك يصير صعبا .
- وعندما سلم لقمان الأمر وفي نفس اللحظ ، كان داود قد أتم ما يقوم بصنعه .
- كان قد صنع درعا ولبسه أمام لقمان الكريم الصبور .
- وقال له : هذا لباس جيد أيها الفتي ، فهو مانع للجراح في الحرب والوغي .
- فقال لقمان : إن الصبر أيضا درع طيب ، فهو ملاذ ودافع للحزن في كل مكان .

1855 - ولقد قرن الصبر بالحق أيضا يا فلان ، فاقرأ اخر " والعصر " بوعي .

- لقد خلق الحق مئات الآلاف من أنواع الكيمياء ، لكن الإنسان لم ير كيمياء أفضل من الصبر .

بقية حكاية الأعمى والمصحف

- فصبر الرجل الضيف ، وفجأة انكشف أمامه حل المشكل في لحظة .
- ففي منتصف الليل سمع صوت “ تلاوة “ القران ، فاستيقظ قافزا من النوم وشاهد تلك العجائب .
- كان الأعمي يقرأ من المصحف قراءة صحيحة ، فنفد صبره وسأله عن سر “ ذلك الحال “ .

1860 - وقال له : عجبا ، كيف وأنت ذو عين ضريرة تقرأ ؟ وكيف تري السطور ؟
- إنك تقع “ ببصرك “ علي ما تقرأ ، وتقع يدك علي كلماته ؟
- وأصبعك في حركتها “ علي السطور “ تبين أنك تركز بصرك علي الألفاظ ؟
- فأجابه : يا من صرت مفصولا من جهل الجسد ، هل تتعجب في هذا من صنع الله ؟
- لقد طلبت من الحق ودعوته قائلا : يا مستعان إنني حريص علي التلاوة حرصي علي الروح .

1865 - ولست بالحافظ فهب عيني نوراً عند القراءة بلا أشكال .
- ورد عليّ بصري عندما أحمل المصحف حتى أقرأ عيانا ؟
- فهتف بي هاتف من الحضرة قائلا : يا رجل العمل ، يا من أنت راجيا فينا عند كل ألم .
- إن عندك حسن الظن والأمل الحلو الذي يقول لك في كل لحظة ارتفع واسم .
- فعندما تريد أن تقرأ ، أو تحتاج إلى التلاوة من المصحف .

1870 - سوف أرد عليك بصرك في تلك اللحظة ، حتى تقرأ يا أيها الجوهر العظيم .
- وهكذا حدث ، وكلما تفتحت المصحف ، وطفقت أقرأ .
- فإن ذلك العظيم الخبير الذي لا يغفل عن أمر ، وذلك الملك الكريم رب " العباد "
- يهبني بصري ثانية ذلك المليك الفرد في نوره ، ويصبح كأنه مصباح الساري .
- ولهذا السبب لا يكون عند الولي اعتراض ، وذلك أن كل ما يأخذه " الله " يرسل عوضا عنه .

1875 - فإن احترقت حديقتك يهبك كرمة ، وفي قلب المأتم يهبك عرسا .
- فيعطي ذلك الأكتع الذي لا يد له يدا ، ويهب منجم الهموم قلبا سعيداً .
- لا ، إننا نسلم وقد ذهب عنا الاعتراض ، ما دام العوض يأتي عن هذا المفقود عظيما .
- وما دامت الحرارة تصل إلينا دون وجود نار فنحن راضون حتى ولو جذبتنا النيران " 1 " .
- وما دام يهبك نوراً دون مصباح ، فلماذا تجأر بالشكوي إذا ضاع مصباحك ؟

صفة بعض الأولياء الراضين بالأحكام فلا يدعون ولا يشكون قائلين : ارفع عنا هذه الأحكام

1880 - استمع الآن إلي قصة أولئك السالكين الذين لا اعتراض عندهم في هذه الدنيا .

....
(1) ج / 7 - 407 : وما دام يهبك النور دون عين ، ويكون هذا العمي كعين مبصرة .

- وهم غير أولئك الأولياء أهل الدعاء ، الذين يرتقون حينا وحينا يفتقون .
- فأنا أعرف قوما آخرين من الأولياء ، قد انغلقت أفواههم عن الدعاء .
- إن هؤلاء الكرام مستكينون رضا ، صار طلب دفع القضاء عندهم من قبيل الحرام .
- فهم يرون في القضاء متعة خاصة ، وطلب الخلاص بالنسبة لهم من قبيل الكفر .

1885 - لقد تفتح حسن الظن في قلوبهم ، فهم لا يلبسون عند الغم لباس الحداد الأزرق " 1 " .

استفسار بهلول من ذلك الدرويش

- قال بهلول لأحد الدراويش : كيف أنت أيها الدرويش ، اجعلني واقفا علي أحوالك .
- فأجاب : كيف يكون من تسير الدنيا وأمورها دوما وفق هواه ؟
- تتدفق السيول والأنهار وفق مراده ، وتصير الكواكب علي النسق الذي يريدها أن تكون عليه .
- والحياة والموت حراس له ، يسيران وفق مراده حيا بحي .

1890 - وحينما يريد يرسل التعزية ، وحيثما ينبغي يهب التهنئة .
- وسالكو الطريق أيضا وفق هواه ، والعاجزون علي الطريق في شراكه .
- ولا يضحك سن في الدنيا ، دون رضا ذلك النافذ الأمر وأمره " 2 " .

....
(1) ج / 7 - 412 : وكل ما يتأتي يكون عندهم حلوا ، يكون ماء حياة وإن كان ناراً ، يكون السم في حلوقهم سكرا ، ويكون الحصي في طريقهم جوهرا استوي عندهم الخير والشر ومن أي شي هذا من حسن الظن . والدعاء عندهم كفر وأن يقولوا يا الهي حول عنا هذا القضاء .
(2) ج / 7 - 416 : ولا تسقط ورقة دون رضاه ، ولا يتأتي موت دون قضائه . ولا يتحرك عرق دون مراده ، في الدنيا من أوج الثريا إلي أعماق الأرض .

- قال : صدقت أيها السلطان ، فهذا واضح من بهائك وسيماك .
- هذا لك وأضعافه أيها الصادق ، لكن : اشرح هذا الأمر وبينه جيداً .

1895 - بحيث يكون مقبولا عند أسماع أهل الفضل وأهل الفضول عندما يبلغها .
- اشرحه وبينه بالتفصيل ، بحيث يستفيد منه عقل العامي .
- فإن الناطق الكامل عندما يكون مادا للسماط ، يكون سماطه مليئا بكل أنواع الحساء .
- بحيث لا يبقي ضيف بلا نوال ، ويجد كل إنسان غذاءه الخاص به .
- مثل القران الذي هو بمعناه سبعة أبطن ، للخاص والعام مطعم من داخله .

1900 - قال : أليس قد صار يقينا عند الجميع، أن الدنيا في دورانها مطيعة لأمر الله؟
- فلا تسقط ورقة من شجرة قط ، بلا قضاء سلطان الإقبال ذاك وحكمه .
- ولا تسري لقمة من الفم إلي الحلق ، ما لم يأمرها الحق بأن تسري إليه .
- والميل والرغبة وفي يديهما زمام الآدمي ، حركتهما طوع أمر ذلك السني **؟!!**
- ولا ذرة ولا قشة تتحرك أو تطير في السماوات والأرضين .

1905 - إلا بأمره القديم النافذ ، ولا يمكن أن نشرح أكثر كما أن الجلد علي هذا ليس علي ما يرام .
- بحيث تستطيع أن تعد أوراق الشجرة كلها ، فمتي يمكن أن يصير المرء منطلقا في نطقه عن اللانهائي .

- فاستمع إلي هذا القدر : إنه لما كان الأمر كله لا يتحول إلا بأمر الله سبحانه وتعالي .
- ولما كان قضاء الحق هو رضا العبد ، صار العبد مريدا لحكمه .
- لا تكلفا ولا من أجل الأجر والثواب ، بل لأن طبعه قد استطاب هذا الأمر .

1910 - إنه لا يريد حياته من أجل نفسه ، ولا من أجل لذة الحياة المنعمة .
- وحيثما يكون مسار لأمر القدم ، فإن الحياة والموت بالنسبة له سيان .
- إنه يعيش من أجل الله لا من أجل الكنز ، ويموت من أجل الله لا من الخوف أو التعب .
- بل إن إيمانه من أجل إرادة الله ، لا من أجل الجنة أو الأشجار والأنهار .
- وتركه الكفر أيضا من أجل الحق ، لا من أجل خوفه من الورود علي النار .

1915 - وهذا أمر في طبعه من الأصل ، لا من الرياضة الروحية ولا من الطلب والسعي .
- إنه يضحك رضا عندما يحل به القضاء ، فهو بالنسبة له كأنه الحلوي بالسكر .
- والعبد الذي تكون هكذا خلقته وجبلته ، ألا تسير الدنيا وفق أمره وحكمه ؟
- فلماذا يشكو إذن ولماذا يدعو قائلا : يا الله حول عني هذا القضاء .
- وموته وموت أبنائه يكونان عنده من أجل الحق كالحلوي في الحلق .

1920 - ونزع الأبناء عن ذلك الوفي ، كأنه حلوي القطائف أمام المحروم .
- إذن لماذا يدعو قائلا : يا الله ، إلا إذا كان يري في الدعاء رضا الخالق .

- وتلك الشفاعة وذلك الدعاء لا يقوم بهما ذلك العبد ذو الرشد عن شفقة .
- لقد أحرق " ذاته " شفقة في نفس تلك اللحظة التي أشعل فيها مصباح الحق .
- فالعشق جحيم أوصافه ، قد أحرق فيه كل أوصافه شعرة بشعرة .

1925 - ومتي فهم كل طارق هذه الفروق ، إلا " الدقوقي " الذي صال في هذه الدولة .

قصة الدقوقى وكراماته

- كان الدقوقي ذاك بهي الطلعة ، كان سيدا عاشقا صاحب كرامة .
- كان يمضي علي الأرض كالقمر في كبد السماء ، صار للسارين منه روح نيرة .
- وقليلا ما اتخذ من مقام مسكنا ، وقليلا ما مكث يومين في قرية واحدة .
- وقال : لو مكثت يومين في مسكن واحد ، فإن عشق ذلك المسكن يتأجج في داخلي .

1930 -" غرة المسكن أحاذره أنا * انقلي يا نفس سافر للغنا-لا أعود خلق قلبي بالمكان * كي يكون خالصا في الامتحان "" 1 " .
- كان نهاره تجوالا وليله صلاة ، وعينه مفتوحة علي المليك كأنها عين البازي .
- كان منقطعا عن الخلق لا عن سوء طوية ، كان " مفردا " عن الرجال والنساء لا من الإثنينية .
- وكان مشفقا علي الخلق نافعا كالماء ، كان شفيعا طيباً مستجاب الدعاء .

1935 - وكان حنونا علي الطيب وعلي الشرير ، وكان ملاذا أفضل من الأم وأكثر حنانا من الأب .

....
(1) بالعربية في المتن .

- فقد قال الرسول عليه السلام : إنني لكم أيها العظماء شفيق مثل الأب وحنون .
- وذلك لأنكم جميعا أجزاء مني ، فلماذا تفصلون الجزء عن الكل ؟
- فإذا انقطع الجزء عن الكل صار بلا نفع ، وإذا انقطع العضو عن الجسد صار ميتة .
- وما لم يتصل بالكل مرة ثانية ، يكون ميتا لا خبر عنده عن الروح .

1940 - وإذا تحرك فليس هذا في حد ذاته دليلا " علي حياته " فإن العضو الذي بتر حديثا يختلج أيضا .
- وإذا قطع الجزء من هذا الكل يضيع تماما ، إذ لا يصبح بعدها " كلا " ذلك الذي انقطع .
- إن قطعة ووصله لا يتأتيان في مقال ، لقد قبل شيء ناقص علي سبيل المثال .عودة إلى قصة الدقوقى
- لقد سمي الرسول " عليا " أسدا علي سبيل المثال ، والأسد لا يكون مثله حتى علي سبيل المثال .
- وانصرف عن المثال والمثل والفرق بينهما أيها الفتي ، " وعد " إلي قصة الدقوقي .

1945 - ذلك الذي كان في الفتوي إماما للخلق ، كان يختطف كرة التقوي من الملائكة .
- ذلك الذي كان يزري بالقمر في سيره ، بل كان الدين نفسه يحسده علي تدينه .
- ومع وجود التقوي والأوراد والقيام ، كان طالبا لخواص الحق علي الدوام .

- وفي أثناء سياحاته كان منتهي مراده ، أن يغتنم لحظة حضور علي عبد خصه الله .
- وكان دائما يدعو عندما يمضي في الطريق ، يا إلهي اجعلني قرينا لخواصك .

1950 - يا رب ، إنني عبد عاقد الحزام " خدمة " لأولئك الذين يعرفهم قلبي ، شاكر لجميلهم .
- أما من لا أعرفه منهم يا رب الروح ، فاجعله شفيقا عليَّ أنا المحجوب عنه .
- كان هاتف الحضرة يصل إليه قائلا : أيها الصدر العظيم ، أي عشق هذا وأي استسقاء ؟
- إنك محاط بحبي فلماذا تبحث عن الغير ؟ وما دام الله معك فكيف تبحث عن البشر ؟
- فكان يجيب : يا إلهي ، يا عالما بالسر ، إنك أنت الذي فتحت في قلبي طريق الاحتياج .

1955 - ولو أنني وجدت في قلب البحر ، لطمعت أيضا في ماء الجرة .
- إنني مثل داود لي تسع وتسعون نعجة " 1 " ، وتحرك في قلبي الطمع إلي نعجة أخي ! ! - إن الحرص والطمع في عشقك فخر وجاه ، والحرص والطمع فيما هو سواك عار وفساد .
- إن الشهوة والحرص كمال عند الرجال ، لكنه عند المخنثين عار وسوء سلوك .
- إن الحرص لدي الرجال من قبيل الكمال ، وعند المخنثين يكون ضعة وانحطاطا .

....

(1) في المتن مثل داود ، ولي تسعون نعجة .

1960 - فالحرص عند ذاك من كمال الرجولة ، أما عند هذا فهو افتضاح وسخف .
- اه ، فإن ثمة سرا خفيا شديد الخفاء بحيث يصير موسي مسرعا في أثر الخضر .
- ومثل المستسقي الذي لا يرتوي من الماء ، لا تتوقف - بالله عليك - علي كل ما وجدت “ 1 “ .
- إن هذا العتبة حضرة لا نهاية لها ، فاترك الصدر ، فصدرك هو الطريق و “ الطلب “ .

سر طلب موسى للخضر مع كمال نبوته وقربه

- تعلم من كليم الحق أيها الكريم ، وانظر إلي ما يقوله الكليم من الشوق .

1965 - ومع ما كان له من نبوة وجاه ، “ قال “ : أنا طالب للخضر بريء من الغرور .
- يا موسي لقد هجرت قومك ، وصرت شريدا في إثر مبارك القوم .
- أيها العظيم لقد نجوت من الخوف والرجاء ، فحتام تسعي وحتام تبحث ؟ وإلي أين ؟
- إن مطلوبك - معك وأنت واقف عليه ، أيتها - السماء - حتام تقطعين الأرض ؟
- قال موسي : قللوا من هذا الملام ، وقللوا قطع الطريق علي الشمس والقمر .

1970 - إنني أمضي إلي مجمع البحرين ، حتى أصير في صحبة سلطان الزمن .
- “ اجعل الخضر لأمري سببا ، ذاك أو أمضي وأسري حقباً “ “ 2 “ .

....

(1) ج / 7 - 429 : وعندما عبرت من واحدة ، تصل أحدث منها ، تصل تلك التي تكون أرفع درجة منها .
(2) بالعربية في المتن .

- ولأحلق سنوات بالجناح والقوادم ، وماذا تكون السنوات ؟ بل آلاف السنوات .
- أجل لأمشِ ، أليس يستحق هذا ذاك ؟ ، فلا تعتبر عشق الأحبة أقل من عشق الخبز ! !
- هذا الكلام لا نهاية له أيها العم ، فارو لنا قصة الدقوقي ذاك .عودة إلى قصة الدقوقى

1975 - قال الدقوقي ذاك رحمة الله عليك “ لقد سافرت مدي في خافقيه “ .
- وسحت السنين والشهور من عشق الحبيب ، غافلا عن الطريق حائرا في الإله .
- “ وكم سئل “ : أتمشي حافيا علي الشوك والحصي ؟ فكان يجيب : إني حائر غافل عن نفسي مذهول .
- فلا تنظر إلي هذه الأقدام علي الأرض ، ذلك أن العاشق يمشي علي قلبه يقينا .
- وماذا يدري القلب وهو ثمل بالمحبوب عن الطريق إلي المنزل قريبا كان أو بعيدا ؟

1980 - إن ذلك “ القريب “ و “ البعيد “ أو صاف للجسد ، وسير الأرواح سير اخر .
- لقد - سافرت أنت من النطفة إلي العقل ، لا بالخطو ، فلا منزل ولا نقل .
- وسير الروح يكون بلا كيفية في زمان أو مكان ، فيا أجسادنا تعلمي السير من الروح .
- ولقد ترك “ الدقوقي “ السير بالجسد الآن ، إنه يمضي “ كالروح “ بلا كيفية مختفيا في كيفية “ الجسم “ .

" 181 "

- قال : كنت أسير ذات يوم كالمشتاق ، حتى أري في البشر أنوار الحبيب .

1985 - حتى أري بحرا " قد تجلي " في قطرة ، وحتى أري " شمسا " قد اختفت في ذرة .
- وعندما وصلت بخطوي إلي ساحل ما ، كانت الشمس قد أذنت بالمغيب وحل وقت الغروب .ظهور مثال سبع شموع على الساحل
- فرأيت فجأة علي البعد سبعاً من الشموع علي ذلك الساحل ، فأسرعت إليها .
- وكان لهب كل شمعة منها قد ارتفع إلي عنان السماء .
- فاحترت حيرة شديدة وزادت حيرتي حيرة ، وتجاوزت أمواج الحيرة قمة العقل .

1990 - كيف أن هذه الشموع مشتعلة وقد أعرضت عنها عيون الخلق ؟
- صار الخلق باحثين عن مصباح في وجود هذه الشموع التي كان نورها يفوق نور القمر .
- إن إغماض العيون عجيب ، فواعجباه علي العيون التي أغمضها ، إنه يهدي من يشاء .تحول هذه الشموع إلى مثال شمعة واحدة
- ثم أخذت أري الشموع تتحول إلي شمعة واحدة ، كان نورها يشق جيب الفلك .
- ثم صارت دفعة واحدة سبع شموع ، فزاد سكري وتضخمت حيرتي .

1995 - وكانت هناك اتصالات بين الشموع ، لا يتأتي " وصفها " علي ألسنتنا وفي أحاديثنا .

- وذلك الذي تدركه نظرة واحدة ، لا يمكن أن يجري علي اللسان في أعوام !
- وما يدركه اللب في لحظة واحدة ، لا يمكن سماعه بالأذن في أعوام !
- وما دام الأمر بلا نهاية ، فاذهب صوب ما يقال له " إليك " (الملاذ) وقل له : " لا أحصي ثناء عليك " .
- فتقدمت مسرعاً لأدرك ماذا تكون هذه الشموع ، من دلائل الكبرياء .

2000 - وكنت أغيب عن الوعي وأحس بالدهشة ودبيب الخدر حتى سقطت من عجلتي وسرعتي .
- وأثناء ذلك سقطت فترة من الزمن علي الأرض بلا وعي ولا عقل .
- ثم عدت إلي وعي فنهضت ، " أجد " في السير كأنه لا رأس لي ولا قدم .

ظهور تلك الشموع للنظر سبعة رجال

- بدت تلك الشموع السبعة رجال أمام النظر أنوارهم كانت تسطع حتى السقف اللازوردي .
- وأمام هذه الأنوار يكون ضوء النهار كدرا، كانت تمحو كل الأنوار من تألقها الشديد "1" .

تحول تلك الشموع إلى سبع أشجار

2005 - ثم تحول كل رجل إلي شكل شجرة ، تسعد الأبصار من نضرة خضرتها .
- ولا غصن يبدو منها من كثافة الأوراق ، والأوراق نفسها قد اختفت من وفرة الثمار .
- ومدت كل شجرة أغصاتها إلي سدرة المنتهي ، وماذا يكون السدرة لقد تجاوزت الأفلاك لي حيث الخلاء والفراغ .

....

(1) ج / 7 - 451 : فحرت ثانية في صنع الرب ، كيف صار هذا الشكل هكذا للعجب ، فتقدمت أكثر لا نظر جيداً ، أي حال هذا الذي يدير رأسي .

- ومدت كل شجرة جذورها إلي أعماق الأرض بحيث كانت تلك الجذور أدني من الثور والحوت .
- كانت جذورها أكثر نضرة من فروعها ، وصار عالي العقل سافله من الإشكال الذي أحدثته له .

2010 - وكانت ثمارها تتشقق من قوتها ، وكان وميض النور ينشق منها كأنه الماء .

اختفاء تلك الأشجار عن عيون الخلق

- وأعجب من هذا أن مئات الآلاف من الخلق ، كانوا يمرون عليها من الصحراء والوادي .
- كانوا يضحون بالأوراح في سبيل ظل ، ويجعلون من أغطيتهم مظلات عليهم .
- لكنهم لم يكونوا يرون ظلالها قط ، فأف لهذه الأبصار المحجوبة .
- لقد ختم قهر الحق علي الأبصار ، بحيث لا تري القمر بل تري السها .

2015 - إنها تري ذرة الهباء ولا تري الشمس ، لكنها ليست قانطة من اللطف والكرم .
- إن القوافل تمضي بلا زاد ، وهذه الثمار تسقط ناضجة ، فأي سحر هذا يا إلهي ؟
- إن الخلق يقطفون التفاح المهتري ، ومن القحط يلجأون إلي السلب والنهب .
- وقالت كل ورقة وكل برعمة من هذه الشجرة ، لحظة بلحظة ، " يا ليت قومي يعلمون " .

- وكان يأتي نداء من ناحية كل شجرة قائلا : هلموا إلينا أيها الخلق المدبرون .

2020 - وكان النداء يرد من الغيرة " الإلهية " نحو الشجرة ، لقد أغمضنا عيونهم ، كلا لاوزر .
- فلو أن أحدا قال لهم : امضوا هذه الناحية حتى تسعدوا من هذه الأشجار ؟
- لقال الجميع : إن هذا المسكين الثمل ، قد أصيب بمس من الجنون من قضاء الله .
- ومن السوداء المزمنة ، ومن كثرة الرياضة ، صار مخ هذا المسكين فاسدا كأنه بصلة .
- ويظل هو مندهشا قائلا : ما هذا الحال يا رب ؟ وما هذا الحجاب والضلال عند الخلق .

2025 - والخلق علي أنواعهم مع ما فيهم من أنواع العقول والآراء ، لا ينقلون أقدامهم إلي هذه الناحية خطوة واحدة .
- وعقلاؤهم وأذكياؤهم في اتفاق ، صاروا منكرين لهذا البستان عاقين له ،
- أو تراني صرت مجنونا مضطربا ، أو كأنه الشيطان قد أصابني بمس في رأسي .
- وأخذت أحك عيني في كل لحظة . . أتراني في حلم أو في خيال يقظة ؟
- أي نوم يكون ؟ إنني أسير تحت ظلال هذه الأشجار ، أكل من ثمارها فكيف لا أعتقد فيها .

2030 - ثم إنني كنت أنظر إلي المنكرين ، الذين يبتعدون عن هذا البستان .
- ومع شدة احتياجهم وافتقارهم ، ومع أنهم كانوا يهلكون أرواحهم في سبيل نصف حبة حصرم .

- ومع أنهم من الشوق والحرص علي ورقة شجرة ، كان أولئك المحرمون يطلقون الآهات الحري .
- إلا أنهم فراراً من هذه الأشجار وهذه الثمار ، كانوا يضمون الآلاف والآلاف .
- وأقول ثانية : عجبا ! ! أأنا غائب عن وعيي ، أمسك في يدي بغصن وهمي ؟

2035 – فقل حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا.
- واقرأها بهذه القراءة أي تخفيف " كذب " ، فتري نفسك بهذه القراءة محتجبا .
- لقد سقطت أرواح الأنبياء في الشك ، من اتفاق الأشقياء علي الإنكار .
- وجاءهم بعد التشكك نصرنا ، فاترك " هؤلاء الأشقياء " وتعالي إلي شجرة الروح .
- وكل منها وأعط ، فإن عطاءها في كل نفس ولحظة معلم للسحر .

2040 - والخلق قائلون : عجبا ! ! ما هذا الصوت ؟ إن الصحراء خالية من الشجر والثمر .
- لقد صرنا مذهولين من أقوال المصابين بالسوداء " المالخوليا " ، التي هي بالنسبة لكم بستان وسماط .
- إننا نحك عيوننا ولا بستان هنا ، فإما صحراء وإما طريق وعر .
- فوا عجبا لهذا الحديث الطويل ! ! كيف يكون عبثا ؟
وإذا كان حقا فأين هو " هذا البستان " ؟
- وأنا أقول مثلهم : عجبا ، لماذا ختم صنع الله الرب " عليهم " مثل هذا الختم ؟

2045 - ومن هذا الجدال يصير “ محمد “ في عجب ، وكذلك بقي أبو لهب متعجبا .
- وبين هذا التعجب وذاك فرق عظيم ، إلي ما شاء الله السلطان العظيم أن يفعل .
- فيا دقوقي ، يا متدفقا في الحديث اصمت ، فحتام تحدث حتام وهناك قحط في الآذان .

تحول الأشجار السبعة إلى شجرة واحدة

- قال “ الدقوقي “ : فتقدمت أنا السعيد “ بهذه المشاهدات “ فتحولت تلك الأشجار السبعة إلي شجرة واحدة .
- كانت تتحول إلي سبع أشجار ثم إلي شجرة واحدة في لحظة واحدة ، وكم كانت الحيرة تأخذ بمجامعي .

2050 - ثم رأيت الأشجار وقد اصطفت للصلاة كأنها في جماعة .
- وشجرة تتقدمها كأنها الإمام ، والأشجار الأخري وراءها في قيام .
- وذلك القيام والركوع والسجود الذي كانت تقوم به الأشجار أجج الحيرة في داخلي .
- وحينذاك تذكرت قوله تعالي :وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدانِ.
- وليس لتلك الأشجار ركب في أواسطها ، فأي ترتيب للصلاة علي ذلك النسق ؟

2055 - فهتف بي إلهام من الله : يا ذا الضياء ، ألا زلت تعجب من أمرنا ؟

تحول تلك الأشجار السبعة إلى سبعة رجال

- وبعد فترة تحولت الأشجار السبعة إلي سبعة رجال ، كلهم قاعدون من أجل الإله الفرد .

- وأنا أحك عيني متسائلا : من هم هؤلاء الأسود السبعة ؟
وماذا لديهم من الدنيا ؟
- وعندما اقتربت منهم ، قرأت عليهم السلام منتبها .
- فأجاب القوم السلام علي قائلين : السلام عليك يا دقوقي يا تاج الكرام وفخرهم .

2060 - قلت : وكيف عرفوني إذن ؟ ولم تقع أنظارهم عليَّ من قبل .
- وعرفوا من ضميري هذا التساؤل ، وهم ينظرون بعضهم إلي بعض من طرف خفي .
- وأجابوني ضاحكين : أيها العزيز ، هل لا يزال هذا خافيا عليك أيضا .
- متي يختفي شيء من يسار أو يمين علي القلب الذي هو في تحير مع الله ؟
- قلت : إنهم وإن كانوا مكشوفين علي الحقائق ، كيف وقفوا علي الرسم واللفظ ؟

2065 - قال أحدهم : إذا غاب الاسم عن الولي ، اعتبر ذلك من الاستغراق لا من الجهل .
- ثم قالوا لي : إن بنا رغبة في أن تؤمنا في الصلاة أيها الصديق الطاهر .
- قلت : سمعا وطاعة ، لكن أمهلوني برهة فأنا أواجه بعض المشكلات من دوران الزمان .
- فلعلها تحل بالصحبة الطاهرة ، فمن الصحبة ينبت الكرم ، من التراب .
- والبذرة المليئة باللب ، قامت بخلوة وصحبة من التراب الكدر وذلك من الكرم .

2070 - لقد محت نفسها كلية في التراب ، حتى لم يبق ثم لون ولا رائحة ولا حمرة ولا صفرة .

- ومن بعد هذا المحو لم يبق لديها قبض ، مضت الصورة وتجلي معناها .
- وهز الرجال رؤوسهم قائلين : الأمر لك ، فارتفعت الحرارة من القلب بمثل هذه الهزة .
- ومكثت ساعة مع تلك الجماعة المختفية " عن أعين الخلق " كأنني المراقب ، منفصل عن نفسي .

2075 - وفي تلك الساعة تخلصت الروح من الزمان ، ذلك أن ساعة واحدة تحول الشاب إلي شيخ .
- وكل التلوينات قد ظهرت من الساعة " الزمان " ، وقد نجا من التلوين من نجا من الزمان .
- وعندما تخرج برهة من إسار الزمان ، لا تبقي الكيفية وتصير مأذونا لمن لا كيفية له " 1 " .
- ولا خبر للزمان عن اللازمان ، وليس لها إلي تلك الناحية من طريق إلا الحيرة .
- فكل امرئ إنما ربط علي حظيرته الخاصة به في هذه الدنيا التي هي دنيا السعي والكدح .

2080 - وهناك رائض قائم علي كل حظيرة ، بحيث لا يدخلها رافض إلا بإذن .
- ولو ضاق بحظيرته هوسا ، وأطل برأسه في حظائر الآخرين .
- فإن السائسين النشطين الطيبين في لحظة واحدة ، يأخذون بطرف زمامه ويسحبونه " خارجا " .
- وإذا كنت لا تري الحفظة أيها العيار ، فانظر إلي اختيارك دون اختيار منك .

....

(1) ج / 7 - 467 : فأخرج برهة عن الزمان أيها القلب حتى تنجو من الكيفية والسببية .

- إنك تختار لكن اليد والقدم يجرانك " بعيداً " عن هذا الاختيار ، فلماذا أنت في حبس لماذا ؟

2085 - ورفعت وجهك منكرا لحافظك ، وسميته بالتهديدات النفسية .

تقدم الدقوقى للإمامة

- ليس هذا الحدث من نهاية فدعك منه ، وانتبه فقد قامت الصلاة ، والدقوقي هو الإمام .
- لقد قالوا له : أيها الفرد أدَّ بنا ركعتين ، حتى يزدان بك الزمان .
- فيا أيها الإمام المستنير البصر هيا ، ينبغي للإمام عين مستنيرة .
- فمكروه في الشريعة أيها العظيم ، أن يؤم الأعمي المصلين .

2090 - حتى ولو كان حافظا ماهرا فقيها ، فالبصير أفضل ولو كان سفيها .
- فليس عند الأعمي اتقاء من النجاسة ، فالعين هي أصل الاتقاء والحذر .
- إنه لا يري النجاسة عند عبور " الطريق " ، فلا كان المؤمن قط عين عمياء .
- والعمي الظاهر " مختص " بنجاسات الظاهر ، لكن عمي الباطن " مختص " بنجاسات الباطن .
- وهذه النجاسة الظاهرة تنقضي بالماء ، لكن هذه النجاسات الباطنة تزداد .

2095 - ولا يكون غسلها إلا بدمع العين ، أقصد نجاسات الباطن إذ صارت عيانا .
- ولما كان الله قد سمي الكافر نجسا ، فليس المقصود إذن بالنجاسة الظاهرة .
- وذلك أن ظاهر الكافر ليس ملوثا ، لأن تلك النجاسة (التي وصف بها) في الأخلاق والدين .
- فالنجاسة " الظاهرة " تفوح رائحتها لعشرين خطوة ، لكن نجاسة الباطن

- بل إن نتنها يرتفع إلي السماوات ، فتزكم أنوف الحور “ وأنف “ رضوان .

2100 - إن ما أقوله هو بقدر فهمك ، ولقد مت حسرة “ بحثا عن “ الفهم الصحيح .
- والفهم ماء ، ووجود الجسد كالجرة ، وعندما تنكسر الجرة يسيل الماء منها .
- وفي هذه الجرة خمسة ثقوب عميقة ، فلا يبقي فيها ماء بل إن الثلج نفسه لا يبقي فيها .
- لقد سمعت الأمر ب “ غضوا أبصاركم “ ، لكنك لم تضع حافرك في الموضع الصحيح .
- فالنطق من فمك يقضي علي فهمك ، والأذن كأنها الرمل تمتص هذا الفهم فيك .

2105 - وهكذا فإن ثقوبك الأخري ، تسحب خارجا ماء فهمك المضمر .
- فإذا أخرجت الماء من البحر دون عوض ، فإنك تحول هذا البحر إلي صحراء .
- فالوقت غير مناسب وإلا حدثتك بالحال ، وشرحت لك مدخل الأعواض ومدخل البدائل .
- ومن أين تأتي هذه الأعواض والبدائل إلي البحر من بعد كل هذا الإنفاق ؟
- إن مئات الآلاف من أنواع الحيوان تشرب منه ، والسحب أيضا تجذب الماء خارجه .

2110 - ثم يجذب البحر هذه الأعواض ، فمن أين يعلم ذلك أصحاب الرشد ؟
- لقد بدأنا القصص ومن التسرع ، صارت بلا نتيجة داخل هذا الكتاب .

- فيا ضياء الحق يا حسام الدين العظيم ، يا من لم يلد الفلك والأركان مثلك ملكا .
- إنك نادراً ما تحل في الروح والقلب ، يا من تحس الروح ويحس القلب بالخجل منك .
- لطالما مدحت السالفين من الناس ، وكنت أنت مقصدي من هذا " المدح " اقتضاء .

2115 - إن الدعاء في حد ذاته يعلم المنزل الموجه إليه ، فوجه أنت الثناء باسم من تشاء .
- ومن أجل كتمان المديح عن من ليس بأهل له ، وضع الحق هذه الحكايات والأمثال .
- وإذا كان هذا المدح يخجل منك ، فإن الله يقبل جهد المقل .
- فالحق يقبل - كسرة واحدة ويعفو بها ، إذ تكفي قطرتا " دمع " من عين الأعمي .
- إن الطيور والأسماك تعرف هذا الإبهام ، " وتعلم " أنني مدحت - مجملا هذا الاسم المبجل .

2120 - وذلك حتى تهب عليه رياح الحاسدين قليلا ، وحتى لا يعض الأنامل من الغيظ علي خيال يظنه هو .
- فمن أين يدرك الحسود حتى خياله ، ومتي يرقد الببغاء في جحر الفأر ؟ !
- إن خياله هذا " بالنسبة للحسود " مجرد اختيال ، إنه شعرة من حاجبة وليس الهلال .
- إنني أسوق المدح فيك خارج " الحواس " الخمسة و " الأفلاك " السبعة ، فاكتب الآن : إن الدقوقي قد أم .

تقدم الدقوقى لإمامة هؤلاء القوم

- في تحيات الصالحين وسلامهم ، يكون مدح كل الأنبياء متضمنا .

2125 - لقد امتزجت المدائح بأجمعها ، وانصبت كل الكئوس في حوض واحد .
- ذلك أن الممدوح في حد ذاته ليس إلا واحدا ، والأديان من هنا ليست إلا دين واحد .
- فاعلم أن كل مدح إنما يمضي إلي نور الحق ، ويكون عارية علي الصور والأشخاص .
- فمتي يقوم " المادحون " بالمديح إلا لمن يستحق ؟ لكن " الآخرين " يضلون بالظن .
- مثل نور قد انعكس علي جدار ، والجدار كأنه قيد لهذه الأنوار .

2130 - أو أن انعكاسا لقمر قد ظهر في بئر ، فطأطأ الضال رأسه في البئر وطفق يثني عليه .
- فلا جرم أنه ما دام الظل عندما يسرع نحو الأصل ، فإن الضال يفقد القمر ويعجز عن الثناء .
- فهو في الحقيقة مادح للقمر ، بالرغم من أن جهله قد حول وجهته إلي صورته .
- فمدحه " موجه " إلي القمر لا إلي هذه الصورة ، وصار كفره به لخطئه في أصل الأمور .
- فقد ضل هذا الشجاع من الشقاء ، إن القمر أعلي لكنه ظن أنه أسفل .

2135 - واضطراب الخلق إنما يكون من هذه الأصنام ، فيتبعون شهواتهم ثم يندمون .

- ذلك أن الشهوة قد تأججت بخيال ، وتخلف هو بعيدا جداً عن الحقيقة .
- وعندما يكون لميلك جناح من الخيال ، فمتي يحلق نحو الحقيقة بهذا الخيال ؟
- وعندما سقطت في شهوة تساقط جناحك ، فصرت أعرج ، وهرب منك ذلك الخيال .
- فحافظ علي الجناح ولا تتبع الشهوات ، حتى يحملك جناح الميل نحو الجنان .

2140 - إن الخلق يظنون أنهم يلهون ، وينتزعون أجنحتهم من أجل خيال .
- لقد صرت مدينا بشرح هذه النقطة ، فأمهلني إذ إنني معسر ومن هنا سكت .

اقتداء القوم بالدقوقى

" 1 "
- لقد أمهم الدقوقي ذاك في الصلاة ، كان القوم كأنهم " الثوب " الأطلس وهو زينته .
- واقتدي هؤلاء الملوك واصطفوا خلف هذا المقتدي الشهير .
- وعندما كبروا ، خرجوا من الدنيا كأنهم الأضحيات .

2145 - وهذا هو معني التكبير أيها الإمام ، معناه : يا إلهي لقد صرنا فداء لك .
- إنك تكبر عندما تذبح ، وهكذا يجب عند " ذبح " النفس الجديرة بالذبح " 2 " .
- إن الجسد كإسماعيل والروح كالخليل ، وقد كبرت الروح علي الجسم النبيل .
- لقد ذبحت الشهوات والحرص في الجسد ، وصار بالبسملة كالطائر الذبيح من الصلاة .

....
(1) ج / 7 - 494 : لقد عدت ، إذ طالت القصة ، والوقت ضيق ، والقوم قد وقفوا للصلاة .
(2) ج / 7 - 494 : فقل : الله أكبر واذبح تلك المشئومة حتى تنجو من الفناء .

كالطائر الذبيح من الصلاة .
- ومثل القيامة اصطفت الصفوف أمام الحق ، وهناك مئات “ الألوان “ من الحساب والمناجاة والضراعات .

2150 - لقد وقفت أمام الخالق ذرَّافاً الدمع ، كالواقف مستقيما يوم الحشر .
- فيقول لك الحق : ماذا أحضرت لي من تلك المهلة التي أعطيتك إياها ؟
- وفيم أنهيت عمرك ؟ وفيم أفنيت قوتك وقُوَّتك ؟
- وأين أبليت جوهر البصر ؟ وفي أي موضع ضيعت حواسك الخمس ؟ .
- لقد أنفقت العين والأذن والعقل وجواهر العرش ، فماذا اشتريت “بها” من الأرض؟

2155 - لقد أعطيتك اليد والقدم كالفأس والرفش ، لقد وهبتها من لدني ، فمتي صارت من لدن نفسها ؟
- وعلي هذا النسق تأتي مئات الآلاف من الرسائل المؤلمة من لدن الحضرة .
- وفي القيام يعود هذا البدن ، ومن الخجل ينحني راكعا .
- لا يتبقي له جلد علي الوقوف من الخجل ، فيتلو تسابيحه خجلا عند الركوع .
- ثم يصله الأمر أن ارفع رأسك من الركوع ، وأجب الحق علي ما سألك عنه .

2160 - فيرفع رأسه من الركوع ذلك الخجل ، ثم يسقط علي وجهه ذلك الساذج في أموره .
- ثم يصله الأمر ثانية أن ارفع رأسك من السجود ، وحدثنا بأخبار أفعالك .
- فيرفع رأسه مرة أخري خجلا ، ثم يسقط ثانية علي وجهه كأنه الثعبان .
- فيقول له ثانية : ارفع رأسك وتحدث ، إنني سوف أطلب منك الحديث عن كل ما بدر منك شعرة بشعرة .
- فلا تبقي له قوة علي الوقوف ، ذلك أن خطاب الهيبة قد أصاب سويداء روحه .

2165 - ثم يجلس قاعدا من ذلك الخجل الشديد ، فيقول له : تحدث حديثا مفصلا ومفهوما ! !

“ 195 “

- لقد وهبتك النعمة فقل لي : ماذا كان شكرك ؟ لقد أعطيتك رأس المال فهيا بين فائدته “ 1 “ .
- فيلتفت إلي اليمين مسلما علي أرواح الأنبياء وأولئك الكرام .
- أي : يا ملوك الشفاعة إن هذا اللئيم ، قد بقيت قدماه وجسده مغروسة تماما في الطين .

بيان أن إشارة التسليم نحو الناحية اليمنى في القيام من هيبته محاسبة الحق وطلب العون والشفاعة من الأنبياء

- يقول له الأنبياء : لقد مضي يوم الوسيلة ، كانت الوسيلة هناك وكانت الآلة متوفرة .

2170 - إنك طائر تغرد في غير أوان فامض أيها المشئوم واتركنا ، ولا تتسلل إلي دمائنا .
- فيلتفت إلي الناحية اليسري ، أي إلي قومه وأهله فيقولون له : خسئت .
- هيا وأجب الخالق ، فمن تكون أيها السيد ، أقلع عن مطاردتنا ! ! - فلا هو وجد حيلة في هذا الجانب أو ذاك الجانب ، وتحطمت روح ذلك المسكين داخل قلبه إلي مائة قطعة .
- لقد يئس من الجميع ذلك المسكين الأصل ، فأخذ يرفع يديه داعيا .

2175 - قائلا : لقد يئست من الكل يا الله ، وأنت الأول والآخر والمنتهي “ 2 “
- فانظر في الصلاة إلي هذه الإشارات الحسنة ، حتى تعلم أن هذا هو الذي سوف يحدث يقينا “ 3 “ .
- فأخرج الفرخ من بيضة الصلاة ، ولا تحرك رأسك كطير لا تعظيم عنده ولا تغريد .

....
(1) ج / 7 - 494 : ولما لم يكن لديه لا رأس مال ولا فائدة فإنه يريد شفيعاً يعتذر له سريعاً .
(2) ج / 7 - 502 : وهذا هو معني التسليم أيها المقتدي ، أي : إنك أنت الهادي أيها الحق وأنا المهتدي - فكل ما تأمر به نحن منقادون فيه ، وبقضائك نحن مسرورون .
(3) ج / 7 - 502 : فإن كان ثم رجاء تصل العناية ويصبح امنا من “ حبل من مسد “ .

“ 196 “

سماع الدقوقى في أثناء الصلاة لصراخ تلك السفينة التي كانت موشكة على الغرق

- لقد أم الدقوقي ذاك ، واستغرق في الصلاة علي ذلك الساحل .
- وتلك الجماعة وراءه في قيام ، فيا لهم من قوم حسان ويا له من إمام مختار .

2180 - وفجأة وقع بصره علي البحر ، عندما سمع صيحات الاستغاثة قادمة من جهته .
- ورأي سفينة بين الأمواج ، “ تتلاعب “ بها أيدي القضاء والبلاء والمحنة .
- كان الليل والغيوم والموج العظيم معا ، هذه الظلمات الثلاث ثم الرعب من الأعماق .
- وهب إعصار كأنه ملك الموت ، وتلاطمت الأمواج ذات اليسار وذات اليمين .
- وركاب السفينة قد انهدت قواهم من الخوف ، فانبعثت منهم صرخات واويلاه !

2185 - كانوا يلطمون رؤوسهم بأيديهم نائحين ، والكافر والملحد كلاهما صار مخلصا .
- وأصبح يتوجه إلي الله يتضرع حار في تلك اللحظة ، وكم نذروا النذور وأخذوا علي أنفسهم المواثيق الشديدة .
- كانوا ساجدين مكشوفي الرؤوس ، أولئك الذين لم يسجدوا من قبل قط اعوجاجا .
- لقد قيل : إنه لا فائدة من تلك العبودية ، لكنهم رأوا فيها مائة حياة في اللحظات .
- كانوا قد قطعوا الأمل تماما من الجميع ، من الأصدقاء والأخوال والأعمام والآباء والأمهات .

2190 - صار الزاهد والفاسق كلاهما تقيا في تلك اللحظة ، ملثما يكون الشقي

عند الاحتضار .
- فلا كانت لهم حيلة لا من أيمانهم أو من شمائلهم وعندما تنقضي الحيل ، فهذا أوان الدعاء .
- كانوا في دعاء وتضرع وابتهال وتأوه ، وقد تلبد الفلك منهم بدخان أسود .
- ومن عداوته لهم ظهر لهم الشيطان آنذاك ، وصاح فيهم : الفراق **! !** الفراق يا عبدة الكلاب ، جعل الله لكم علتين .
- فالموت والحسرة يا أهل الإنكار والنفاق ، سوف يصيران آفة هذا الاتفاق .

2195 - وتندي عيونكم بالدمع من بعد الخلاص ، فأنتم تصبحون من أجل الشهوة شياطين خواص .
- فلا تتذكرون أنه ذات يوم في الخطر ، أخذ الله بأيديكم من القضاء والقدر .
- كان هذا النداء يأتي من الشيطان ، لكن لم تسمع هذا النداء إلا الآذان الطيبة .
- ولقد صدق المصطفى معنا ، ذلك القطب وملك الملوك وبحر الصفاء ،
- “ عندما قال “ ، إن ما يراه الجاهل في النهاية ، يراه العقلاء منذ الوهلة الأولي .

2200 - فالأمور من بداياتها بالرغم من أنها غيب وسر ، يراها العاقل منذ بدايتها أما المصر فيراها في أواخرها .
- إن أولها محجوب ، لكن أواخرها يراها العاقل والجاهل عيانا .
- فإن لم تر وقائع الغيب أيها العنود ، فمتي يختطف السيل الحزم ؟ **!**
- وماذا يكون الحزم ؟ ، إنه سوء الظن بالدنيا ، وتوقع البلاء المفاجىء منها لحظة بلحظة .

تصورات الرجل الحازم

- مثل هذا إن أسدا قد ظهر فجأة ، فاختطف رجلا وأخذ يجره إلي أجمته .

2205 - ففي أي شيء يفكر والأسد يحمله ؟ فتمعن وفكر علي نفس النسق يا أستاذ الدين .
- إن أسد القضاء يجرنا نحو الغابات ، بينما أرواحنا مشغولة بالحرف والأعمال .
- وهكذا يخاف الخلق من الفقر ، وغرقوا في الماء المالح حتى حلوقهم .
- ولو أنهم كانوا يخافون من خالق الفقر ، لتكشفت لهم الكنوز من الأرض .
- وهم جميعا من خوف الغم في غم ، وفي سبيل الوجود سقطوا في العدم

دعاء الدقوقى وشفاعته في خلاص السفينة

2210 - وعندما رأي الدقوقي تلك الضجة ، تحركت فيه نوازع الرحمة وسال دمعه .
- وقال : يا رب ، لا تنظر إلي أفعالهم ، وخذ بأيديهم يا ملكا حسن الفعال .
- وردهم إلي الساحل بسلام ، يا من وصلت يدك إلي البر والبحر .
- أيها الكريم ، أيها الرحيم السرمدي ، تجاوز للخبثاء الماكرين عن هذه السيئات .
- يا من وهبت بلا مقابل مائة عين وأذن ، ووهبت العقل والوعي دون عطاء منا .

2215 - ووهبت العطاء قبل الاستحقاق ، ورأيت منا جميعا الكفران والزلل .
- يا أيها العظيم ، إنك تستطيع في حرمك أن تعفو عن الذنوب العظيمة منا - لقد أحرقنا أنفسنا حرصا وطمعا ، وتعلمنا منك أنت أيضا هذه

الأدعية .
- وبحرمة ذلك الذي علمته الدعاء ، وأشعلت به مصباحاً في مثل تلك الظلمة .
- هكذا أخذ يردد الدعاء آنذاك كالأمهات الوفيات " 1 " .

2220 - كان الدمع يسيل من عينيه وذلك الدعاء ، كان دون وعي منه يرتفع إلي عنان السماء .
- إن دعاء الذين فنوا عن ذواتهم في حد ذاته شيء اخر ، فذلك الدعاء ليس منهم إنه من الحق .
- فذلك الدعاء يقوم به الحق لأن " الداعي " إلي فناء ، فذلك الدعاء وتلك الاستجابة من الله .
- ولا وساطة من مخلوق بينهما ، والجسم والروح يقومان بهذا الدعاء .
- وعبيد الحق رحماء صبورون ، يعرفون طبع الحق في إصلاح الأمور .

2225 - فهم رحماء ظهراء بلا أجر ، في الموقف الصعب وفي اليوم الثقيل .
- فهيا وابحث عن هؤلاء القوم أيها المبتلي ، هيا واغتنم صحبتهم قبل البلاء
- لقد نجت السفينة بأنفاس ذلك الهمام ، بينما يظن أهل السفينة أن هذا الأمر حدث بجهدهم .
- إذ لعل سواعدهم عند الحذر ، أطلقت سهما من الفضل أصاب الهدف .
- إن القدم تخلص الثعلب أثناء الصيد ، بينما أولئك يعتبرون ذلك الخلاص من ذيله ، أولئك الثعالب المغرورة .

....
(1) ج / 7 - 511 : خذ بأيديهم وأبدِ لهم الطريق ووفقهم وتجاوز عن جرمهم ، واعف ، وحل المشكلات .

- أرواحنا من الكمين .
- أيها الثعلب ، حافظ علي قدمك من أن ترشق بالأحجار ، فأي نفع للذيل إن لم يكن قدم ، أيها الوقح .
- إننا كالثعالب وأقدامنا أيها الكرام ، تخلصنا من أنواع كثيرة من الانتقام .
- وحيلنا الماهرة هي بمثابة ذيولنا ، ونحن نزاول العشق مع الذيول يساراً ويمينا .
- ونحرك ذيولنا عند الاستدلال من المكر ، حتى يزداد دهشة منا زيد وبكر .

2235 - وصرنا طالبين لإعجاب الخلق ، ومددنا أيدي الطمع في الألوهية .
- حتى نصير ملاك القلوب بالشعوذة ، غافلين عن رؤية أنفسنا - ساقطين في حفرة .
- إنك في حفرة وفي بئر أيها الديوث ، فارفع يدك إذن عن شوارب الآخرين “ وكف عن إرشادهم “ .
- وعندما تصل إلي بستان جميل وطيب ، خذ إذن بأطراف ثياب الخلق واجذبهم نحوك .
- فيا مقيما في سجن “ العناصر “ الأربعة ، و “ الحواس “ الخمسة ، و “ الجهات “ الستة ، اجذب الآخرين إذن إلي مكان طيب .

2240 - ويا من كالمكاري صرت ملازما لمؤخرة الحمار ، لقد وجدت موضعا للقبل ، فخذنا معك ! !
- وما دام الحبيب لم يهبك قدرة علي العبودية ، من أين إذن ظهر لديك الميل إلي الملوكية ؟
- وغراما منك أن يقول لك الآخرون : مرحي ، قد ربطت وترا في عنق

روحك .
- فيا أيها الثعلب ، اترك ذيل الحيلة هذا ، واجعل القلب وقفا علي أصحاب القلوب .
- وفي حِمَي الأسد لا يكون الشواء قليلا ، فكفاك اتجاها إلي الجيف إذن أيها الثعلب .

2245 - ويا أيها الثعلب إنك تصير منظورا للحق ، عندما تمضي كجزء نحو الكل الذي أنت جزء منه .
- فالحق لا يفتأ يقول : إن أنظارنا علي القلب ، وليست علي الصورة التي هي من ماء وطين .
- وأنت لا تفتأ تقول : إنا أيضا لي قلب ، إن القلب يكون فوق العرش لا في الأذلين .
- وفي الطين الكدر يوجد أيضا ماء ، لكن لا يصح لك الوضوء من هذا الماء - ذلك أنه وإن كان ماء فالطين يغلب عليه ، فلا تسم قلبك إذن قلبا .

2250 - وذلك القلب الذي هو أعلي من السماوات ، هو قلب الرسول عليه السلام أو من قلوب الأبدَال .
- لقد تطهر من الطين وصفا ، وأخذ في الزيادة وصار وافيا .
- لقد هجر الطين ، واتجه صوب البحر ، ونجا من سجن الطين وصار بحريا .
- وقد صار ماؤنا محبوسا في الطين ، فهيا يا بحر الرحمة واجذبنا من الطين .
- ويقول البحر : إنني أجذبك إلي داخلي ، لكنك تثرثر قائلا : إنني ماء عذب

2255 - وثرثرتك هنا تبقيك محروما ، فاترك هذا الظن ثم ادخل إليَّ .
- إن الماء الممتزج بالطين يريد أن يمضي نحو البحر ، لكن الطين يمسك بقدم الماء ويجذبه إليه .
- فإن خلص قدمه من سيطرة الطين ، لجف الطين ، ولا ستقل هو عنه .
- فما هو جذب الماء من الطين ؟ إنه جذبك للنقل والشراب والزلال .
- وشبيه بهذا كل شهوة في الدنيا ، جاها كانت أو مالا أو قوتا “ 1 “ .

2260 - إن كل واحد منها يجعلك ثملا ، وعندما لا تجده يصيبك الخمار .
- وهذا الهم الذي يصيبك بالخمار ، دليل علي أن سكرك كان بهذا “ الشيء “ المفقود .
- فلا تأخذ منه إلا بالقدر الضروري ، حتى لا يتحكم فيك ويصير غالبا عليك .
- لقد تمردت وعاندت قائلا : إنني صاحب قلب ، ولا حاجة بي إلي الغير فأنا وأصل .
- وهكذا يعاند الماء الممتزج بالطين قائلا : أنا ماء ، ولماذا أبحث عن المدد ؟

2265 - لقد ظننت أن قلبك هو هذا الملوث ، فلا جرم أنك فصلت القلب عن أصحاب القلوب .
- وهل تجيز أنت نفسك أن يكون ذلك الذي يكون عاشقا للبن والعسل قلبا ؟
- إن لطف اللبن والعسل انعكاس للقلب ، وإن كان ثمة لذة ، فهي حاصلة من القلب .
- ومن ثم فإن القلب جوهر والعالم عرض ، فكيف يكون عرض القلب غرضا للقلب ؟
- وذلك القلب الذي يكون - عاشقا للمال والجاه ، أو - مقهوراً لهذا الطين

....
(1) ج / 7 - 513 : سواء كانت سيفا أو بستانا أو بلطة أو مجنا سواءٌ كانت ملكا أو داراً أو أولاداً .

والماء العكر .
2270 - أو متعلقا بخيالات يعبدها في الظلمات أجل القيل والقال .
- لا يكون قلبا ، فليس بقلب غير ذلك البحر من النور ، إنه موضع نظر الله ، فهل يتفق أن يكون هكذا ويكون أعمي ؟ ! !
- إن هذا لا ينطبق علي قلب واحد من مئات الألوف من قلوب الخواص والعوام ، إنه في واحد من ذلك العدد فأيهم يكون أيهم ؟
- فاترك فُتات القلوب وابحث عن القلب ، حتى يصبح ذلك الفتات كأنه الجبل منه .
- فالقلب محيط بهذا الجزء من الوجود ، إنه ينثر الذهب من الإحسان والجود .

2275 - ومن سلام الحق ، يهب السلام لهذا العالم جودا وطوعا واختيارا .
- وكل من يملك حجرا جاهزا ومعدا وصحيحا ، فإن نثار القلب وعطاءه يصلان إليه .
- وحجرك هو الضراعة والحضور ، فانتبه ولا تلق في حجرك بحجر الفجور .
- حتى لا يتمزق حجرك بتلك الحجارة ، وحتى تعلم النقد الصحيح من الألوان “ المزيفة “ .
- لقد ملأت حجرك بالحصي في الدنيا ، من حصي الفضة والذهب كما يفعل الأطفال .

2280 - ومن خيال الفضة والذهب إن لم يكن هناك ذهب ، تمزق حجر رداء صدقك وزاد حزنك .
- ومتي تبدو للأطفال قيمة الحصي ، ما لم يأخذ العقل بأطراف أثوابهم في

قبضته ؟
- إنه شيخ العقل ، لا ذاك الشيخ أبيض الشعر ، يكون الإقبال والرجاء “ معه “ كاملين لا يتسعان لشعرة “ بينهما “ .إ

إنكار تلك الجماعة على دعاء الدقوقى وشفاعته وغيبتهم
واختفاؤهم في حجب الغيب وحيرة الدقوقى
هل ذهبوا في الهواء أو على الأرض

- عندما نجت تلك السفينة وبلغت مرادها ، تمت صلاة تلك الجماعة أيضا
- وجري همس بينهم ، وأخذ بعضهم يقول لبعض : من هو هذا “ الفضولي “ بيننا أيها الأب ؟

2285 - أخذ كل منهم يهمس للآخر في السر ، مستترا من وراء ظهر الدقوقي .
- وقال كل واحد منهم : أنا لم أوجه هذا الدعاء الآن ظاهرا أو باطنا .
- قال أحدهم : لعل إمامنا هذا قد أحس بالألم ، فغلبه الفضول وناجي ربه .
- وقال اخر : إن الأمر يبدو لي علي هذا الوجه يقينا أيها الرفيق .
- كان فضوليا ، ومن القبض الذي ألم به اعترض علي المختار المطلق .

2290 - قال الدقوقي : وعندما التفت بعد ذلك ، لكي أسمع ما يقول أهل الكرم .
- لم أجد واحدا منهم في المقام ، كانوا قد انصرفوا عن مكانهم جميعا .
- ولا عن شمالي ولا عن يميني ولا أعلي ولا أسفل ، لم تظفر عيني الحادة بهؤلاء القوم .
- كانوا كأنهم من الدر وعادوا إلي الماء ، فلا أثر لقدم ولا غبار في الصحراء .
- انتقلوا جميعا إلي “ قباب “ الحق في تلك اللحظة ، فتري إلي أية روضة

ذهبت تلك الجماعة ؟

2295 - وأخذت الحيرة بتلابيبي وأنا " أتساءل " : كيف أخفي الحق هذه الجماعة عن أعيننا ؟
- هكذا اختفوا عن ناظريه ، وكأنهم أسماك غاصت في جدول .
- وبقي سنوات في حسرة عليهم ، وذرف الدموع أعمارا شوقا إليهم .
- وأنت لا زلت تقول : كيف يذكر رجل الحق - عند النظر- البشر وهو مع الله تعالى؟
- إن الحمار يرقد هنا يا فلان " 1 " ، إنك رأيتهم بشرا ولم ترهم أرواحا .

2300 - ومن هنا فقد فسد الأمر أيها الرجل الساذج ، ذلك أنك كالعوام رأيتهم بشرا .
- كما رأيت أيضا أن إبليس اللعين ، قال : أنا من نار وادم من طين .
- فاغمض عينيك الإبليسية لحظة واحدة ، فحتام تنظر إلي الصورة حتام ؟ !
- ويا دقوقي ، بعينيك اللتين تشبهان جدولا " من الدمع " هيا لا تقطع الأمل وابحث عنهم .
- هيا ، وابحث فإن ركن الدولة في البحث ، وكل انبساط في القلب من القبض .

2305 - لقد تجاوزت كل أمور الدنيا ، فداوم علي قولك " أين ؟ ، أين ؟ " مثل الفاختة .
- وانظر إلي هذا جيدا أيها المحتجب ، فقد ربط الله تعالى الدعاء ب " استجب " !
- وكل من صار له قلب طاهر من الاعتلال ، يمضي دعاؤه حتى ذي الجلال .

....
(1) أي أن الجاهل يقنع بهذا التفسير هنا .

عودة إلى شرح حكاية ذلك الذي كان طالبا للرزق الحلال بلا كسب وتعب في عهد داود عليه السلام والاستجابة إلى دعائه

- يذكرني ذلك بتلك الحكاية ، أن هذا الفقير كان يجأر بالصياح والضراعة ليل نهار .
- وكان يطلب من الله الرزق الحلال ، بلا صيد أو تعب أو كسب وانتقال .

2310 - لقد ذكرنا من قبل بعض أحواله ، لكن حدث بعض التأخير وتضاعف وامتد “ 1 ” .
- ونحن نقول له : إلي أين كان سيمضي ؟ عندما انصبت الحكمة عن سحاب فضل الحق ؟
- لقد راه صاحب الثور وقال له : توقف ، يا من صار ثوري بظلمك رهينا لديه .
- وانتبه وقل لي لماذا ذبحت ثوري ، أيها الأبله السارق ؟ أنصف وأصدق في الجواب .
- فأجاب : كنت كل يوم أطلب الرزق من الله ، وكنت أزين القبلة بضراعتي “ 2 ” .

2315 - فاستجيب لي دعائي القديم ، كان رزقا لي ، وذبحته ، هذا هو الجواب .
- فاتجه إليه غاضبا وأخذ بخناقه ، ولطمه عدة لطمات شديدة علي وجهه بلا توقف أو إمهال .

....

(1) حرفيا : صارت خمسة مضاعفة .
(2) ج / 8 - 46 : (محمد تقي جعفري تفسير ونقد وتحليل مثنوي جلال الدين محمد بلخي - قسمت سوم از دفتر سوم - ط 11 تهران 1366 . فيما بعد ج / 8) : - لقد بعد كان عملي لسنوات هو الدعاء ، حتى أرسل إلي الله تعالى النور وعندما رأيت الثور نهضت ، كان رزقي وأرادت ذبحه .

ذهاب الخصمين إلى داود عليه السلام

- وأخذ يجره إلي داود النبي ، قائلا له : هيا أيها الظالم الأبله الغبي ! !
- واترك هذه الحجة السخيفة أيها المحتال ، وأعد عقلك إلي جسدك وعد إلي وعيك .
- ما هذا الذي تقول ؟ أي دعاء يكون ؟ لا تسخر من رأسي ولحيتي ومن نفسك أيها الفاسد .

2320 - فقال : لقد توجهت إلي الله بدعاء عريض ، وكدحت كثيرا في هذا الدعاء .
- وأنا موقن بأن الله استجاب لدعائي ، فاضرب رأسك بعرض الحائط يا فاحش القول .
- فقال : تجمعوا هنا يا مسلمين ، وانظروا إلي هزل هذا الحقير وهذيانه " 1 "
- و " خبروني " أيها المسلمون كيف يجعل الدعاء ما لي له بحق الله ! !
- ولو كان الأمر هكذا لكان كل الناس بهذا قد اغتصبوا حقدا أملاك الآخرين بدعاء واحد ! !

2325 - ولو كان الأمر هكذا لصار الشحاذون والعميان من الأغنياء والأمراء .
- فهم ليل نهار في دعاء وثناء ملحين قائلين : أرزقنا وأعطنا يا الله .
- فما دمت لا تعطي فلا أحد يعطي يقينا ، افتح علينا يا فتاح مشكل هذا الأمر .
- وتجارة العميان هي الضراعة والدعاء ، فلا يجدون من العطاء إلا لقمة تملأ الفم .
- وقال الناس : لقد صدق هذا المسلم ، أما هذا المتاجر بالدعاء فهو ظالم .

....

(1) ج / 8 - 49 : أيها المحتال ، إلام هذا الهذيان ؟ ، قل حجة قاطعة . . فماذا يكون الدعاء ؟ !

2330 - فمتي يكون الدعاء من أسباب الملك ، ومتي سلكت الشريعة هذا القول في مسلكها ؟
- فالبيع أو الهبة أو الوصية أو العطاء ، أو ما هو من جنس ذلك يجعل الشيء لك .
- ففي أي دفتر هذه الشريعة الجديدة ، رد الثور إلي صاحبه أو فامض إلي السجن .
- فكان يوجه وجهه نحو السماء ، قائلا : لا يعرف ما بيننا سواك .
- لقد ألقيت أنت هذا الدعاء - في قلبي ، وأشعلت - كثيرا من الآمال بين جوانحي .

2335 - ولم أكن أنا أوجه هذا الدعاء جزافا ، إنني مثل يوسف كنت قد رأيت الأحلام .
- لقد رأي يوسف الشمس والكواكب ساجدة أمامه كأنها الأتباع .
- كان اعتماده علي الرؤيا الصادقة ، ولم يكن في الجب والسجن يبحث إلا عنها .
- ومن ثقته في هذا الأمر لم يطرأ عليه أي حزن أو اهتمام من العبودية أو من العطاء والمنع والملام .
- كان واثقا في رؤياه التي كانت تضيء له الطريق كأنها شمعة أمامه .

2340 - وعندما ألقوا بيوسف في البئر ، هتف به هاتف من الإله .
- قائلا : إنك في يوم من الأيام سوف تصير ملكا أيها البطل . حتى تنتقم منهم لهذه القسوة التي عاملوك بها .
- والهاتف بهذا النداء لا يبدو للنظر ، لكن القلب عرف القائل من اثاره .
- ووقر في قلبه من هذا النداء ، قوة وراحة وثقة .
- فصار البئر عليه بهذا النداء الجليل ، روضة ومحفلا كما صارت النار علي الخليل .

2345 - وكان كل جفاء يحل به بعد ذلك ، يجذبه إليه بقوة وفرح وعلي هذا النسق .
- فإن لذة نداء “ الست “ في قلب كل مؤمن حتى يوم الحشر .
- وذلك حتى لا يبقي لديهم علي البلاء اعتراض ، ولا يكون عندهم من أمر الحق ونهية انقباض .
- فإنه يجعل لقمة الحكم التي تصيب بالمرارة ، سائغة كمنقوع السكر بالورد .
- وعندما لا يكون عند أحد ثقة في منقوع السكر بالورد ، فإنه يقييء هذا الشراب منكرا له .

2350 - وكل من رأي رؤيا يوم “ ألست “ يصير ثملا في طريق الطاعات .
- ويتحمل كالجمل المنتشي هذا الجوال ، بلا فتور وبلا شك وبلا ملال .
- فإن زبد تصديقه حول فمه ، صار دليلا علي سكره وحرقته .
- فصار البعير من قوته كأنه الأسد الهصور ، قليل الطعام يحمل الأحمال الثقال .
- والذي من شوقه إلي الناقة يحس بشدة الفاقة ، يبدو الجبل أمامه كأنه الشعرة .

2355 - أما الذي لم ير هذه الرؤيا “ ألست “ فإنه لم يصبح في هذه الدنيا عبدا ومريدا .
- ولو أصبح ، يكون في شكه ذا مائة قلب ، يكون شكره لحظة وشكواة سنة .
- إنه يخطو خطوة إلي الأمام وخطوة إلي الخلف في طريق الدين ، مع كثير من التردد ويلا يقين .
- إنني مدين بشرح هذا أو هأنذا أقوم به ، وإن كنت في عجلة فاستمع إلي “ ألم نشرح “ .

- وما دام شرح هذا المعني بلا نهاية ، فسق مركب “ 1 “ القول نحو مدعي الثور .

2360 - قال : لقد دعاني أعمي من هذا الجرم ذلك المحتال ، لقد قاس كإبليس يا الله .
- فمتي كنت أوجه الدعاء كالعميان ، ومتي تكديت إلا من الخالق ؟
- إن الأعمي يطمع في الخلق من جهله ، وأنا أطمع فيك فكل صعب منك سهل .
- إن هذا الرجل قد اعتبرني أعمي من العميان ، إنه لم ير ضراعة روحي وإخلاصها .
- إن عماي هذا هو عمي العشق ، والحب يعمي ويصم يا حسن .

2365 - إنني أعمي عمن هو غير الله مبصر به ، وهذا هو ما يقتضيه العشق .
- وأنت أيها البصير لا تعتبرني من العميان إنني دائر حول لطفك أيها المدار .
- وكما أبديت الرؤيا ليوسف الصديق وجعلتها له سندا .
- فإن لطفك أيضا قد أبدي لي رؤيا ، ودعائي الذي حد له هذا لم يكن لهوا
- والخلق جميعا لا يعرفون أسراري . ومن ثم يعتبرون أقوالي من قبيل الهذيان .

2370 - والحق معهم فمن الذي يعلم سر الغيب إلا علام السر وستار العيب .
- فقال له الخصم : “ التفت إلي وقل الصدق ، فأي اتجاه لك نحو السماء يا عماه ؟ “ - إنك تقوم بالألا عيب وتغالط ، وتتشدق بحديث العشق وكلمات القرب .
- فبأي وجه ما دمت ميت القلب قد اتجهت إلي السماء ؟
- فوقعت ضجة في المدينة من هذا الأمر وذلك المسلم يطأطيء بوجهه إلي الأرض .

2375 - قائلا : يا الله لا تفضح عبدك هذا ، وإذا كنت شريرا لا تكشف سري .

....
(1) حرفيا سق الحمار .

- إنك تعلم ، والليالي الطويلة التي كنت أتجه فيها إليك بالدعاء شديد التضرع .
- وإذا لم يكن لهذا قيمة عند الخلق ، فهو عندك كأنه المصباح المنير “ 1 “ .

استماع داود عليه السلام كلام كل من الخصمين
وسؤاله المدعى عليه

- وعندما خرج إليهم النبي داود قال : هيه : . . ما هذه الأحوال ، وماذا يجري ؟
- فقال المدعي : الغياث يا نبي الله ، لقد وقع ثوري علي منزله فقتله .

2380 - فسله : لماذا ؟ لماذا ذبح ثوري ؟ ولَيفسَّر ما حدث .
- فقال له داود : قل يا أبا الكرم : كيف أتلفت أملاك هذا المحترم ؟
- هيا ولا تتحدث كحاطب ليل وبين حجتك ، حتى يفصل في هذه الدعوى وينتهي الأمر .
- قال : يا داود لي سبع سنوات وأنا مشغول بالدعاء والسؤال ليل نهار .
- وهكذا كنت أطلب من الله داعيا : يا الله أريد رزقا حلالا بلا كسب .

2385 - والرجال والنساء يعرفون تضرعي ، حتى الأطفال يمكنهم أن يصفوه لك .
- فسل أي إنسان تريد عن هذا الخبر ، ينبئك به بلا قسر ولا ضرر .
- اسأل الخلق في السر واسألهم في العلن ، عما كان يقوله هذا الفقير المهلهل الثياب .
- وبعد كل هذا الدعاء وكل هذه الضراعة ، رأيت ثورا في منزلي فجأة .
- وغشي بصري ، ليس من أجل قطع اللحم ، كان فرحى لأن الله استجاب لقنوتي .

2390 - فذبحته من فوري وتصدقت بلحمه شكرا علي أن عالم الغيب قد استمع لدعائي .

....

(1) ج / 8 - 51 : إنهم يريدون الثور مني يا الله ، وأنت الذي أرسلته وأنا لم أخطىء

حكم داود على قاتل الثور

- قال داود : دعك من هذا الكلام ، وقدم لنا حجة شرعية في هذه الدعوى .
- فهل تجيز أنت أن أسن سنة باطلة في المدينة دون حجة ؟
- هل وهبك إياه ؟ هل اشتريته ؟ هل ورثته ؟ كيف تأخذ الريع ؟ هل أنت شريكه في حرثه ؟
- فاعلم أن الكسب كالزراعة يا عماه ، ما لم تزرع لا تحصد .

2395 - وما تزرعه تحصده ويكون لك ، وإلا فقد ثبت عليك هذا الظلم .
- فامض وأد إلي المسلم ماله ولا تتشدق بالكلام وامض واقترض وأد ماله عليك ، ولا تطلب الباطل .
- قال أيها الملك إن ما تقوله لي ، هو نفس ما يقوله الظلمة ! !

تضرع ذلك الشخص في حكم داود عليه السلام

- وسجد وقال : يا عالما بالحرقة ، ألق في قلب داود ذلك النور ! !
- ضع في قلبه ما قد ألقيت في قلبي سرا يا متفضلا علي .

2400 - قال هذا وانفجر في بكاء مرير ، حتى انخلع قلب داود من موضعه .
- وقال : انصرف اليوم يا طالب الثور ، أمهلني ولا تثر هذه الدعوى .
- حتى أمضي نحو الخلوة وأصلي ، وأسأل عالم الأسرار عن تلك الأحوال .
- فإن من عادتي أن " يأتيني " هذا العطاء في الصلاة ، وهذا هو معني " قرة عيني في الصلاة " .
- تكون كوة روحي مفتوحة من الصفاء ، فتصل الرسائل من الله تعالى بلا واسطة .

2405 - تنزل الرسالة والمطر والنور من كوتي إلي منزلي من لدن أصلي ومعدني .

- إن تلك الدار التي تفتقر إلي كوة تكون جحيما ، وأصل الدين أيها العبد هو فتح هذه الكوة .
- فقلل الدق ببلطتك فوق كل أجمة ، ودق ببلطتك في فتح هذه الكوة ، هيا .
- أو أنك لا تدري أن ضوء الشمس هو انعكاس الشمس الخارجة عن الحجاب .
- فإذا كنت تعتبر أن هذا النور هو الذي راه الحيوان ، إذن فما قيمة “ كرمنا “ بالنسبة لآدم ؟

2410 - وأنا - كالشمس - غارق في أعماق النور ، ولا أستطيع أن أفصل - ما بين نفسي وبين النور .
- لكن ذهابي إلي الصلاة وتلك الخلوة ، ليس إلا من أجل تعليم الخلق الطريق .
- إنني أمضي في طريق متعرج لكي تستوي هذه الدنيا ، وهذا هو معني “ الحرب خدعة “ أيها البطل .
- وليس هناك إذن إلا لكان الغبار قد ارتفع من بحر السر .
- وهكذا ظل داود يتحدث علي هذا النسق ، حتى أوشكت عقول الخلق علي الاحتراق .

2415 - فأخذ أحدهم بخناقة من خلفه ، قائلا له : اصمت لا شك عندنا في وحدانيته .
- فعاد إلي وعيه وكف عن الحديث ، وزم شفتيه وعزم علي الخلوة .

ذهاب داود إلى الخلوة حتى يظهر الحق

- أغلق بابه ، وانصرف حينذاك سريعا ، نحو المحراب والدعاء المستجاب .
- فأبدي له الحق ما أبداه له علي وجه التمام ، وصار واقفا علي جزاء الانتقام . “ 1 “

....
(1) ج / 8 - 66 : رأي أحوالا لم يقف أحد عليها ، وسرا خفيا يزيد الحيرة .

- وفي اليوم التالي أتي المتخاصمان ، ووقفا علي السوية أمام داود النبي .

2420 - ثم جري ما جري علي النحو السابق ، وأخذ ذلك المدعي يلقى بالتشنيع القبيح . " 1 "

حكم داود على صاحب الثور قائلا له : اترك حقك في هذا الثور ، وتشنيع صاحب الثور على داود عليه السلام

- قال له داود : اصمت ودعك من هذا ، واجعل هذا المسلم في حل من ثورك .
- وما دام الله قد ستر عليك أيها الشاب ، فاذهب واصمت وأد لهذا الستر حقه ! !
- فقال : واويلاه ! ! أي حكم هذا وأي عدل ! ! هل ستضع من أجلي شريعة جديدة ؟
- لقد ذاعت شهرة عدلك بحيث عطرت منه السماء والأرض .

2425 - لكن هذا الظلم لم يجر حتى على الكلاب العمياء ، لقد انشق الحجر والجبل من هذا التعدي وتمزقا إربا .
- وهكذا أخذ يشنع علي الملأ صائحا : اجتمعوا ! ! اجتمعوا ! ! هذا أوان الظلم. "2"

حكم داود على صاحب الثور أن : أعطه كل مالك

- ثم قال له داود : أيها العنود ، هبه كل مالك سريعا .
- وإلا شق عليك الأمر قلت لك ، وحتى لا يفتضح من جراء هذا ظلمك .

....

(1) ج / 8 - 96 : أعطني ثوري سريعا أيها المحتال ، واخجل من إلهك ومثل هذا الظلم الواضح الذي لا يليق ، يحري في عهد النبي . . هيا ، لقد أكلت الثور المذبوح بلا خوف ولا وجل وتزيد في الجواب أيها اللئيم ، قائلا لقد دعوت لسنوات - وطلبت من الحق فأعطاني إياه - فهل يجوز هذا يا رسول الحق - أن يكون الثور ثوري ويعطيه له الله ؟ !

(2) ج / 8 - 68 : فلا توجه إلي هذا الظلم والخطأ ولا تتحدث يا نبي الله عن هذا الفسق .

- فحثا التراب علي رأسه ومزق ثوبه قائلا : أإنك لتزيدن في الظلم كل لحظة ؟

2430 - ثم انطلق مرة أخري في هذا التشنيع ، فاستدعاه دواد إليه .
- وقال : لما لم يكن لك - حظ أيها التعس ، فإن ظلمك قد افتضح قليلا قليلا .
- لقد نجست " بالظلم " وآنذاك تطلب الصدر والحضرة ، وا أسفاه عليك من حمار " تأكل " التبن والقش .
- اذهب فإن أبناءك وزوجتك ، قد صاروا عبيدا له فلا تزد في القول **! !**
- فأخذ يدق صدره بحجر بكلتا يده ، وأخذ يقفز من جهله وغضبه إلي أعلي ثم ينزل .

2435 - وبدأ الخلق أيضا في اللوم ، إذ كانوا غافلين عن فعله .
- فمتي يعرف الظالم من المظلوم ذلك الذي يكون في مهب هواه ، كأنه القذي ؟
- إن من يعرف الظالم من المظلوم هو ذلك الشخص الذي يقطع رأس " نفسه " الظلوم .
- وإلا فإن ذلك الظلوم الذي هو النفس تكون من باطنها خصما للمظلومين ، وهذا من جنونها .
- والكلب العقور هو الذي يحمل علي المسكين ، وبقدر ما يستطيع يعقر ذلك المسكين .

2440 - فاعلم أن الحياء من " صفات " الأسود لا الكلاب ، فهي لا تسلب الصيد من جيرانها .
- والعوام قتلة للمظلوم عبدة للظلمة ، خرجت " كلاب " غضبهم من مكامنها قافزة علي داود .

- فاتجهوا إلي داود قائلين : أيها النبي المجتبي الشفيق بنا .
- إن هذا لا يليق منك فهو ظلم بين ، ولقد قهرت بريئا بلا داع .

عزم داود عليه السلام على دعوة الخلق إلى الخلأ
حيث يفشى السر ويقطع كل الحجج

- قال : أيها الرفاق ، لقد حان الوقت الذي ينكشف فيه سره الخفي .

2445 - فهيا جميعا حتى نمضي خارجا ، وحتى نعلم هذا السر الخفي .
- ففي صحراء كذا شجرة ضخمة ، فروعها كثيفة وممتدة ومتشابكة ،
- وجذعها راسخ وجذورها ممتدة ، لكن رائحة الدم تهب علي أنفي من جذورها .
- لقد سفك دم تحت هذه الشجرة الطيبة ، إذ إن هذا المشئوم قتل سيده “ 1 “ .
- وحتى الآن ستر حلم الله هذا الأمر ، وفي النهاية من جحود هذا الديوث

2450 - الذي لم يقم مرة واحدة بزيارة أهل سيده ، لا في عيد النوروز ولا في أيام الأعياد .
- ولم يقدم لأولئك المساكين لقمة واحدة ، ولم يذكر الحقوق الأولي .
- بل وحتى الآن من أجل ثور ، يقوم ذلك اللعين بإهانة ابن سيده ! - فهو إذن نفسه الذي رفع الحجاب عن ذنبه ، وإلا فإن الله كان يستر علي جرمه .
- إن الكافر والفاسق في هذا الزمان اللعين ، هما اللذان يمزقان ستريهما بأيديهما ! !

....

(1) ج / 8 - 75 : وسلب ماله هذا الديوث ، وهو غلامه ، أيها الأحرار وهذا الشاب هو ابن هذا السيد ، كان طفلا ، لا خبر له عن الأمر .

2455 - والظلم مستور في غياهب أسرار الروح ، لكن الظالم هو الذي يعلنه علي الملأ .
- قائلا : انظروا ثور الجحيم علي الملأ ، انظروا إليّ ، فأنا ذو قرون .

شهادة اليد والقدم واللسان على سر الظالم
وهو لازال في الدنيا

- ومن ثم : فيدك وقدمك بارتكاب الأذي، تشهدان علي ضميرك "المستتر في باطنك" .
- وعندما يصبح الضمير موكلا بك ، فإنه لا يزال يقول لك : أعلن اعتقادك علي الملأ ، لا تخفه .
- " وهذا يحدث " خاصة عند الغضب والجدال ، فإن سرك يظهر برمته وتفصيلاته .

2460 - وعندما يسيطر عليك الظلم والجفاء ، فإنه يقول : أظهريني أيتها اليد ، أعلنيني أيتها القدم .
- وعندما يأخذ الضمير بالزمام " ويسيطر عليك ما في باطنك " ، خاصة عند الانفعال والغضب والانتقام .
- فإنه يوكلك أنت نفسك ، وذلك حتى تنشر لواء السر علي الملأ .
- وهو " سبحانه وتعالي " يستطيع أن يخلق موكلين آخرين يوم الحشر من أجل النشر .
- فيا من أبديت كل قواك " 1 " في الظلم والحقد ، إن جوهرك واضح ولا حاجة بك إلي إعلانه .

2465 - وليست هناك حاجة بك إلي شهرة في الأذي ، إنهم واقفون علي ضميرك الناري .

....

(1) حرفيا : عشرة أيدي .

- إن نفسك تطلق كل لحظة مئات من الشرر ، قائلة : انظروا إليَّ فأنا من أصحاب النار .
- إنني جزء من النار وأمضي إلي الكل الخاص بي ، وأنا لست بالنور حتى أمضي صوب الحضرة .
- مثلما قام هذا الظالم الجحود بارتكاب عدد من الأخطاء من أجل ثور .
- فأخذ الآخر منه مائة ثور ومائة جمل ، وهذه هي النفس أيها الأب فاهجرها .

2470 - وأيضا فإنه لم يقم يوما واحدا بالتضرع إلي الله ، ولم تصدر منه " يا رب " مرة واحدة بألم .
- ولم يقل : يا الله اجعل خصمي قانعا ، ولو كنت ألحقت به الخسارة فعوضه عنها ربحا " .
- وإذا كنت قد أخطأت فالدية علي العاقلة ، وأنت " عاقلة " روحي منذ يوم " الست " ! !
- وإنها " أي النفس " لا تعطي حجرا عوضا عن در ، وهذا هو إنصافها يا حر الروح ! !

خروج الناس صوب تلك الشجرة

2475 - وعنما خرجوا نحو تلك الشجرة ، قال " داود " قيدوا يديه بإحكام خلف ظهره
- حتى أكشف عن ذنبه وجرمه ، وحتى أنشر لواء العدل علي الملأ .
- وقال له : أيها الكلب ، لقد قتلت جد هذا الرجل ، وكنت غلاما له وبهذا القتل صرت سيدا .
- لقد قتلت سيدك وسلبت ماله ، وها هو ذا الله قد كشف حاله .
- وكانت زوجتك جارية عنده ، وقد اشتركت معك في عقوق هذا السيد .
- فكل ما ولدته من ذكر وأنثي ، يكون كله ملكا لوريثه .

2480 - وأنت غلام فكل عملك وكسبك ملك له ، لقد طلبت حكم الشرع ، هاكه وامض فهذا خير لك .
- لقد قتلت سيدك ظلما وصبرا ، وفي نفس هذا المكان كان السيد يصرخ : وا غوثاه .
- ودفنت السكين تحت التراب مسرعا ، من ذلك الخاطر المفزع الذي خطر لك .
- ولا يزال السكين مع رأسه الآن تحت الأرض ، وهكذا فاحفروا هذه الأرض ثانية .
- واسم هذا الكلب مكتوب علي السكين ، وهو الذي مكر بسيده وارتكب هذا الجرم .

2485 - وهكذا فعلوا ، وعندما حفروا وجدوا تلك السكين والرأس تحت الأرض .
- وقامت ضجة بين الخلق آنذاك، وشق كل منهم زناره عن وسطه "داخلا في الدين" .
- ثم قال : تعال أيها المتظلم وخذ بحقك منه ، لقد افتضح أمره .

أمر داود عليه السلام بالقصاص من القاتل بعد إلزامه الحجة

- أمر " داود " بالقصاص منه بنفس سلاحه ، فمتي يخلصه مكره من علم الحق ؟
- فهو وإن كان يستر كثيرا ويتغاضي ، إلا أنه يفضح عندما يزيد " المجرم " في إجرامه عن الحد .

2490 - والدم لا ينام ، بل يسقط في كل قلب الميل نحو البحث والتقصي عن كشف المشكل .
- وباقتضاء حكم رب الدين ، يخرج السر ، بين هذا وذاك ،

- " إذ يتسائل الناس " : ماذا جري لفلان ؟ وكيف حاله ؟ وكيف هو ؟
وهذا كما ينبثق النبات من الرياض .
- وغليان الدم هو هذه التساؤلات ، وقلق القلوب والبحث عما جري .
- وعندما انكشف سر عمله ، شاعت معجزة داود وتضاعفت .

2495 - فأتي الناس جميعا مكشوفي الرؤوس ، وأخذوا يسجدون علي الأرض قائلين :
- إننا كنا عميانا في الأصل ، مع ما رأيناه منك من مئات المعجزات .
- لقد تحدث الحجر معك وهذا أمر شهير ، قائلا لك : خذني من أجل غزو طالوت .
- ثم أتيت ومعك أحجار ثلاثة ومقلاع ، ففرقت جمع مئات الآلاف من الرجال .
- تفتت حجارتك الثلاثة إلي مئات الآلاف من الحجارة ، جندل كل حجر منها أحد الخصوم .

2500 - وصار الحديد في يدك كالشمع ، عندما صار أمر صناعتك للدروع معلوما .
- والجبال أوبت معك وصارت شكورة " لله " ، وهي تقرأ معك عندما تقرأ الزبور ! .
- ولقد فتحت مئات الآلاف من أعين القلوب من أنفاسك ، وصارت مستعدة لتلقي الغيث .
- وما هو أقوي من هذا كله لأنه دائم ، هو هبة الحياة التي تظل قائمة إلي الأبد .
- وروح كل المعجزات من هذا هي تلك المعجزة التي تهب الميت الحياة الأبدية .

2505 - لقد قتل ظالم واحد فانبعثت دنيا بأكملها حية ، وصار كل إنسان عابدا لله من جديد .

بيان أن نفس الإنسان هي بمثابة ذلك السفاك الذي كان قد ادعى ملكيته الثور ، وإن ذابح الثور هو العقل ، وداود هو الحق والشيخ نائب الحق ، والذي بقوته وعونه يمكن قتل الظالم والغنى برزق دون كسب وحساب

- اقتل نفسك " التي بين جنبيك " وأحيي دنيا بأكملها ، لقد قتلت السيد فاجعلها أمة ! !
- إن مدعي الثور هو نفسك فانتبه ، لقد جعلتك بهذا " الادعاء " سيدا وعظيما .
- وذابح الثور هو عقلك فامض ، ولا تكن منكرا القاتل ثور جسدك .
- إن العقل أسير ولا يفتأ يريد من الحق ، رزقا بلا تعب ونعمة حاضرة " 1 " .

2510 - فعلام يتوقف رزقه الذي بلا تعب ؟ علي أن يقتل الثور وهو أصل الشر .
- فتقول النفس : كيف تقتل ثوري ؟ ذلك أن ثور النفس هو صورة الجسد .
- وابن السيد هو العقل بقي بلا زاد ، لأن النفس السفاكة قد قتلت السيد والمرشد .
- أتعلم إذن ما هو الرزق بلا تعب ؟ إنه قوت الأرواح وأرزاق النبي .
- لكنه متوقف علي ذبح الثور ، فاعلم أن الكنز في " إهاب " الثور أيها الطلعة المدقق .

2515 - إنني ليلة الأمس قد أكلت شيئا ما ، وإلا لأعطيتك في يدك زمام الفهم تماما .

....

(1) حرفيا : علي الطبق .

- “ ليلة الأمس أكلت شيئا “ إن هذا مجرد ذريعة وأسطورة ، لأن كل ما يأتي إنما يأتي من منزل السر .
- فلأي شيء تعلقنا بالأسباب وتركيز أبصارنا عليها ، إذا كنا قد تعلمنا الغمز بالعيون من حسان العيون .
- وهناك فوق الأسباب أسباب أخري ، لا تنظر إلي الأسباب بل انظر إلي تلك الأسباب الأخري .
- لقد جاء الأنبياء لقطع الأسباب ، وطامنوا بمعجزاتهم فلك عطارد .

2520 - فشقوا البحر دون وسائل وأسباب ، وأنبتوا سنابل القمح دون زرع .
- وصارت الرمال دقيقا من سعيهم ، كما صار شعر الماعز حريرا ممتدا .
- والقران بأجمعه قطع للأسباب ، هو عز للفقير وهلاك لأبي لهب .
- وطير الأبابيل رمي بحجر أو حجرين فهزم جيش الأحباش الضخم .
- وألقي بالفيل مجندلا مليئا بالثقوب ، ذلك الحجر الذي ألقي به الطائر المحلق عاليا .

2525 - فاضرب القتيل بذيل البقرة المذبوحة ، حتى يبعث حيا في كفنه في اللحظة نفسها .
- يقفز في مكانه وهو مقطوع الحلق ، ويطلب ثأره من قاتله .
- وهكذا من أول القران إلي اخره ، رفض للأسباب والعلل والسلام .
- وكشف هذا لا يكون من العقل الذي يعقد الأمور ، فزاول العبودية حتى يكشف لك .
- فالمشتغل بالفلسفة أسير للمعقولات ، بينما امتطي الصفي عقل العقل .

2530 - إن عقل العقل هو بالنسبة لك لب وعقلك قشر ، ومعدة الحيوان غالبا ما تطلب القشر .

- وطالب اللب يمل القشور أشد الملل ، لكن اللب صار حلالا للأذكياء .
- وبينما يقدم قشر العقل مائة برهان ، متي يخطو العقل الكلي خطوة واحدة دون يقين ؟
- إن العقل يسود الدفاتر كلها لكن عقل العقل ذو افاق مليئة بالأقمار .
- فهو فارغ من السواد " الحبر " ومن البياض " الورق " ، ونور قمره بازغ من القلب والروح .

2535 - وإذا كانت هذه الكتب قد وجدت القدر ، فمن ليلة القدر تلك " 1 " التي تألقت كأنها الكوكب .
- فقيمة الهميان والأكياس تكون من الذهب ، وبلا ذهب تكون الهميان والأكياس ناقصة لا قيمة لها .
- وكذلك فإن قدر الجسد يكون من الروح ، وقدر الروح من ضياء الأحبة .
- فإذا كانت الأرواح لم تحي حتى الآن بالنور الإلهي ، لما قال الله قط إن الكفار موتي .
- فهيا تحدث ، إن النفس الناطقة تشق جدولا ، يجري فيه الماء حتى بعد قرن من وفاتنا .

2540 - وبالرغم من أنه يوجد في كل ات بالكلم ، فإن كلام السلف يكون عونا له .
- أليست التوراة والإنجيل والزبور قد صارت شاهدا علي صدق القران أيها الشكور ؟
- فابحث عن رزق دون تعب وحساب ، ومن الجنة يأتيك جبريل ، بثمار التفاح .
- بل إن رزقا من رب الجنان ، يأتيك بلا تعب من الناطور وبلا كدح في الزراعة .

....

(1) أي عقل العقل أو العقل الكلي .

- ذلك أنه وهب في الخبز نفع الخبز ، وهو الذي يهبك هذا النفع دون واسطة من القشور .

2545 - إن اللذة خفية ، وصورة الخبز كغطاء المائدة ، لكن الولي ذو نصيب من الخبز دون صورته .
- فمتي تحصل علي رزق الروح بالسعي والبحث والهم ، إن هذا ليس إلا بعدك عن الشيخ الذي هو داود بالنسبة لك .
- وعندما تري النفس خطوك مع شيخ ، فإنها تصبح - وأنفها راغم - مطيعة لك .
- مثلما صار صاحب الثور مستسلما هادئا ، عندما صار عليما من أنفاس دواد .
- ويصير العقل غالبا في الصيد ، عندما يصير الشيخ معينا علي " كلب " نفسك .

2550 - والنفس أفعي ذات قوة شديدة واحتيال ، ووجه الشيخ بالنسبة لها كالزمرد يقتلع عينها " 1 " .
- فإذا أردت أن يكون صاحب الثور ضعيفا ، فسقه واخزا إياه بالسفود كالحمر نحو تلك الناحية أيها الحرون .
- وعندما يقترب من ولي الله ، يقصر لسانه الذي يبلغ طوله مائة ذراع .
- فهو ذو مائة لسان وكل لسان يتحدث مائة لغة ، ولا يوصف خبثه واحتياله .
- إن النفس فصيحة تدعي ملكية " الثور " تأتي بمئات الآلاف من الحجج وكلها غير صحيحة .

2555 - إنها تخدع المدينة كلها إلا الملك ، ولا تستطيع أن تقطع الطريق علي ملك الوعي .

....

(1) ج / 8 - 96 : فإذا أردت الأمن من الأفاعي ، فلا تترك طرف ثوبه لحظة واحدة ، وكن ترابا أمام الشيخ الصفي ، حتى تنبت في ترابك كيمياء التبديل .

- فالنفس تمسك بالمصحف والمسبحة في يمينها ، لكنها تخفي السيف والخنجر في كمها .
- فلا تصدق مصحفها ورياءها ، ولا تجعل نفسك نجيا وقرينا لها .
- إنها تصحبك حتى الحوض بحجة الوضوء ، لكنها تلقي بك إلي قاعه .
- إن العقل " نوراني " وطالب مجد ، فكيف تكون النفس " الظلمانية " غالبة عليه .

2560 - ذلك أنها من أهل الدار وعقلك غريب ، ويكون الكلب علي باب داره كالأسد المهيب .
- فانتظر حينئذ الأُسد إلي الآجام ، وتميل تلك الكلاب العمياء إلي ذلك المكان .
- إن عموم أهل المدينة لا يعلمون مكر النفس والجسد ، ويعلمون أنها لا تقهر إلا بوحي من القلب .
- وكل ما يكون من جنسها يكون محبا لها رفيقا بها ، فمن يصلح لها إلا داود الذي هو شيخ لك .
- إنما بُدّل ولم يبق من جنس الجسد ، كل من وضعه الله في مقام القلب .

2565 - إن الخلق جميعا من أنصار العلة في بواطنهم ، ويقينا أن نصير العلة يكون مريضا .
- وكل خسيس يدعي الداووية ، ويستمسك به كل من هو بلا تمييز .
- إن ذلك الطائر الأبله يسمع من الصياد صفير الطير فيمضي نحوه .
- ولا يعرف ذلك الغوي النقل من النقد " الحاضر " ، فاهرب منه حتى وإن كان مشتغلا بالمعاني .
- فإن الناجي والأسير سيان عنده ، وهو في شك وإن كان يدعي اليقين .

2570 - والمرء وإن كان ذكيا علي الإطلاق ، هو غبي إن لم يكن لديه تمييز .
- فاهرب منه كما يهرب الغزال من الأسد ، ولا تسرع نحوه أيها العالم الشجاع

هروب عيسى عليه السلام من الحمقى نحو جبل

- كان عيسى بن مريم يهرب متجها إلي جبل ، وكأن أسدا كان يهم بسفك دمه .
- فأخذ أحدهم يعدو خلفه صائحا : خيرا ؟ ليس وراءك أحد ، فلماذا تهرب كالطير ؟
- لكنه أخذ يعدو بسرعة ، حتى إنه لم يكن قادرا علي رد الجواب من شدة سرعته .

2575 - فأسرع ذلك الرجل منزلا أو منزلين خلف عيسى ، ثم نادي عيسى جادا في النداء .
- قائلا : قف برهة من الزمن ، فإني من هربك في مشكلة .
- من أي شيء تهرب نحو تلك الناحية أيها الكريم ، فلا أسد في أثرك ولا خصم ، ولا خوف لديك أو هلع ؟
- قال : إنني هارب من الأحمق فامض ، إنني أنجى نفسي منه - فلا تعطلنى .
- قال : ألست أنت المسيح اخر الأمر ، الذي يبريء الأعمى والأصم ؟

2580 - قال : بلي قال : ألست أنت ذلك الملك الذي أصبح موضع طلسم الغيب ؟
- وعندما تقرأ هذا الطلسم علي ميت ، يقفز كأسد وجد صيدا ؟
- قال بلي ، أنا هو قال : ألست أنت الذي تجعل من الطين طيرا يا جميل الوجه “ 1 “ ؟
- قال : بلي . قال : إذن أيها الروح الطاهرة ، إن كل ما تريده تفعله فمم تخاف ؟
- مع مثل هذا البرهان الذي لك في الدنيا ، وليس لأحد غيرك في عباد الله ؟

....

(1) ج / 8 - 151 : تنفخ فيه فترتد فيه الروح سريعا ، ويطير لتوه في الهواء .

2585 - قال عيسى : بذات الله الطاهرة ، مبدع الجسد خالق الروح .
- وحرمة ذاته وصفاته الطاهرة ، التي تجعل من الفلك عاشقا ممزق الجيب .
- إن ذلك الطلسم والاسم الأعظم الذي قرأته أنا علي الأصم والأعمي فشفيا .
- وقرأته علي الجبل والحجر فانشق ، ومزق خرقته من علي جسده حتى سرته .
- وقرأته علي جثة الميت فبعث حيا ، وعلي اللاشيء فصار شيئا .

2590 - قرأته علي قلب الأحمق مئات المرات ، لكن الله لم يمن عليه بالشفاء .
- صار حجرا أصم لم يرجع عن طبعه ، صار رملا لم ينبت فيه أي نبات .
- قال الرجل : وما الحكمة في أن اسم الله أجدي في مواضع عديدة ولم يجد في هذا الموضع ؟
- إنه داء مثل أي داء فلماذا عالج بقية الداءات ولم يجد فيه ؟
- قال عيسى : إن داء الحمق غضب من الله ، أما داء العمي فليس مرضا إنه ابتلاء .

2595 - ومرض الابتلاء يثير الشفقة ، لكن الحمق داء يسبب الجراح .
- وذلك الذي ختم بميسم الحمق ، لا يمكن أن تجد له حيلة .
- فاهرب من الحمقي كما هرب عيسى ، فما أكثر الدماء التي أسالتها صحبة الحمقي " 1 " .
- فكما يسرق الهواء الماء قليلا قليلا ، يسرق الأحمق الدين منكم .
- إنه يسلبك حماسك ويهبك الفتور ، إنه مثل ذلك الذي يضع تحت مقعده حجرا .

....
(1) ج / 8 - 152 : وإن مرض الحمقي ليصب الجراح علي أم الرأس ، ولا رحمة علي توسل ذلك الأحمق بالحيلة .

2600 - لم يكن هروب عيسى خوفا ، فقد كان امنا ، كان هروبه من أجل التعليم .
- فإذا ملأ الزمهرير الآفاق ، أي حزن عند تلك الشمس ذات الإشراق ؟
[قصة أهل سبإ]

قصة أهل سبإ وحمقهم وعدم تأثير نصيحة الأنبياء في الحمقى

- يحضرني في هذا المقام قصة سبأ وإذ صارت رياح الصبا عندهم وباء من أنفاسهم الحمقاء .
- كانت سبأ هذه مدينة كبيرة جدا ، استمع إلي حكايتها كحكاية من حكايات الأطفال .
- إن الأطفال يقصون الحكايات ، وتحتوي حكاياتهم علي كثير من الأمثال والعظات .

2605 - إنهم يتحدثون بكثير من الهزل في حكاياتهم ، فداوم علي البحث عن الكنوز في الخرابات .
- كانت هناك مدينة كبيرة جدا وضخمة ، لكن حجمها لم يكن يزيد عن حجم الفنجان .
- كانت ضخمة جدا واسعة مترامية الأطراف ، واسعة شديدة الازدحام بحجم بصلة .
- اجتمع فيها سكان عشرة مدن ، لكن مجموعهم كان ثلاثة أشخاص من الأنجاس .
- كان سكانها خلقا بلا عد أو حصر ، لكنهم في مجموعهم ثلاثة من السذج أكلي ما يجدونه .

2610 - إن الروح التي لم تسع في سبيل الأحبة ، إن كانت في آلاف فإنهم لا يبلغون “ قيمة “ نصف شخص .

- كان أولهم حاد النظر جدا لكنه أعمي البصر ، أعمي عن مثل سليمان لكنه أبصر رجل النملة .
- وكان ثانيهم حاد السمع لكنه أصم ، كان كنزا ليس فيه مثقال حبة شعير من ذهب .
- وكان ثالثهم عاريا تماما كأنه الجيفة ، لكن أطراف ثوبه كانت شديدة الطول .
- قال الأعمي : هذا جيش يتقدم ، إنني أري أي قوم هم ، وأري كم عددهم

2615 - قال الأصم : إنني أسمع أصواتهم ، وماذا يقولون في العلن والسر .
- فقال العاري : أخشي ما أخشاه أن يسلبوني قدرا من ذيل ثوبي .
- قال الأعمي : لقد اقتربوا الآن ، انهضوا فلنهرب قبل أن يعملوا فينا الطعن والأسر .
- وقال الأصم : أجل ، فإن ضجيجهم يقترب أكثر ، هيا يا رفاق .
- فقال العاري : واحسرتاه علي ثوبي ، سوف يسلبونه طمعا ، إنني لا أحس بالأمان ! !

2620 - فتركوا المدينة وخرجوا منها ، وفي فرارهم دخلوا إحدي القري .
- ووجدوا في تلك القرية طائرا سيمنا ، ليس علي جسده ذرة واحدة من لحم أو شحم " 1 " .
- كان طائرا ميتا متيبسا ، ومن نقر الغربان صار عظاما مهترئة كالهشيم " 2 " .
- فأكلوا منه جميعا كما يأكل الأسد من صيده ، وشبع كل منهم من أكله كالفيل .

....

(1) ج / 8 - 156 : راه الأعمي ، وسمع الأصم تغريده ، واخذه العاري في حجره .
(2) ج / 8 - 156 : فطلبوا قدرا ووجدوه ، لا غطاء له ولا قاع وأسرعوا ، فوضعوه علي النار أولئك الثلاثة ، ذلك الطائر السمين كثير الدسم . وأنضجوه فوق النار كثيرا حتى نضجت عظامه ولا خبر عن اللحم .

- أكلوا منه ثلاثتهم فازدادوا سمنة ، صار الثلاثة من الفيلة الضخمة الفخمة .

2625 - وأصبح كل واحد من هؤلاء الفتيان الثلاثة من سمنته بحيث لا تتسع له الدنيا من ضخامته .
- وبرغم هذه الضخامة وتضخم الأعضاء ، خرجوا من شق باب ومضوا إلي حال سبيلهم .
- إن طريق الموت بالنسبة للخلق طريق خفي ، ولا يبدو للنظر ذلك الطريق الذي لامكان له .
- والقوافل الآن تقتفي اثار بعضها البعض ، من فرجة الباب هذه المختفية
- وإذا بحثت عن الباب فلن تجد هذا الشق ، إنه شديد الاختفاء وإن كان يتم عن طريقه كثير من حفلات الزفاف .

تفسير ذلك الأعمى حاد النظر ، وذلك الأصم حاد السمع ، وذلك العاري سابغ الثوب

2630 - إن الأصم هو الأمل الذي سمع بموتنا ، ولم يسمع بموت نفسه ولم ير نقل ذاته .
- والأعمي هو الحَرِصُ الذي يري عيوب الخلق بأجمعها ، ويتحدث عنها مفصلا إياها .
- ولا تري ذرة واحدة من عيوبه عينه العمياء ، بالرغم من أنه باحث عن العيوب .
- والعاري الذي يخشي من سرقة ثوبه ، فتري متي يمزق الناس ثوب رجل عار ؟
- إنه رجل الدنيا مفلس وخائف ، ولا يملك شيئا قط ، ومع ذلك فهو خائف من اللصوص .

2635 - لقد جاء عاريا ويمضي عاريا ، لكنه من خوف أن يسرق يدمي كبده .
- وفي وقت موته عندما يتقدم جنازته النواح والعويل ، تضحك روحه سخرية من ذلك الخوف الذي كان يعانيه .
- ويعلم الغني في تلك اللحظة أنه لا ذهب لديه ، كما يعلم الذكي أنه كان خاليا من الفضل .
- ويكون الأمر كما يمتليء حجر طفل بقطع الفخار ، فيرتعد خوفا عليه كما يكون رب المال .
- فيبكي إن أخذت منه قطعة من الفخار ، ويضحك إن رددتها إليه .

2640 - ولما لم يكن عند الطفل دثار من العلم ، فلا اعتبار هناك لبكائه أو ضحكه .
- وعندما يري الغني العارية ملكا ، فإنه يربت “ بلطف “ علي ذلك المال المملوك بالباطل .
- ويعتبر أن لديه أموالا ، ويخشي من أن يخطف اللص “ الجوال “ .
- وعندما يفزعه من نومه هذا عاركٌ لأذنيه ، يسخر كثيرا من خوفه .
- وشبيه بهذا الخوف الشديد الموجود عند هؤلاء العلماء يملكون علوم هذه الدنيا والعقل الجدير بها .

2645 - وفي شأن هؤلاء العقلاء ذوي الفنون ، قال الله تعالى في القران أنهم لا يعلمون .
- كل واحد منهم خائف من سرقة أحد (له أو لعلمه) ويظنون لأنفسهم علما غزيرا .
- فيقول : إنهم يسرقون وقتي ، وليس له هو نفسه وقت نافع .
- ويقول : إن الخلق يشغلونني عن عملي ، وروحه غارقة في البطالة حتى الحلق .

- وهكذا العاري خائف قائلا : إنهم يجذبون طرف ثوبي ، كيف أخلص طرف الثوب من أيديهم ؟ !

2650 - إنه يعلم مئات آلاف الفصول من العلوم ، لكنه لا يعرف روحه ذلك الظلوم .
- وهو يعلم خاصية كل جوهر ، لكنه في بيان جوهره هو كالحمار .
ويقول :
- إنني أعلم ما يجوز ، وأنا أقول له : أنت نفسك لا تعلم أنك في مرتبة تقليد التصديق " 1 " .
- إنك تعلم أن هذا جائز وهذا غير جائز ، فانظر جيدا هل أنت جائز أم غير جائز ؟
- وإنك تعلم ما هي قيمة كل بضاعة ، لكنك لا تعرف قيمتك وهذا حمق .

2655 - ولقد علمت مطالع السعد النحس ، ولم تنظر هل أنت سعد أم نحس وشؤم .
- وإن روح كل العلوم هي هذي : أن تعلم من تكون يوم الدين " 2 " .
- ولقد علمت أصول الدين تلك ، لكن : أنظر إلي أصلك إذا كان جيدا .
- فأصولك أفضل من " الأصولين " " 3 " اللذين تعرفهما ، وأفضل أن تعرف أصولك أيها الرجل الكريم .

صفة رخاء مدينة أهل سبأ وجحودهم

- كان أصلهم سيئا أهل سبأ هؤلاء ، كانوا يفرون من أسباب اللقاء .

2660 - لقد وهبهم الله تعالي كثيرا من الضياع والبساتين والمراعي ، عن يسار ويمين لكي يتسني لهم الفراغ .

....

(1) حرفيا : لا تعلم أنك " تجوز " أو " عجوز " أي تؤمن إيمان العجائز .
(2) ج / 8 - 161 : وروح كل العلوم هذا في حد ذاته ، أن تهبك كلها الروح الأبدية . إن الغني يعتبر العارية ملكا له ، ويرتعد لهذه الأموال ذلك الدني .
(3) أصول الفقه وأصول الكلام .

- ومن كثرة تساقط الثمار من وفرتها ، كان الطريق يضيق علي عابره .
- كانت الفاكهة المتساقطة تسد الطريق ، وكان المار من كثرتها يصاب بالدهشة الشديدة .
- وكانت السلة علي الرأس في بساتينهم ، تمتليء بالثمار عن غير قصد منهم
- كانت الرياح تسقط هذه الفاكهة دون أن يسقطها أحد ، وكانت حجور كثيرة تمتليء بهذه الفاكهة .

2665 - وكانت العناقيد الضخمة المتدلية ، تتساقط علي وجوه المارة ورؤوسهم .
- ومن كثرة الذهب ، حتى الوقاد في الحمام كان يعقد حول منطقته حزاما ذهبيا .
- كان الكلب يدوس الفطائر بقدميه ، كما كان ذئب الصحراء متخما من الزاد " 1 " .
- كانت المدينة امنة والقرية امنة من الذئب واللص ، ولم يكن الماعز يخاف من الذئب المفترس .
- ولو أنني تحدثت عن نعم القوم ، التي كانت تزداد يوما بعد يوم .

2670 - لصرفني ذلك عن قول ما هو أهم ، وقد أهم بلغنا الأنبياء الأمر ب : استقم .

مجىء الأنبياء من الحق لنصح أهل سبأ " 2 "

- جاء ثلاثة عشر نبيا إلي ذلك المكان وأخذوا جميعا يرشدون الضالين

....
(1) ج / 8 - 164 : وعندما كانت ثيابهم تتسخ ، كانت النار لهم بمثابة الصابون - كانوا يلقون بالثَوب في التنور ، وبعد برهة يصير نظيفا .
(2) ج / 8 - 166 : وعندما زاد جحودهم عن الحد ، فعلت غيرة الحق فعلها في التو واللحظة .

- قائلين : هيا فالنعمة قد زادت وأين الشكر ؟ فإذا رقدت مطية الشكر حركوها .
- إن شكر المنعم واجب بمقتضي العقل ، وإلا انفتح باب الغضب الأبدي .
- هيا ، أنظروا إلي الكرم ، فهل يمكن أن يقدمه شخص ؟ أيمكن أن يتأتي من شخص يشكر مرة واحدة علي كل هذه النعم ؟

2675 - إنه يهب رأسا ويريد الشكر عليها سجدة ، ويهب قدما ويريد الشكر عليها " قعدة طاعة " " 1 " .
- قال القوم : لقد سرق "الغول" شكرنا ، لقد صرنا ملولين من النعمة والشكر "2".
- لقد صرنا مترهلين من العطاء ، بحيث لم نعد نحس بلذة في طاعة أو معصية .
- نحن لا نريد النعم أو البساتين ، ولا نريد الأسباب ولا الفراغ .
- قال الأنبياء : إن في قلوبكم علة وغرضا ، وهي آفة تحول دون الاعتراف بالحق .

2680 - بحيث تصير نعمته سبحانه وتعالي علة للجميع ، ومتي يصير الطعام قوة للمريض ؟
- لقد قدم لك العديد من النعم أيها المبصر ، فانقلبت كلها إلي نقمة وصار صافيها كدرا .
- وصرت أنت عدوا لهذه النعم ، فانقلب إلي قبيح كل ما تلمسه بكفك .
- فكل من صار صديقا لك مؤتلفا معك ، انقلب إلي ذليل وحقير أمام ناظريك .

....

(1) ج / 8 - 166 : إن شكر النعمة يزيد في النعمة ، وتنبت في الأشواك مئات الورود .

(2) ج / 8 - 166 : أية نعمة ، لقد شبعت أرواحنا منها ، وأي شكر نشكره ، هيا ، أشكروا - إن هذه النعمة محنة بالنسبة لنا ، ولا يشكر أحد علي المحنة أيها الفتي .

- وكل من صار غريبا عنك نافرا منك ، صار في نظرك شديد العظمة والاحترام .

2685 - وهذا كله من تأثير المرض ، إن سمه سار في كل الأرواح .
- وينبغي أن تعالجوا هذه العلة من فوركم ، فهي التي تجعل السكر يبدو بُرازا عندكم .
- وكل خير يصيبك ينقلب إلي سوء ، ولو عثرت علي ماء الحيوان فإنه يتحول إلي نار .
- وتلك صفة كيمياء الموت والألم ، بحيث يصبح الموت هو العافية الوحيدة لك في هذه الحياة .
- وكثير من الغذاء الذي يحيا به القلب ، عندما يدخل جسدك يصير متعفنا .

2690 - وكثيرا ما تظفر بوصال عزيز بعد دلال ، لكنك عندما تظفر به تزهده .
- ومعرفة العقل للعقل من الصفاء ، وعندما تتم يزداد الولاء فيها كل لحظة .
- ومعرفة النفس مع كل نفس دنية ، اعلم يقينا أنها تقل وتضعف لحظة بعد لحظة .
- ذلك أن النفس تدور حول علة ، فتفسد المعرفة والصداقة منها سريعا .
- وإن لم ترد أن يتحول الحبيب إلي عدو لك في الغد ، فاعقد حبال الود مع العقل ومع العاقل .

2695 - وما دمت ذا علة من سموم النفس ، فكل ما تظفر به يكون سببا للمرض .
- فإذا ظفرت بجوهرة تحولت إلي حجر ، ولو ظفرت بحب القلب تحول إلي حرب .

- وإذا توصلت إلي فكرة مبتكرة ولطيفة ، تحولت عند إدراكك إياها إلي فاقدة للذوق ومستهجنة .
- فتقول : لقد سمعتها كثيرا وصارت مبتذلة قديمة ، فهيا قل غيرها أيها السيد السند ! - “ فيقول لك “ : إليك فكرة جديدة سمعتها أخيرا ، وفي الغد تصبح ملولا منها ونفورا .

2700 - فعالج العلة فعندما تقضي علي العلة ، يكون كل حديث قديم جديدا بالنسبة لك .
- بل إن ذلك القديم يورق من جديد ، ويتفتح من جذوره الممتدة في الحفرة مائة عنقود “ جديد “ .
- ونحن “ الأنبياء “ أطباء وتلاميذ الحق ، لقد رانا بحر القلزم فانفلق .
- لكن أطباء الطبيعة شيء اخر ، إنهم ينظرون إلي القلب عن طريق النبض .
- لكننا ننظر إلي القلب جيدا بلا واسطة ، فنحن من الفراسة ننظر من عل .

2705 - أما أولئك فهم أطباء الغذاء والثمر ، والروح الحيوانية قائمة بهم .
- ونحن أطباء الفعال والمقال ، وملهمنا هو ضياء نور الجلال .
- “ ونقول لك “ إن هذا الفعل يصلح لك ، أما ذاك الفعل فهو قاطع للطريق .
- إن مثل هذا القول يدفعك إلي الأمام ، أما مثل ذلك القول فيعرضك للعقاب “ 1 “ .
- إن البول هو دليل أولئك الأطباء ، لكن دليلنا هو الوحي الجليل .

....

(1) ج / 8 - 167 : مثل هذا ومثل ذاك من القبيح والحسن ، نضعه أمامك ، ونبدي الخير ، فاختر هذا إن شئت أو ذاك ، فقد صار السم والسكر والحجر والجوهر عيانا .

2710 - ونحن لا نريد أجرا من أحد ، فأجرنا يصل إلينا من حضرة القدس .
- فهيا تعالوا يا مرضي الجراح التي لا تشفي ، فنحن الدواء للمرضي واحدا بعد اخر .

طلب القوم المعجزة من الرسل

- قال القوم : يا جماعة من المدعين . . أين الدليل علي علم الطلب والنفع ؟
- وما دمتم تأكلون وتنامون كما نأكل وننام فكونوا مثلنا واحشوا بطونكم في القرية بالطعام . " 1 "
- وما دمتم في شراك هذا الجسد الذي هو من الماء والطين ، متي تكونون صيادي عنقاء القلوب ؟

2715 - بل هو حب الجاه والرئاسة قد دفعكم إلي اعتبار أنفسكم من الأنبياء .
- ونحن لا نريد هذا النفاج والكذب في اذاننا ثم السقوط من ذلك في اللبن المخيض .
- قال الأنبياء : إن هذا هو من تلك العلة ، وأساس العمي حجاب الرؤية .
- إنكم تسمعون دعوتنا ، وترون هذه الجواهر في أيدينا .
- فهذه الجواهر امتحان للخلق ، نديرها نحن أمام العيون .

2720 - وكل من يسألنا أين الدليل ؟ قوله هو الدليل لكنه لا يري الجواهر من سجن عماه .
- فإذا تحدثت إليك الشمس وقالت لك : انهض ، فقد طلع النهار انهض وكفاك عنادا .
- فتقول أنت : وأين الدليل أيتها الشمس ؟ سوف تقول لك : أيها الأعمي أطلب من الله بصرا .
- وكل من يطلب في النهار المنير مصباحا ، فإن هذا الطلب في حد ذاته ينبيء عن عماه .
- وإذا لم تر فإنك تظن أن المصباح هلك لأنك في حجاب .
....
(1) أي تجرع الخديعة .

2725 - فلا تفش سر عماك على الملأ بهذا القول ، وأصمت وكن في انتظار العقل “ من الله “ “ 1 “ .
- فالقول في وضح النهار “ أين النهار ؟ “ هو فضح للنفس يا باحثا عن النهار .
- والصبر والصمت جاذبان للرحمة ، والبحث عن الدليل علي هذا دليل علي علة .
- فاقبل “ انصتوا “ حتى يصل لروحك من الأحبة جزاء “ انصتوا “ ! .
- وإذا أردت ألا تنتكس أمام هذا الطبيب ، فألق أمامه علي الأرض بالروح والمال أيها اللبيب .

2730 - وبع قولك الزائد واشتر بذل الروح والتخلي عن الجاه وإنفاق الذهب .
- حتى يتحدث فضله مثنيا عليك ، بحيث يحسدك الفلك علي جاهك .
- وعندما تراعون الأطباء حق الرعاية ، تنظرون إلي أنفسكم وتخجلون من أنفسكم .
- إن دفع هذه العمي ليس في أيدي الخلق ، لكنه إكرام من الهدي للأطباء .
- فكن عبدا بروحك لهؤلاء الأطباء ، حتى تضمخ بالمسك والعنبر .

اتهام القوم للأنبياء

2735 - قال القوم : إن هذا كله حيلة ومكر ، فمتي ينيب الله عنه أمثال زيد وبكر ؟
- وكل رسول لملك لا بد أن يكون من جنسه ، فأين الماء والطين من خالق الأفلاك ؟
- إننا نكون أغبياء “ 2 “ لو اعتبرنا - مثلما تفعلون
- أن البعوضة يمكن لها أن تكون موضع سر طائر البُلح ؟ “ 3 “ .

....
(1) ج / 8 - 180 : ربما لحقك فضل “ بلا علة “ وتحول قلبك عن هذا الشقاء وإلا بقيت في عمي الأبد ذاك ، وتختبيء مرأتك تحت اللباد .
(2) حرفيا : أكلنا مخ حمار .
(3) ج / 8 - 186 : فأين البعوضة من العنقاء وأين الطين من الله ؟ ! وأين ذرة الهباء من شمس السماء ؟ !

- فأية نسبة بين هذه وأية صلة ؟ حتى يصدقها عقل أو تدخل إلي لب ؟ “ 1 “

حكاية الأرانب التي أرسلت أحدها برسالة إلى الفيل قائة له :
قل : إنني رسول قمر السماء إليك ويأمرك قائلا :
ابتعد عن عين الماء تلك كما هو مذكور بتمامه في كتاب كليلة ودمنة

2740 - إن هذا شبيه بما قاله ذلك الأرنب “ حين قال “ : أنا رسول القمر وقرين القمر .
- فمن قطيع الفيلة علي تلك العين الزلال ، صارت كل الأرانب في وبال .
- لقد حرموا منها جميعا وابتعدوا عن العين خوفا ، وقد احتالوا إذا كانوا يفتقدون القوة .
- فصاح أرنب عجوز من فوق الجبل ، “ موجها خطابه “ إلي الفيلة في ليلة غرة الهلال .
- قائلا : تعال في الليلة الرابعة عشرة يا ملك الفيلة ، حتى تري الدليل داخل عين الماء .

2745 - يا ملك الفيلة أنا رسول إليك ، فقف أمامي ، إذا لا قيد ولا غضب علي الرسل ولا عقاب لهم .
- يقول القمر : اذهبوا أيها الفيلة ، إن عين الماء لنا ، فابتعدوا عنها .
- وإلا فإنني سوف أعميكم عقابا ، وهأنذا قد ألقيت بقولي هذا عن كاهلي !
- اتركوا عين الماء هذه وامضوا ، حتى تأمنوا ضربات سيف القمر .
- والدليل أن القمر سوف يضطرب في عين الماء عندما يشرب منها أحد الفيلة .

2750 - ففي ليلة كذا تعال يا ملك الفيلة ، حتى تجد الدليل من داخل العين .

....
(1) ج / 8 - 166 : وأين نحن من هذا الكلام الفارغ ؟ فأي احتيال هذا ومكر ورياء . . وأين السماء من الحبل ، إن مخا واحدا لا يصدق هذه الأساطير . وفي الغالب لدينا عقل نستطيع أن يميز من الكرات والجزر ! !

- وعندما مرت سبع (ليال) ثم ثمان من الشهر جاء ملك الفيلة وأخذ يشرب من العين .
- وعندما مد الفيل خرطومه تلك الليلة إلي الماء ، اضطرب الماء واضطرب “ انعكاس “ القمر فيه .
- فصدق الفيل منه ذلك الخطاب ، عندما “ رأي “ القمر مضطربا داخل العين .
- ولسنا نحن من تلك الفيلة المخدوعة أيها القوم ، بحيث يجعلنا اضطراب “ انعكاس القمر في خوف “ .

2755 - قال الأنبياء : أواه فإن هذه النصيحة المخلصة ، قد جعلت أغلالكم أكثر إحكاما أيها السفهاء .

جواب الأنبياء على طعنهم وعلى المثال الذي ضربوه

- وأسفاه ، فإن الدواء في مرضكم ، قد تحول إلي سم انتوي قهر أرواحكم .
- لقد زاد هذا المصباح الظلمة أمام تلك العين ، عندما أبدي الله تعالي حجاب غضبه .
- فأية رئاسة نطلبها عليكم ، وقد نزلت إلينا الرئاسة من السماء ؟ .
- وأي شرف ينشده بحر الدر من السفين ، خاصة تلك السفينة المحملة بالبعر ؟

2760 - وا أسفاه من تلك العين العمياء المظلمة ، التي ظهرت أمامها شمس وكأنها الذرة ! - ومن ادم الذي لم يكن له مثيل أوندٌّ ، لم تر عين إبليس إلا قبضة من الطين .
- ولقد أبدت عين المجنون الربيع له زمهريرا ، فتحرك من تلك الناحية التي كانت له منزلا .
- وكثيرا ما يصادف الإقبال علي حين غرة مدبرا فيتحول عن طريقه .
- ورب معشوق أتي متنكرا إلي تعيس لا يستطيع أن يمارس الحب “ 1 “ .

....

(1) ج / 8 - 190 : فلماذا هذا الحرمان بالنسبة للحمقي ؟ ولماذا لا يعتاد الضالون علي الطريق المستقيم ؟ !

2765 - إن الذي يوقع الأبصار في الخطأ هو حرماننا ، وهذا الذي يقلب القلب هو سوء القضاء .
- وعندما صار صنم من الحجر قبلة لكم ، فإن اللعنة والعمي قد صارا ظلة لكم .
- فكيف يجوز أن يكون صنمكم شريكا للحق ؟ ثم لا يجوز أن يكون العقل والروح موطنا لسر الحق ؟
- لقد صارت بعوضة ميتة شريكا لطائر البُلح ، فكيف لا يجوز أن تكون بعوضة حية موضعا لسر المليك .
- أو أن هذا لأن البعوضة الميتة من صنعكم ، في حين أن البعوضة الحية من صنع الله ؟

2770 - إنكم عشاق لأنفسكم ولشيء صنعته أنفسكم ، وذيول الحيات تابعة لرؤس الحيات !
- فلا في ذلك الذيل دولة أو نعمة ، ولا في ذلك الرأس راحة أو لذة .
- إن ذيل الحية يكون دائرا حول رأسها ، كلاهما لائق بالآخر مناسب له ، هذا الرفيقان .
- وكذلك ما يقوله الحكيم الغزنوي ، في “ إلهي نامه “ إذا كنت تستمع جيدا .
- فقلل الفضول في حكم القدر ، فإن جسد الحمار مناسب لأذن الحمار .

2775 - إن الأعضاء تتناسب مع الأبدان ، كما أن الأوصاف تناسب الأرواح .
- ووصف كل روح يكون لها التناسب بلا شك مع “ النمط “ الذي خلقها الله عليه .
- وما دام قد قرن الصفة بالروح ، فأعلم أنهما متناسبان كالعين والوجه .
- صارت أوصافها مناسبة لها في الحسن والقبح ، كما تناسبت الكلمات التي كتبها الله .

- والعين والقلب كلاهما بين إصبعين ، مثل القلم في يد الكاتب يا حسين " 1 " .

2780 - فإصبع للطف وإصبع للقهر وبينهما قلم الكاتب ذو قبض وبسط من هذا البنان .
- فيأيها القلم أنظر إذا كنت مشمولا بلطف ذي الجلال بين إصبعي من تكون ؟
- فكل القصد والحركة من هذا الإصبع ، وسنك (أيها القلم) مجموع علي مفترق الطرق .
- إن حروف أحوالك هذه من نسخه ، وعزمك وفسخك هما أيضا من عزمه وفسخه .
- وليس إلا الحاجة والتضرع طريقا ، وليس كل قلم عالما بهذا التقلب .

2785 - وهذا القلم يعرف ولكن معرفته بقدره ، ويكتشف بقدر علمه قدره في الخير والشر .
- وكل ما نسبوه إلي حكاية الأرنب والفيل ، قد مزجوه منذ الأزل بالحيل .

بيان أن كل شخص لا يصل إلى ضرب الأمثال خاصة في الأمور الإلـهية

- ومتي يليق بكم ضرب الأمثال ، والتوجه بها نحو تلك العتبة الطاهرة ؟
- إن ضرب المثل هو لتلك الحضرة ، التي هي اية إلي علم السر والجهر .
- فأي علم لك ما دمت أقرع وتأتي بمثل عن الجدائل أو عن الوجه " الحسن " .

2790 - لقد رآها موسي عصا ولم تكن كذلك ، كانت أفعي وسرها يفتح فمه .

....

(1) المقصود حسن حسام الدين .

- وإذا لم يكن مثل ذلك الملك يعلم سر العصا ، فأي علم لك بأسرار الفخاخ والحبوب " التي توضع فيها " ؟ .
- وإذا كانت عين موسي قد أخطأت عند المثل ، فكيف يجعل فأر إلي الفضول مدخلا ؟
- إنه يجعل لك هذا المثال كالأفعي ، حتى تمزقك إربا جوابا عليك .
- إن إبليس اللعين قد أورد المثال فصار ملعونا من الحق حتى يوم الدين .

2795 - وأورد قارون المثال من اللجاج ، حتى غاص في الأرض ومعه العرش والتاج " 1 " .
- فأعلم أن مثالك هذا كالزاغ والبوم ، ذلت من " شؤمها " مئات من العشائر .

ضرب قوم نوح للأمثال استهزاء عند قيامه بصناعة الفلك

- لقد صنع نوح سفينة في البادية ، فهاجمه مائة من قائلي الأمثال ساخرين .
- إنه يصنع سفينة في صحراء ليس فيها بئر فياله من جاهل أبله .
- كان أحدهم يقول : سيري أيتها السفينة ، وكان اخر يقول : ألا فلتصنع لها جناحا أيضا " 2 " .

2800 - وأخذ نوح يجيب : إن هذا كله بأمر الله ، ولن تنقص بمثل هذا الهزل والسخرية .

....

(1) ج / 8 - 197 : وأورد المثال النمرود الجهول ، حتى أكلت بعوضة مخه في عجلة - وفكر قوم عاد في الأمثلة ، حتى هشمت الريح عظامهم تهشيما - وهذا المثل أورده شداد اللئيم ، حتى حرم من نعم الدنيا والآخرة - وأورد فرعون المثال من الخلط ، حتى نفق في ماء البحر - وهذا المثال يأتي به الشقي الدون ، حتى يسقط منقلبا في الجحيم .

(2) ج / 8 - 200 : وكان أحدهم يقول : مؤخرتها معوجة ، وكان اخر يقول : بل ظهرها شديد الإعوجاج .
كان أحدهم يقول : وأين سرجها ؟ وكان اخر يقول : ولماذا قدمها ملوية ؟ ! وكان أحدهم يقول : هذه قربة فارغة ، وكان اخر يقول : لأي شيء هذا الحمار ؟ ! وكان أحدهم يقول : كيف تأكل الشعير وإلا فمتي تحمل حملك ! إلي منزل . كان أحدهم يقول : هل أنت بلا عمل ؟ ! أو قد شخت وخرفت ؟ !

حكاية ذلك اللص الذي سئل : ماذا تفعل في منتصف الليل
أسفل هذا الجدار فقال : أدق الطبول

- استمع إلي ذلك المثل ، حدث ذات ليلة أن أخذ لص عنيد يحفر حفرة أسفل جدار .
- فسمع مريض كان بين النوم واليقظة صوت حفره الذي كان خافتا .
- فصعد إلي السطح وأطل برأسه وقال : ماذا تفعل هنا أيها الأب ؟
- خيرا ؟ ماذا تفعل في منتصف الليل ؟ ومن تكون ؟ فأجاب : طبال يا سيدي .

2805 - وماذا تفعل ؟ قال: أدق الطبل، فقال : فأين أصوات الطبول يا عالما بالطرق؟
- قال : غدا تسمع هذه الأصوات وهي صياحك : وا حسرتاه وا ويلاه “ 1 “ .
- “ قال الأنبياء لأهل سبأ “ : إن ذلك المثل “ الذي قدمتموه “ باطل ومصطنع ولم تعلموا سر ذلك الباطل “ 2 “ .

جواب ذلك المثل الذي قاله المنكرون عن رسالة
الأرنب إلى الفيل من قمر السماء

- أعلم أن معني ذلك الأرنب هو شيطان الفضول ، الذي جاء رسولا إلي نفسك .
- حتى جعل النفس المخدوعة محرومة من ماء الحيوان الذي شرب منه الخضر .

....
(1) ج / 8 - 202 : عندما أمضي تسمع صوت الطبول ، وتفهم تلك اللحظة المجمل والتفصيل
(2) ج / 8 - 202 : لقد سقطت في أخطأ يا نصيف ساذج فصر ناضجا في النار والسلام .

2810 - لقد قلبتم معناها ونطقتم كفرا فاستعدوا للعقاب .
- وقلتم إن اضطراب القمر في الماء الزلال ، وأن الذي خوف الفيلة هو الأرنب " 1 " .
- وتضربون مثلا بقصة الفيل والأرنب والماء ، وخشية الفيلة من القمر في اهتزازه ؟
- فأي شبه لهذا اخر الأمر أيها السذج ، مع القمر الذي صار مغلوبا له الخواص والعوام ؟
- وما القمر ؟ وما الشمس ؟ وما الفلك وما العقول ؟ وما النفوس ؟ وما الملك ؟ " 2 "

2815 - إنه شمس الشمس ، ماذا أقول ؟ لعلي في نوم .
- إن غضب الملوك أيها الضالون الأشرار قد خرب مئات الآلاف من المدن .
- ومن تجليه ينشق الجبل علي نفسه مائة شق، وشمس في طواف كأنها الطاحون "3".
- وغضب رجال " الله " يجعل السماء تجف ، وغضب قلوبهم جعل العالم خرابا .
- فأنظروا يا موتي بلا حنوط ، إلي موضع عقاب مدينة لوط .

2820 - وماذا يكون الفيل في حد ذاته ؟ وثلاثة من الطيور المحلقة دقت عظام تلك الفيلة الحقيرة ؟

....
(1) في المتن : ابن أوي لمجرد حبك القافية .
(2) ج / 8 - 204 : وما الوحوش وما الطيور وما الجماد ، وما الملوك ، وما الشحاذ وكيقباد ؟
- وما البلاد وما الجبال وما البحار . . وما الشهر وما السنة وما الليل والنهار
- وما التراب والهواء والماء والنار . . وما الخريف وما الصيف وما الشتاء وما الربيع كلها في أمره وتحت حكمه . . كأنها الكرة في أنحناءة الصولجان .
(3) في رواية أخري : وشمس من الكسوف الذي يحيق بها منه في جنون .

- وأضعف الطيور وهو طير الأبابيل ، قد مزق الفيل بحيث لا يقبل الشفاء .
- وأين ذلك الذي لم يسمع بطوفان نوح ، أو حرب فرعون مع الروح ؟
- لقد تحطمت أرواحهم وسالت في البحر ، وأخذ الماء يفتتها ذرة ذرة .
- ومن الذي لم يسمع أحوال ثمود ، وأن الريح الصرصر كانت تختطف قوم عاد ؟

2825 - فافتح عين الإرادة علي أمثال تلك الفيلة ، التي كانت تجندل الفيلة في الوغي .
- وأمثال أولئك الفيلة والملوك الظلمة ، كانوا تحت غضب القلب في رجوم علي الدوام .
- وإلي الأبد يمضون من ظلمة إلي ظلمة ، ولا غوث ولا رحمة .
- ألم تستمعوا إلي الذكر الحسن والذكر القبيح ، لقد خبرها الجميع أفلم تروها أنتم ؟
- إنكم تتجاهلون ، لكن الموت هو الذي يفتح عيونكم جيدا .

2830 - ولنفرض أن العالم مليء بالشمس والضياء ، فكيف تمضي في ظلمة كأنها القبر ؟ .
- تظل بلا نصيب من هذا النور العظيم ، وتصير مغلق الكوة أمام القمر الكريم .
- وقد تركت القصر منصرفا إلي قاع الجب ، فأي ذنب للعوالم الواسعة ؟
- وتلك الروح التي بقيت في صفات الذئبية ، قل لي : كيف تري نور يوسف الصديق ؟ قل .
- لقد وصلت ألحان داود إلي الحجارة والجبل ، وقليلا ما سمعتها اذان قساة القلوب .

2835 - وليكن هناك ثناء “ من الله “ علي العقل والإنصاف ، كل زمان والله أعلم بالرشاد .
“ صدقوا رسلا كراما يا سبا * صدقوا روحا سباها من سبا
صدقوهم هم شموس طالعة * يؤمنوكم من مخازى القارعة
صدقوهم هم بدور زاهرة * قبل أن يلقوكم بالساهرة
صدقوهم هم مصابيح الدجى * أكرموهم هم مفاتيح الرضا

2840 - صدقوا من ليس يرجو ضركم “ 1 “ * لا تضلوا لا تصدوا غيركم “ 2 “
- ولنتحدث بالفارسية فهيا أترك العربية ، وكن غلاما لذلك المحبوب يا أيها الماء والطين . “ 3 “
- هيا واستمعوا إلي براهين الملوك ، لقد مالت السماوات فميلوا أنتم أيضا .

معنى الحزم ومثال الرجل الحازم

- “ قال الأنبياء لأهل سبأ “ تعالوا وأنظروا إلي أحوال الأوائل ، أو انطلقوا سريعا نحو العافية بحزم .
- وماذا يكون الحزم ؟ إنه الاحتياط بين تدبيرين ، واختيار تدبير من بينهما يكون بعيدا عن التخبط .

2845 - إن أحدهم يقول : في هذا الطريق الذي يستغرق سبعة أيام ، لا يوجد ماء بل رمل “ محرق للقدم “ .
- ويقول اخر : هذا هراء فانطلق ، فسوف تصادف كل ليلة عين ماء جياشة .

....

(1) في النص بالعربية خيركم وهذا لا يستقيم كما هو واضح .
(2) ما بين الأقواس في المتن بالعربية .
(3) حرفيا : كن هنديا لذلك التركي .

- والحزم هو أن تحمل الماء معك ، حتى تنجو من الحُزن وتكون علي " جادة الصواب " .
- فإذا كانت هناك عين ماء في الطريق أرق ما معك ، وإن لم يكن فواويلاه علي المرء المجادل .
- فيا أبناء الخليفة اعدلوا ، واحزموا " أمركم " من أجل اليوم الموعود .

2850 - وجروا ذلك العدو الذي انتقم من أبيكم نحو السجن من عليين .
- لقد هزم ملك شطرنج " القلب " ذاك ، ونقله من جنته ، وجعله سخرة للآفات .
- لقد حصره بضع مرات في النزال ، حتى جندله في الصراع وجعله شاحب الوجه .
- وهكذا فعل مع بطل مثله ، فلا تنظروا إليه أنتم أيها الآخرون باستهانة .
- فإن ذلك الحسود اختطف من أمنا وأبينا التاج والزينة بسرعة وحذق .

2855 - وجعلهما هناك ذليلين عاريين ضعيفين ، فبكي ادم نائحا سنوات وسنوات .
- بحيث نما النبات من دمع عينيه ، وهو "يتساءل باكيا" لماذا أثبت في جريدة النفي؟
- فقس أنت علي هذا لصوصية " إبليس " تلك ، بحيث انعدمت حيلة ذلك العظيم أمامه " 1 " .
- فحذار من شره يا عباد الطين ، واضربوه فوق رأسه بسيف " لا حول ولا قوة إلا بالله " .
- فإنه يراكم من مكمنه ، بحيث لا ترونه أنتم فحذار .

....
(1) حرفيا : يقتلع شعر لحيته .

2860 - فالصياد دائما يبذر " الحبوب " إلي جوار الفخ ، فالحبوب ظاهرة أما الفخ فهو مستتر .
- فحذار كلما رأيت حبة ، حتى لا يطبق الشراك علي جناحك وقوادمك " 1 " .
- ذلك أن الطائر الذي ترك الحب ، التقط الحب من الصحراء التي لا خداع فيها .
- وقنع بها ونجا من الشراك ، ولم يطبق شراك قط علي جناحه وقوادمه .

وخاصة أمر ذلك الطائر الذي ترك الحزم
من الحرص والهوى

- ثم إن طائرا حط فوق جدار ، وقد سمر بصره حول حبة في شراك .

2865 - فهو ينظر نظرة نحو الخلاء ، بينما يشده حرصه إلي الحبة بنظرة أخري .
- وتصارعت هذه النظرة مع تلك النظرة ، فسلبته العقل فجاة .
- لكن الطائر الذي ترك ذلك التردد ، أقلع عن تلك النظرة وسمر بصره علي الخلاء .
- فهو مطلق الجناح والقوادم فبخ بخ له ، لقد صار إماما لكل الأحرار .
- وكل من يجعله قدوة له فقد نجا ، وأقام في مقام الأمن والحرية .

2870 - ذلك أن قلبه كان ملك الحازمين ، فصارت الرياض والبساتين منزلا له .
- فالحزم راض عنه وهو راض عن الحزم ، وهكذا فافعل إن كنت تقوم بالتدبير والعزم .
- فلقد سقطت مرات في شراك الحرص ، وأسلمت حلقك للذبح .
- ثم إن ذلك التواب الرحيم قد نجاك ، وقبل توبتك وأسعدك .
- قال : " إن عدتم كذا عدنا كذا . . . نحن زوجنا الفعال بالجزاء " 2 " .

....
(1) ج / 8 - 211 : وما أسعده في طائر الذي ترك الحب ، فقد تفتحت له الورود في رياض القدس .
(2) بالعربية في المتن .

2875 - وعندما أحضر زوجا إلي جواري ، فإن زوجه يأتي مسرعا بلا شك .
- ولقد زوجنا الفعال بالأثر ، عندما يصل إلي زوج الآخر .
- وعندما يختطف مغير زوجا من زوجته ، فإن الزوجة تأتي من بعده باحثة عن زوجها .
- وإن - مجيئك نحو هذا الشراك ثانية ، بمثابة حثوك التراب في عين التوبة .
- ويحل لك التواب تلك العقدة مرة ثانية ، قائلا : انتبه . . اهرب لا تتجه إلي هذه الناحية .

2880 - وثانية عندما تصل فراشة النسيان ، فإنها تجذب أرواحكم نحو النيران .
- فكفاك يا فراشة النسيان والشك ، وانظري مرة واحدة إلي جناحك المحترق .
- وما دمت قد نجوت فإن الشكر هو الا تحوم حول هذه الحبة أبدا .
- وما دمت تشكر فإنه يهبك رزقا بلا شراك ولا خوف من عدو .
- والشكر علي نعمة أنه أنجاكم ، هو التذكر الدائم لنعمة الخالق .

2885 - فحتام وأنت في المتاعب والعناد تدعو قائلا : “ نجني من هذا الفخ يا الله “ .
- حتى أطيعك وأقوم بالإحسان ، وأحثو بالتراب عين الشيطان “ ؟ “ 1 “ .

حكاية نذر الكلاب كل شتاء قائلة : وعندما يحل الصيف
أبنى منزلا من أجل الشتاء

- في الشتاء يقعي الكلب جامعا عظامه بينما يمزقه لسع البرد بحيث يقول :
- ينبغي لجسدي وهو علي هذا الحال ، أن أبني له منزلا من الحجر .
- وعندما يأتي الصيف سأصنع بمخالبي منزلا من الحجارة تحسبا للبرد .

....

(1) ج / 8 - 216 : وعندما خلصك الحق من الامتحان ، ظللت علي ما أنت عليه تماما ، عندما نجاك نسيته ، وجعلت روحك ثملة فاقدة الوعي .

2890 - وعندما يحل الصيف ، تمتد العظام من السعة ويمتليء الجلد نضرة ورواء .
- وعندما يري نفسه سمينا يقول : أي منزل يسعك إذن أيها العظيم ؟
- إنه يسمن ويمد قدمه في الظل كسولا متفرجا مغرورا معجبا برأيه .
- ويقول له قلبه : ابنِ منزلا يا عماه ، فيرد عليه : أي منزل يسعني قل .
- " وهكذا " عظام حرصك أوان الألم ، تنكمش وتتحطم في المعركة .

2895 - فتقول : لأبنِ منزلا من " التوبة " ، يكون وقاء لي في الشتاء .
- وعندما ينتفي الألم ، يحل فيك الحرص والهوي ، وتمضي عنك الرغبة في المنزل كما مضت عن الكلب .
- إن الشكر علي النعمة أفضل من النعمة ، ومتي يمضي الشكور نحو النعمة " 1 " ؟
- إن الشكر هو روح النعمة والنعمة كالجلد بالنسبة له ، فالشكر هو الذي يأتي بك حتى باب الحبيب .
- فالنعمة تصيب بالغفلة أما الشكر فهو اليقظة ، فصد النعمة بشبكة شكر المليك .

2900 - وشكر النعمة يجعلك قانع العين أبدا ، بحيث تؤثر الفقير بالنعم الكثيرة .
- وتشرب حتى الارتواء من طعام الحق ونقله ، بحيث تشفي من البطنة والسل " 2 " .

....

(1) أي أنه شكور سواء أصابته نعمة أو لم تصبه . . .
(2) في النص : دق ودق بمعني النحول الناتج عن السل ، ويمكن أن تترجم بدق العربية أي الاحتياج إلي الخلق ودق أبوابهم . وبعده في ج / 8 - 219 : - فأشكروا نعمة الوهاب حتى لا تتحطم رؤوسكم المشئومة . أن الشكر جذاب لنعمة أوفر وكفران النعمة يجعل المرء كافرا .

منع المفكرين الأنبياء عليهم السلام من النصيحة
وإيراد حجة جبرية

- قال القوم : كفاكم أيها الناصحون ما قلتم ، فلو أن شخصا واحدا في القرية " 1 " .
- لقد وضع الحق أقفالا علي قلوبنا ، ولا يستطيع أحد أن يتغلب علي الخالق .
- فهكذا جعل هذا المصور صورنا ، ولن تكون بالقيل والقال شيئا اخر .

2905 - إنك تقول للحجر مائة سنة كن ياقوتا ، وتخاطب القديم مائة سنة قائلا له : كن جديدا .
- وتقول للتراب : خذ صفات الماء ، وتقول للماء : كن عسلا أو لبنا " 2 " .
- وخالق الأفلاك وما في الأفلاك ، وخالق الماء والتراب ومن هم من التراب .
- وهب الماء السيولة والصفاء ، وللماء والطين كدر الوجه والقدرة علي الإنماء .
- فمتي تستطيع السماء تقبل الكدر ؟ ، ومتي يستطيع الماء والتراب شراء الصفاء ؟ .

2910 - لقد قُسَّم لكل واحد منا طريق ، فمتي يصير الجبل بالجهد كأنه القشة ؟

جواب الأنبياء عليهم السلام على الجبريين

- قال الأنبياء : أجل لقد خلق الله صفات لا يمكن تحويلها أو تبديلها .
- كما خلق - جل شأنه - صفات عارضة ، بحيث يصير المبغوض محبوبا .
- فإن قلت للحجر : كن ذهبا فهذا عبث ، أما أن تقول للنحاس : كن ذهبا فهناك سبيل .

....
(1) تكفي كلمة واحدة لو أن شخصا واحدا في الدار .
(2) ج / 8 - 223 : أو تقول للنار كوني نوراً محضا ، أو تقول للبعوضة تعرضي للرياح - أو تقول للزيف . . كن درا طاهرا أو كن اكسيرا وأبذل الجهد ! ! ولا يتغير شيء من أوصافها قط ، فمتي يصير الماء عسلًا أيها الذكي !

- وإن قلت للرمل كن زهرا فهو عاجز ، أما أن تقول للتراب كن زهرا فهذا جائز .

2915 - وقد خلق الله أمراضا لا حيلة لها كالعرج والفطس والعمي .
- كما خلق أمراضا لها علاج كاللقوة والصداع .
- صنع تلك الأدوات علي سبيل الائتلاف ، وليست هذه الداءات والأدواء بالأمر العشوائي .
- بل إن لأغلب الأمراض علاجا ، عندما تبحث بجد تحصل عليه .

تكرار الكفار للحجج الجبرية

- قال القوم : أيتها الجماعة ، إن مرضنا ليس من قبيل هذا المرض الذي يقبل الدواء .

2920 - لقد تحدثتم لسنوات بهذه الرقي والمواعظ ، وفي كل لحظة كان القيد يزداد إحكاما علينا .
- فلو كان هذا المرض قابلا للدواء ، لزالت منه ذرة واحدة اخر الأمر .
- فعندما تكون “ السدة “ لا يصل الماء إلي الكبد ، وإذا شرب المريض بها بحرا فإنه يمضي إلي مكان اخر .
- فلا جرم أن تتورم اليد والقدم ، ولا يكسر هذا الارتواء حدة العطش .

جواب الأنبياء “ عليهم السلام “ عليهم

- قال الأنبياء : إن اليأس أمرُ قبيح ، ولا حد لفضل الباري ورحمته .

2925 - ولا يجوز القنوط من محسن مثله ، فتشبثوا بسمط “ 1 “ تلك الرحمة .
- وما أكثر الأمور التي بدت صعبة في أولها ، ثم تيسرت وانتهت الشدة .
- ومن بعد اليأس هناك امال ، ومن بعد الظلمة هناك كثير من الشموس .
- وهبكم قد أصبحتم كالحجارة ، وهبكم وضعتم أقفالا علي اذانكم وقلوبكم .

....
(1) السمط : أهداب السرج .

- فليس عندنا أدني اهتمام بقبولكم ، إن عملنا هو التسليم وتنفيذ الأمر .

2930 - لقد أمرنا أن نبدي هذه العبودية ، وليست هذه الأقوال من لدنا .
- ولقد نفخ فينا الروح من أجل أوامره ، فلو أمرنا بزراعة الرمل زرعناه .
- وليس لروح النبي من رفيق إلا الحق ، وليس له شأن بقبول أو رد من الخلق .
- وأجرنا علي تبليغ رسالته عليه سبحانه وتعالي ، لقد صرنا قبحاء كريهي الوجوه (في أعينكم) من أجل الحبيب .
- ولسنا نحس بملل أو حزن علي هذه العتبة ، حتى نقف في كل مكان من بُعدِ الطريق .

2935 - إنما يكون قانطا ملولا وحزينا ذلك الشخص الذي يكون من فراق الحبيب في محبس .
- لكن حبيبنا ومطلوبنا حاضر معنا ، والروح شاكرة من نثار رحمته .
- وفي قلوبنا " تتفتح " رياض زهور الشقائق والبساتين ، وليس للشيخوخة أو الذبول طريق إلينا .
- نحن دائما في نضرة وشباب ولطفاء ، متهللون ، ذوو جمال ، ضاحكون ظرفاء .
- وفي عرفنا تكون المائة سنة والبرهة الواحدة سيين ، فالبعيد والقريب لا معني لهما عندنا .

2940 - ذلك أن البعد والقرب من صفات الأجسام ، وأين يكون ذلك البعد والقرب في الأرواح ؟
- وثلاثمائة وتسع من السنين عند أصحاب الكهف ، كيوم واحد لا هم فيه ولا لهفة .
- ثم إنه أبداه لهم يوما واحدا أيضا ، عندما عادت الأرواح من عالم " العدم " إلي الأجساد .

- وعندما ينتفي الليل والنهار والشهور والسنين ، فمتي " يحل بالمرء " السأم والملل والشيخوخة ؟
- وعندما تكون منتفيا عن ذاتك في روضة العدم ، تكون ثملا من كأس اللطف الإلهي .

2945 - " من لم يذق لم يدر " وهكذا كل من لم يذق ، فمتي يتوهم الجعل أنفاس الورد ؟ .
- فليس هذا بالأمر الذي سيتوهم وإن كان بالذي يتوهم ، فسوف يكون معدوما ككل الأمور المتوهمة ! ! - وكيف يتوهم الجحيم الجنة ؟ إن الطلعة الحسنة لا تتأتي من الخنزير القبيح - فهيا أيها العظيم ولا تسلم نفسك للذبح ، فإن مثل هذه اللقمة " الحلوة " قد وصلت إلي الفم .
- لقد قطعنا الطرق الوعرة إلي نهايتها ، " حتى نعبد الطريق " ونجعله سهلا أمام أهلنا . " 1 "

تكرار القوم الاعتراض على رجاء الأنبياء عليهم السلام

2950 - قال القوم : إنكم وإن كنتم سعدا علي أنفسكم ، فأنتم نَحس علينا وأعداء ، وقد رددناكم .
- لقد كانت أرواحنا فارغة من الأفكار " والهموم " ، فألقيتم بنا في الغم والعناء .
- كانت توجد بيننا لذة الجماعة والاتحاد ، فصار من شؤمكم مائة افتراق - كنا ببغاوات " مغردة " قاضمة للسكر ، فصرنا منكم طيورا " كئيبة " تفكر في الموت .

....
(1) ج / 8 - 232 : هيا وابحثوا عن الطريق من نجوم السعد ، ذلك أنتم في ظلمه وفي قاع الجب ، وكل من صار تابعا لنا نجا من النار ودخل الجنة ومن لم يسمع نصحنا في شقاء ، ابتلي بالعذاب إلي الأبد .

- ففي كل موضع منكم حكاية تثير الغم ، وفي كل ركن نداء مستنكر .

2955 - وفي كل موضع في الدنيا فأل سييء ، وفي كل ناحية مسخ ونكال ومأخذ " علينا " .
- وفي أمثلتكم وحكاياتكم وفألكم ، شهرة لكم في إثارة الحزن .جواب الأنبياء عليهم السلام
- قال الأنبياء : إن الفأل الحسن والفأل السييء ، إنما يأخذان المدد من سويداء أرواحكم .
- فإذا كنت نائما في مكان خطر ، وأفعي تزحف نحوك من حيث لا تراها .
- وأشفق عليك إنسان فنبهك قائلا لك : انهض سريعا وإلا لدغتك الأفعي

2960 - أتقول له : كيف تقدم لي هذا الفأل السييء ؟ إذن عليه أن يقول لك انهض وانظر في النور .
- إنني أنا الذي ينجيك من فأل السوء ، ويحملك مصطحبا إياك نحو قصور " الجنان " .
- فلأي شيء يكون النبي منبئا عن السر ؟ أقول لك : لأنه رأي ما لم ير أهل الدنيا .
- وإذا قال لك طبيب : لا تأكل الحصرم ، إنه مضر ، يسبب لك مرضا شديدا .
- أتقول له : كيف تقوم بفأل السوء ؟ ، إنك إذن تؤثم الناصح .

2965 - بينما إذا قال لك منجم : لا تقم اليوم أبدا بالفعل كذا أو لا تدبر لكذا .
- فإذا كنت قد رأيت التنجيم كذبا مرة ، لكنه صدق معك مرة أو مرتين فإنك تصدقه وتثق في قوله .
- ونجومنا هذه لم تخطئ النبوءه قط ، فلأي شيء بقي وبينك وبينها حجاب ؟

- وذلك الطبيب وذلك المنجم يخبرانك من الظن ، في حين أننا نخبرك عيانا .
- إننا نري الدخان والنار تحمل من ركن ما نحو الكفار مهاجمة إياهم .

2970 - وأنت لا تفتأ تقول : أصمت عن هذا المقال ، فهذا القول خسارة علينا وفأل سييء .
- فيا من لا تسمع نصح الناصحين ، إن طائرك في عنقك حيثما تمضي " 1 " .
- إن أفعي تزحف علي ظهرك ، ويراها اخر من فوق السقف وينبهك .
- فتقول له : أصمت ، ولا تصبني بالحزن ، فيقول لك : هنيئا لقد مضي " أوان " الكلام .
- وعندما تلدغك الأفعي في عنقك ، يتحول كل بحثك عن السرور إلي مرارة .

2975 - فتصيح به : أهكذا كان الأمر يا فلان ؟ لماذا لم تمزق ثوبك عندما كنت تصرخ في ؟
- أو " ليتك " ألقمتني بحجر من عل ، حتى تبدي لي هذا الشر بشكل جدي .
- فيقول لك : لأنك كنت متأذيا ، فتقول له : كنت قد أسعدتني كثيرا .
- قال : لقد أبديت الفتوة بنصحي إياك ، حتى أخلصك من هذا الغل الشديد .
- لكنك من لؤمك لم تقر بهذا الجميل ، ووضعت أساس الأذي والطغيان .

2980 - وهذا هو طبع اللئام الأدنياء ، إنهم يسيئون إليك عندما تحسن إليهم .
- فمن هنا عود " النفس " علي الصبر ، وأهنها " تواضعا " ، فهي لئيمة لا تتواءم مع الإحسان .

....
(1) حرفيا : الفأل السييء معك حيثما تمضي .

- وأفعل الخير مع الكريم فهو خليق به ، فإنه يجازي علي الحسنة الواحدة بسبعمائة ضعف .
- وإنك إذا عاملت اللئيم بغلظة وجفاء ، فإنه يصير عبدا لك ذا وفاء .
- والكفار هم الذين يزرعون الجفاء في النعمة ، ثم يكون نداؤهم في الجحيم “ ربنا أخرجنا منها “ .

حكمة خلق جهنم في الآخرة والسجن في الدنيا ليكون معبدا للمتكبرين مصداقا للآية الكريمة : ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً

2985 - إن اللئام يَصفُون في الجفاء ، وعندما يرون الوفاء فإنهم يجفون .
- ومن هنا فإن معبد طاعاتهم هو الجحيم ، كما يكون الفخ ملازما لقدم الطائر البري .
- والسجن هو صومعة اللص واللئيم ، ففيه يقيم علي ذكر الحق .
- ولما كان المقصود من خلق البشر هو العبادة ، صارت سقر معبدا للعصاة .
- والإنسان ذو قدرة في كل أمر ، لكن المقصود “ من خلقه “ كان هذه الطاعة .

2990 - فأقرأ، ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، فليس هناك من قصد من الدنيا سوي العبادة .
- وبالرغم من أن المقصود من الكتاب هو محتواه من علم ، فإنك إن جعلت منه وسادة يصبح كذلك .
- في حين أن المقصود منه لم يكن تلك الوسادة ، وكان المقصود النفع بالعلم والمعرفة والإرشاد .

- وإنك إن جعلت من مسمارٍ سيفاً لك ، فإنما تكون قد اخترت الإدبار علي الظفر .
- وبالرغم من أن المقصود من “ خلق “ البشر العلم والهدي ، فإن لكل إنسان معبدا خاصا به .

2995 - فمعبد الرجل الكريم هو إكرامك له ، ومعبد الرجل اللئيم هو إسقامك إياه .
- فاضرب اللئام لكي يطأطئوا الرؤوس ، وأعط الكرام لكي يعطو بدورهم ثمرا ونفعا .
- فلا جرم أن الحق “ قد خلق كلا المعبدين ، “ الجحيم “ لأولئك “ اللئام “ والزيادة لهؤلاء “ الكرام “ .
- لقد وضع موسي بابا منخفضا صغيرا في القدس ، حتى يطأطيء القوم المتكبرون رؤوسهم .
- وذلك لأنهم كانوا جبارين متكبرين ، والجحيم بالنسبة لهم هو ذلك الباب المنخفض “ الذي يدفعهم “ إلي التذلل .

بيان أن الله تعالى خلق الملوك الصوريين “ ملوك الأرض “
لتسخير الجبارين الذين لا يخضعون للحق ،
كما أن موسى عليه السلام وضع بابا صغيرا منخفضا على ربض القدس
ليركع جبارو بني إسرائيل عند دخولهم مصداقا للآية الكريمة
ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ

3000 - وكذلك فإن الحق صنع من اللحم والعظام بابا صغيرا يتمثل في الملوك فانتبه إلي “ حكمته في هذا “ .
- هذا ليجعل منهم أهل الدنيا مسجدا لهم ، لأنهم أعداء للسجود لله وحده سبحانه وتعالي .

- وصنع من المزابل محاريب " لهذه المساجد " ، وأسماء هذه المحاريب : الأمير والبطل ! !
- فلستم جديرين بهذه الحضرة الطاهرة ، فالأطهار بمثابة قصب السكر وأنتم بوص خال .
- وهؤلاء الأخساء يخضعون لأولئك الكلاب ، وعارُ علي الأسد أن يكون ميلهم إليه .

3005 - ويكون القط شرطيا لكل من فيه طبيعة الفئران ، ومن يكون الفأر حتى يخاف من الأسد ؟
- إن خوفهم إنما يكون من كلاب الحق ، فمتي يتسني لهم أن يخافوا من شمس الحق ؟
- إن " ربي الأعلي " هو ورد لأولئك العظماء ، لكن " ربي الأدني " " ورد " لائق بهؤلاء البلهاء .
- فمتي يخاف الفأر أسد الوغي ، إنما تخافه تلك الغزلان الجافلة ذات النافجة المسكية !
- فامض إلي لاعق الأطباق يا لاعق القدور ، واكتب في شأنه أنه سيدك وولي نعمتك .

3010 - ولأقصر القول ، فإذا بسطت في هذا الحديث وقدمت شرحا عميقا ، فسوف يغضب الأمير لأنه يعلم أن الأمر هكذا !
- الخلاصة أن : أسيء أيها الكريم إلي اللئام حتى يطأطئوا الرؤوس من خستهم ولؤمهم .
- ومن هنا فإنه إذا أحسن إلي النفس اللئيمة ، فإن النفس الشريرة ترد بالجحود كما يفعل اللئام .
- ولهذا السبب أيضا يكون أهل المحنة شاكرين ، ويكون أهل النعمة طغاة ماكرين .

- والطاغية أمير ذهبي القباء ، بينما يكون الشاكر منكسرا صاحب عباء .

3015 - فمتي ينبثق الشكر من الأملاك والنعم ؟ إنما ينبت الشكر من البلاء والسقم .

قصة عشق صوفي لسفرة خالية

- رأي أحد الصوفية ذات يوم سفرة خالية معلقة علي مسمار ، فأخذ يدور كما تدور العجلة ويمزق ثيابه .
- وأخذ يصيح : يا زادا لمن لا زاد له ، ويا من أنت الدواء للقحط والآلام .
- وعندما زادت حرقته واستمر هياجه ووجده ، انضم إليه وصاحبه في ذلك كل من وُجِد من الصوفية .
- وأخذوا يصيحون بصيحات الوجد ويدقون بأقدامهم ، حتى صاروا بضعة من السكاري فاقدي الوعي .

3020 - فقال أحد الفضوليين للصوفي : ما هذا ؟ إن السفرة معلقة وخالية من الخبز .
- فقال له : اذهب ، اذهب ، فأنت صورة بلا معني ، وابحث أنت عن الوجود لأنك لست عاشقا .
- إن عشق الخبز بلا خبز غذاء “ للعاشق “ ، ومن هو صادق ليس في قيد الوجود .
- وليس للعاشقين اهتمام بالوجود ، فإن للعشاق نفعا بلا رأسمال .
- ولا أجنحة لديهم ، لكنهم يطوفون حول العالم ، ولا أيدي لهم لكنهم يخطفون كرة “ السبق “ من الميدان .

3025 - وذلك الفقير الذي وجد النذر اليسير من “ عالم “ المعني ، جدل الزنبيل وهو مقطوع اليد .
- لقد نصب العشاق خيامهم في العدم ، فهم كالعدم ذوو لون واحد ونفس واحدة .

- ومتي يعلم الرضيع طعم قطعات اللحم ؟ والجني دسمه وقوته من الرائحة .
- ومتي يشم الآدمي رائحة من الروائح التي يشمها الجني ، وطبيعة " الآدمي " مضادة لطبيعة " الجني " .
- إن ذلك الجني الذي يجذب إليه الرائحة ، يجد فيها مالا تجده أنت في الدسم الكثير والقوت .

3030 - وماء النيل الذي صار دما لآل فرعون ، يظل ماءً لقوم موسي .
- ويكون البحر طريقا لبني إسرائيل ، لكنه يكون مهلكا لفرعون الطاغية " 1 "

اختصاص يعقوب عليه السلام بتذوق كأس الحق من وجه يوسف
وشمه لرائحة الحق من ريح يوسف وحرمان إخوته
وغيرهم من هذين الأمرين

- إن ما راه يعقوب من وجه يوسف كان خاصا به فمتي أدركه أخوته ؟ !
- فهو من عشقه إياه يلقي نفسه في بيت الأحزان " 2 " ، في حين أن إخوته في حقدهم عليه يحفرون له بئرا .
- كانت سفرته أمام إخواته خالية من الخبز ، لكنها كانت أمام يعقوب مليئة بكل ما هو مشتهي .

3035 - ومن لم يغتسل لا يري وجه الحور، وقال عليه السلام "لا صلاة إلا بطهور".
- والعشق هو اللحم والقوت بالنسبة للأرواح ، ومن ثم فالجوع هو قوت الأرواح .
- كان يعقوب يحس نحو يوسف " بما يشبه " الجوع ، فكانت رائحة خبزه تصل إليه من مكان قصي .

....
(1) ج / 8 - 262 : وكانت الريح علي قوم عاد كالهراوة والطبر ، لكنهم كانت ظفرا لهود وقومه - والنار صارت روضة علي إبراهيم ، لكنها صارت سم حية علي النمرود . والنار تكون للسمندل مأوي ، لكنها تكون ضررا علي كل الطيور وعند العاشق الحزن والألم حلوي لكن الحلوي علي الأخساء بلوي .
(2) حرفيا : البئر .

- وذلك الذي كان يحمل القميص مسرعا ، لم يكن يجد ريح يوسف .
- والذي كان علي بعد مائة فرسخ منه ، كان يشم الرائحة ، لأنه كان يعقوب .

3040 - ورب عالم لا نصيب له من العلم ، ذلك أنه حافظ للعلم وليس حبيبا .
- بينما قد يجد المستمع إليه نصيبا ولو ضئيلا من علمه ، حتى وإن كان ذلك المستمع من العوام .
- كان ذلك القميص عارية في يده ، مثلما تكون الجارية في يد النخاس .
- إن الجارية عند النخاس لا فائدة منها له ، لأنها في كفه من أجل المشتري .
- وقسمة الحق أنه يهب الرزق ، وليس لرزق أحد طريق إلي اخر .

3045 - وثمة خيال حسن صار لأمريء بستانا ، وثمة خيال قبيح قطع الطريق علي اخر " 1 " .
- والله تعالي هو الذي جعل من خيال ما بستانا ، وجعل من خيال اخر جحيما مذيبا للأجساد .
- ومن الذي يعرف إذن الطريق إلي رياضه ؟ ومن الذي يدري إذن مواضع مزابله ؟
- وإن حارس القلب لا يري في مجال رؤيته ، من أي ركن يَرِدُ هذا الخيال إلي الروح " 2 " .
- ولو كان قد رأي مطلعه لاحتال من أجل قطع الطريق علي كل خيال سيىء .

3050 - ومتي تصل قدم جاسوس إلي ذلك المكان الذي هو مرصاد للعدم وسد لبابه ؟
- فاستمسك بطرف رداء فضله كالأعمي ، ومثل هذا " عندنا " هو قبض الأعمي أيها الرفيق .

....

(1) ج / 8 - 265 : ذلك الخيال صار بستانا من الأثر ، وهذا الخيال أصاب العالم بالاضطراب .
(2) ج / 8 - 265 : اللهم إلا ذلك القلب الذي له عون الحق وكون الحق أفني كونه .

- إن طرف ردائه هو أمره ونهيه ، وسعيد من يكون التُّقي روحا له .
- إن أحدهم يكون في مرج تجري فيه الأنهار ، واخر إلي جواره يكون في عذاب بئيس .
- فالأخير في عجب يتساءل : من أي شيء يا تري هذه اللذة التي يحس بها ؟ والأول أيضا في عجب : في حبس من يا تري سقط هذا ؟

3055 - فيقول له : انتبه . . لماذا أنت في ذبول ؟ إن عيون الماء هنا كثيرة ، هيا لماذا أنت أصفر الوجه ، وهنا مائة دواء .
- فادخل أيها الجليس الرياض، لكنه يجيب : أيها الحبيب، أنا لا أستطيع الدخول "1".

حكاية الأمير وغلامه الذي كان مغرما بالصلاة وكان يحس بأنس عظيم في الصلاة ومناجاة الحق

" 2 "
- احتاج الأمير إلي حمام عند الفجر ، فصاح : يا " سنقر " انتبه واستيقظ .
- خذ الكأس والمنشفة (وحَجَر) الطفل من الجارية " التون " حتى نمضي إلي الحمام يا من لا غني عنك .
- ومن فوره أخذ سنقر طاسا ومنشفة جيدة وأسرع يسير إلي جواره خطوة خطوة .

3060 - وكان هناك مسجد في الطريق ، وبلغ الآذان مسامع سنقر وهو بين الناس .

....
(1) ج / 8 - 266 : تعال يا حبيبي فقدمك ليست مقيدة . . فيقول : لا ، لا أستطيع ، توقف أنت .
(2) ج / 8 - 276 : ولقد عن لي مثلُ في هذا المعني ، ربما نجد من هذا البيان سرا خفيا . . ولأقل قصة في هذا المعني ، فافتح أذنيك حتى تظفر منها بنصيب . كان هناك في مضي أميرُ من الكرام ، عنده غلام اسمه سنقر .

- وكان " سنقر " شديد الولع بالصلاة ، فقال : يا أميري يا مكرما لعبدك .
- انتظر برهة علي هذا النجد ، حتى أؤدي الفرض وأقرأ " لم يكن " . " 1 " - وعندما خرج الإمام والمصلون من الصلاة وفرغوا من الأوراد .
- ظل " سنقر " داخل المسجد حتى الضحي ، والأمير في انتظار " سنقر " فترة من الزمن .

3065 - فصاح به : يا سنقر لماذا لا تخرج ؟ فأجاب : إن صاحب الأفضال هذا لا يتركني أخرج .
- فاصبر ، أنا قادم يا نور عيني ، وليست بالغافل ، وكلامك في أذني .
- فصبر عليه ، وهكذا ظل يصبر عليه ويناديه سبع مرات ، حتى ضاق الرجل به وبإهماله .
- وكان جوابه المستمر ، أنه لا يزال يمنعني من الخروج أيها المحترم .
- ثم قال " الأمير " : لم يبق أحد داخل المسجد اخر الأمر ، فمن الذي يعطلك هناك ومن الذي يجلسك " في مقامك هذا " ؟

3070 - قال سنقر : ذلك الذي قيدك خارج " المسجد " ، هو نفسه الذي يقيدني داخله .
- إن ذلك الذي لا يسمح لك بالدخول ، هو نفسه الذي لا يسمح لي بالخروج .
- ذلك الذي لا يأذن لك بخطوة واحدة تخطوها داخل هذا المكان ، هو نفسه الذي عقد قدم السالك هنا .
- إن البحر لا يأذن للسمك بالخروج منه ، ولا يأذن لسكان البر بالدخول إليه .

....

(1) ج / 8 - 276 : وذهب سنقر ، وجلس الأمير علي نجد ، منتظرا ثملا من خمر الطين لقد توقف الأمير من أجل يقظ القلب ذاك .

- وأصل السمكة من الماء والحي من الطين ، والحيلة والتدبير باطلان هنا .

3075 - فالقفل ضخم والمفتاح هو الله ، وليس لك إلا أن تستمسك بالتسليم والرضا .
- والذرات وإن تحولت ذرة ذرة إلي مفاتيح ، فليس لهذا القفل من فتح إلا من الحق .
- وعندما تنسي تدبيرك فإنك تجد ذلك الإقبال الفَتِي من شيخك .
- وعندما تنسي "ذاتيتك" فإنهم يذكرونك ، لقد صرت عبدا وآنذاك يحررونك. "1"

يأس الأنبياء من قبول المنكرين مصداقا لقوله تعالى
حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ

- حدث الأنبياء أنفسهم قائلين ، حتام نقدم النصيحة والوعظ لهذا وذاك ؟

3080 - وحتام ندق علي الحديد البارد من الغي ؟ انتبه!! حتام النفخ في القفص؟"2"
- إن الحركة من الخلق في حكم القضاء وفي ميعاد ، وتكون حدة الأسنان من حرقة المعدة .
- إنه يزجي النفس الكلية الأولي علي النفس الجزئية الثانية ، والسمكة تتعفن من رأسها لا من ذيلها .

....

(1) ج / 8 - 277 : فدعك من ذاتك حتى تجد الله ، وكن فانيا في الحق حتى تجد البقاء - وإذا أردت الوصال الحقيقي ، فانمحِ ، والله أعلم بالغيب .
(2) ج / 8 - 280 : وحتام قياس ذيل الحمار ، ما دام لا يزيد شيئا سوي السخرية .

- لكن اعلم أن الأمر هكذا وانطلق في العمل “ 1 “ كالسهم ، وما دام الله تعالي قد قال : “ بلغ ما أنزل إليك “ فلا محيص .
- إنك لا تعلم من تكون من بين اثنين ، فجاهد بحيث تعلم من تكون منهما .

3085 - إنك عندما ما تضع الأحمال علي ظهر السفينة ، فإنك تقوم بهذا العمل علي التوكل .
- وأنت لا تعلم من ستكون من بين اثنين ، هل ستغرق في سفرك هذا أو تنجو .
- فإذا قلت : ما لم أعلم مصيري ، فإنني لن أسوق السفينة أو أركب اليم .
- هل أنا في سبيلي إلي الغرق أو النجاة ؟ ، اكشف لي من أية فرقة سوف أكون ؟
- ولن أمضي في هذا الطريق علي سبيل الظن كالآخرين علي أمل أنني سوف “ أرسو علي اليابسة “ .

3090 - فلن تتأتي منك تجارة أبدا، ذلك أن سر النجاة أو الغرق مستور في حجب “ الغيب “ .
- فالتاجر ذو الطبع الخائف هش الروح ”2“ ، لا يبلغ نفعا أو خسارة في سعيه .
- بل إنه يخسر إذ إنه محروم وذليل، إنما يجد النور من يكون مجاهدا وساعيا ”3“.
- وما دامت كل الأمور قائمة علي الاحتمالات ، فإن من الأولي بك أن تجد الخلاص من هذا عن طريق الدين .
- وليس من أذن في هذا الموضع إلا الرجاء ، فاقرع الباب ، والله أعلم بالصواب

....

(1) حرفيا : سق الحمار .
(2) حرفيا : زجاجي الروح .
(3) حرفيا : أكلا للنار .

بيان أن إيمان المقلد هو الخوف والرجاء

3095 - إن المحرك لكل حرفة هو الأمل والاحتمال ، هذا بالرغم من أن الرقاب قد صارت من السعي كالمغزل .
- وعندما يذهب “ المرء “ في الصباح إلي الحانوت ، إنما يسرع إليه أملا في الرزق منتظرا له .
- وإن لم يكن لديك احتمال الرزق فكيف تسعي ؟ وإن كان كل إحساسك هو الخوف من الحرمان . . فكيف تكون جلدا “ علي العمل “ ؟
- وكيف لم يجعلك خوفك الأزلي من الحرمان من الدسم واهناً في سعيك ومطلبك ؟
- فترد قائلا : بالرغم من أن الخوف من الحرمان يتقدمني ، فإن خوف الحرمان يكون أكثر في الكسل ! !

3100 - فالأمل “ المعقود “ علي السعي يكون أكثر ، والخطر زائد لدي في الكسل .
- لماذا إذن في أمور الدين يأتي الظن ، يتشبث بطرف ردائك الخوف من الخسران ؟
- أو أنك لم تر أهل سوقنا هذا في أي كسب هم الأنبياء والأولياء .
- أي منجم يكشف لهم من الذهاب إلي هذا الدكان ، وكيف يربحون من هذا السوق ؟
- صارت النار مطيعة لهم كأنها الخلخال ، وصار البحر لهم مستأنسا مطيعا هادئا حمالا “ 1 “ .

3105 - وصار الحديد لينا في أيديهم كالشمع ، وصارت الرياح تحت أمرهم مطيعة لهم “ 2 “ .

....

(1) ج / 8 - 287 : ومن نفس ذاك بعث الميت حيا ، والغمام صار مظلة لأخر .
(2) ج / 8 - 287 : وصارت العصا لذاك في دفع العدو كالحية ، وصار العنكبوت حاجبا لهذا .

بيان أن الرسول عليه السلام قال : إن لله تعالى أولياء أخفياء

- وهناك “ غيرهم “ قوم آخرون يسيرون في خفاء شديد ، فمتي يصيرون مشهورين بين أهل الظاهر ؟
- إنهم يملكون كل هذا “ الذي للأنبياء “ لكن عين أحد لا تقع علي عظمتهم لحظة واحدة .
- ولهم الكرامات وهم في الستر الإلهي ، والأُبدال أنفسهم لا يسمعون أسماءهم .
- أو أنك لا تدري كرم الله سبحانه وتعالي ، الذي يناديك من تلك الناحية قائلا : تعال .

3110 - وجهات العالم الست إكرام له ، وحيثما تنظر فإنك تجد أعلامه .
- وعندما يأمرك كريم بأن تدخل النار ، فادخل من فورك ولا تقل : إنها تحرقني . “ 1 “

حكاية إلقاء أنس رضى الله عنه بمنديل داخل تنور مشتعل وعدم احتراقه

- روي أن شخصا نزل ضيفا علي أنس بن مالك رضي الله عنه .
- فروي أنه بعد الطعام ، رأي أنس أن مفرش المائدة أصفر اللون .
- كان “ المفرش “ قذرا ملويا ، فصاح : يا خادمة ألقيه في النار لحظة من الزمن .

3115 - فألقت به في تنور مشتعل ، وهي علي وعي تام بما تفعل .
- فتحير كل الضيوف في ذلك الأمر ، وكانوا في انتظار “ أن يشاهدوا “ الدخان يتصاعد من المفرش .
- وبعد برهة أخرجته من التنور ، نظيفا أبيض نقيا من الأوساخ .

....
(1) ج / 8 - 291 : - فالنار في الحقيقة هيبة منهم كأنها اللبن ، هي غاسلة لمفارش موائد الأنبياء .

- فقال القوم : أيها الصحابي العزيز ، كيف لم يحترق المنديل بل صار أكثر نقاء ونظافة ؟
- قال : لأن المصطفى عليه السلام قد جفف يده وفمه في هذا المفرش .

3120 - فيا خائف القلب من الجحيم والعذاب ، اقترب من أمثال تلك اليد والشفة .
- وإذا كان الجماد قد نال مثل هذا التشريف ، فما الذي يفتح لروح العاشق ياترى :
- ألم يجعل حجر الكعبة كالقبلة ، فكوني ترابا “ تحت أقدام “ الرجال سعيا أيتها الروح .
- ثم قالوا للخادمة : إنك لا تحدثيننا عن أحوالك في هذا الأمر كله .
- كيف ألقيت بالمنديل سريعا بمجرد أمره ؟ وهبه قد فهم الأسرار ! !

3125 - فكيف ألقيت بهذا المفرش القيم في النار يا سيدتي ؟
- قالت : إنني أثق في الكرام ، ولست قانطة من إكرامهم إياي .
- وماذا يكون مئزر ؟ إنه إن قال لي : أقذفي بنفسك في النار دون ندم .
- لألقيت بنفسي فيها وأنا كلي ثقة ، فأنا راجية في عباد الله “ المخلصين “ .
- ولألقين برأسي لا بهذا المفرش ، ثقة في كل كريم عالم بالأسرار .

3130 - فيأيها الأخ ، أعرض نفسك علي هذا الأكسير ، إذ لا ينبغي أن يكون صدق الرجل أقل من صدق المرأة .
- وإن قلب الرجل الذي يكون أقل من امرأة ، لا يكون قلبا بل يكون أقل من بطن .

قصة نجدة الرسول عليه السلام لقافلة من العرب هدها الظمأ وقلة الماء واستسلمت للموت وقد تدلت ألسنة الخلق والإبِل من أفواههم

- كانت قافلة من العرب في ذلك الوادي ، قد جفت قربها من انحباس المطر .

- وقد بقيت وسط تلك الصحراء تنادي موتها .
- وفجأة ظهر علي الطريق مغيث الكونين ، أي المصطفى عليه السلام من أجل عون " تلك القافلة " .

3135 - فأبصر في ذلك المكان قافلة كبيرة العدد ، " متساقطة " علي هجير الرمال في طريق صعب ووعر .
- وقد أخرجت إبلهم ألسنتها ، وتساقط القوم علي الرمال في كل صوب .
- فأشفق عليهم : هيا قوموا سريعا ، وليسرع عدد من الصحاب ، نحو تلك الكثبان .
- فإن عبدا أسود سائر بقربة علي بعير يحملها إلي سيده متعجلا .
- فهاتوا هذا الجمّال الأسود بما يحمله إلي كرها " إن لم يأت طوعا " .

3140 - وأسرع أولئك الطلاب نحو الكثبان ، وبعد برهة رأوا الأمر تماما كما قال عليه السلام .
- كان هناك عبد أسود يمضي علي جمل عليه قربة مليئة بالماء كأنها الهدْيَة تحمل الهدية .
- فقالوا له : يستدعيك في هذه الناحية فخر البشر وخير الوري ، - قال لا أعرف من تقصدون . . فقال اخر : إنه قمري الوجه حلو الطباع " 1 " .
- وأخذوا يمدحونه عليه السلام بما فيه ، فقال : يبدو أنكم تقصدون ذلك الشاعر ،

3145 - الذي جعل جماعة من الناس عاجزة أمامه بسحره ؟ ولن أتقدم إليه ولو نصف شبر .
- فأتوا به جارين إياه نحو ذلك المكان ، فرفع عقيرته يا لشتم وأخذ يبصق بغضب .
- وعندما أتوا به أمام ذلك العزيز ، قال : اشربوا الماء وخذوا منه حاجتكم .

....
(1) ج / 8 - 296 : السيد والزعيم محمد نور الروح ، الأعظم والأقيم شفيع المجرمين .

- فارتوي الجميع من تلك القربة ، وشربت منها الإبل ، كما ارتوي كل إنسان .
- كما ملأ الروايات " 1 " من قربته تلك ، فنظر سحاب السماء مشدوها حسدا له .

3150 - ورأي ذلك الشخص أنه من قربة واحدة ، قد بردت حرارة العديد من أمثال هاوية " الجحيم " .
- ورأي هذا الشخص أنه من قربة واحدة من الماء ، امتلأت قرب عديدة دون " أدني " اضطراب .
- كانت قربته في حد ذاتها مجرد حجاب ، أما أمواج الفضل فقد كانت تصل بأمره من البحر الأصلي .
- فالماء من الغليان يتحول إلي بخار ، ثم يتحول البخار من البرودة إلي ماء .
- بل إنه بلا علة وخارج عن هذا الترتيب ، كان يجري الماء مكونا إياه من العدم .

3155 - وأنت من طفولتك عندما رأيت الأسباب ، قد تعلقت بها وهذا من جهلك بالسبب الأصلي .
- ولأنك غافل بالأسباب عن المسبب ، فإنك تميل إلي تلك الحجب .
- وعندما تنتفي الأسباب فإنك تقوم بالضرب علي رأسك " ندما " قائلا : ربنا ربنا .
- فيجيبك الإله : أمض نحو السبب ما دمت قد ذكرتني من صنعي ويا للعجب .
- قال : من الآن فصاعدا سوف أراك في كل شيء ، ولن أنظر إلي السبب أو إلي مظاهره الخادعة .

3160 - فيقول له " الإله " : " ولو ردوا لعادوا " إن هذا هو ديدنك ، يا من أنت واهن في التوبة والميثاق .
- لكنني لا ألقي بالا إلي الأمر وأرحمك ، فرحمتي واسعة ، وأن مداري هو الرحمة .

....
(1) الروايات : القرب الكبيرة .

- ولا أنظر إلي نكوصك عن العهد ، وأعطيك عطاء الكرم ما دمت تدعوني في هذه اللحظة " 1 " .
- صارت القافلة حائرة من عمله هذا ، قائلة ، يا محمد إن طبعك من طبع البحر
- وقد جعلت من قربة صغيرة مجرد وسيلة ، فأغرقت بها العرب والكرد " فضلا " .

ملء قربة ذلك الغلام من الغيب بالماء معجزة منه عليه السلام
وتحويل هذا الغلام الأسود إلى أبيض بإذن الله تعالى

3165 - أنظر أيها الغلام الآن إلي قربتك مليئة بالماء ، حتى لا تتحدث شاكيا بخير أو شر .
- فتحير ذلك الأسود من برهانه عليه السلام ، وأخذ إيمانه يتفتح من اللامكان .
- لقد رأي عين ماء سيالة من الهواء ، ورأي قربته دريئة لفيضها .
- ومن تلك النظرة ، مزق الوسائل أيضا ، حتى رأي عين الغيب عيانا .
- فامتلأت عينا الغلام بالدموع لتلك اللحظة ، ونسي سيده ومقامه .

3170 - وعجزت قدماه عن السير في الطريق ويداه عن الحركة ، وأحدث الإله في روحه زلزالا .
- ثم فك إساره من أجل المصلحة ، قائلا له : عد إلي وعيك ، وعد في طريقك أيها المستفيد .
- ليس هذا بأوان الحيرة فالحيرة أمامك ، فامض في الطريق سريعا جلدا من فورك .

....
(1) ج / 8 - 297 : والحاصل أنك تعلقت بالسبب ، لكنك معذور فلم ترَ سواه .

- ووضع المصطفى يده علي وجهه ، فقبلها بوجد ، وأمطرها بالقبلات .
- ومسح المصطفى آنذاك وجهه بيده المباركة ، وجعله من السعداء .

3175 - صار أبيض “ البشرة “ ذلك الزنجي وليد الحبش ، صار كالبدر وصار ليله كالنهار المضيء .
- صار كيوسف الصديق في جماله وفي رقته ، فقال له المصطفى : امض الآن إلي قريتك وارو عن الأحوال .
- فأخذ يسير دون رأس أو قدم ثملا ، لم يكن ليعرف له رأسا من قدم عند السير .
- ثم أتي بقربتين مليئتين بالماء الجاري ، نحو سيده في موضع القافلة “ 1 “ .

رؤية السيد لغلامه أبيض البشرة وعدم معرفته إياه وقوله له :
لقد قتلت غلامي وأخذك القصاص فرمى بك الله بين يدي

- راه السيد من علي البعد وأخذته الدهشة ، ومن دهشته نادي أهل تلك القرية .

3180 - قائلا لهم : هذه قربتنا وهذا بعيرنا ، فإلي أين مضي العبد الأسود ؟
- إن ذاك الذي يأتي من بعيد بدر ، يزري نور وجهه بنور النهار .
- فأين غلامنا ؟ أتراه ضل الطريق ؟ أو ظفر به أحد الذئاب وفتك به “ 2 “ ؟
- وعندما وصل إليه سأله : من أنت ؟ هل أنت تركي أو مولود في اليمن ؟
- وقل : ماذا صنعت بغلامي وانطق بالصدق ، واعترف إن كنت قد قتلته ، وإياك والاحتيال .

....
(1) ج / 8 - 301 : كان سيده قد جلس منتظرا علي الطريق ، هل يأتي غلامه ذاك سريعا أو متأخرا .
(2) ج / 8 - 303 : أو ربما قتله هذا المجرم ، وأتي به بعيره إلي هنا من قدره .

3185 - قال : لو كنت قتلته كيف اتي إليك ؟ وكيف اتي بقدمي إلي موضع القصاص " 1 " ؟
- أين غلامي ؟ قال : هو أنا ، وقد جعلتني يد فضل الله ذا ضياء .
- هه ؟ ماذا تقول ؟ أين غلامي ؟ حذار لن تنجو مني إلا بالصدق .
- فقال له : إن الأسرار التي بينك وبين هذا الغلام ، أرويها لك كلها سرا سرا .
- أقول لك كل ما حدث منذ أن اشتريتني حتى الآن .

3190 - حتى تعلم كما أنني ما زلت حيا ، وإن كان صبح قد تفتح من دجاي .
- لقد تغير اللون ، لكن الروح الطاهرة فارغة من الألوان والأركان والتراب .
- إن العارفين بالأجساد سرعان ما ينكروننا ، لكن شاربي الماء من العين يتركون القرب والدنان .
- والعارفون بالأرواح فارغون من الأعداد ، وهم غارقون في البحر الذي لا كيفية له ولا مقدار .
- فصر روحا وعن طريق الروح اعرف الحبيب ، وكن رفيقا للرؤية لا ابنا للقياس .

3195 - وعندما جعل المَلَك مع العقل في سلك واحد ، جعلهما علي صورتين لحكمة يعلمها .
- فاتخذ الملَك جناحا وقوادم كالطير ، أما العقل فقد ترك الجناح واختار المجد .
- فلا جرم أن كليهما كان نصيرا للآخر ، وكلاهما حسن الوجه دائر حول الآخر .

....
(1) ج / 8 - 303 : قال . . لا . . إن هذا لا يقنعني وينبغي أن تصدقني القول عن سر مكرك .

- وكلاهما أي الملك والعقل مدركان للحق ، وكلاهما معين للإنسان وساجد له .
- والنفس والشيطان كانا " مادة " واحدة من البداية ، كانا عدوين وحاسدين لآدم .

3200 - فالذي رأي ادم طينا نفر منه ، لكن من راه نورا من الله سجد له .
- ومنه - سبحانه وتعالي - كان هذان " أي العقل والملك " مستنيري البصر ، بينما لم تر أبصار النفس والشيطان إلا الطين .
- لقد عجز هذا البيان الآن كحمار في ثلج ، ولا يجوز لك أن تتلو الإنجيل علي يهودي .
- وكيف يمكن الحديث مع شيعي عن عمر ؟ وكيف يمكن عزف العود أمام أصم ؟
- لكن لو كان في ركن من القرية إنسان واحد ، لكانت صيحات الوجد التي أبوح بها أكثر من هذا .

3205 - ولو كان هناك مستحق للشرح لنطق له الحجر والمدر وصارا شارحين ذوي رسوخ .

بيان أن الحق تعالى في كل ما أعطاه وخلقه من السماوات والأرضين والأعيان والأعراض خلقه كله باستدعاء الحاجة وينبغي أن يحتاج المرء شيئا لكي يعطيه إياه مصداقا للآية الكريمة أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ فالاضطرار هو دليل الاستحقاق

- إن تضرع مريم وألمها ، هو الذي جعل طفلا مثل ذلك الطفل يشرع في الكلام .
- إن جزءاً منها قد تحدث من أجلها وذلك دون تدخل منها ، ومن ثم فأجزاؤك ذات حديث في السر جزءا جزءا .

- ويشهد علي هذه الأجزاء يداك ورجلاك أيها السالك ، فحتام تجعل للمنكر يدا وقدما ؟
- وإذا لم تكن مستحقا للشرح والقول ، فإن ناطقة الناطق قد شاهدتك ثم نامت .

3210 - وكل ما ظهر في الوجود إنما ظهر من أجل محتاج ، وحتى يجد الطالب الشيء الذي يبحث عنه .
- وإذا كان الحق تعالي قد خلق السماوات ، فقد خلقها من أجل دفع حاجات .
- وحيثما يكون ألم يمضي إليه الدواء ، وحيثما يكون فقر يمضي إليه الزاد ،
- وحيثما يكون مشكل فالجواب متوجه إليه ، وحيثما تكون سفينة يجري الماء .
- فقلل البحث عن الماء وأحصل علي الظمأ ، حتى يتفجر الماء " لك " من أعلي ومن أسفل .

3215 - وما لم يولد الطفل رقيق الحلق ، متي يجري له اللبن من ثدي أمه ؟
- فامض إلي تلك الأعالي ، وأسرع إلي تلك الأسافل ، حتى تصير ظمان رهن الحرارة .
- وبعد ذلك ابحث عن خرير المياه مستهديا بطنين زنبور الهواء " الرعد " لكي تشرب أيها العظيم .
- وليست حاجتك أقل من حاجة النبات ، فهو يأخذ الماء ويجذبه نحوه .
- أو تأتي أنت وتحول جزءا من الماء ، نحو الزرع اليابس حتى يجد به النضرة .

3220 - فاجذب الجواهر المضمرة إلي زرع الروح فإن سحاب الرحمة ملآن بماء الكوثر .
- وكن ظامئا حتى يأتيك الخطاب ب " سقاهم ربهم " والله أعلم بالصواب .

مجىء تلك المرأة الكافرة بطفلها الرضيع إلى المصطفى عليه السلام ونطقه كعيسى بمعجزات الرسول صلّى الله عليه وسلم

- وكان من تلك القرية أيضا امرأة من الكفار ، أسرعت إلي الرسول من أجل الامتحان .
- قدمت إلي الرسول عليه السلام في خمارها ، وفي حضنها طفل رضيع يبلغ الشهرين من العمر .
- فقال الطفل “ سلم الله عليك ، يا رسول الله جئنا إليك “ “ 1 “ .

3225 - قالت له أمه غاضبة : اصمت ! ! من الذي لقنك هذه الشهادة في أذنيك ؟
- ومن الذي علمك هذا أيها الطفل الصغير ، حتى صار لسانك في طفولتك . فصيحا مفوها “ 2 “
- قال لقد علمه الحق ، ثم جبريل ، وهو يردد معي الآن هذا البيان .
- قالت : فأين هو إذن ؟ قال : فوق رأسك وأنت لا ترينه فانظري إلي أعلي .
- إن جبريل واقف فوق رأسك ، صار لي دليلا في كل أمر من الأمور .

3230 - قالت : فهل تراه أنت ؟ قال : بلي ، إنه متألق فوق رأسك كأنه بدر التمام .
- إنه يعلمني وصف الرسول ، ويخلصني من عليائه من الانحطاط “ الذي أنا فيه “ .
- ثم قال له الرسول : أيها الطفيل الرضيع ، ما اسمك ، قله لي وكن مطيعا ! !

....

(1) بالعربية في المتن .
(2) حرفيا مثل جرير وذكر جرير هنا محال بالطبع .

- قال : إن اسمي عند الله هو عبد العزيز ، لكنه عند هذه الشرذمة من المخنثين عبد العزي .
- وأنا بريء من العزي ونفور ونظيف ، بحق من أعطاك هذه النبوة .

3235 - وهكذا ألقي الطفل ذو الشهرين كبدر التمام ، درسا بليغا كأنه " العلماء الجالسون " في الصدر .
- ثم هبت رائحة حنوط في تلك اللحظة من الجنة ، شمها أنف الطفل وأنف الأم .
- فقال كلاهما : إن تسليم الروح علي رائحة تلك الحنوط أفضل من " العيش " مع خوف السقوط .
- وذلك الذي يعرف به الحق ، فإن الجامد والحي يجيبانه بآلاف من التصديق .
- وذلك الذي يكون الله له حافظا ، تكون الطيور والأسماك حارسة له .

اختطاف العقاب نعل المصطفى عليه السلام ، وحمله إلى الهواء وقلبه وسقوط حية سوداء من النعل

3240 - بينما كانوا في هذا الأمر ، إذ سمع المصطفى أذان الصلاة قادما من العلا - فطلب ماء وجدد وضوءه ، وغسل يده ووجهه بهذا الماء البارد .
- وغسل قدميه واتجه إلي نعله ، لكن عقابا اختطف منه النعل .
- وحمله في الهواء وكأنه الريح ، ثم قلبه وسقطت منه حية .
- مد يده نحو النعل ذلك الحسن الخطاب ، لكن العقاب اختطف النعل من يده " 1 " .

3245 - سقطت من النعل حية سوداء ، ومن تلك العناية صار العقاب مريدا لخيره .

....

(1) ج / 8 - 322 : ثم طار به في الهواء كالريح ، وقلبه فسقطت منه حية .

- ثم هبط العقاب بالنعل ثانية قائلا له : هذا هو فهذه واتجه إلي صلاتك .
- لقد توقحت هكذا من أجل الضرورة ، وأنا الذي لا أستطيع أذي .
- واويلاه لذلك الذي يمشي اختيالا بلا ضرورة وإن أفتاه الهوي بذلك .
- فشكره الرسول عليه السلام وقال له : لقد رأيناه جفاء وهو في حد ذاته عين الوفاء .

3250 - لقد اختطفت نعلي وكنت في حيرة من هذا الأمر ، كنت تحمل همي بينما كنت مشغولا بشيء اخر .
- هذا وإن كان الله قد أبدي لي كل غيب ، إلا أن القلب كان مشغولا بنفسه في تلك اللحظة .
- قال " العقاب " : حاشاك أن تحل بك غفلة ، إن رؤيتي لذلك الغيب هي انعكاس وجودك أيضا .
- وأن أري الحية في النعل من الجو ليس مني ، بل من صورتك أيضا أيها المصطفى .
- إن الوجود النوراني نور بأجمعه ، أما الوجود الظلماني فهو بأجمعه مزبلة .

3255 - ويكون الوجود الصوري لعبد الله كله نورا ، أما الوجود الصوري للمبعد فكله عمي .
- فاعلم صورة كل إنسان وانظر إليها أيها الحبيب ، داوم علي معاشرة من تراه من جنسك .

وجه الاعتبار من هذه الحكاية والعلم يقينا أن مع العسر يسرا

- إن هذه الحكاية عبرة من أجلك أيها الحبيب ، حتى تكون راضيا في حكم الله .
- حتى تكون فطنا وحسن الظن ، عندما تتعرض لحادثة سيئة فجأة .

- وبينما تصفر وجوه الآخرين خوفا منها ، تكون أنت ضاحكا كالورد عند النفع والضر .

3260 - ذلك أنك تقوم بانتزاع الورق من الوردة ورقة ورقة ، لكنها لا تترك الضحك ولا تنثني ؟
- وتقول : كيف أهتم بالشوك وأنا الذي جعلت الضحك والسرور ينبثق من الشوك ؟
- وكل ما يجعلك شاكيا من القضاء ، أعلم يقينا أنه قد اشتراك من بلاء (أشد) .
- “ ما التصوف ؟ قال : وجدان الفرح في الفؤاد عن إتيان الترح “ 1 “ “ .
- فاعلم أن عقابه عقاب اختطف النعل من المصطفى الذي وصف بحسن الخلق .

3265 - حتى ينجي قدمه من لدغ الحية ، وما أسعد العقل الذي ينفض عن نفسه الغبار .
- قال “ لا تأسوا علي ما فاتكم “ “ أن أتي السرحان وأردي شاتكم “ 2 “ “ 3 “ - فإن هذا البلاء دفع لبلايا عظيمة ، وتلك الخسارة منع لخسارات جسيمة “ 4 “ .

طلب ذلك الرجل من موسى تعلم لسان الدواب والطير

- قال أحد الشبان لموسي : علمني لسان الحيوان .
- ربما أحصل علي عبرة في ديني من منطق الحيوانات والوحوش .

....

(1) بالعربية في المتن .
(2) بالعربية في المتن .
(3) ج / 8 - 326 : لكنه قال : ذاك قد فات فلا تغتم ، وإن صار قديما ، فسوف يعود جديدا .
(4) ج / 8 - 326 : وفوات المال كان راحة للروح أيها الحبيب ، فالمال عندما اجتمع ، صار وبالا للروح

3270 - فإن ألسنة بني ادم بأجمعهم ، لا تتحدث إلا عن الماء والخبز والحيلة والاحتيال .
- فلعل للحيوانات اهتمامات أخري ، تبديها عند تدبير أمورها في هذه الدنيا **! !** - فقال له موسي : امض ودعك من هذا الهوس ، فإن في هذا خطرا عظيما “ عليك “ من قدام ووراء .
- فاطلب العبرة واليقظة من الله العلي ، لا من الكتاب ولا من المقال ولا من الحرف والشفة .
- فصار الرجل من رده أكثر إلحاحا ، ذلك أن الإنسان أكثر حرصا علي ما منع .

3275 - فقال يا موسي عندما سطع نورك ، وجد كل شي شيئا من “ إنعامك وإحسانك “ .
- وإن حرماني من هذا المراد ، لا يليق بلطفك أيها الجواد .
- فأنت في زماننا نائب للحق علي الأرض ، وإن منعتني أودي بي هذا المنع إلي “ هاوية “ القنوط .
- قال موسي : يا رب ، إن هذا الرجل الساذج ، يبدو أن الشيطان الرجيم قد تسلط عليه .
- وإذا علمته ما يطلب ينقلب الأمر وبالا عليه ، وإن لم أعلمه ضاق صدره مني .

3280 - قال الله : يا موسي علمه ، فإننا لم نرد دعاء قط رفع إلينا وهذا من كرمنا .
- قال موسي : يا رب ، إنه سوف يندم ، سوف يعض علي يديه ويمزق الثياب “ عن جسده “ .
- فالقدرة ليست خليقة بكل إنسان ، والعجز أفضل ، فهو أساس التقي
- ومن هنا كان الفقر فخرا إلي الأبد ، فأولئك الذين لا تصل أيديهم يبقون متقين .
- ومن هنا فالغَنِي والغني مردودان ، لأنهما من القدرة قد ودعا الصبر

3285 - فالعجز والفقر أمان للإنسان ، فهو من ابتلاء النفس شديد الحرص ومغتم .
- وذلك الغم يحل به من الرغبات التي لا لزوم لها ، التي اعتاد عليها ذلك الذي سقط فريسة للأوهام " 1 " .
- وتسيطر الرغبة في الطين علي أكل الطين ، ولا يحلو الورد بالسكر لذلك المسكين .

الوحي إلى موسى بأن : علمه ما يحتاجه الأمر أو بعضه " 2 "

- قال الله تعالى : أعطه ما يلزمه فحسب ، وأطلق يديه في الاختيار .
- والاختيار هو ملح العبادة ، وإلا لدار الفلك بالرغم منه .

3290 - فإن دورانه لا طمعا في ثواب أو خوفا من عقاب ، فالاختيار فضل عند الحساب .
- وكل العالم مسبح لله سبحانه وتعالي ، وليس هذا التسبيح الجبري مقابل أجر .
- فضع السيف في يد " المرء " وخلصه من عجزه ، فإما يصير غازيا أو قاطع طريق .
- ومن هنا صار الاختيار للإنسان " من كرمنا " ، فصار نصفهم نحل عسل ونصفهم حيات .
- والكفار في حد ذاتهم منبع للسم كالحيات ، في حين أن المؤمنين منبع للعسل كنحل العسل .

3295 - لقد امتصوا الرحيق المختار من النبات ، حتى صاروا كالنحل ريقهم حياة .

....

(1) في النص : سقط فريسة للغول .
(2) ج / 8 - 336 : ثم هبط رسل الوحي من الحضرة قائلا له : استمع إلي كل ما يتحدث به من لطفك .

- بينما شرب الكافر شربة من صديد ، ومن قوته هذا ظهر السم فيه .
- فأهل إلهام الله هم عين الحياة ، أهل تسويل الهوي هم سم الممات .
- وهذا المدح والتحسين والإعجاب في الدنيا ، من الاختيار والحفاظ علي الوعي بالخير .
- وكل الفسقة عندما يدخلون السجن ، يتحولون إلي تقاة زهاد داعين للحق .

3300 - فعندما مضت القدرة كسد العمل ، فانتبه حتى لا يأخذ الأجل رأس المال .
- وقدرتك هي رأسمال تجارتك فانتبه ، وحافظ علي أوان القدرة وانتظر .
- والإنسان يمتطي جواد " كرمنا " ، وعنان الاختيار في كف إدراكه .
- ثم نصحه موسي بحب وقال له : إن مرادك هذا سوف يرتد عليك وسوف يفضحك " 1 " .
- فأترك هذا الهوس واتق الله ، فقد أعطاك الشيطان درسا ليمكر بك " 2 "

قناعة ذلك الطالب بتعلم لسان الدواجن والكلاب
وإجابة موسى عليه السلام

3305 - قال الشاب : يكفي نطق الكلاب ، فالكلب حارس الباب ، ونطق الطائر الداجن ذي الجناح .
- قال له موسي : هيا ، ها أنت ذا تعلم فامض ، لقد وصل إليك " ما طلبت " ويكشف لك منطق هذين .
- وفي الصباح لكي يمتحن الأمر ، وقف منتظرا علي عتبة داره .

....

(1) حرفيا : سوف يصيب وجهك بالشحوب .
(2) ج / 8 - 336 : هيا وامض ، وادع بأن يقل صداعك ، فإن مرادك هذا سوف يلقي بك في مائة تعب .

- ونفضت الخادمة السفرة فسقط منها فتات الخبز البائث من بقايا الطعام .
- فاختطفها ديك كأنها غنيمة له ، قال الكلب له : لقد ظلمتني فامض .

3310 - إنك تستطيع أن تلتقط حبوب القمح في حين أني عاجز عن أكل الحبوب في الدار .
- إنك تستطيع أن تأكل القمح والشعير وبقية الحبوب وأنا لا أستطيع ذلك أيها الطروب .
- إن هذه اللقمة من العيش هي كل مئونتنا من العيش ، فحتي هذا القدر هل تختطفه من الكلاب ؟

جواب الديك على الكلب

- فقال له الديك : اسكت ولا تغتم ، فإن الله سوف يعوضك عن هذا " الفتات " بخير منه .
- إن جواد هذا السيد سوف ينفق ، وكل غدا حتى تشبع ، وكفاك حزنا .

3315 - أليس موت الجواد عيدا عند الكلاب ، بحيث يكون رزقا وافرا دون جهد وكدح .
- وعندما سمع الرجل باع الجواد ، فصار ديكه خجلا أمام الكلب .
- وفي اليوم التالي اختطف الديك فتات الخبز أيضا ، وأطلق عليه الكلب لسان عذله .
- قائلا له : أيها الديك المخادع ، حتام هذا الباطل : إنك ظالم كاذب محتال - أين الجواد الذي قلت : إنه سوف ينفق ، أيها المنجم الأعمي المحروم من الصدق ؟

3320 - فقال له ذلك الديك العارف ، لقد نفق الجواد لكن في مكان اخر .
- لقد باع الجواد ونجا من الخسارة ، وألقي بخسارته علي " كواهل " الآخرين .

- لكن بغله سوف ينفق غدا ، وتكون هذه النعمة قاصرة علي الكلاب .
- فباع البغل سريعا ذلك الحريص ، ووجد مهربا من الحزن والخسران من فوره .
- وفي اليوم الثالث قال الكلب لذلك الديك : يا أمير الكاذبين يا من دقت الطبول والكوس “ إعلانا بكذلك “ “ 1 “ .

3325 - قال : لقد باع البغل سريعا ، وغدا سوف يصاب غلامه .
- وعندما يموت ذلك الغلام ، فإن أهله سوف يوزعون الخبز علي الكلاب والسائلين .
- فسمع هذا وباع غلامه ، ونجا من الخسارة وتهلل وجهه .
- وأخذ يؤدي الشكر ويبدي السرور قائلا : لقد نجوت من ثلاث كوارث في زمن وجيز .
- ومنذ أن تعلمت لغة الدجاج والكلاب ، تخطت عيني سوء القضاء .

3330 - وفي اليوم التالي قال ذلك الكلب المحروم : أيها الديك المخرف أين حساباتك هذه التي تحدثت عنها ؟

خجل الديك أمام الكلب بسبب كذبه
في المرات الثلاث

- حتام كذبك ومكرك اخر الأمر ، فلا يطير من كنك سوي الكذب .
- قال : حاشاني وبني جنسي أن نمتحن بالكذب .
- ونحن الديكة ما دمنا المؤذنين الصادقين ، فنحن رقباء الشمس منتبهون إلي الأوقات .
- نحن مراقبون للشمس من الباطن ، حتى ولو وضعنا تحت طست مقلوب .

....

(1) ج / 8 - 343 : فحتام تتحدث بالكذب يا خالياً من الضياء ، إنك مخيض أيها الخسيس مخيض مخيض .

3335 - ورقباء الشمس هم الأولياء ، وهم الواقفون من البشر علي أسرار الله .
- وأصلنا أهداه الحق إلي الإنسان من أجل أن يقوم بالأذان في سفينة “ نوح “ .
- ولو جري علينا السهو فجأة في الأذان ، لكان في ذلك مقتلنا .
- وإن قول “ حي علي الفلاح “ في غير وقت ، تجعل دمنا رخيصا مباحا .
- وذلك الذي هو معصوم وبريء من الغلط ، هو ديك روح الوحي فحسب .

3340 - لقد مات غلامه ذاك عند مشتريه ، وصار بأجمعه خسارة علي المشتري .
- لقد استطاع أن يهرب ماله لكنه سفك دمه فانتبه إلي ذلك جيدا .
- فخسارة واحدة تكون منعا لخسارات عديدة ، إن أجسادنا وأموالنا فداء لأرواحنا .
- إنك عند الملوك وقت توقيع العقاب ، تدفع المال لكي تشتري رأسك .
- فكيف صرت متجاهلا في أمور القضاء فطفقت تهرب أموالك من الحاكم (الفرد) .

إخبار الديك عن موت السيد

3345 - لكنه سوف يموت في الغد علي وجه اليقين ، وسوف يذبح وارثه في مأتمه بقرة .
- سوف يموت رب الدار ويمضى ، وغدا تحصل على قطع اللحم الضخمة .
- ولقيمات الخبز والزلة “ قطع اللحم “ والطعام ، سوف يجدها وسط الشارع الخاص والعام .

- ولحم البقرة المذبوحة والفطائر الرقيقة ، سوف تنصب في يسر علي الكلاب والسائلين .
- إن موت الجواد والبغل وموت الغلام ، كانت فداء من القضاء لهذا الغر الساذج .

3350 - لقد هرب من خسارة الأموال وما تسببه من الام ، فزاد ماله لكنه سفك دمه .
- ولماذا تكون هذه الرياضات من الدراويش ، لأن هذه البلايا علي الجسد بقاء للأرواح .
- فإنما لا يجد السالك البقاء " لروحه " ، ما لم يسقم جسده ويهلكه .
- ومتى تتحرك اليد بالإيثار والعمل ما لم تر العطاء لروحها في مقابله ؟
- وذلك الذي يعطي دون انتظار لمنفعة ، هو الله ، هو الله ، هو الله .

3355 - أو ولى الله الذي تخلق بأخلاق الله ، فصار نورا وتقبل النور المطلق .
- وأنه سبحانه وتعالي - هو الغني وغيره كلهم فقراء ، ومتي يقول فقير خذ بلا عوض ؟ ! !
- وما لم ير الطفل أن التفاح موجود ، فإنه لا يسلم البصلة المتعفنة من يده ؟ !
- وهذا السوق كله من أجل هذا الغرض كلهم جالسون في الحانوت علي أمل العوض .
- إنهم يعرضون مائة صنف من المتاع الجيد ، وتطوف امال قلوبهم حول ما يتلقونه عوضا عنها .

3360 - وأنت لا تسمع سلاما واحدا يا رجل الدين ، لا يمسك آخره بطرف ثوبك " 1 " .

....
(1) أي لا يطلب منك من سلم عليك بعده شيئا .

- وأنا لم أسمع سلاما واحدا من خاص أو عام دون طمع أيها الأخ والسلام .
- هذا اللهم الإسلام الحق ، فهيا ابحث عنه من منزل إلي منزل ومن موضع إلى موضع ومن شارع إلي شارع .
- لكن من لسان الإنسان حلو المشام ، سمعت رسالة الحق معها أيضا السلام .
- أما سلام الباقين فعلى على رائحة ذلك السلام لا أزال أتشربه بالقلب ، أحلى من الروح .

3365 - من ذلك الذي صار سلامه هو سلام الحق ، لأنه قد أضرم النيران في نسل " نفسه " .
- لقد مات عن " نفسه " وصار حيا بالرب ، ومن هنا تكون علي شفتيه دائما أسرار الحق .
- إن موت الجسد في الرياضة " الصوفية " هو الحياة ، وتعب هذا الجسد ثبات للروح .
- وكان ذلك الرجل الخبيث قد تنصت وأخذ يسمع من ديكه ذلك الحديث .

إسراع ذلك الشخص خائفا إلى موسى عندما استمع من الديك نبوءة وفاته

- وعندما استمع هذا الحديث انطلق مسرعا قلقا مضطربا وذهب إلى باب كليم الله موسى .

3370 - أخذ يمرغ وجهه في ترابه من الخوف ، قائلا : أغثني يا كليم الله .
- فقال له : اذهب وبع نفسك وانج ، وما دمت قد أصبحت أستاذا فاقفز من هذه الورطة " 1 " .

....
(1) حرفيا : البئر .

- وإنني أرى في لبنة هذا القضاء الذي ظهر لك عيانا في المرأة .
- إن العاقل يري العاقبة منذ البداية بقلبه ، ومن يراها في اخر الأمر فهو مقل في المعرفة .

3375 - فجأر بالصراخ ثانية قلئلا : يا حميد الخصال لا تحقرني " 1 " ولا تصفعني علي وجهي .
- لقد بدر هذا كله مني لأنني كنت غير مستحق ، فقابل أنت إساءتي بالإحسان .
- قال : لقد انطلق السهم يا بني من الإبهام ، وليس في العادة أن يرتد إلي مبدئه .
- لكني سأطلب من الحكم العدل ، أن تصطحب معك إيمانك عندما يجيء أجلك .
- فإنك إذا اصطحبت الإيمان تكون حيا ، وعندما تمضي بإيمانك تمضي ثابتا .

3380 - وفي تلك اللحظة انقلب حال السيد وهاجت بطنه وأحضروا له الطست .
- كان هياج الموت لا هيضة الطعام ، وماذا يجديك القيء أيها التعس الساذج ؟
- فحمله أربعة أشخاص إلي منزله ، وهو يلف الساق بالساق .
- إنك لم تستمع إلي نصيحة موسي واستهنت بها ، فعرضت نفسك علي سيف فولاذي .
- ولا يستحيي هذا السيف من " نزع " روحك ، فهو لك أيها الأخ وجدير بك .

دعاء موسى لذلك الشخص حتى يمضى بإيمانه من الدنيا

3385 - وأخذ موسي في مناجاة ربه ذلك السحر قائلا : يا إلهي لا تقبض روحه

....
(1) حرفيا : لا تضربني علي رأسي .

وقد سلبته الإيمان “ 1 “ .
- وزاول معه الملوكية ، واعف عنه ، فقد وقع في السهو والتوقح والغلو .
- لقد قلت له إن هذا العلم ليس جديرا بك فظنه رداً واستهانة .
- إن الإنسان الذي تتحول العصا إلي أفعي في يده ، هو الذي “ يمكن له “ أن يضع يده علي الأفعي .
- وتعليم سر الغيب جدير بذلك الشخص الذي يستطيع إطباق شفتيه عن الكلام .

3390 - ولم يصبح جديرا بالبحر إلا الطائر المائي فافهم هذا والله أعلم بالصواب .
- لقد ذهب إلي البحر ولم يكن طائرا مائيا ، فغرق ، فخذ بيده أيها الودود .

استجابة الحق لدعاء موسى عليه السلام

“ 2 “
- قال : لقد وهبته الإيمان ، أجل ، ولو أردت أحييته في التو واللحظة .
- بل أحيي كل الموتى من القبور في هذه اللحظة من أجلك أنت .
- قال موسى : إن هذه هي دار الفناء ، فابعثه في تلك الدار حيث النور والضياء .

3395 - وما دام موضع الفناء هذا ليس بعالم للوجود ، فإن عودة العارية إليه عديمة الجدوي .
- فانثر رحمتك عليهم أجمعين ، في منزل سر “ لدينا محضرين “ .
- هذا حتى تعلم - “ أيها السالك “ - إن خسارة الجسم والمال تكون نفعا للروح وتخلصها من الوبال .
- ومن ثم كن شاريا للرياضة بكل ما وسعك ، فما دمت قد جعلت الجسد في الطاعة فقد ظفرت بالروح .

....
(1) وزاول معه الملوكبة ، واعف عنه ، فقد وقع في السهو والتوقح والغلو .
لقد قلت له إن هذا العلم ليس جديرا بك فظنه رباً واسستهانه .
(2) ج / 8 - 353 : واستجاب الله تعالى لهذا الدعاء ورحمه لعجزه وافتقاره .

- وإذا وهبت الرياضة دون اختيار ، فطأطيء لها الرأس وأد حق شكرها أيها الموفق .

3400 - وما دام الحق قد وهبك تلك الرياضة فاشكره ، إن الأمر لم يكن بحولك بل جذبك هو بأمر " كن " .

حكاية تلك المرأة التي لم يكن يعيش لها ابن فناحت ،
فجاءها الجواب : إن هذا أجر رياضتك ولك عليه
أجر جهاد المجاهدين

" 1 "

- كانت إحدي النساء تضع كل سنة ابنا ، فلم يكن يعمر أكثر من ستة شهور .
- كان يموت بعد ثلاثة شهور أو أربعة ، فناحت تلك المرأة قائلة : واغوثاه أيها الإله ! !
- أأحمل تسعة شهور وأفرح ثلاثة أشهر ؟ ! إن نعمتي أسرع في زوالها من قوس قزح .
- وأخذت تلك المرأة تضج بالشكوي إلي رجال الله " باكية ضارعة " من ألم النذير .

3405 - وهكذا فقد مضي لها عشرون ابنا نحو القبر ، وكأن نارا حامية قد أضرمت في أرواحهم .
- حتى أبدي لها " الله " ذات ليلة " فيما يري النائم " جنة باقية خضراء أكلها دائم .
- لقد سميت النعمة التي لا توصف بالجنة ، لكنها أصل النعم ومجموع الجنان .

....

(1) ج / 8 - 355 : - استمع إلي هذه الحكاية واعتبرها غطة حتى لا تصبح متعباً من النقص والضرر .

- وإلا فأي وصف بالحديقة ينطبق علي " ما لا عين رأت " . . " إن هذا يشبه " قول الله تعالى عن نور الغيب بأنه مصباح .
- وليس هذا مثلا بل هو مثال ، " ضرب " ، لكي يفهم ذلك الذي يكون حائرا في معانيه .

3410 - لقد رأت تلك المرأة الحديقة فثملت ، وخارت قوي تلك السيدة من ذلك التجلي .
- ورأت أن اسمها قد كتب علي قصر ، وعرفت أنه لها . . تلك السيدة المحبوبة المسلك .
- ثم أخبرت بأن ذلك النعيم لها ، ذلك أنها لم تقم بفداء الروح إلا بصدق .
- إذ ينبغي القيام بطاعات كثيرة ، حتى تكون جديرا بتذوق هذا الطعام .
- " وقيل لها " : لقد كنت تتكاسلين في الالتجاء إلي الله تعالي ، فوهبك هذه المصائب عوضا " جزاء صدقك " .

3415 - قالت يا رب ، حتى مائة سنة أو يزيد ، ليكن هكذا عطاؤك لي ، اسفك دمي .
- وعندما سارت في ذلك البستان ، رأت فيه أولادها العشرين .
- وقالت : لقد ضاعوا مني ولم يضيعوا منك ، وبدون نظرة الغيب لم يصبح أحد إنسانا .
- إنك لم تفصد ، وسال من الأنف دم كثير ، حتى نجت روحك من الحمي .
- وإن لب كل ثمرة أفضل من قشرها ، فاعتبر الجسد قشرا ولبه الحبيب

3420 - وإن الإنسان ذو لب ذكي اخر الأمر ، فاطلبه لحظة إذ كان لديك نفس الإنسان .

دخول حمزة رضى اللّه عنه ميدان “ الحرب “ دون درع “ 1 “

- عندما كان حمزة - رضي الله عنه - يدخل المعركة في نهاية عمره ، كان يغزو دون درع مثخنا بالطعان .
- كان يتقدم مفتوح الصدر عاري الجسد ، ضاربا بسيفه (شاقا) للصفوف .
- فسأله الخلق قائلين : يا عم الرسول أيها الضيغم شاق الصفوف ملك الفحول .
- ألم تقرأوَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ في ذلك الكتاب الذي أنزله الله علي الرسول .

3425 - إذن لماذا لا تفتأ تلقي بنفسك إلي التهلكة ، “ وتخوض “ - علي هذا المنوال - المعركة ؟
- وعندما كنت شابا شديد الرمي بالقوس ، لم تكن تشق الصفوف هكذا دون درع
- ألأنك صرت شيخا ضعيفا منحنيا ، فإنك لا تفتأ تعزف ألحان اللامبالاة “ 2 “ ؟
- ومثل الذي لا يبالي تلتحم بالسيف والسنان ملقيا بنفسك في الكريهة ؟
- إن سيف “العدو” لا يحترم الشيخ، ومتي يكون عند السيف والرمح تمييز “3”؟

....

(1) ج / 8 - 358 : في شبابه كان حمزة عم المصطفى ، يدخل المعركة دائما في درعه .
(2) ترجمها نيكلسون تدق علي ستائر اللامبالاة .
(3) ج / 8 - 358 : ومتي يجوز أن يقتل أسد مثلك علي أيدي الأعداء ؟

3430 - وعلي هذا النسق فإن أولئك المهتمين الغافلين ، أخذوا يعظونه من محبتهم له وغيرتهم عليه .

جواب حمزة على الخلق

- قال حمزة - رضي الله عنه - : إنني عندما كنت شابا ، كنت أري الموت وداعا لهذه الدنيا .
- ومتي يذهب إنسان برغبته إلي الموت ؟ ومتي يذهب عاريا إلي الأفعي ؟
- لكنني الآن لست بالعاجز ، وهذا من نور محمد ، أمام هذه الدنيا الفانية .
- ومن خارج الحس أري معسكر المليك ، وأري الجيش مليئا بنور الحق .

3435 - خيامه قائمة وطنبها محكمة والشكر لله تعالي علي أنه أيقظني من النوم .
- وذلك الذي يكون الموت بالنسبة له تهلكه ، يتمسك بأمر “ لا تلقوا “ .
- أما ذلك الذي يكون الموت أمامه فتحا للباب ، فإنما تأتيه اية “ سارعوا “ عند الخطاب .
- الحذر يا من ترونه موتا بادروا إلي الهرب ، والعجل العجل يا من ترونه حشرا “ سارعوا “ .
- هيا تجمعوا يا من ترونه لطفا (افرحوا) ، وفروا من البلاء يا من ترونه قهرا و “ اترحوا “ “ 1 “ .

3440 - وكل من راه “ علي مثال “ يوسف الصديق فداه بروحه ، وكل من رآه ذئبا ارتد عن الهدي .
- وموت كل إنسان يكون من نفس جبلته “ 2 “ إنه عدو بالنسبة للعدو حبيب بالنسبة للحبيب .

....

(1) الكلمات ما بين الأقواس بالعربية في النص .
(2) حرفيا : لونه .

- إن المراة في مواجهة التركي جميلة اللون ، وهي أيضا زنجية في مواجهة الزنجي .
- إن ما تخشاه من الموت في فرارك “ منه “ هو أنك قد أخَفْت نفسك أيها الحبيب فانتبه .
- إنه وجهك القبيح ليس وجه الموت ، فروحك كالشجرة والموت أوراقها .

3445 - لقد انبثق “ كل شيء “ منك خيرا كان أو شرا ، فالخير والشر مضمران في نفسك .
- فإن أدمي الشوك قدميك فقد زرعته بنفسك ، وإن كنت في حرير وديباج فقد نسجته حول نفسك .
- وأعلم كذلك أن الفعل لا يكون في لون الجزاء ، وليست هناك خدمة في لون العطاء نفسه .
- والأجر الذي يأخذه الفعلة لا يشبه العمل “ الذي يقومون به “ ، فالأجر عرض أما العمل فهو جوهر وثابت .
- والعمل كله شقاء وجهد وعرق ، والأجر كله فضة وذهب وزاد حاضر .

3450 - وإن وجهت إليك تهمة من مكان ما ، ودعا عليك مظلوم فوقعت في محنة .
- فأنت لا تفتأ تقول : إنني بريء ، ولم أوجه تهمة إلي أحد ما . . .
- لقد أذنبت أنت لكن بشكل اخر ، لقد زرعت البذرة ومتي تكون البذرة كثمرتها ؟
- لقد ارتكب أحدهم جرم الزنا وكان عقابه مائة جلدة . . فلا يزال يقول : متي ضربت أحدا بعود ؟
- وليس ذلك جزاء الزنا بل هو بلاء ، ومتي يشبه الجلد علي الملأ الزنا في الخلاء ؟

3455 - ومتي تشبه العصا الحية أيها الكليم ومتي يشبه الألم الدواء أيها الحكيم .
- إنك عندما تقذف بمنيك بدلا من هذه العصا " حيث يجب أن يقذف " فإن نتاجه يكون إنسانا سويا .
- وسواء صار منيك هذا صديقا أو حية ، كيف تدهش إذن من تلك العصا ؟
- وهل يشبه ماؤك هذا ابنك علي أي وجه ؟ وهل يشبه قصب السكر السكر علي أي وجه ؟
- وإذا كان ذلك الرجل الزارع ذا ركوع أو سجود ، فإن سجوده في الدار الآخرة ينقلب إلي جنة .

3460 - وعندما انطلق من لسانه حمد الحق ، جعله له طائرا في الجنة رب الفلق
- وحمدك وتسبيحك لا يشبهان الطائر ، بالرغم من أن نطفة الطائر الريح والهواء .
- وعندما نبت في يدك إيثار الزكاة ، صارت هذه اليد في تلك الناحية نخلا ونباتا .
- وصار ماء صبرك نهرا في الخلد من الماء ، وصار ودك وحنانك في الخلد نهرا من اللبن .
- وصارت لذة الطاعة نهرا من العسل ، وسكرك " الإلهي " وشوقك " إلي الملأ الأعلي " هما نهر الخمر ، فتأمل .

3465 - إن هذه الأسباب لا تشبه الآثار ، ولا يعرف أحد كيف غرست في مواضعها .
- لما كانت هذه الأسباب طوع أمرك ، فإن الأنهار الأربعة قد " انقادت لك " وأبدت لك طاعتها .

- وحيثما تريد تقوم بتسييرها ، وكيفما تكون صفاتها فإنك أنت الذي تقوم بها هنا .
- مثل منيك الذي هو طوع إرادتك ، وسريعا ما يكون نسلك الناتج عنه طوع أمرك .
- يسرع ذلك الابن الفتي وفق أمرك ، قائلا : أنا جزء منك ، إذ جعلته أنت في قراره .

3470 - وتلك الصفة تكون طوع أمرك في هذه الدنيا ، فتجري منك الأنهار هناك طوع أمرك .
- وتكون تلك الأشجار " هناك " منفذة لأوامرك ، ذلك لأن تلك الأشجار مثمرة من صفاتك .
- وما دامت هذه الصفات طوع أمرك هنا ، فإن ذلك الجزاء طوع أمرك هناك .
- وعندما يصاب مظلوم بجرح من يدك ، فقد صار " هذا الجرح " غرسا نبتت منه شجرة الزقوم .
- وعندما أضرمت بغضبك نارا في القلوب ، فقد وضعت أساسا لنار جهنم .

3475 - وما دامت نارك هنا محرقة للبشر ، فإن جزاء ذلك أنها تحرقك أنت نفسك هناك " في الجحيم " .
- وإن نارك التي تهاجم الناس هنا ، يضرم نتاجها " هناك " فتجتاح الخلق " هناك " - وكلماتك هذه التي تشبه الحيات والعقارب ، قد صارت " هناك " حيات وعقارب تمسك بذيلك .
- وقد جعلت أولياء الله هنا منتظرين ، ومن " ثم " يكون الانتظار رفيقا لك يوم الحشر .

- وتسويفك بالغد وما بعد الغد ، يكون جزاؤه انتظارا منك يوم الحشر فويل لك .

3480 - فتبقي منتظرا الحساب في ذلك اليوم الطويل تحت الشمس التي تذيب الروح .
- ذلك أنك كنت تجعل السماء تنتظر ، وكنت تزرع بذور " التسويف " قائلا غدا سأسير .
- وإن غضبك هو بذور الجحيم ، فهيا اقض علي جحيمك هنا فهو فخ .
- ولا يكون إطفاء هذه النار إلا بالنور ، " فأقرأ " (نورك أطفأ نارنا أيها الشكور) . " 1 "
- وإن كنت بلا نور وتتظاهر بالحلم فهذا أمر سيىء ، فإن نارك تظل حية لكن تحت الرماد .

3485 - وهذا يكون تكلفا وليس اقتناعا فانتبه ، فالنار لا يطفئها إلا نور الدين
- فما لم تر نور الدين فلن تكون امنا ، فالنار الكامنة تظهر في يوم ما .
- فاعلم أن النور بمثابة الماء فاستمسك بالماء ، ولا تخش النار ما دام الماء لديك .
- فالماء يقتل النار لأن النار بطبعها تحرق نسله وأبناءه .
- وسر نحو تلك الطيور المائية بضعة أيام ، حتى تجذبك نحو ماء الحيوان .

3490 - فطير البحر وطير اليابسة متشابهان في الجسد ، لكنهما ضدان " لا يمتزجان " " كالماء والزيت " .
- وكل منهما يكون عابدا لأصله ، فحذار من هذا التشابه " الظاهري " بينهما .

....

(1) بالعربية في المتن .

- وكذلك تكون وسوسة " الشيطان " ووحي " يوم ألست " ، كلاهما من عالم العقل ، وبينهما بون شاسع .
- وكلاهما دلال في سوق الضمير ، وكل منهما يقوم بمدح متاعه أيها الأمير .
- فإذا كنت صرافا للقلب فاعرف الفكرة ، وفرق - ما بين - سر الفكرتين كما يفعل النخاس

3495 - وإن كنت لا تعرف هاتين الفكرتين من " سقوطك في " الظن ، فأفضل لك أن تقول " لا خلابة " ولا تسرع ولا تنطلق " 1 " .

حيلة دفع الغبن في البيع والشراء

- قال أحد الصحابة للرسول عليه السلام : إنني دائما أغبن في البيوع .
- وإن مكر كل إنسان يبيعني شيئا أو يشريه مني ، يكون كأنه السحر يضلني .
- فقال عليه السلام : في كل بيع تخشي فيه الغبن ، اشترط ثلاثة أيام " من المهلة " اختبارا لنفسك .
- فالتأني هو من الرحمن علي وجه اليقين ، أما العجلة فهي من الشيطان اللعين .

3500 - وعندما تلقى بلقمة إلي كلب يشمها ثم يأكلها أيها المعتنى .
- وهو يشم بالأنف ، بينما " نشم " نحن بالعقل ، إذ نشمها نحن والعقل ينتقد .
- وبالتأني خلقت هذه الأراضي والأفلاك من لدن الرحمن في ستة أيام .
- وإلا فإنه كان قادرا علي خلق مائة أرض وفلك بكن فيكون .

....

(1) ج / 8 - 362 : حتى لا تبقي روحك في تفكر ، وحتى لا تصاب روحك بغبن أو متاعك .

- وذلك العظيم - يجعل من الإنسان رجلا - كاملا . . علي مراحل وقليلا قليلا حتى سن الأربعين .

3505 - هذا بالرغم من أنه كان قادرا علي أن يجعل خمسين رجلا يتخلقون من العدم في نفس واحد .
- وعيسى كان قادرا بدعاء علي أن يجعل الميت يبعث حيا من فوره .
- وخالق عيسى يستطيع في التو واللحظة أن يأتي بالناس إلي الوجود زرافات وجماعات .
- هذا التأني من أجل تعليمك ، ومعناه أنه ينبغي الطلب رويدا رويدا ودون توقف .
- والجدول الصغير الذي هو دائم الجريان ، لا يصير (ماؤه) نجسا ولا يأسن .

3510 - ومن هذا التأني تولد الإقبال والسرور ، وهذا التأني كالبيضة والدولة كالطيور .
- ومتي تشبه البيضة الطائر أيها العنيد ، بالرغم من أنه ينطلق منها إلي الوجود .
- فانتظر حتى تصبح أعضاؤك بيضا يخرج لك طيورا في النهاية .
- وبالرغم من أن بيضة الحية تشبه بيضة العصفور ، إلا أن البون بينهما شاسع .
- وبذرة السفرجل أيضا تشبه بذرة التفاح ، لكن أعلم أيها العزيز أن بينهما فروقا .

3515 - والأوراق تبدو للنظر متشابهة في ألوانها ، لكن لكل واحدة منها من الثمار نوعا اخر .

- وأوراق الأجسام متشابهة فيما بينها لكن كل واحدة منها حية بربيع معين " 1 " .
- والخلق يمضون في الأسواق وكلهم متشابهون ، لكن أحدهم في سعادة والآخر في ألم " مقيم " .
- أيضا نمضي كلنا في الموت متساوين ، لكن نصفنا في خسران ، ونصفنا الآخر من السادة .

وفاة بلال رضي الله عنه بسرور

- عندما صار بلال " رضي الله عنه " من الضعف كأنه الهلال ، ووقع لون الموت علي وجهه .

3520 - أبصرته زوجته فقالت : واحرياه ، فقال لها بلال : لا . . لا . . بل واطرباه .
- إنني حتى الآن كنت في حرب من الحياة ، فما علمك بأن الموت كالسرور وما أدراك به ؟
- هكذا كان يقول ووجهه عند هذا القول يتفتح بالنرجس والورد وأزهار الشقائق .
- وكانت نضرة وجهه وعيناه المليئتان بالأنوار ، تدل علي " صدقه " في قوله .
- كان كل أسود قلب يراه " مجرد " أسود، فلماذا كان إنسان العين إذن ذا لون أسود؟

3525 - وفاقدو البصيرة إنما يكونون من المفتضحين ، أما الذي في منزله إنسان العين فيكون مرأة للقمر .
- ومن الذي يري إنسان عينك في هذه الحياة الدنيا اللهم إلا ذوي البصائر النافذة ؟

....

(1) أي بقوة معينة .

- ولم يره " حقيقة " سوي إنسان عين المؤمنين " عليه السلام " ، فمن الذي أدرك سواه لونه " الحقيقي " ؟
- ومن ثم فكل من كانوا سواه عليه السلام قد تحدثوا علي التقليد ، عندما ذكروا صفات إنسان العين الرفيع السامي ذاك ! !
- قالت زوجته : إنه الفراق يا حميد الخصال ، قال : لا - لا بل هو الوصال الوصال .

3530 - قالت : الليلة تمضي " وتصير " غريبا ، وتغيب عن أهلك وولدك .
- قال : لا ، لا ، بل تعود الليلة روحي من الغربة إلي الوطن .
- قالت : فأين يا تري نري وجهك ، قال : في حلقة خاصة الله .
- وحلقته الخاصة متصلة به ، لو تنظرين إلي أعلي لا إلي أسفل .
- وفي تلك الحلقة يتألق النور من رب العالمين، كما يتألق الفص من الخاتم "الثمين"

3535 - قالت : وا أسفاه . . لقد خرب هذا المنزل ، قال : انظري إلي القمر ، ولا تنظري إلي السحاب .
- لقد خربه حتى يجعله أكثر عمرانا ، فقومي كُثر لكن الدار ضيقة .

حكمة خراب الجسد بالموت

- كنت مثل ادم من البداية في حبس وكرب ، وامتلأ الشرق والغرب الآن بنسل روحي .
- كنت شحاذا في هذا المنزل الشبيه بالجب ، وصرت ملكا ، والملك في حاجة إلي قصر .
- ذلك أن الملوك يأنسون إلي القصور ، أما الموتى فيكفيهم القبر منزلا ومكانا .

3540 - لقد ضاقت هذه الدنيا علي الأنبياء ، فمضوا كالملوك إلي اللامكان .
- لكنها أبدت عظمتها للموتي ، فهي شديدة الفخامة في ظاهرها ، لكنها ضيقة المجال في معناها .

- وإن لم تكن ضيقة فلماذا هذا الصراخ ؟ وكيف انحني كل من عاش فيها طويلا ؟
- وكيف تحررت الروح عند النوم من ذلك المكان ؟ وكيف صارت من نومها هذا بادية السعادة .
- لقد تخلص الظالم ثانية من ظلم الطبع ، وانقلب السجين " خارجا " من تفكيره في السجن .

3545 - وهذه الدنيا شديدة الاتساع بأرضها وسمائها ، تبدو لك شديدة الضيق عندما تهم بالنوم .
- فهي كغمامة علي العين شديدة الاتساع وشديدة الضيق ، ضحكها كله بكاء وفخرها بأجمعه عار .

تشبيه الدنيا واتساعها الظاهر وضيقها الحقيقي وتشبيه النوم بأنه خلاص من هذا الضيق

- إنها كالحمام الذي تشعل داخله النار ، يشتد ضيقك منه وتذبل روحك .
- حتى وإن كان الحمام متسعا ، فإن روحك تَكِلُّ وتضيق من هذه الحرارة .
- وما لم تغادره فإن قلبك لا يحس بالراحة ، إذن فبماذا يجديك اتساع منزلك ؟

3550 - وأنت تلبس نعلا ضيقا أيها الغوي ، وتسير في صحراء شديدة الاتساع .
- فتضيق بك هذه الصحراء بما رحبت ، وتنقلب هذه الصحراء وهذا الوادي إلي سجن " بغيض " بالنسبة لك .
- وكل من يراك عن بعد يقول : لقد تفتح في هذه الصحراء كزهرة الشقائق النضرة .
- وهو لا يعلم أنك كالظالمين ، تبدو في الظاهر كأنك في روضة في حين

أن روحك في صراخ “ وعويل “ .
- إن النوم بالنسبة لك بمثابة خلع لذلك النعل ، وتصير روحك حرة من جسدك برهة من الزمن .

3555 - فالنوم هو ملك الأولياء يا هذا ، إنهم وهم في الدنيا يشبهون أهل الكهف - إنهم يرون الأحلام حيث لا نوم ، ويدخلون إلي عالم الغيب ولا باب .
- فالمنزل ضيق ، وداخله الروح في اختلاج ، ولا بد أن تخربه حتى تجعل منه قصرا للملوك .
- وأنا مصلوب ومختلج مثل الجنين داخل الرحم ، أتممت تسعة شهور وصار هذا الانتقال واجبا .
- ولو لم تحل الام المخاض بأمي ، لبقيت رهين هذا السجين بين النيران .

3560 - ومن ثم فإن أم طبعي تشق طريقا خوف موتها حتى تخلص الحمل من “ رحم “ الشاة .
- حتى يرعي ذلك الحمل في صحراء خضراء ، هيا فشق الرحم ، فقد صار ذلك الحمل متضخما .
- وألم المخاض وإن كان مشقة بالنسبة للحامل ، إلا أنه بالنسبة للجنين تحطيم للسجن .
- فالحامل باكية في المخاض قائلة : أين المناص ؟ والجنين ضاحك إذ اقترب الخلاص .
- وكل من تحت هذا الفلك أمهات سواء من الجماد أو من الحيوان أو من النبات .

3565 - وكل واحدة منهن غافلة عن ألم الأخري ، اللهم إلا من اتصفت بالكمال والذكاء
- وذلك الذي لا يعلم “ أحوال “ الأجرد من بيوت الآخرين ، فمتي يعلم “ أحوال “ كث اللحية في منزله ؟

- لكن صاحب القلب يعلم أحوالك ، بينما لا تعلم أنت شيئا من أحوال نفسك أيها العم **!** " 1 " .

بيان أن كل ما هو غفلة وكسل وظلمة كله من الجسد فهو أرضى وسفلى

- إن الغفلة من الجسد ، وعندما يصير الجسد روحا ، فإنه يري الأسرار دون أدني بد .
- وعندما تغيب الأرض من جو الفلك ، فلا ليل ولا ظل ، سواء بالنسبة لي أو بالنسبة لك .

3570 - وحيثما يكون ظل أو موضع ظل ، فهو من الأرض لا من الأفلاك ولا من القمر .
- والدخان المتكاثف المتصل ، يكون من الحطب وليس من النيران المستعرة .
- والوهم يسقط في الأخطاء والغلط ، ولكن " ميدان " العقل هو الصواب فقط .
- وكل ثقل وكسل فهو من الجسد ، والروح من خفتها دائما في طيران .
- وأحمرار الوجه يكون من غلبة الدم ، واصفراره إنما يكون من تحرك الصفراء .

3575 - وبياض الوجه إنما يكون من غلبة البلغم ، ومن السوداء يكون الوجه أدهم .
- والحقيقة أنه سبحانه وتعالي خالق هذه الآثار ، لكن أهل الظاهر لا يرون سوي العلة .

....

(1) ج / 8 - 439 : وما يراه أهل القلوب مكتوبا علي جبينك ، متي تراه أنت في نفسك أيها الخجل ؟ !

- واللب الذي لا يكون بعيدا عن القشور ، لابد له من " الإيمان " بالطبيب وبالعلة .
- وعندما يولد المرء للمرة الثانية ، فإنه يضع قدمه فوق مفرق العلل .
- فلا تكون العلة الأولي دينا له ، ولا تحقد عليه العلة الجزئية أو تعاديه .

3580 - فيطير كالشمس في الأفق مع عروس الصدق ، والصورة كالحجاب بالنسبة له .
- بل إنه خارج الأفق والأفلاك ، يكون بلا مكان كالأرواح والنهي .
- بل تكون عقولنا ظلالا بالنسبة له ، تسقط كالظلال تحت أقدامه .
- وعندما يكون المجتهد عالما بالنص ، فإنه في تلك الحالة لا يفكر في القياس .
- وعندما لا يجد نصا بالنسبة لصورة ما ، فإنه آنذاك يبدي من القياس عبرة .تشبيه النص والقياس

3585 - اعلم أن النص هو وحي الروح القدسي يقينا ، وأن قياس العقل الجزئي ذاك أدني منه .
- فالعقل صار من الروح ذا إدراك وعظمة ، فمتي تصير الروح تحت إشرافه ؟
- إن الروح ذات تأثير علي العقل ، ومن ذلك التأثير يدبر العقل " في الأمور " .
- فإن صدقتك الروح في داخلك كنوح ، فأين أليم والسفينة وأين طوفان نوح ؟
- والعقل يظن أن أثر الروح هو الروح ، في حين أن قرص الشمس بعيد جدا عن الشمس .

3590 - ومن هنا فقد قنع السالك بقرص واحد من الخبز ، حتى ألقي به النور ساميا به إلي قرص الشمس .
- وذلك لأن هذا النور الموجود في الأسافل ، ليس دائما ليل نهار بل هو افل .
- وذلك الذي له قرص الشمس مسكن ومكان ، يكون غارقا في ذلك النور دائما .
- فلا السحاب يقطع الطريق عليه ولا الغروب ، لقد نجا من الفراق الذي يسبب الدق علي الصدور .
- ومثل هذا الشخص أصله من الأفلاك ، وإن كان من التراب فقد تبدل .

3595 - فلا قدرة للمخلوق من تراب علي أن يشرق عليه شعاع شمس " الحقيقة " علي الدوام .
- ولو كان نور الشمس يشرق علي التراب دائما ، لاحترق بحيث لا يتأتي منه ثمر .
- ودائما ما يكون عيش السمك في الماء ، فمتي تكون للحية رفقة معه ؟
- لكن الحية في الجبل ذات فنون ، وتقوم في ذلك الجبل بما يقوم به السمك في الماء .
- وإذا كان مكرها يفتن الخلق ، يظل نفورها من البحر فاضحا إياها .

3600 - وفي هذا اليم تكون الأسماك ذوات فنون كثيرة ، بحيث تحول الحية من سحرها إلي سمكة . " 1 " - وحيتان قاع بحر ذي الجلال ، قد علمها البحر السحر الحلال .
- وقد صار المحال من قدرتها حالا ، لقد ذهب إليها شؤما فصار حسن الفأل . " 2 "

....

(1) ج / 8 - 447 : فإن كنت حية كن قرينا للأسماك ، حتى تصبح في سير دائم كالأسماك .
(2) ج / 8 - 447 - 448 : - لقد مضي السم إلي هناك وصار شهدا يقينا ، ومضي الحجر إلي هناك وصار درا ثمينا - وصار التراب ذهبا والحصي درا والقدم رأسا ، ولا تري عين البشر .

- وإن حدثتك حتى القيامة هذا الحديث ، فإنما تمضي مائة قيامة ويظل ناقصا .

آداب المستمعين والمريدين عند فيض الحكمة
من لسان الشيخ

- إن تكرار هذا الكلام علي " أسماع " الحزاني ، هو بالنسبة لي اكتساب عمر متجدد .

3605 - وضوء الشمعة أفضل من البرق المتكرر ، والتراب من الحرارة المتوالية يصير ذهبا .
- وإن كان هناك آلاف الطلاب وأحدهم ملول ، لتعطل الرسول عن أداء الرسالة .
- فهؤلاء الرسل هم المتحدثون بضمير السر ، ويريدون مستمعا له طبع إسرافيل .
- وعندهم قوة الملوك وكبرياؤهم ويريدون من أهل الدنيا إطاعة والتوقير .
- وما دمت لا تقدر ادابهم حق قدرها ، فكيف تستفيد من رسالاتهم ؟

3610 - ومتي يوصلون تلك الأمانة إليك ، ما لم تكن راكعا أمامهم ومنحنيا ؟
- ولماذا يكون كل أدب من أدبهم مقبولا مستحسنا ؟ هذا لأنهم قد جاءوا من الإيوان العالي .
- وليسوا بالشحاذين ، يمنون عليك كل خدمة يؤدونها لك أيها المزور !
- لكن ، حتى علي من لا رغبة لديهم أيها الضمير ، انثر صدقة السلطان ولا تحبسها عنهم .
- ويا رسول السماء انطلق بجوادك عاديا ، ولا تلق بالا إلي هؤلاء الملولين في الدنيا .

3615 - وسعيد ذلك التركي الذي يسعر الوغي ، ويقفز جواده في خندق النار .
- ويجعل جواده منطلقا " هائجا " متحمسا ، بحيث يتجه به إلي عنان السماء .
- وقد أغمض عينيه عن الغير " والغيرية " ، وأحرق الأخضر واليابس كأنه النار .
- وإن عاب عليه نادم وعذله ، فإنه قد أضرم النار في الندم منذ البداية .
- والندم نفسه لا ينجو من العدم ، عندما يتعرض لحرارة صاحب قدم .

معرفة كل حيوان لرائحة عدوه وحذره منه وبطالة ذلك الشخص وخسارته ذلك الذي يكون عدوا لأحد لا يمكن الحذر منه ولا الفرار ولا اللقاء معه

3620 - إن الجواد يعرف زئير الأسد ورائحته ، هذا بالرغم من أنه حيوان إلا فيما ندر .
- بل إن كل حيوان يعرف عدوه ، " يعرفه " من رائحته أو من الآثار " التي يتركها خلفه " .
- وفي النهار لا يجرؤ الخفاش علي الطيران ، فيخرج ليلا كاللصوص يلتمس قوته .
- فهو أكثر حرمانا من كل المخلوقات ذلك الخفاش ، وذلك لأنه عدو للشمس " الساطعة " المنتشرة .
- فلا هو يستطيع أن يطعنها في قتال ، ولا يستطيع أن يجعلها مكروهة بلعناته .

3625 - وأين هي الشمس التي تتواري بالحجاب ، من جراء حزن الخفاش أو غضبه .
- فهي في غاية اللطف والكمال ، ومتي يصير مجرد " خفاش " واقفا في طريقها ؟
- فإذا عاديت ، عاد علي قدر طاقتك ، حتى يكون ممكنا أن تتغلب علي عدوك .
- وعندما تتحدي قطرة الماء المحيط ، فهي بلهاء تقتلع لحيتها عبثا .
- وحيلتها هذه لا تجاوز شواربها ، وكيف تمزق دائرة حجرة الشمس ؟ .

3630 - وهذا هو ملامي لعدو الشمس يا عدو شمس الشمس .
- يا عدو الشمس التي من عظمتها ، ترتعد الشمس " ويرتعد معها " كل كوكبها .
- وأنت لست عدوا لها بل عدو لنفسك ، وأي بأس علي النار إن صرت حطبا لها ؟
- فواعجباه إن أصابتها قلة من احتراقك ، أو إن امتلأت غماً من ألم احتراقك .
- إن رحمته سبحانه وتعالي مختلفة عن رحمة الإنسان فإن رحمة الإنسان غالبا ما تكون ممتزجة بالشفقة .

3635 - فرحمة المخلوق تكون ممتزجة بالشفقة إذن ، ورحمة الخالق مبرأة من الغم والحزن .
- فأعلم أيها الأب أن رحمة من لا مثيل له هي هكذا ، ولا يمكن أن تتصور إلا أثارها ! !

الفرق بين معرفة الشئ بالمثال والتقليد ومعرفة ماهية هذا الشئ
- إن اثار رحمته وثمارها ظاهرة ، لكن متي يعرف - غيره سبحانه - ماهيتها .
- ولا يعرف أحد مطلقا ماهيات أوصاف الكمال اللهم إلا بالآثار والمثال .
- إن الطفل لا يعرف ماهية الجماع ، إلا أن تقول له : إنه كالحلوي بالنسبة لك .

3640 - ومتي تكون ماهية لذة الجماع مثل الحلوي أيها السيد المطاع ؟
- لكن ذلك العاقل مثل لك المتعة ما دمت كالطفل - وذلك حتى يعرفها الطفل بالمثال ، إن لم يعرف الماهية وعين الحال .
- إذن فإن قلت أعلم ، فالأمر ليس ببعيد ، وإن قلت : لا أعلم فقولك ليس كذبا وبهتانا .
- وإذا سألك أحد : هل تعرف “ نوحا “ ؟ رسول الحق ذلك ونور الروح .

3645 - فإذا قلت : كيف لا أعرفه وذاك القمر ، أكثر شهرة من الشمس والقمر .
- والأطفال الصغار في الكتاتيب ، وأولئك الأئمة جميعا في المحاريب .
- يقرأون أسمه عيانا في القرآن ، ويرددون سيرته بفصاحة من “ كتب “ الماضين .
- فأنت صادق إذ تعرفه من وصفه ، بالرغم من أن ماهية نوح لم تكشف لك .
- وإذا قلت : أي علم لي بنوح ، إنما يعرفه من هو مثله أيها الفتي .

3650 - إنني نملة عرجاء فأي علم لي بالفيل ، ومتي “ يتأتي “ للبعوضة أن تعرف إسرافيل ؟ .
- فهذا الكلام أيضا صدق . . لأنك لم تعرف ماهيته يا هذا .

- والعجز عن إدراك الماهية يا عماه ، حالة العامي فلا تتحدث علي الإطلاق .
- وذلك أن الماهيات وأسرار أسرارها ، تكون أمام عيون الكاملين عيانا .
- فأي شئ أكثر بعدا عن الفهم والاستبصار ، من سر الحق وذاته ؟

3655 - وما دام " هذا السر " لا يخفي عمن أذن لهم ، فأي ذات وأي صفات تبقي في الخفاء ؟
- إن عقل البحث يقول : إن هذا أمر عميق بعيد " الغور " ، وهو بدون تأويل محال فقلل الاستماع إليه .
- فيرد القطب قائلا : يا واهن الحال ، أهناك محال يأتيك فوق حالك ؟
- والواقعات التي كشفت لك الآن ، ألم تكن تبدو لك في البداية محالا ؟
- وما دام الحق قد حررك من السجون العشرة ، فلا تجعل التيه حبسا ظالما لك " 1 " .

الجمع والتوفيق بين النفي والإثبات لشئ واحد عن طريق النسبة وإختلاف الجهة

3660 - إن نفي الشيء الواحد وإثباته في الوقت نفسه " أمر جائز " ، فعندما تختلف الوجهة تكون النسبة اثنتين .
- فاية " ما رميت إذا رميت " من وجهة نظر النسبة ، نفي وإثبات وكلاهما قائم .
- إنك قد رميت إذا إن الأمر قد تم علي يدك ، وأنت " ما رميت " إذ إن القوة من الله سبحانه وتعالي .

....

(1) ج / 8 - 466 : وما دمت قد وجدت الخلاص من مائة بلاء مر ، فلا تجعل الفقر عليك عناء ونصبا - وخذه هونا حتى لا يصير بالنسبة لك مشكلة صار السكر سما قاتلا لك فامض نحو بحثك يا أبا الحسن يكفي لهذا الكلام نهاية يا عزيزي .

- وقوة الآدمي ذات حدود ، ومتي كان لقبضة تراب هزيمة جيش ؟
- إن القبضة قبضتك والرمي منا ، ومن هنا يجوز إثباتها ويجوز نفيها .

3665 - يعرفون الأنبياء أضدادهم ، مثلما لا يشتبه أولادهم " 1 " .
- " نعم " ، إنهم يعرفونهم كما يعرفون أبناءهم ، يعرفهم أولئك المنكرون بمائة دليل ومائة علامة .
- لكنهم يخفون هذه المعرفة حقدا وحسدا ، ويتظاهرون بأنهم لا يعرفون .
- وما دام يعرف هذا الأمر ، كيف قيل في موضع اخر : لا يعرفهم غيري فذر الحديث " عنهم " جانبا .
- إنهم تحت قبابي كامنون ، لا يعرفهم إلا الله سبحانه وتعالي وعن تجربة وامتحان .

3670 - فافترض هذا الموضوع أيضا علي سبيل النسبة ، كما " تفترض " أنك تعرف نوحا ولا تعرفه " 2 " .

مسألة فناء الدرويش وبقائه

- قال قائل : ليس في الدنيا درويش ، وإن كان ثم درويش فليس بدرويش .
- فهو " باق " من ناحية بقاء ذاته ، لكنه أفني صفاته في صفات الحق .
- مثل شعلة الشمعة أمام الشمس ، تكون فانية لكنها موجودة في الحساب .
- وتكون ذاتها موجودة بحيث إنك عندما تضع قطعة من القطن " عليها " تحترق من لهبها .

....

(1) بالعربية في المتن .
(2) ج / 8 - 472 : وكثير من أمثال هذا ورد في الخبر ، يمكن يا عزيزي أن يكون بالنسبة معتبرا .

3675 - وتكون فانية فهي لا تمنحك ضياء ، إذ تكون الشمس قد أفنتها "في نورها ".
-وعندما تضع في مائتي " من " من الشهد أوقية واحدة من الخل وتذيبها فيها.
-لا تجد طعم الخل موجودا عندما تتذوق الشهد ، لكن هناك أوقية زائدة عندما تزن " الشهد ".
-وأمام أحد الأسود فقد أحد الغزلان الوعي، وصار وجوده محجوبا أمام وجود "الأسد ".
-وهذا هو قياس الناقصين في أمر الرب ، إنه يشبه غليان العشق وليس من ترك الأدب.

3680 - إن نبض العاشق ليقفز متزايدا بلا أدب ، فيضع نفسه في كفة واحدة مع المليك.
-فليس هناك من هو أقل أدبا منه في العالم ، لكن ليس في الحقيقة من هو أكثر منه تأدبا.
-فاعتبر هذين الضدين : مؤدب أو بلا أدب علي سبيل النسبة أيضا أيها المنتجب.
-إنه بلا أدب عندما تنظر نظرة ظاهرية ، فدعوي العشق عنده مطامنة " لمن لا يطامن " ! !
- وعندما تنظر نظرة الباطن فأين الدعوى : إنه ودعواه فانيان أمام ذلك المليك ! !

3685 - وفي عبارة " مات زيد " إذا كان زيد فاعلا ، إنه ليس بالفاعل إنه مجرد عاطل ! !
- إنه حقيقة - من الناحية النحوية - فاعل ، وإلا فهو " في الحقيقة " مفعول به والموت قاتله.
-فأي فاعل هذا الذي صار مهزوما هكذا ، بحيث انتفت عنه كل الأفعال

[قصة وكيل صدر جهان]

قصة وكيل صدر جهان الذي أتهم وهرب من بخارى خوفا على حياته ، ثم جذبه عشقه مسحوبا على وجهه ذلك أن أمر الروح يهون على العاشقين

- في بخاري اتهم عبد لصدر جهان ، فاختفي بعيدا عن أنظار " صدره " هذا .
- وساح شريدا طيلة عشر سنوات ، حينا في خراسان وحينا في قوهستان وحينا في رشت .

3690 - وبعد هذه السنوات العشر صار مهدودا من الاشتياق ومن مكابدة أيام الفراق .
- فقال : لم يتبق لي طاقة علي بعد ، وكيف يستطيع الصبر أن يطفئ " لواعج " الاستئصال .
- فمن الفراق يسرع الخراب نحو هذه الأراضي ، ويصفر الماء ويصيد أسنا كدرا .
- والريح التي تنعش الأرواح تصير وخمة رتتحول إلي وباء ، والنار تصير ترابا ثم هباء .
- والحديقة التي تشبه الجنة تصير دار مرض ، تصفر أوراقها وتتساقط نحو الهلاك .

3695 - والعقل الدراك يصير من فراق الأحبة ، كأنه رام بالسهم قد كسر قوسه .
- وقد صار الجحيم هكذا محرقا من الفراق ، وصار الشيخ مرتعدا هكذا من الفراق ! !
- وإن تحدثت عن الفراق الذي هو كالشرر حتى القيامة ، فإن ما أقوله لا يزيد علي جزء من مائة ألف جزء .

- إذن فلتقصر القول في وصف حرقته ، وقل : يا رب سلم ، يا رب سلم ، فحسب .
- وكل ما تصير فرحا منه في الدنيا ، فكر في فراقه “ في لحظة الفرح به نفسها “ .

3700 - فرب شخص فرح مما فرحت به ، ثم تسرب من يديه وصار كالهباء .
- وهو لا محالة سوف يتسرب منك فلا تعلق القلب به ، وفر أنت منه قبل أن يفر هو منك .

ظهور الروح القدس في صورة إنسان لمريم عليها السلام
بينما كانت عارية تغتسل ولجوءها إلى الله تعالى

- ومثل مريم عليها السلام ، قل قبل فوت المِلْك “ إني أعوذ بالرحمن منك “ .
- رأت مريم وجودا صوريا شديد الفتنة منعشا للروح سالبا للقلب بينما كانت في خلوتها .
- انبثق أمامها ذلك الروح الأمين فوق الأرض ، وكأنه القمر “ في بهائه “ والشمس معا .

3705 - أنبثق من لأرض جميلا بلا نقاب ، مثلما تنبثق الشمس من المشرق .
- وارتعدت فرائص مريم ، فقد كانت عارية ، وخافت من الغواية .
- ذلك أنه قد ظهر في “ صورة “ لو شاهدها يوسف عيانا ، لقطع يديه كما فعلت النسوة .
- وكالوردة نبت أمامها من الطين ، ، مثل خيال يطل من القلب .
- فغابت مريم عن وعيها ، وفي إغمائها ، قالت : إنني أفر وألجأ إلي حمي الله .

3710 - ذلك انها اعتادت ، طاهرة الذيل تلك ، أن تلقي أحمالها عند الفرار علي الغيب .
- وعندما رأت الدنيا ملكا بلا قرار ، اتخذت بحزم حصنا من تلك الحضرة .
- وحتى يكون لها حصن عند الموت ، وكي لا يجد الخصم طريقا إلي مقصده .
- لم تر حصنا أفضل من ملاذ الحق ، فاختارت مفرا لها بالقرب من ذلك الحصن .
- وعندما رأت تلك النظرات المحرقة للعقل ، والتي كانت تصيب بسهامها الأكباد .

3715 - بحيث صار الملك وجيشه عبيدا لها ، وسادة الوعي صاروا بلا وعي أمامها .
- ومئات الآلاف من الملوك سقطوا في رقها ، ومئات الآلاف من البدور أضناهم النحول .
- ولا جرأة لكوكب الزهرة علي التنفس أمامها ، وعندما يراها العقل الكلي يكف عن الحديث .
- وماذا أقول ؟ لقد سمرني في مكاني ، ومنبع أنفاسه أحرق منبع أنفاسي ! .
- وأنا دخان لهذه النار ، وأنا دليل علي وجودها ، لا : حاشاه هذا المليك ، " باطل " ما عبروا ! ! .

3720 - فلا يكون دليلا علي الشمس ، إلا نور الشمس الشامل الممتد ! ! .
- فماذا يكون الظل حتى يكون عليه دليلا ؟ إنما يكفيه أن يكون له ذليلا ! !

- وكفاه جلاله دليلا صادقا عليه ، وكل الإدراكات من بعده فهو سابق " عليها " .
- وكل الإدراكات " تسعي " علي حمر عرجاء ، وهو بمثابة الراكب علي الريح المنطلقة كالسهم .
- فإن فر لا يلحق أحد بغبار جواد المليك ، وإن فروا هم فإنه يأخذ عليهم الطريق " من نهايته " .

3725 - وليس لكل الإدراكات راحة أو هجوع ، إنه أوان المعركة وليس وقت الكأس .
- فذاك عابد لوهم ، يطير كالبازي ، واخر كالسهم يمزق ما ينفذ منه .
- والثالث كسفينة ذات شراع ، والرابع يسير القهقري في كل لحظة .
- وعندما يبدو لها صيد علي البعد ، تزيد تلك الطيور كلها في هجومها .
- وعندما يختفي " هذا الصيد " تزداد حيرتها وتطير كالبوم نحو كل خرابة .

3730 - وتنتظر بعين مغمضة وعين مفتوحة ، حتى يظهر ذلك الصيد المشتهي .
- وعندما يطول الانتظار تقول من الحزن والملال : عجبا ؟ ! أكان هذا صيدا أو خيالا .
- وأولي بها ، ومما تقتضيه المصلحة ، أن تسترد " هذه الطيور " قوتها وقدرتها من ساعة راحة .
- فإذا لم يكن ثم ليل لأحرق كل الخلق أنفسهم سعيا ودأبا وحركة .
- ولأهلك كل إنسان بدنه هوسا ، وحرصا من أجل جمع ما يستطيع جمعه " من منفعة " .

3735 - ويحل بهم الليل كأنه كنز الرحمة ، حتى يخلصهم من حرصهم ساعة من الزمان .
- وعندما يحل بك القبض أيها السالك فهو صلاح لك ، فلا تكن محترق القلب “ من هذا القبض “ .
- ذلك أنك من البسط تكون في حال سعة وإنفاق ، ولكي ينفق المرء لا بد وأن يكون له دخل .
- ولو كان فصل الصيف علي البستان سرمدا ، وسطعت عليه دائما حرارة الشمس .
- لأحرقت منابته من الجذور ، بحيث لا تخضر ثانية تلك “ الجذور “ القديمة .

3740 - وبالرغم من أن شهر “ ديماه “ عابس إلا أنه مشفق ، في حين أن الصيف ضاحك لكنه محرق .
- وعندما يحل بك القبض فانظر فيه إلي البسط ، وكن متهللا ولا تقطب الجبين .
- فالأطفال ضاحكون ، والعلماء عابسون ، مثلما يكون الكبد في حزن وتكون الرئة في سرور .
- وعين الطفل تكون كما تكون عين الحمار مركزه علي معلف ، وعين العاقل دائما متأملة في حساب العاقبة .
- فذاك يري العلف دسما في المعلف ، وهذا يري لنفسه اخر الأمر من القصاب التلف .

3745 - وإن ذلك العلف الذي يضعه القصاب مر ، لأنه وضع “ من البداية “ نيرانا للحمنا .
- فامض وخذ غذاءك من الحكمة ، فقد أعطاها الله بلا غرض ، من محض العطاء .

- وعندما قال لك الحق أيها السالك " كلوا من رزقه " فهمت أن المقصود هو الخبز " ولم تفهم " أنه الحكمة .
- ورزق الحق هو الحكمة في المقام الأول ، ذلك لأنها لا تأخذ بحلقك في نهاية الأمر .
- فإن أغلقت هذا الفم " الذي في الجسد " ، لا نفتح لك ذلك الفم الذي يأكل لقيمات السر .

3750 - وإن فطمت جسدك عن لبن الشيطان ، فإنك تأكل كثيرا من النعم بعد هذا العظام .
- لقد شرحت هذا الأمر نصف شرح كما يغلي الترك اللحم نصف غلية ، فاستمع إلي تمامه من الحكيم الغزنوي .
- إن حكيم الغيب ذاك وفخر العارفين ، يشرح هذا الأمر في " إلهي نامه " .
- لتغتم لكل إياك وخبز الذين يزيدون لك الغم ، لأن العاقل يقتات علي الغم ، لكن الطفل هو الذي يأكل السكر .
- وسكر السرور هو ثمرة بستان الحزن ، فهذا الفرح جرح وذلك الغم مرهم .

3755 - وعندما تصادف الغم احتضنه بعشق ، وانظر من فوق الربوة إلي دمشق .
- والعاقل يري الخمر في العنب ، والعاشق يري في المعدوم وجوداً .
- فأول أمس ، كان الحمالون يتشاجرون وبعضهم يقول للبعض الآخر ، لا تحمل هذا الحمل حتى أحمله أنا كالأسد .
- ذلك لأنهم كانوا يرون في هذا التعب نفعا ، فكان كل منهم يختطف الحمل من الآخر .

- وأين أجر الله من أجر ذلك الذي لا قيمة له ، إن الله يعطيك أجرك كنزا ، والآخر يعطيك جزءا من الدانق .

3760 - إنه كنز الذهب الذي يكون معك عندما ترقد تحت التراب ولا تتركه من بعدك ميراثا .
- إنه يتقدم جنازتك مسرعا ، ويصير مؤنسا لك في القبر والغربة .
- ومن أجل يوم موتك ، كن ميتا في التو واللحظة ، حتى تصير نديما للعشق السرمدي .
- وأثناء ذلك الصبر تري من حجاب الاجتهاد ، الوجه كزهر الرمان كما " تري " جديلتي المراد .
- والحزن هو بمثابة المرأة بالنسبة للمجتهد ، وإلي جوار الضد تتجلي " سمات " الضد .

3765 - فبعد ذلك التعب يبدو ضده الآخر ويسفر عن وجهه أي البسط والعظمة والأبهة .
- وانظر إلي هذين الوصفين في قبضة يدك ، فبعد قبض الكف يأتي البسط يقينا .
- والكف إن كانت منبسطة علي الدوام أو منقبضة علي الدوام فهي كالمبتلاة ولا جدال .
- ومن هذين الوصفين ينتظم عملها وكسبها ، هي كجناح الطائر هذان الحالان مهمان له ولا زمان .
- وعندما اضطربت مريم لحظة من الزمن ، مثلما تنتفض الأسماك عندما توضع علي الأرض .

قول الروح القدس لمريم : أنا رسول الحق إليك فلا تضطربى ولا تحتجبى عنى فهذا هو الأمر .

3770 - صاح بها مظهر الكرم ، إنني أمين الحضرة فلا تجفلي مني .
- ولا تعاندي المتكبرين بالعزة ، ولا تحتجبي عن أولئك الطيبين الذين أذن لهم بالسر .
- هكذا كان يقول ، وشعاع من النور الطاهر ينبعث من فمه في أثر بعضه إلي السماء .
- أتهر بين من وجودي إلي العدم ؟ وأنا في " عالم " العدم ملك وصاحب علم ؟
- إن أمري وكسبي كله من العدم ، لكن صورتي فحسب هي التي توجد أمام السيدة العظيمة .

3775 - فانظري يا مريم ، إنني في صورة شديدة الإشكال ، إنني هلال ، وفي القلب خيال .
- وما دام خيال قد حل في قلبك واستقر ، حيثما تهربين يظل " هذا الخيال " معك .
- الهم إلا الخيال العارض الباطل ، الذي يكون كأنه الصبح الكاذب .
- وأنا كالصبح الصادق من نور الرب ، بحيث لا يحوم ليل أبدا حول نهاري .
- فهيا يابنة عمران ، ولا تحوقلي من وجودي ، فإنني جئت إلي هذا المكان من المكان نفسه الذي تلجئين إليه .

3780 - إن الاستعاذة هي أصل من أصولي وغذاء لي ، ونورها موجود فيّ قبل أن تتفوهي بها .

- إنك تفرين مني إلي الحق ، وأنا مخلوق من ذلك الملجأ فيما سبق .
- وأنا الملجأ والملاذ الذي يكون مخلصا لك ، إنك تطلبين الملاذ مني وأنا الملاذ .
- ولا آفة هناك أسوأ من أن يكون المرء غافلا ، أنت إلي جوار الحبيب لكنك لا تستطيعين إبداء العشق له .
- ولا زلت تظنين أن الحبيب من الأغيار ، وتسمين الفرح " بلقائه " ترحا .

3785 - وهذا النخل الذي هو مظهر من مظاهر لطف الحبيب ، إنما يتحول إلي مشنقة لنا إن كنا لصوصا .
- وهذا المضمخ بالمسك الذي هو جديلة أميرنا ، ما دمنا بلا عقل ، فهو قيد لنا .
- وهذا اللطف الذي يجري في صورة نيل ، ما دمنا فراعنة فهو يتحول إلي نهر من الدم بالنسبة لنا .
- ويقوم الدم : إنني ماء فلا تسكبني ، وأنا يوسف وتعتبرني ذئبا يا كثير الجدل .
- ألست تري أن الحبيب الذي يتحمل " قسوتك " ، عندما تنقلب عدوا له ينقلب هو إلي حية بالنسبة لك .

3790 - إن لحمه وشحمه لم يتغيرا ، إن هذا السوء الذي حل به إنما يبدو من مظهره .

عزم ذلك الوكيل على الرجوع إلى بخارى بلا مبالاة من شدة عشقة

- أترك شمع مريم مشتعلا ، فإن هذا المحترق يمضي إلي بخاري .
- لقد نفد صبره إلي مالا نهاية ، فهو في تنور مضطرم النيران ، وهو يقول لنفسه أمض نحو صدر جهان ولذبه .

- كانت بخاري هذه منبعا للعلم ، ومن ثم فكل من كان عارفا كان منسوبا إلي بخاري .
- وأنت أمام الشيخ كأنك في بخاري ، فلا تنظرن باحتقار إلي بخاري .

3795 - فإن جزره ومده الصعب لا يترك طريقا إلي بخاري قلبه إلا بإبداء الذلة والخضوع .
- وما أسعد ذلك الذي ذلت نفسه ، وويلاه لذلك الذي يرديه تمرده وعدم تسليمه .
- إن فرقة صدر جهان كانت قد مزقت كيانه إربا .
- فقال : لأنهضن ولأمضين إلي هناك ، فإن من قبيل الكفر أن أميل إلي مكان اخر .
- لأمضين إلي ذلك المكان ولأسقط أمامه ، أمام ذلك الصدر خير الفكر .

3800 - وسوف أقول له : لقد ألقيت بروحي أمامك ، فأحيها أو فاذبحني ذبح الشاة .
- إن القتيل والميت أمامك أيها القمر ، أفضل من ملك الأحياء في مكان اخر .
- لقد جربت الأمر آلاف المرات بل أكثر ، ولا أري عيشي حلوا بدونك .
-غن لي يا منيتي لحن النشور * ابركي يا ناقتي تم السرور
-ابلعي يا أرض دمعي قد كفي * اشربي يا نفس وردا قد صفا

3805 -عدت يا عيدي إلينا مرحبا * نعم ما روحت يا ريح الصبا” 1 “ .
- قال : وداعا أيها الرفاق ، إنني ماض نحو ذلك الصدر الذي هو أمير ومطاع .
- إن الحرقة تشويني شيا لحظة بعد لحظة ، إنني ماض إلي هناك وليكن ما يكون .

....
(1) بالعربية في المتن .

- وبالرغم من أنه يجعل القلب كحجر الصوان ، فإن روحي ذاهبة إلي بخاري .
- إنها مسكن الحبيب ومدينة قلبي ، وهكذا يكون حب الوطن بالنسبة للعاشق .

سؤال معشوق لعاشقة السياح : أية مدينة من المدن وجدتها أجمل وأكثر أنسا واحتراما وأوفى نعمة وأكثر شرحا للقلب

3810 - قال معشوق لعاشق : أيها الفتي ، إنك قد رأيت كثيرا من المدن .
- فأيها أجمل ؟ قال : تلك المدينة التي يكون فيها الحبيب .
- وحيثما كان هناك موضع مليكنا . . هو خلاء وإن كان سم خياط .
- وحيثما يكون يوسف كالقمر ، فهو جنة ولو كان قعر جب " 1 " .

منع الأصدقاء له من العودة إلى بخارى ، وتهديده وحديثه بلا مبالاة

- قال له ناصح : أيها الغافل ، فكر في العاقبة إن كنت ذا فضل .

3815 - وانظر إلي ما وراءك وما أمامك بعقل ، ولا تحرق نفسك كالفراشة .
- وعندما تمضي إلي بخاري فأنت مجنون ، خليق بك القيد وجديد ربك السجن .
- إنه يمضغ الحديد غضبا عليك ، ويبحث عنك ويطلبك بحثا لا حد له ! ! " 2 " .

....

(1) ج / 8 - 520 : والجحيم معك جنة يا مزيدا للروح وبدونك يكون الورود والريحان نار جهنم - وحينما تكون معي أكون سعيد القلب ، وإن كله منزلي قعر قبر وأعظم من الدارين أن أكون معك لقد طال هذا الكلام وعاشق صدر جهان ذارف للدموع من الانتظار .

(2) حرفيا : يبحث عنك بعشرين عينا .

- إنه يشحذ من أجلك سكينة ، كأنه كلب في قحط ، وأنت بالنسبة له جوال من الدقيق .
- فما دمت قد نجوت وأعطاك الله طريقا . . " فكيف " تمضي إلي السجن وماذا جري لك ؟ .

3820 - ولو أن خلفك عشرة أنواع من العسس ، للزمك عقل حتى تختفي عن أنظارهم .
- وما دام أحد قط لم يوكل " بمطاردتك " ، فمن أي شئ سد عليك الطريق من قدام ووراء ؟ .
- لقد كان العشق الخفي قد أسره ، ولم يكن ذلك النذير يري ذلك الموكل .
- ولكل موكل موكل خفي ، وإلا فمن أي شئ يكون " المرء " في إسار كلب الطبع ؟
- لقد حط غضب ملك العشق علي روحه ، وسد الطريق علي عذابه وافتضاحه .

3825 - إنه يضربه قائلا : هيا داوم علي ضربه ، وصراخي إنما يكون من أولئك العسس المختفين .
- إن كل من تراه ماضيا في الخسران ، إنما يمضي مع جلاد ، بالرغم من أنك تراه يمضي وحيدا .
- ولو كان واقفا علي وجوده لجأر بالشكوي ، وللجأ منه إلي سلطان السلاطين .
- ولحثا رأسه بالتراب أمام المليك ، حتى ينجيه من ذلك الشيطان المخوف .
- لقد رأيت نفسك أميرا يا أقل من نملة ، ولأنك لم تر ذلك الجلاد فأنت أعمي .

3830 - وقد أصابك الغرور بهذا الجناح والقوادم المزيفين ، فهما جناح وقوادم يجرانك إلي الوبال .
- فإن ذلك الذي يملك جناحا خفيفا يطير به إلي الأعالي ، وعندما يصير ملوثا بالطين ، فإنه يبدي أنواع الأثقال " 1 " .

رد العاشق على الناصح العاذل بلا مبالاة من العشق

- قال : أيها الناصح ، أُصبت ، كفاك كفاك ، وقلل من نصحك فإن القيد شديد الإحكام .
- لقد صار القيد عليَّ أكثر قوة من نصحك ، ذلك أن عالمك لم يعرف العشق .
- وفي تلك الناحية التي زاد فيها العشق الألم ، لم يدرس الشافعي وأبو حنيفة .

3835 - ولا تخوفني بالقتل فإنني شديد العطش إلي دمي .
- وللعشاق في كل لحظة موت ، وموت الشعاق في حد ذاته ليس من نوع واحد .
- إن له مائتي روح من الهَدْي ، يضحي بها كلها في لحظة واحدة .
- وكل روح يأخذها يردها بعشرة أرواح ، وأقرأ في القران " عشر أمثالها " .
- فإن سفك دمي ذلك الحبيب الوجه ، فإنني أضحي بروحي أمامه راقصا .

3840 - لقد جربت الأمر ، وموتي في حياتي ، وعندما أنجو من هذه الحياة فهذا هو الثبات .

....

(1) ج / 8 - 529 : فجاهد حتى لا تلوث الجناح بالطين ، لكن أذنك صماء ونصيحتي قديمة . لقد نصحة كثيرا ذلك العاذل الخالي من الألم كأنه طائر القفنوس .

-” اقتلونى اقتلونى يا ثقات * إن في قتلى حياة في حياة-يا منير الخد يا روح التقى * أجتذب روحي وجد لي باللقا-لي حبيب حبه يشوى الحشا * لو يشا يمشى على عيني مشا “ 1 “
- هيا تحدث بالفارسية بالرغم من أن العربية أحلي ، وللعشق في حد ذاته مائة لغة أخري .

3845 - وعندما يتضوع أريج ذلك الحبيب ، تتحير كل هذه اللغات .
- ولأقصر ، لقد ورد ذكر الحبيب في الحديث ، فاستمع ، والله أعلم بالصواب .
- وعندما يتوب العاشق ، ليحل بك الخوف آنذاك ، فهو كالعيارين يعطي الدروس وهو علي المشنقة .
- وبالرغم من أن هذا العاشق يمضي إلي بخاري ، فإنه يمضي لا إلي درس ولا إلي أستاذ .
- لقد صار حسن الحبيب هو المدرس للعشاق ، ودفترهم ودرسهم وواجبهم المدرسي هو وجهه .

3850 - إنهم صامتون ، لكن صيحات “ وجدهم “ المتوالية تمضي حتى عرش محبوبهم .
- ودروسهم الضجة والدوران والزلزلة ، لا الزيادات أو باب السلسلة .
- إن سلسلة هؤلاء القوم هي جديلة الحبيب الفواحة بالمسك ، والمسألة هي الدائرة ، لكن حول الحبيب .
- فإن سألك أحد عن مسألة الكيس ، فقل له : لا تتسع الأكياس لكنز الحق .
- وإن جري حديث الخلع والمبارأة ، فلا تنظر نظر السوء فإن ما يدور هو حديث بخاري .

....

(1) بالعربية في المتن

3855 - وذكر كل شئ يعطي خاصية ما ، وذلك لأن لكل صفة من الصفات ماهية .
- وفي بخاري تكون ناضجا رشيدا في العلم ، وعندما تتجه نحو الذلة تصبح فارغا من هذه الأمور .
- ولم يكن لذلك البخاري اهتمام بالعلم ، كان يقصر بصره علي شمس الأبصار .
- وكل من وجد طريقا إلي الرؤية في الخلوة ، لا يبحث عن مكنة من " العلم " والمعرفة .
- وعندما يصبح قريعا للكأس مع جمال الحبيب ، يصيبه آنذاك الملال من الأخبار والعلم .

3860 - فالرؤية تكون غالبا متقدمة علي العلم ، ذلك أن الدنيا لا تزال تحلو للوهم .
- وهذا لأنهم يرون الدنيا بأجمعها عينا " حاضرا " ، بينما يرون الدار الآخرة " نسيئة " ودينا " 1 " .

توجه ذلك العبد العاشق إلى بخارى

- اتجه ذلك العاشق الباكي بدموع من دم ، خافق الفؤاد نحو بخاري جادا مسرعا .
- كانت رمال نهر جيحون بالنسبة له كالحرير ، وماء نهر جيحون أمامه كالنبع .
- وكانت تلك الصحراء النسبة له كالروضة ، وكان يتعثر بشرا وسعادة كقاطف الورود .

3865 - والسكر منسوب إلي سمرقند ، لكن شفتيه وجدته من بخاري فصارت مذهبا له .

....
(1) ج / 8 - 533 : عد إلى حديث ذلك الشاب ، الذي صار عاجزا من عشقه لصدر رجهان .

- يا بخاري لقد كنت تزيدين في العقل ، لكنك اختطفت مني العقل والدين .
- إنني أبحث عن البدر ولذلك صرت في “ نحول “ الهلال ، وأبحث عن الصدر في صف النعال هذا .
- وعندما أبصر سواد بخاري ، ظهر بعض البياض في سواد الغم .
- فسقط ساعة مغشيا عليه ممددا ، وطار عقله نحو بستان السر .

3870 - وأخذوا يرشون علي وجهه ورأسه ماء الورد ، وكانوا غافلين عن ماء الورد عشقه .
- كان قد رأي روضة مختفية “ في باطنه “ ، وكانت غارة العشق قد قطعته عن نفسه .
- ولست جديرا - أيها الغث - بهذا النفس ، لست مقرونا بالسكر وإن كنت بوصا .
- إن أسباب عقلك معك فأنت إذن عاقل ، وغافل “ عن “ مضمون الآية القائلة “ جنودا لم تروها “ “ 1 “ .

دخول ذلك العاشق اللامبالى بخارى وتحذير أصدقائه إياه من الظهور

- لقد دخل بخاري سعيدا ، عند معشوقة ودار الأمان .

3875 - مثل ذلك الثمل الذي يطير فوق الأثير ، يحتضنه القمر ويقول له : عانقني .
- وكل من رآه في بخاري قال له : أنهض قبل أن يكتشف أمرك ، لا تمكث ، اهرب .

....
(1) ج / - 541 : هذا الكلام لا نهاية له فسق سريعا حتى يمضى ذلك الفتى إلى بخارى .

- فإن ذلك الأمير يبحث عنك غاضبا ، حتى ينتقم منك انتقاما " جديرا بانتظاره إياك " عشر سنوات .
- بالله ، بالله عليك لاتسع في دمك ، وقلل الاعتماد علي مواجيدك وتعاويذك .
- لقد كنت رئيس شرطة صدر جهان وعظيما ، كنت موضع ثقته ومخططاله ، وأستاذا .

3880 - ولقد غدرت وهربت من الجزاء ، ونجوت فلما ذا علقت ثانية ؟ ! !
- لقد هربت من البلاد بمائة حيلة ، فهل جاء بك البله إلي هنا أم الأجل ؟
- ويا من عقلك يسمو علي كوكب عطارد ، إن القضاء يصيب العقل والعاقل بالحمق .
- ومن نحس الأرنب أن يكون باحثا عن الأسد ، فأين ذكاؤك ؟ وأين عقلك ؟ وأين حذقك ؟
- إن ألاعيب القضاء أضعاف هذا " الذي تري " ، لقد قيل : إن جاء القضا ضاق الفضا .

3885 - وهناك مائة طريق ومهرب من اليمين واليسار ، ولكن القضاء يسمر المرء حيث تكون الأفعي .

جواب العاشق على العاذلين والمهددين

- قال : إنني مستسق يجذبني الماء ، مع علمي بأن الماء يقتلني .
- ولا يوجد مصاب بالاستسقاء يهرب من الماء ، ولو قتله مائة مرة وأفناه .
- فإن تورمت مني اليد والبطن ، فإن عشق الماء لن يقل عندي .
- وأقول عندما أسأل عما أحس به في داخلي ، ليت نهرا يجري في باطني .

3890 - فقل لقربة البطن تمزقي من موج الماء ، فإن مت يطيب لي موتي .
- وحيثما أري جدولا أحسده وأقول : ليتني كنت هو .
- إن اليد كالدف والبطن كالطبل ، وأنا أدق طبول عشق الماء كالورود .
- وإن سفك دمي الروح الأمين ذاك ، فإنني أمتص هذا الدم جرعة جرعة كالأرض .
- إنني كالأرض وكالجنين أكل للدم ، ومذ أن صرت عاشقا فهذا هو عملي .

3895 - وإنني أغلي فوق النار طوال الليل كالقدر ، وطول النهار حتى الليل أتشرب الدم كالرمال .
- وإنني إن ندمت علي شئ ، فإنما ندمي علي أنني دبرت وهربت من مراد غضبه .
- فقل له : سق غضبك علي روحي الثملة ، إنه عيد الأضحي والعاشق أضحيته .
- والبقرة إذ ترقد أو تأكل شيئا ، فإنها إنما تربي من أجل الذبح والعيد .
- فأعلم أن بقرة موسي وهبتني الروح ، وكل جزء مني حشر لكل حر .

3900 - كانت بقرة موسي أضحية لكن أقل جزء منها صار حياة لقتيل .
- لقد قفز ذلك القتيل واقفا ناجيا من الأذي ، عندما خوطب ب " اضربوه ببعضها " .
- " يا كرامي اذبحوا هذا البقر إن أردتم حشر أرواح النظر " 1 " .
- لقد مت من الجمادية وصرت ناميا ، ومت من النماء وانقلبت حيوانا .
- ومت من الحيوانية وصرت إنسانا ، إذن فمن أي شئ أخاف ؟ ومتي نقصت من الموت ؟

....

(1) بالعربية في المتن .

3905 - وأموت مرة أخري من البشرية ، حتى أخذ من الملائكة أجنحتها وقوادمها .
- ومن الملائكية ينبغي أن أقلع عن الطلب ، ذلك أن كل شيء هالك إلا وجهه .
- ثم أصير بعدها فداء من الملائكية ، وأصير إلي ما لا يحده وهم .
- إذ أصير عدما والعدم كالأرغنون ، يتغني لي قائلاإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ.
- فاعلم أن الموت هو ما اتفقت عليه الأمة ، من أن ماء الحيوان مخبوء في الظلمة .

3910 - وكالنيلوفر إمض من هذا الطرف من الجدول ، وكن كالمستسقي طالبا للموت بحرص .
- إن الماء موته وهو باحث عن الماء لكي يشربه والله أعلم بالصواب .
- فيا أيها العاشق الغث الفاتر ، يا عاشقا ملوث اللباد ، يهرب من الأحبة خوفا على حياته .
- فصوب سيف عشقه يا عارا حتى على النساء ، انظر إلي آلاف الأرواح تصفق فرحة .
- لقد رأيت جدولا فصب إناءك في الجدول ، فمتي يكون للماء مهرب من الجدول ؟ .

3915 - وعندما يصير ماء الإناء (فانيا) في ماء الجدول ، ينمحي فيه ويصير الجدول إياه .
- لقد فنيت أوصافه وبقيت ذاته ، ومن ذلك الوقت فصاعدا لا ينقص ولا يكون سيىء اللقاء .
- لقد علقت نفسي “ مشنوقا “ على نخله ، اعتذارا مني علي أنني كنت قد هربت منه .

لقاء ذلك العاشق بمعشوقة عندما نفض اليد من روحه
- وكالكرة ساجدا على وجهه وعلى رأسه ، مشي صوب ذلك الصدر بعين دامعة " 1 " .
- والخلق جميعا منتظرون كأن على رؤوسهم الطير " 2 " ، " يتساءلون " هل سيشنقه أو يصلبه ؟

3920 - ففي هذه اللحظة يبدي الزمان سوء المال لهذا الأحمق الشديد الحمق .
- إنه كالفراشة رأى الشرر نورا ، فوقع فيه بحمق وفقد فيه روحه .
- لكن شمع العشق ليس كهذا الشمع ، إنه نور في نور في نور .
- إنه على عكس الشموع النارية ، إذا إنه يبدي النار لكنه بأجمعه خير ولذة .

وصف ذلك المسجد الذي كان قاتلا للعشاق وذلك العاشق الباحث عن الموت اللامبالى الذي نزل ضعيفا فيه

- استمع إلي حكاية يا مبارك الخطا ، كان هناك مسجد في أطراف مدينة الري .

3925 - ولم يكن أحد ينام فيه ليلة فقط ، إلا وتيتم أطفاله من الرعب الذي ينزل به في تلك الليلة .
- وكثيرا ما ذهب إليه غريب لا مأوي له ، وفي تنفس الصباح ذهب إليه قبره كما تمضي النجوم " بعد ذهاب الليل " .
- فاجعل نفسك عارفا بهذا الأمر جيدا ، لقد أتي الصبح فاقصر النوم .

....
(1) ج / 8 - 556 : ويوجه كالزعفران ودمع جار ، ذهب ذلك المسلوب القلب صوب صدر جهان - وفي يده السيف والكفن لأنه كان عاشقا دائر الرأس
(2) حرفيا : كان رؤوسهم في الهواء .

- وكان من الناس من يقول : إن فيه جنا غاضبة تقتل الضيوف بسيف مثلوم .
- وكان اخر يقول : إنه سحر وطلسم رصد ليكون عدوا للروح خصما لها .

3930 - وكان ثالث يقول : إن هناك نقشا ظاهرا على بابه فحواه : أيها الضيف لا تبق هنا .
- لا تنم هنا ليلا إن كنت حريصا على حياتك ، وإلا فإن الموت قد نصب لك هنا كمينا .
- وكان رابع يقول : أغلقوه ليلا وأن جاءه غافل فامنعوه .

مجى ضيف إلى المسجد .

- حتى جاء ضيف في الليل ، كان قد سمع عن هذا الصيت العجيب .
- كان " يريد " أن يجرب الأمر محض التجربة ، إذ كان شديد الرجولة ملولا من حياته .

3935 - قال : إنني لست ابه بالجسد ، فافرض أن حبة من كنز الروح قد ضاعت .
- فقل لصورة الجسد امض في سبيلك فمن أكون ؟ إن الصور لا تقل ما دمت باقيا ! !
- فما دمت مصداقا لقوله تعالى نَفَخْتُ *من لطفه تعالى ، فإنني أكون " في الحقيقة " نفخة الحق منفصلا عن ناي الجسد .
- حتى لا يسقط صوت نفخته في هذا الطرف ، وحتى يتخلص هذا الجوهر من ضيق الصدف ! ! .
- وما دام قد قال : تمنواالْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ *، فإني صادق أضحي بروحي على هذا القول .

لوم أهل المسجد لذلك الضيف العاشق علي عزمه النوم فيه ليلا وتهديدهم إياه

3940 - قال له القوم : انتبه ولا تنم هنا ، حتى لا يدقك أخذ روحك كالكُسب .
- فإنك غريب ولا تعلم ما هو الحال ، فكل من نام هنا جاءه الزوال .
- وليس هذا الأمر بالصدفة فقد رأيناه مرات ومرات ، وكل أصحاب النُهي رأوه أيضا .
- وكل من جعل هذا المسجد مسكنا له ليلا ، جاءه الموت كسم الهلاهل في منتصف الليل .
- لقد رأينا هذا الأمر ليس مرة بل مائة مرة ، ولم نسمعه من أحد ونقوله علي سبيل التقليد .

3945 - ولقد قال الرسول عليه السلام : " إن الدين النصيحة " ، والنصيحة في اللغة ضد الخيانة والغلول .
- إن هذه النصيحة استقامة في الصداقة ، وفي الغلول الخيانة والنتن .
- إن هذه النصيحة لا خيانة فيها ونبديها لك ودا ، فلا ترجع عن " طريق " العقل والعدل .

جواب العاشق على العاذلين

- قال : أيها الناصحون إنني لا أحس بالندم ، ولقد مللت من عالم الحياة .
- إنني مشرد باحث عن الجرح راغب فيه ، فقلل طلب العافية من المشرد في الطريق .

3950 - وليس بالمشرد الذي يكون باحثا عن الزاد لنفسه ، إنني مشرد لا مبال باحث عن الموت .
- وليس العاطل هو الذي يحصل على المال لكفه ، بل هو الجَلْد الذي يعبر هذا الجسر .

- إنه ليس ذلك الذي يعرج على كل دكان ، بل هو الذي يفر من الكون ويحصل على المنجم .
- إن الموت حلو ونقلي من هذه الدار ، مثل ترك الطائر للقفص وطيرانه منه .
- وذلك القفص في قلب البستان ، بحيث يري الطائر الروضة والشجر .

3955 - وجوقة الطيور خارج القفص حوله ، تغرد سعيدة وتقص القصص عن الحرية .
- والطائر الحبيس ليس له من هذه الروضة طعام ، ولا صبر له عنها ولا قرار .
- إنه يخرج رأسه من كل فجوة ، ربما يخلع هذا الغل من قدميه .
- وإذا كانت روحه وقلبه خارج القفص وهو حبيس ، فكيف يكون الحال عندما يفتح باب هذا القفص ؟
- فهو ليس مثل ذلك الطائر الموجود في القفص ويتجرع الأحزان ، لأن القطط تتحلق حول قفصحه هذا .

3960 - فمتي يكون له في هذا الخوف والحزن رغبة في الخروج من القفص ؟
- إنه بسبب هذا المترصد السيء يريد أن تكون مائة قفص أخرى حول هذا القفص ! ! .

عشق جالينوس لهذه الحياة الدنيا لأن فنه يصلح لهذا المكان ،
ولم يزاول فنا يصلح في ذلك السوق
ومن هنا يرى نفسه مساويا للعوام

- إن هذا يشبه ما قاله جالينوس العظيم ، من هواه في هذه الدنيا ومن مراده فيها .

- “ إنني راض أن تبقي مني نصف روح ، أو أن أري الدنيا من مؤخرة بغل “ .
- إنه يري القطط صفا حوله “ تترصده “ ، فكان طائره يائسا من الطيران .

3965 - أو أنه رأي عدما ما سوي هذه الدنيا ، ولم ير في العدم حشرا كامنا .
- مثل الجنين الذي يجذبه الكرم خارجا ، لكنه يهرب منه متجها نحو البطن .
- إن اللطف يوجهه نحو مصدره ، لكنه يجعل لنفسه مقرا في بطن أمه .
- قائلا : إنني إن خرجت من هذه المدينة التي أحبها ، فهل أري بالعين - واعجباه - هذا المقام ؟
- ولو أن بابا كان موجودا في تلك المدينة الضيقة ، أستطيع أن أنظر منه إلي داخل الرحم ؟

3970 - أو أنه كان لي طريق كسم الخياط بحيث يصير الرحم مرئيا لي وأنا خارجه ! !
- فذلك الجنين بدوره غافل عن عالم رحب ، وهو مثل جالينوس لم يؤذن له .
- وهو لا يعلم أن تلك الرطوبات الموجودة حوله ، ذات مدد من عالم خارجي .
- وهي شأنها شأن العناصر الأربعة في الدنيا ، تأتي بمائة مدد من مدينة اللامكان .
- وأن “ الطائر “ وإن كان قد وجد الماء والحب في القفص ، فإنما قد جلبت إليه من البستان والساحة .

3975 - وأن أرواح الأنبياء ترى البستان وهي في ذلك القفص في وقت الانتقال والفراغ “ من الجسد “ .

- ومن ثم فهم فارغون من جالينوس والعالم ، وهم بازغون في الأفلاك كالقمر .
- وإن كان هذا القول لجالينوس قد تقول عليه ، فإن جوابي هذا ليس علي جالينوس .
- وجوابي علي من قال هذا القول ، فلم يكن مقترنا بقلب مليء بالنور .
- صار طائر روحه فأرا باحثا عن جحر ، عندما سمع من القطط قول " عرجوا " ! ! .

3980 - ولهذا السبب فإن روحه رأت جحر الدنيا هذا وطنا ومستقرا كالفأر .
- بل وقام بالبناء في هذا الجحر ، واكتسب علما جديرا بهذا الجحر .
- والحرف التي كانت بالنسبة له في ازدياد ، قد اختارها بحيث تصلح لهذا الجحر .
- وذلك أنه جعل القلب مصروفا عن الخروج ، فانغلق أمامه طريق الخروج من البدن .
- ولو كان للعنكبوت طبع العنقاء ، فمتي كان " يعن " له أن ينصب خيمة من لعابه ؟

3985 - لقد مدت القطة مخلبها في القفص ، واسم مخلبها هذا : المرض والدوار والمغص .
- والقط هو الموت ، والمرض مخلبه ، يمده نحو الطائر ونحو جناحه وقوادمه .
- فيقفز " المريض " من ركن إلي ركن باحثا عن الدواء ، والموت كالقاضي والمرض كشاهد " الإثبات " .
- ولما كان الشاهد مبعوثا من القاضي ، فإنه يستدعيك حتى مقر الحكم

- وأنت تريد مهلة منه قاصدا الهروب ، فإن قبل تم الأمر ، وإلا قال لك : انهض بنا .

3990 - وطلب المهلة هو الدواء والعلاج ، فأنت ترقع بها خرقة الجسد .
- ثم يأتيك في النهاية ذات صباح غاضبا قائلا : حتام تمتد هذه المهلة ، ألا فلتخجل أخرا .
- فاطلب عذرك من المليك يا مليئا بالحسد ، قبل أن يحل بك مثل هذا اليوم .
- وذلك الذي يسوق جواده في الظلمة ، يقتلع قلبه من رؤية ذلك النور دفعة واحدة .
- إنه يهرب من الشاهد ومقصده ، لأن ذلك الشاهد إنما يدعوه نحو القضاء " 1 " .

لوم أهل المسجد للضيف مرة أخرى على عزمه النوم في المسجد

3995 - دعك من هذا وانتقل إلي " الحديث " عن ذلك الشخص الذي جاء ضيفا علي المسجد تلك الليلة .
- قال له القوم : لا تتظاهر بالشجاعة وامض ، حتى لا تصير روحك وجسدك رهنا " للأجل " .
- انظر جيداً لذلك الذي يبدو لك سهلا من علي البعد ، إن المعبر سوف يكون شاقا وعرا في نهايته .
- فكثيرا ما ظن الرجل نفسه قويا وشجاعا ، وعند المعمعة يبحث عن معين ومنقذ .
- ومن السهل قبل الواقعات أن يكون في قلوب الناس تصور الخير والشر .

....
(1) ج / 8 - 566 : وفجأة يقبضون عليه ذليلا حقيراً جارين إياه نحو القاضي .

4000 - وعندما يدخل المرء إلي المعمعة ، يصير الأمر ذلك الزمان علي المرء صعبا .
- وما دمت لست بالأسد ، فحذار ولا تخط خطوة واحدة إلي الأمام ، فإن ذلك الأجل ذئب وروحك شاة .
- وإن كنت من الأبْدَال ، وتبدلت شاتك إلي أسد ، فتعال مطمئنا فقد طأطأ الموت رأسه أمامك .
- ومن الأبْدَال ؟ إنه ذلك الذي يصير مبدلا ، وتصير خمْره خلا من تبديل الله .
- لكنك ثمل ، فريسة للأسد تظن نفسك أسدا فانتبه ولا تتقدم .

4005 - وقد قال الحق عن أهل النفاق الخالين من السداد إن بأسهم بينهم شديد .
- إنهم بينهم وبين أنفسهم كالرجال ، لكنهم عند الغزو كالنساء " القابعات " في البيوت .
- وقال الرسول عليه السلام وهو قائد الغيوب : لا شجاعة يا فتي قبل الحروب .
- إنهم عند التشدق بالغزو يدقون الأكف ثملين ، وعند المعمعة كالزبد " يذهبون جفاء " بلا فن .
- وهم عند ذكر الغزو طوال السيوف ، وعند الكر والفر تكون هذه السيوف كأنها بصلة ! !

4010 - وعند التدبير تكون قلوبهم باحثة عن الطعان ، وبإبرة واحدة تفرغ هذه القرب من الهواء .
- وإنني لأعجب من الباحث عن الصفاء ، الذي يفر في وقت الصقل من الجفاء .
- ولما كانت مقاساة الجفاء هي الدليل على دعوي العشق ، فإن لم يكن لديك هذا الدليل فدعواك باطلة .

- وعندما يريد هذا القاضي منك الدليل ، فلا يضيقن صدرك ، قبل الحية تجد الكنز .
- وذلك الجفاء لا يكون معك يا بني ، لكنه موجه إلي الصفة السيئة التي تكون داخلك .

4015 - إن الرجل حين يضرب اللبادة بالخشب ، لم يضرب اللبادة في الحقيقة بل نفض عنها الغبار .
- وإذا كان ذلك الغاضب قد ساط الجواد ، لم يسط الجواد لكنه ساط تعثره .
- حتى يتخلص من التعثر ويصير حسن الخطو ، إنك تحبس العصارة حتى تصير خمرا .
- قال أحدهم : لقد ضربت ذلك اليتيم المسكين كثيرا ، فكيف لم تخش من غضب الله ؟
- قالت : متي ضربته أيها الحبيب الصديق ؟ إنني ضربت ذلك الشيطان “ الموجود “ داخله .

4020 - وإذا دعت عليك أمك بالموت ، فإنها تريد موت تلك الخصلة السيئة فيك وموت الفساد .
- وتلك الجماعة “ من المنافقين “ التي فرت من الأدب ، قد أراقت ماء “ وجه “ الرجولة وكرامة الرجال .
- لقد ردهم العاذلون عن الوغي ، حتى بقوا هكذا مأبونين مخنثين .
- وقلل السماع إذن لهزل الهازل ونفاجه ، وإياك أن تمضي إلي القتال مع أمثال هؤلاء .
- ذلك أن الله تعالي قال في شأنهم زادُوكُمْ خَبالًا، وأمركم بأن تشيحوا بالوجوه عن الرفاق الضعفاف .

4025 - إذ إنهم إن صاحبوكم “ لتكشفوا “ من غزاة بلا لب يصبحون كالقش .
- إنهم يجعلون أنفسهم معكم في نفس الصف ، ثم يهربون ويحطمون قلب الصف .
- ومن هنا فجيش قليل العدد دون هذا النفر ، أفضل من أن يكون لجبا ضخما بأهل النفاق .
- كما يكون اللوز القليل المنقي جيداً ، أفضل من الكثير المختلط باللوز المر .
- والمر والحلو سيان إن سمعت صوت “ تفريغهما “ في الجوال ، لكن النقص قد حدث لأن اللب بينهما مختلف .

4030 - والمجوسي يكون خائف القلب ، لأنه من ظنه يعيش دائم الشك في أمر الآخرة
- إنه يمضي في الطريق لا يعرف منزلا ، يضع خطوه خائفا أعمي القلب .
- وكيف يمشي المسافر ما لم يعرف الطريق ؟ إنه يمضي بتردد وقلب مليء بالدم .
- وكل من يقول له : يا هذا ليس هناك طريق من هذه الناحية ، يجعله يتوقف في هذا المكان من الخوف .
- ولو أن قلبه الواعي اليقظ يعلم الطريق ، فمتي تجد كل صيحات “ التحذير “ طريقها إلي أذنيه ؟ .

4035 - إذن فلا تكن رفيق طريق لهؤلاء الجبناء ، ذلك أن الوقت ضيق وهم خائفون يا هذا .
- إنهم يهربون منك تاركين إياك وحيدا ، بالرغم من أنهم عند التشدق بالحديث السحر " الحلال " .
- فهيا ولا تبحث من ربات الدلال عن القتال ، ولا تطلب من الطواويس الصيد والقنص .
- فالطبع طاووس يوسوس لك ، ويفح لك حتى يقتلعك من مقامك .

قول الشيطان لقريش : تعالوا لقتال أحمد فسوف أساعدكم
واستنفر قبيلتى للعون وهروبه عند لقاء السصفين

" 1 "
- إن هذا علي مثال الشيطان ، صار " كأنه قائد " للجيش ، ووسوس لهم قائلا : " إنني جار لكم " .

4040 - وعندما تجهزت قريش اعتمادا علي قوله ، والتقي الجيشان .
- رأي الشيطان جيشا من الملائكة في الطريق إلي صف المؤمنين .
- وأولئك الذين ورد ذكرهم في الآية الكريمة جُنُوداً لَمْ تَرَوْها *قد اطفوا ، استعرت النيران في روحه خوفا .
- فأخذ في التقهقر قائلا : إنني أري جيشا عجبا ! !
- إني أخاف الله ما لي منه عون ، اذهبوا إني أري ما لا ترون " " 2 " .

....
(1) ج / 8 - 584 : مثل الشيطان من وسوستة لقريش ، لقد وسوس لهم قائلا : تعالوا بالجيش - حتى نوقع الهزيمة بأحمد ، ونقتلع جذوره من الأرض . وعندما تجمعت الجيوش ، تحدث معها بالحيلة . قائلا : سوف أتي بقبيلتي ، حتى أكون ظهيرا لكم في الهيجاء ، وأقوم لكم بالعون والمساعدة ، حتى أهزم جيش عدوكم .
(2) بالعربية في المتن .

4045 - قال الحارث : يا من أنت علي شكل سراقة انتبه ، لماذا لم تكن تقول هذا بالأمس ؟
- قال : إني أري الهلاك الآن ، قال " الحارث " : تري أيضا حقراء العرب .
- ولا تري غير هذا لكن يا من أنت عار ، كان ذلك وقت النفاج والآن وقت القتال .
- كنت تقول بالأمس : ما دمت قد صرت قائد الجيش ، فإن النصر لكم والفتح " تحت راياتكم " قدما بقدم .
- وبالأمس كنت قائد الجيش أيها اللعين ، والآن لست برجل ولست بشيء بل أنت مهين .

4050 - حتى نجرعنا خديعتك وأتينا فمضيت بنا إلي الأتون ، وصرنا نحن حطبا .
- وعندما توجه الحارث إلي سراقة بهذا الخطاب ، استشاط اللعين غضبا من هذا اللوم والعتاب .
- وسحب يده بغضب من يده ، فقد كان الألم شديدا في قلبه من هذا الحديث .
- ووكزه الشيطان في صدره ، وانطلق هاربا ، وسفكت دماء كثير من المساكين من مكره .
- مثلما ألحق الخراب بعوالم لا حصر لها ، ثم " نكص منها " قائلا إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ.

4055 - وكزه في صدره فألقي به أرضا ، وركن إلى الفرار عندما أخذ منه الخوف كا مأخذ .
- والنفس والشيطان كلاهما كانا جسدا واحدا ، لكنهما ظهرا في صورتين .
- مثل الملاك والعقل كانا " في الأصل " كيانا واحدا ، ثم صار لحكمة

يعلمها - جل شأنه - صورتين .
- وعدو كهذا كامن لك في سرك ، هو حائل دون العقل وخصم للروح والدين .
- إنه يحمل عليك دفعة واحدة كما يحمل الضب ، ثم يفر هاربا إلي جحره .

4060 - وقد صار له الآن في القلب جحور وجحور ، إنه يطل برأسه من كل جحر منها .
- لقد صار اسم الشيطان " الخناس " ، لاختفائه هكذا داخل النفوس وكونه في ذلك الجحر .
- فإن خنوسه مثل خنوس القنفذ ، فهو كرأس القنفذ يظهر ويختفي .
- ولقد سمي الله تعالي ذلك الشيطان بالخناس ، لأنه يشبه رأس هذا القنفذ .
- فذلك القنفذ يخفي رأسه لحظة بلحظة خوفا من الصياد والقط .

4065 - وعندما يجد الفرصة يطل برأسه ، ومع مثل مكره هذا تكون الحية ضعيفة أمامه .
- وإن لم تكن النفس قد قطعت عليك الطريق من الداخل ، فمتي كان لقطاع الطريق يد طولي عليك ؟
- من قبيل ذلك ، ذلك الشيطان الملحاح المسمي بالشهوة ، إنه يجعل القلب أسيرا للحرص والطمع والآفة .
- ومن ذلك الشيطان الخفي صرت لصا فاسدا ، حتى وجدت بقية الشياطين طريقا إلي قهرك .
- فاستمع من الخبر النبوي الشريف إلي هذه النصيحة الطيبة : " بين جنبيكم لكم أعدي عدو " " 1 " .

....
(1) بالعربية في المتن .

4070 - فلا تستمع إلي جعجعة هذا العدو ، وجد في الفرار منه ، فهو مثل إبليس في لجاج وخصومة .
- لقد سهل عليك ذلك العذاب السرمدي من أجل الدنيا وبهرجها وزينتها .
- فأي عجب أن جعل عليك الموت سهلا ، إنه بسحره يفعل أضعاف أضعاف ذلك .
- إن السحر يجعل القشة بفنه جبلا ، ثم يجعل الجبل يبدو كأنه القشة .
- ويقلب القبائح كلها إلي محاس بفنه ، ويقلب المحاسن كلها إلي قبائح بظنه .

4075 - وهذا هو عمل السحر عندما يتنفس ، إنه يقلب الحقائق في كل نفس .
- إنه يبدي الإنسان حمارا في لحظة ، ويجعل الحمار بشرا أية للناس .
- ومثل هذا الساحر موجود في داخلك وفي سرك ، “ إن في الوسواس سحرا مستترا “ “ 1 “ .
- وفي هذا العالم الذي يوجد فيه هذا السحر ، هناك سحرة لكنهم يبطلون هذا السحر .
- وتلك الصحراء التي تحتوي علي السم الزعاف ، تحتوي أيضاً علي الترياق يا بني .

4080 - ويناديك الترياق قائلا : “ لذ بي واطلب وجاء مني ، فأنا أقرب إليك من السم “ .
- إن كلام “ ذلك الشيطان “ سحر وعدو لك ، وكلامي أيضا سحر لكنه دفع لذلك السحر .

....
(1) . . .

تكرار العاذلين النصيحة لضيف ذلك المسجد القاتل للضيوف

- لقد قال الرسول عليه السلام : إن من البيان لسحرا ، وحقا قاله ذلك البطل العظيم “ 1 “ .
- هيا لا تتظاهر بالشجاعة وامض يا أبا الكرم ، ولا تلق علينا أو علي مسجدنا بالتهم .
- فسوف يتحدث كاشح نقلا عن كاشح ، ويضرم بيننا نار “ الغيبة “ أحد الأدنياء .

4085 - وسوف يقولون : إن مجرما قد قام بخنقه ، والمسجد مجرد ذريعة والرجل كان صحيح الجسم .
- وإنهم يضعون التهمة علي المسجد ، ما دام المسجد سيىء السمعة ، وبهذا ينجو القاتل المجرم .
- فلا تضع التهم علي كواهلنا أيها العنيد ، فلسنا بالآمنين من مكر الأعداء .
- وهيا لا تتظاهر بالشجاعة ، ولا تضخم في نفسك الأماني ، فلا يمكن قياس “ كوكب عطارد بالذراع “ .
- فمثلك كثيرون قد تشدقوا عن الحظ ، فاقتلعوا لحيهم قبضة قبضة .

4090 - هيا امض ، وكف عن هذا القيل والقال ، ولا تلق بنفسك وبنا في الوبال .

....

(1) بالعربية في المتن .

جواب الضيف عليهم وضربه المثل بدارس المزرعة
الذي دفع بصوت الدف الجمل الذي كانوا يدقون عليه
طبول السلطان محمود

- قال : أيها الرفاق ، لست من أولئك الشياطين ، بحيث تهن قدمي من الحوقلة .
- لقد كان هناك طفل يحرس مزرعة ، وكان يدق طبله صغيرة لزجر الطيور .
- وكانت الطيور تفر من المزرعة من صوت تلك الطبلة الصغيرة ، فأصبحت المزرعة امنة من طيور السوء .
- وعندما مر السلطان محمود الكريم بتلك الناحية ، وضرب معسكرا كبيرا .

4095 - وكان معه جيش كنجوم الأثير لجب ومظفر وشاق للصفوف ومستول علي الملك .
- وكان معه أيضا جمل يحمل الطبول ، كان جملا ذا سنامين متبخترا يمشي كالديك .
- كانوا يدقون عليه الكوسات والطبول ليل نهار ، في الرواح والغدو وعند تجميع الجند .
- ودخل ذلك الجمل تلك المزرعة ، فدق ذلك الطفل تلك الطبلة الصغيرة لكي يحافظ علي قمحة .
- فقال له أحد العقلاء : لا تقرع هذه الطبلة الصغيرة فهو متمرس علي الطبول معتاد عليها .

4100 - وما ذا يكون لوحاك هذان بالنسبة له أيها الطفل ؟ إنه يحمل طبل السلطان التي تبلغ أضعاف أضعاف طبلتك .

- وكذلك أيضا العلم والفنون والحرف ، يبقي في هواها ما لم يجد شيئا يزيد عليها في الشرف .
- وما لم يكن هناك أفضل من الروح تظل الروح عزيزة ، وإن وجد ما هو أفضل منها تنقلب إلي شيء لا قيمة له .
- إن اللعبة الميتة تكون بمثابة الروح عند الطفلة ، طالما لم تكبر وتصير هي نفسها ولودا للأطفال .

4115 - وكل هذه الصور والخيالات بمثابة اللعبة ، وأنت بحاجة إليها طالما ظللت طفلا .
- وعندما تنجو الروح من الطفولة فإنها تصير في وصال ، فارغة من التصور والحس والخيال .
- وليس ثم مسموح له وإلا تحدثت بلا مواربة ، ومن هنا أسلم والله أعلم بالوفاق .
- فالمال والجسد بمثابة الثلج المتساقط نحو الفناء ، والحق مشتريهما مصداقا لقوله إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى.
- والثلج يبدو لك أفضل من الثمن ، لأنك لا تزال في شك ولا يقين لديك .

4120 - وهذا الظن عجيب فيك أيها المهين ، فهو لا يحلق " بك " نحو بستان اليقين .
- وكل ظن ظمان لليقين يا بني يضرب بجناحيه وقوادمه بشكل متزايد .
- وعندما يصل إلي العلم يصير الجناح قدما ، ويصير علمه هذا مدركا لليقين .
- ذلك أنه في طريق المفتون يكون العلم أقل من اليقين لكنه فوق الظن .
- فاعلم أن العلم يكون باحثا عن اليقين ، وذلك اليقين يكون باحثا عن الرؤية والعيان .

- " قال الضيف " : إنني عاشق قتيل فداء " لا . . إله إلا الله " وروحي هي موضع نوبة طبول البلاء .
- أما الطبلة الصغيرة فهي هذه التهديدات ، وطالما أبصرتها العيون من قبل .
- أيها الرفاق ، إنني لست من أولئك النفر ، بحيث أقف في هذا الطريق من أوهام .
- إنني من " الإسماعيلية " ليس عندي ذرة من حذر ، لا ، بل أن مثل إسماعيل عليه السلام فارغ من رأسي .

4105 - إنني فارغ من الطنطنة والهباء ، لقد قال : " قل تعالوا " ولقد نادي روحي قائلا لها " تعالي " .
- وقال الرسول عليه السلام " لقد جاد في السلف بالعطية من تيقن بالخلف " " 1 " .
- وكل من يري في العطاء مائة عوض ، يغامر بالعطاء سريعا لهذا الغرض .
- وكل الناس لهذا السبب قبعوا في الأسواق ، لكي يقدموا أموالهم إن كان ثم كسب " من ورائها " .
- لقد جلسوا منتظرين والذهب في أكياسهم ، حتى يبذلوه عن طيب خاطر إن عنَّ لهم كسب منه .

4110 - فعندما يري " أحدكم " بضاعة ذات ربح أكثر ، يقل عنده عشق البضاعة التي بين يديه .
- لقد بقي في هوي بضاعته طالما أنه لم ير عليها ربحا ولم ير فيها مزيدا .

....

(1) بالعربية في المتن .

4125 - فابحث الآن عن هذا المعني فيأَلْهاكُمُ، واقرأ من " بعدها "كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ.
- فالعلم يفضى إلي الرؤية أيها العليم ، فإن تيقنت اقرأ بعدها " ترون الجحيم " .
- ذلك أن الرؤية تتولد من اليقين بلا إمهال ، كما أن الخيال يتولد من الظن .
- وانظر فيأَلْهاكُمُإلي تفسير هذا الأمر ، إن علم اليقين يصير هو نفسه عين اليقين .
- وأنا أعلي من الظن وأعلي من اليقين ، ومن الملام لا " أرجع " عما في رأسي .

4130 - وعندما تذوق فمي طعم حلواه ، صرت مجلو البصر ناظرا دوما إليه .
- فأخطو حيثما أخطو بجرأة كأنني ذاهب إلى منزلي ، ولا ترتعد قدماي إذ لا أمشي بعمى .
- وما قاله الحق للورد وجعله ، ضاحكا ، قد أسر به إلي قلبي وجعله أضعاف ما يكون " الورد " عليه .
- وما جعله للسرور وجعل قده ممشوقا به ، ما غذى به زهور النرجس والنسرين .
- وما جعل به البوص حلو القلب والروح ، وما خلق به من التراب صور حسان مدينة " شكل " .

4135 - وما جعل به الحاجب فاتنا إلي هذا الحد ، وجعل الوجه في لون الورد وزهر الرمان .
- وما أعطى به اللسان مائة نوع من السحر ، وأعطي به للمنجم الذهب النضار " 1 " .

....
(1) حرفيا الحيفرى .

- إنه عندما انفتح باب خزانة السلاح ، صارت نظرات العين رامية بالسهام .
- لقد أصمي قلبي بسهم وجعلني مفتونا ، وجعلني عاشقا للشكر قاضما للسكر .
- إنني عاشق لذلك الذي كل أن له ، والعقل والروح حبة واحدة من جوهره “ 1 “ .

4140 - وأنا لا أتقول ، وإن تقولت فأنا كالماء ، ليس عندي أدني اضطراب من وضعي في النار .
- وكيف أسرق وهو على هذا المخزن حفيظ ؟ ولماذا لا أكون جريئا مصرا وهو ظهيري ؟
- وكل من يكون له من الشمس ظهير ونصير ، يكون مصرا وملحا فلا خوف يطرأ عليه ولا خجل .
- فهو مثل وجه الشمس لا يأبه بشئ ، وقد صار وجهه محرقا للخصم ممزقا للحجب .
- وقد كان كل رسول مصرا في هذه الدنيا ، وهجم نسيج وحدة في الميدان على جيوش الملوك .

4145 - لم يحول وجهه من خوف أو من حزن ، بل هاجم وحده عالما .
- والحجر يكون صلب الوجه جريء العين ، ولا يخاف من عالم مليء بالمدر .
- فإن ذلك المدر قد صار قطعة واحدة بفعل ضارب الطوب ، أما الحجر فقد صار صلبا من صنع الله .
- والخراف وإن كانوا عديدين فلا حساب لهم ولا شأن ، ومتي يخاف ذلك القصاب من كثرة عددهم ؟

....
(1) رواية نيكلسون (ص 23) : العقل والروح حارسان لحبة واحدة من كنوزه .

- كلكم راع ، والنبي بمثابة الراعي ، والخلق كالقطيع وهو الساعي " في خيرهم " .

4150 - والراعي لا يخاف من القطيع عند الوغي ، لكنه حافظ لهم من الحر والبرد .
- والراعي إذا صاح بغضب على القطيع ، فاعلم أن هذا يكون من الحب الذي يكنه للجميع .
- وفي كل لحظة يهمس لي الإقبال المتجدد ، إنني أنا الذي أجعلك حزينا فلا تحزن .
- إنني أجعلك حزينا باكيا حتى أخفيك عن عيون الأشرار .
- أجعل طبعك مرا من الأحزان ، حتى تتحول عنك عين السوء .

4155 - ألست أنت صيادا طالبا إياي ، ألست عبدا تابعا لرأيي ؟
- ولا تفتأ تحتال حتى تصل في ، ومن فراقك إياي بلا أهل وبلا أنيس .
- والمك في أثري باحث عن علاج ، وليلة الأمس كنت أستمع إلي اهاتك الحزينة .
- وأستطيع - بدون هذا الانتظار منك - أن أبدي الطريق وأن أدلك على طريق العبور .
- حتى تنجو من هذه الدوامة الدوارة ، وتضع قدمك على رأس كنز وصالي .

4160 - لكن لذائذ المقر وحلاوته ، تكون علي قدر تعب السفر .
- إنك تتمتع بمدينتك وأهلك حين تكون قد قاسيت من الغربة الآلام والمحن " 1 " .

....
(1) ج / 9 - 78 : (محمد تقي جعفري : تفسير ونقد وتحليل فتوي جلال الدين محمد بلخي - قسمت چهارم از دفتر سوم وقسمت أول از دفتر چهارم . ط 11 - طهران 1366 هـ . ش فيما بعد ج / 39 وكل ما وجدته بسهولة تمنحة بسهولة ، وتضع على الروح الألم الذي يدرك المشاكل .

تمثيل هرب المؤمن وعدم صبره على البلاء باضطراب الحمص والحوائج الآخرى وقلقها في غليان القدر وإسراعها للخروج منه “ 1 “

- انظر إلي حبة الحمص في القدر كيف تهرب إلى أعلي ؟ لقد صارت في أذي من النار .
- وفي كل لحظة ترتفع حبة الحمص وقت الغليان إلي حافة القدر وتصرخ كثيرا قائلة :
- لماذا تضرمين النيران في ؟ وكيف قمت بشرائي ثم تغلينني هكذا ؟

4165 - فتمد السيدة مغرفتها قائلة : لا ، اغلي جيدا ، ولا تنفري من واقد النار .
- إني لا أغليك لأنك مكروهة لدي ، بل لكي تكتسبي لذة وطعما .
- لكي تتحولى إلي غذاء وتمتزجي بالروح ، وليس هذا الامتحان من أجل إذلالك .
- كنت ترتوين خضراء نضرة في البستان ، كان ذلك الري من أجل هذه النار .
- لقد سبقت رحمته غضبه ، وذلك حتى يجعل من رحمته أهل الامتحان .

4170 - ولقد سبقت رحمته غضبه ، حتى يمكن الحصول على رأسمال

....

(1) ج / 9 - 90 : استمع إلى هذا المثل وأعرف قدر نفسك ، ولا تحول وجهك عن البلايا أيها الفتى .

" 1 " الوجود .
- وذلك أنه بلا لذة لا ينمو لحم أو جلد ، وكيف لا ينمو إذن ؟ وماذا يذيب عشق الحبيب ؟
- ومن ذلك الطلب يتأتي القهر ألوانا ، وذلك حتى تؤثره برأس المال ذاك - ثم يأتي اللطف تعويضا عن ذلك القهر ، أي : أنك قد اغتسلت ووثبت من النهر .
- وتقول السيدة : يا حبة الحمص لقد تغذيت في الربيع ، وقد نزل عليك الألم ضيفا فأكرميه !

4175 - حتى يعود الضيف من عندك شاكرا ، ويقص للملك عما وجده من إيثارك .
- حتى يعوضك المنعم عن نعمتك " التي أثرت غيرك بها " ، فتحسدك على ذلك كل النعم .
- إنني كالخليل وأنت ابني أمام السكين ، فضعي رأسك : إني أراني أذبحك .
- طأطئي الرأس أمام القهر والقلب مطمئن ، حتى أذبحك وأقطع حلقك كإسماعيل .
- أقطع الرأس ، لكن الرأس الذي أقطع هو ذلك الرأس الذي لا يصيبه قطع أو موت .

4180 - ذلك أن المقصود منذ الأزل هو تسليمك ، فاطلب التسليم إذن أيها المسلم .
- ويا حبة الحمص داومي على الغليان في الابتلاء حتى لا يبقي لك وجود أو ذات .

....
(1) رواية نيكلسون (ص 23) : العقل والروح حارسان لحبة واحدة من كنوزه .

- وإذا كنت ضاحكة في ذلك البستان ، فأنت " الآن " زهرة بستان الروح والبصر .
- وإذا صرت منفصلة عن بستان الماء والطين ذاك ، فقد تحولت إلي لقمة ودخلت إلي " عالم " الأحياء .
- فتحولي إلى غذاء وقوة وفكر ، لقد كنت عصارة ، فتحولي إلي أسد في الغابات .

4185 - ولقد نبت من صفاته - والله - منذ البداية ، فعودي إلي صفاته مسرعة متجلدة .
- لقد جئت من السحاب والشمس والفلك ، ثم تحولت إلي صفات وصعدت إلي الفلك .
- جئت في صورة مطر وحرارة ، وتمضين في الصفات التي تستطاب وتستحسن .
- كنت جزءا من هالة الشمس والسحاب والأنجم ، فصرت نفسا وفعلا وقولا وأفكارا .
- لقد صار وجود الحيوان من موت النبات ، وصدقت " قوله القائل " " اقتلوني يا ثقات " .

4190 - وما دمت قد كسبت هكذا بعد الممات ، فقد صدقت القولة الثانية " إن في قتلي حياة " .
- وقد صار الفعل والقول والصدق قوتا للملك ، حتى عرج بها إلي " أوج " الفلك .
- مثلما صارت مادتك غذاء للبشر ، فتسامي عن مرحلة الجمادية وصار حيا .
- إن لهذا الكلام تفسيرا مفصلا فانتبه ، فإنه سوف يأتي في موضع اخر .
- وإن القافلة تصل تباعا من الفلك ، تقوم هنا بالتجارة ثم تعود " إلي حيث جاءت " .

4195 - إذن فامض سعيدا مرحاً ، امض طوعا ، لا كرها ولا مرارة كما يمضي اللص .
- إنني أحدثك بهذا الحديث المر ، كي أغسل قلبك من المرارة “ الكامنة فيه “ .
- فالعنب المتجمد يخلص من الماء البارد ، وتنتفي عنه البرودة والتجمد .
- وعندما تجعل القلب داميا من المرارة ، تخرج منه كل أنواع المرارة “ 1 “ .

تمثيل صبر المؤمن عندما يصير واقفا على
سر البلاء وخيره

- من ليس بكلب صيد لا يكون علي عنقه طوق ، وليس الساذج ومن لم ينضج إلا بلا ذوق .

4200 - قالت حبة الحمص : ما دام الأمر هكذا يا سيدتي ، فلأغل جيدا ، وساعديني بصدق .
- إنك في هذا الإنضاج بمثابة المعمار لي ، قلبيني إذن بالمغرفة ، فما أجمل تقليبك !
- إنني كالفيل فاضربيني علي رأسي ، قومي بوسمي بالميسم ، حتى لا أحلم ثانية بالهند أو الرياض .
- حتى أعطي نفسي “ كلية “ للغليان ، وحتى أجد النجاة في أحضان ذلك الغليان .
- ذلك أن الإنسان يطغي في الغني ، ويتمرد كما يتمرد الفيل الحالم “ بموطنه القديم “ .

4205 - وعندما يري الفيل الهند في الأحلام ، فإنه لا يسمع صوت الفيال ويحزن “ علي الدوام “

....

(1) ج / 9 - 91 : وفي ذلك الزمان تصبح حلوا كالعسل ، فارغا (من الهم) وإن صبوا فوقك الخل - وكل من لم يصبح صابرا في البلاد ، لم يصبح مقبلا علي هذه العتبة الفاخرة .

اعتذار السيدة لحبة الحمص وحكمة غلى السيدة لها

- تقول تلك السيدة لها : لقد كنت مثلك قبلا من أجزاء الأرض .
- وعندما احتسيت “ شراب “ الجهاد الناري ، صرت قابلة “ للسمو “ جديرة به .
- فغليت فترة في الأرض ، وغليت فترة أخري داخل قدر الجسد .
- ومن هذين الغليانين اكتسبت قوة الأحاسيس ، ثم صرت روحا ومن بعدها صرت سيدة لك .

4210 - وكنت أقول في “ مرحلة “ الجمادية : إنك ستعبرينها مسرعة ، لكي تتحولي إلي عدم وصفات معنوية .
- وعندما أصير روحا يكون لي غليان آخر ، أعبر به مرحلة الحيوانية .
- فداومي على الدعاء إلي الله حتى لا تضلي عن هذا السير ، وحتى تصلي إلي المنتهي .
- ذلك أن كثيرا من الناس قد ضلوا من “ تحيرهم في “ القران ! ، ومن ذلك الحبل المتين سقط قوم في البئر .
- وليس للحبل المتين ذنب أيها العنود ، فلم تكن لديك الرغبة في رفع الرأس والترقي والصعود ! “ 1 “

بقية قصة ضيف ذلك المسجد القاتل للضيوف وثباته وصدقه

4215 - قال ذلك الغريب عن المدينة والذي هو بأجمعه طلب : سوف أنام في هذا المسجد ليلا .
- أيها المسجد : لو صرت لي كما كانت كربلاء “ بالنسبة للحسين “ ، فإنك أنذاك تصبح كعبتي قاضية الحاجات .

....
(1) ج / 9 - 99 : فسق نحو ذلك العاشق الغائب عن نفسه ، ماذا فعل في ذلك المسجد من الامتحان ! ! .

- هيا علقيني أيتها المشنقة المختارة " 1 " حتى أتلاعب بالجبال " كما فعل المنصور " .
- وإن صار جبريل ناصحا لك ، فإن الخليل لن يطلب الغوث وهو في لهب النار .
- فامض يا جبريل ، فأنا في حرقة ولهيب ، ومن الأفضل لي أن أحترق كالعنبر والعود .

4220 - ويا جبريل ، إنك وإن كنت تقدم العون لي ، وإن كنت حافظا لي كالأخ الشفيق .
- فأنا مسرع إلي النار أيها الأخ ، لا . . . ليس أنا " الذي يسرع إليها " بل تلك الروح التي تقبل الزيادة والنقصان .
- إن الروح الحيوانية تتزايد من الغذاء ، إنها نارية ومن هنا فإنها قد تلفت كالحطب .
- وإن لم تتحول إلي حطب لكانت مثمرة ، وكانت معمورة وعامرة إلي الأبد .
- فاعلم أن هذه النار " مجرد " ريح محرقة ، إنها ضوء تلك النار وليست تلك النار بذاتها .

4225 - والنار الحقيقية موجودة في الأثير يقينا ، وهذه التي فوق الأرض ضوؤها وظلها .
- فلا جرم أن الضياء لا يثبت من الاضطراب ، بل يعود إلي أصله علي عجل وفي إسراع .
- فاجعل قامتك في حالة ثبات ، سوف تجد ظلك قصيرا حينا وطويلا حينا آخر .

....
(1) ترجم المولوي (ص 540 من مجلد 3) والأنقروي (700 مجلد 3) ونيكلسون235 . P) iii (دار هنا بمعني دار وهي فارسية بمعني المشنقة ورأيتها أنسب للسياق .

- ذلك أن أحدا لا يجد في الشعاع الثبات ، فقد ارتدت الصور إلي الأمهات .
- انتبه وأغلق فمك ، فقد بدأت الفتنة في الحديث ، وانته من هذا والله أعلم بالرشاد “ 1 “ .

ذكر سوء ظن قاصرى الفهم

4230 - قبل أن تصل هذه القصة إلي نهايتها ، هب دخان نتن من أهل الحسد .
- وأنا لست ضائقا ، لكن هذه الرفسة ، تشوش خواطر امرئ قد يكون ساذج القلب .
- وما أحسن ما بيّنه ذلك الحكيم الغزنوي ، من أجل “ التعبير “ عن المحجوبين عن المثال المعنوي .
- إذا كانوا لم يبصروا من القرآن إلا المقال ، فليس هذا بعجيب من أصحاب الضلال .
- فمن شعاع الشمس الفياض بالضياء ، لا تدرك عين الأعمي إلا “ لفح “ الحرارة .

4235 - لقد أطل أحمق كبير البطن “ 2 “ ، كالمرأة العيابة فجأة من حظيرة الحمر .
- قائلا : إن هذا كلام دني - يقصد المثنوي - ، إنه “ مجرد “ سيرة للرسول ، وهو مقلد فيه .
- وليس فيه ذكر لتحقيقات أو أسرار عالية ، حتى يسوق الأولياء جيادهم إلي تلك الناحية .
- “ وليس فيه شئ “ من مقامات التبتل حتى الفناء درجة درجة حتى لقاء الله سبحانه وتعالي .
- و “ لا يحتوي “ علي شرح كل مقام ومنزل وحديهما ، بحيث يحلق صاحب قلب بجناح منه .

....

(1) ج / 9 - 105 : لقد تولدت الفتنة وخربت العالم ، واضطرب فيها الشرق والغرب - وعندما تضاعفت ضاقت بها القلوب ، وتقاتل كل منها مع الآخر ولقد كثر النقاش فصمت ، ونظمت القضية واستلمت ، وإذا سألت ما سبب الفتنة لأعد فيها القول فأستمع فقد زاد الحزن .
(2) حرفيا : خربط وهو طائر مائي كبير غير متناسق الجسم .

4240 - وعندما نزل كتاب الله ، هكذا طعن فيه أولئك الكفار .
- قالوا : إنه أساطير الأولين وخرافاتهم ، وليس فيه عمق أو تحقيقات عالية .
- إن الأطفال الصغار يفهمونه ، إنه لا يحتوي إلا علي أمر بالمعروف أو نهي عن المنكر “ 1 “ .
- وذكر يوسف وذكر جديلته المتثنية ، وذكر يعقوب وحزنه وزليخا وهيامها “ 2 “ .
- إنه سطحي يفهمه كل إنسان ، فأين ذلك البيان الذي يحار فيه العقل ؟

4245 - فكان الرد : إذا كان القرآن يبدو لك سهلا هكذا ، فأت بسورة من ذلك الذي يبدو لك سهلا إلي هذا الحد !
- وقل لجنكم وإنسكم وأصحاب الفنون عندكم ، هاتو آية واحدة من هذا “ البيان السهل “ !

تفسير هذا الخبر عن المصطفى صلّى الله عليه وسلم وهو : أن للقرآن ظهرا وبطنا ولبطنه بطنا إلى سبعة أبطن

- اعلم أن حروف القرآن وألفاظه ظاهرة ، وتحت كل ظاهر باطن شديد القهر .

....

(1) ج / 9 - 111 : لقد ذكر آدم والحنطة وإبليس والحية ، وذكر هود والريح وإبراهيم والنار ، وذكر نوح والسفينة وطوفان الجسد ، وذكر كنعان وعصيانه .
(2) ج / 9 - 111 - 112 : وذكر إسماعيل والذبح وجبريل ، وذكر قصة الكعبة وأصحاب الفيل ، وذكر داود بلقيس وسليمان وسبأ ، وذكر داود والزبور وأوريا وذكر طالوت وشعيب وخوفه ، وذكر يونس وذكر لوط وقومه ، وذكر حمل مريم والنخل والمخاض ، وذكر زكريا ويحيي والرياض وذكر صالح والناقة وقسمة الماء ، وذكر إدريس والمناجاة والجواب .
وذكر إلياس وعزير وموته ، وذكر قارون وخسفه وذكر أيوب وصبره في البلاء وذكر بني إسرائيل في تيه النفي وذكر موسى والسحرة والشجرة والطور والعصا وخلع النعلين والخطابات والعطاء وذكر عيسى وعروجه في السماء ، وذكر ذي القرنين والخضر واورمياء وذكر فضل أحمد والخلق العظيم : الذي شطر القمر نصفين بمعجزة منه .

- وتحت هذا الباطن باطن ثالث ، تتوه فيه العقول بأجمعها .
- والبطن الرابع من القرآن لم يدركه شخص قط ، ولا يعلمه إلا الله الذي لا نظير له ولا ند .

4250 - فلا تنظر يا بني من القرآن إلي ظاهره ، فإن الشيطان لا يري من آدم إلا أنه من طين .
- والقران مثل شخص الإنسان ، صورته ظاهرة لكن روحه شديدة الخفاء .
- ويكون المرء للمرء عما وخالا لمائة سنة ، لكنه لا يري من أحواله مثقال ذرة "1" .

بيان إن ذهاب الأنبياء والأولياء عليهم السلام إلى الجبال والمغارات ليس من أجل إخفاء أنفسهم وليس خوفا من إزعاج الخلق ، بل من أجل إرشاد الخلق والدعوة إلى الانقطاع عن الدنيا بقدر الإمكان

- هناك من يقول إن الأولياء قد لجأوا إلي الجبال ، حتى يختفوا عن أنظار الخلق ! !
- إنهم وهم بين الخلق أعلي من مائة جبل ، إنهم يخطون بأقدامهم فوق الفلك السابع .

4255 - إذن لماذا يختفون ويطلبون اللجوء إلي الجبال ، وهم " مستترون " خلف مائة جبل وبحر .
- ولا حاجة بهم إلي الهروب إلي الجبل ، ومن اقتفاء آثارهم أهلكت كرة الفلك مائة نعل !

....
(1) حرفيا : مثقال طرف شعرة .

- لقد دار الفلك ولم ير غبار الحبيب ، والسماء من ذلك قد ارتدت ملابس الحداد “ الزرقاء “ .
- وبالرغم من أن الجني خفي في الظاهر ، فإن الإنسان أكثر خفاء في الحقيقة من الجني ! - والعاقل يري أن الإنسان أكثر استتارا من هذا الجني الذي “ يوصف “ بأنه مستتر !

4260 - وإذا كان الإنسان ، في رأي العاقل - خفيا ، فكيف بآدم الذي هو صفي له في الغيب ؟

تشبيه صورة الأولياء وصورة كلام الأولياء بصورة عصا موسى وصورة دعاء عيسى عليهما السلام

- فمثل الإنسان مثل عصا موسى ، ومثل الإنسان مثل رقية عيسى .
- وفي كف الحق من أجل العدل ومن أجل الزين ، يكون قلب المؤمن بين إصبعين .
- إنها في ظاهرها “ مجرد “ عصا ، لكن الكون كله أمامها بمثابة لقمة واحدة عندما تفتح فمها ! !
- ولا تنظر من رقية عيسى إلي الألفاظ أو الصوت ، بل انظر منها إلي “ فعلها “ وهو هروب الموت .

4265 - لا تنظر من دعائه إلي هذه اللهجات الدنية ، لكن انظر إلي أن الميت قد هب منها “ حيا “ وجلس .
- ولا تنظر إلي أن هذه العصا سهلة الصنع ، بل انظر إلي أنها قد فلقت البحر .
- لقد رأيت من علي البعد مظلة سوداء ، فتقدم خطوة وانظر إلي الجند .

- إذ لا تري من بعد إلا الغبار ، فتقدم قليلا لتري الرجال بين الغبار .
- وإن غبارهم ليجلون بصر العيون ، وتقتلع رجولتهم " رواسخ " الجبال .

4270 - ذلك أن موسي عندما جاء من أقصي الصحراء ، صار طور سيناء راقصا في مقدمه .

تفسير يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ

- كان وجه داود نضرا من عظمته ، وكانت الجبال في أنين تحت خطوه .
- وصار الجبل رفيقا لداود ، كلاهما مطرب ثمل في عشق المليك .
- وجاء الأمر بيا جِبالُ أَوِّبِي، فَتوحَّد كلاهما صوتا ولحنا .
- وقال : يا داود : لقد عانيت الهجرة ، ومن أجلي انفصلت عن القرناء .

4275 - ويا أيها الغريب الفرد الذي صرت بلا مؤنس ، واندلع لهيب نيران الشوق في قلبك .
- تريد المطربين والقوالين والندماء ، فيأتي ذلك القديم بالجبل إليك .
- فيغني ويقول وينفخ في النفير ، ويرجع أمامك " الغناء ترجيعا " .
- حتى تعلم أنه ما دام الأنين قد جاز علي الجبل ، يكون للولي أيضا أنين بلا شفاه أو أفواه !
- وأنغام أعضاء ذلك الصافي الجسد ، تصل كل لحظة إلي أذن حِسَّه

4280 - إن الجلساء لا يسمعونها لكنه يسمعها ، فما أسعد تلك الروح التي تنجذب إلي غيبه ! !
- إنه ينظر في نفسه إلي مائة قيل وقال ، بينما لم يدرك جليسه منها النذر اليسير .

- وهناك مائة سؤال ومائة جواب في قلبك ، وهي تصل من اللامكان إلي منزلك .
- تسمعها أنت ولا تسمعها تلك الآذان ، حتى إن كانت تلك الآذان قريبة منك !
- ولنفرض أيها الأصم أنك لا تسمعها فكيف لا تؤمن " بالولي " حين تري أمثالها ؟

جواب على الطاعن في المثنوى من قصور فهمه

4285 - أيها الكلب الطاعن إنك تنبح ، وتجعل طعنك هذا من قبيل الطعن في القرآن .
- وليس هذا بذلك الأسد الذي تتخلص روح منه ، أو تؤمن خوفا من مخالب قهره .
- وحتى القيامة لا يفتأ القرآن مناديا " قائلا " يا جماعة قد سقطت ضحايا الجهل .
- لقد كنتم تظنوني أساطير الأولين ، وتبذرون بذور الكفر والشقاق .
- ورأيتم أنفسكم يا من كنتم تطعنون ، أنكم كنتم فانين وكنتم أساطير .

4290 - إنني كلام الحق قائم بذاتي ، أنا قوت روح الروح وياقوت الزكاة .
- إنني نور الشمس قد سطعت عليكم لكن دون أن أنفصل عن تلك الشمس .
- ألست أنا نبع ماء الحياة ذاك ، أخلص العاشقين من الموت ؟
- ولو لم يثركم هكذا عفن حرصكم ، لصب الله جرعة منه فوق قبوركم .
- لا ، لأتمسك بقول ذلك الحكيم ووعظه ، ولا أجعلن قلبي سقيما بكل طعن .

ضرب المثال من جفول المهر من الشرب
بسبب تصفير السايسين

4295 - إن ما قاله ذلك الحكيم “ 1 “ في خطابه ، إن المهر وأمه كانا يشربان الماء .
- وكان ذلك النفر يصفرون للجياد كل لحظة قائلين : هيا ، هيا ، اشربوا .
- وكان المهر يسمع ذلك الصفير ، فيرفع رأسه ويجفل عن الشرب .
- فسألته أمه : أيها المهر لماذا تجفل كل لحظة وتكف عن الشرب ؟
- قال المهر : إن هذه الجماعة تقوم بالصفير ، ومن مجموع أصواتهم يصيبني الخوف .

4300 - فيرتعد قلبي ويطير شعاعا ، ومن مجموع هذا الصياح يصيبني الخوف .
- قالت الأم : منذ أن كانت الدنيا دنيا ، والمزايدون في الأعمال موجودون فوق الأرض .
- فهيا قم بعملك سريعا أيها العزيز ، فهم إنما يقتلعون شعور لِحيِّهم .
- فالوقت ضيق ، والماء الوفير يمضي ، هيا قبل أن تصير ممزقا من الهجر .
- هناك قناة شهيرة ملأي بماء الحياة ، فاشرب حتى ينبثق منك النبات .

4305 - وإنك تشرب ماء الخضر من نطق الأولياء ، فقال أيها الظمآن الغافل .
- وإذا كنت لا تري الماء من عماك ، فأحضر الإناء نحو الجدول بفن وألق به فيه !
- وما دمت قد سمعت أن في الجدول ماء ، ينبغي للأعمي أن يقوم بالأمر تقليدا .

....
(1) يقصد سنائى .

- وضع القربة " يا من " تفكر في الماء في الجدول ، حتى تري قربتك ثقيلة " من الماء "
- وعندما تراها ثقيلة تصير مستدلا ، وينجو القلب أنذاك من التقليد الأعمي .

4310 - وإذا كان الأعمي لا يرى ماء الجدول عيانا ، فإنه يعلم عندما يري القربة ثقيلة .
- " ويعلم " أن الماء قد انتقل من الجدول إلي القربة ، لقد كانت خفيفة ثم صارت ثقيلة منتفخة من الماء .
- " وسوف تقول " : لقد كانت كل ريح تتخطفني ولن تتخطفني الريح الآن فقد صرت ثقيلة .
- فالسفهاء هم الذين تختطفهم كل ريح ، ذلك إنه ليس لديهم ثقل في القوي .
- والشرير سفينة بلا مرسي ، لا يجد الأمان من كل ريح غير مواتية .

4315 - ومرسي العقل أمان للعاقل ، فتسول مرسي من العقلاء .
- وعندما اختطف العقل إمداداته من خزينة در بحر الجود ذاك .
- صار القلب من إمداد مثل ذاك مليئا بالفنون ، وتقفز تلك الفنون من القلب وتستضاء بها العيون .
- ذلك أن النور حط من القلب علي هذه العين ، وإذا انتهي القلب فيك فقد صارت العين عاطلة .
- وعندما يحصل القلب علي الأنوار العقلية ، فإنه يعطي نصيبا منها للعينين .

4320 - ومن ثم أعلم أن الماء المبارك من السماء ، وهو وحي القلوب وصدق البيان .

- ونحن مثل ذلك المهر نشرب من ماء الجدول ، ولا نأبه بذلك الوسواس الخناس .
- ويا تابع الأنبياء اطو الطريق ، واعتبر أن طعن الخلق مجرد هباء .
- وأولئك السادة الذين طووا الطريق ، متي أعطوا اذانهم لنباح الكلاب ؟

بقية ذكر ذلك الضيف على المسجد قاتل الضيوف

- أعيد القول إذن : إن ذلك الرجل الضيغم المقامر بطهر ، ماذا ظهر له في المسجد وماذا فعل ؟

4325 - لقد نام في المسجد ، لكن من أين له النوم ؟ وكيف ينام المرء وهو غريق في النبع ؟
- إن نوم العشاق تحت ماء الحزن الغريق ، كنوم الطيور والأسماك تحت الماء .
- وفي منتصف الليل سمع صوتا مهيبا صائحا : إنني أت ، أت إليك يا طالب النفع ! !
- وأخذ ذلك الصوت الأجش يتكرر خمس مرات ، فتمزق القلب إربا “ من الرعب “ .

تفسير آية أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ

- إنك عندما تعزم في طريق الدين باجتهاد ، يصيح بك الشيطان في داخلك .

4330 - قائلا لك : “ لا تمض نحو هذا الصوب وفكر أيها الغوى ، إنك سوف تصير أسيرا للألم والفقر .
- ستصير مسكينا مقطوعا عن الأصدقاء ، وتصبح ذليلا ، تعض بنان الندم “ .
- وخوفا من نداء ذلك الشيطان اللعين ، تفر إلي الضلالة من اليقين .

- وتقول لنفسك : دعك من هذا ، أمامنا الغد وما بعد الغد ، ثم أسير في طريق الدين فالمهلة أمامنا .
- ثم تري الموت ذات اليسار وذات اليمين ، يقتل جارك ، " ويميته " ، حتى نفخ الصور .

4335 - فتتجه ثانية نحو الدين خوفا علي روحك ، وتجعل من نفسك رجلا ولكن للحظة واحدة .
- وتتسلح بسلاح من العلم والحكمة قائلا لنفسك : لن أتقهقر خطوة واحدة خوفا من أي شئ .
- لكنه يصيح بك ثانية من مكره " قائلا " لك : خف ، وارجع عن سيف الفقر .
- فتهرب ثانية من طريق النور ، وتلقي بذلك السلاح ، سلاح العلم والفضل .
- وتظل سنين عبدا له بصيحة واحدة ، وقد ألقيت عصاك في هذه الظلمة " 1 " .

4340 - فالخوف من نداء الشياطين قد قيد الخلق وأخذ منهم بالحلوق .
- بحيث تصير أرواحهم قانطة من النور ، مثلما يئس الكفار من أصحاب القبور .
- وهذا هو الخوف من صياح ذلك الملعون ، فكيف يكون الخوف من الصيحة الإلهية ؟
- وهيبة البازي تكون " موجهة " للقطا الأصيلة ، وليس للذباب نصيب من هذه الهيبة .
- ذلك أن البازي لا يكون صيادا للذباب ، فالعناكب هي التي تصيد الذباب فحسب .

....
(1) حرفيا : ألقيت بلبادك

4345 - وعنكبوت الشيطان ذو كر وفر علي أمثالك من الذباب لا علي القطا أو العقاب .
- وأصوات الشياطين هي راعية الأشقياء ، لكن صوت السلطان حارس للأولياء .
- حذار حتى لا تمتزج بهذين الصوتين البعيدين ، قطرة من البحر الفرات بالبحر الأجاج .

وصول صوت طلسم في منتصف الليل إلى ضيف المسجد

- استمع الآن إلي قصة ذلك الصوت المهول ، الذي لم يهتز منه ذلك المقبل السعيد .
- لقد قال : من أي شئ أخاف ؟ هذا طبل عيد ، إن الطبل هو الذي يخاف مني فهو الذي يتلقي الضرب .

4350 - أيتها الطبول الفارغة الجوفاء إن قسمتكم من العيد هي ضربات العصا .
- لقد صارت القيامة عيدا وصار الكفار طبولا ، ونحن كالمحتفلين بالعيد ضاحكون كالوردة .
- استمع الآن ، عندما صاحت تلك الطبلة ، وكيف يطبخ قدر حساء الحظ ؟
- عندما سمع رجل البصيرة ذاك ذلك الطبل ، قال : كيف يخاف قلبي من طبل العيد ؟
- وحدث نفسه قائلا : انتبه ولا تجعل للرعدة سبيلا إلي قلبك من هذا ، فلقد ماتت أرواح الجبناء الذين بلا يقين .

4355 - لقد حان الوقت لأستولي علي الملك كحيدر ، أو أضحي بالبدن .

- فنهض صائحا : أيها العظيم ، إنني علي استعداد “ للنزال “ فإن كنت رجلا فتعال ! - وفي التو واللحظة بطل الطلسم من صوته ، وأخذ الذهب يتساقط من كل صوب ، قسما قسما .
- وسقط ذهب كثير بحيث خاف ذلك الفتي أن يسد الذهب طريق الباب - ونهض ذلك الأسد العنيد ، وأخذ حتى الفجر ينقل الذهب .

4360 - كان يدفنه ثم يعود مرة ثانية بالجوال والخرج مليئين بالذهب .
- أخفي كنوزه ذلك المقامر بروحه ، بسبب عمي أولئك المتقهقرين وخوفهم .
- لقد طاف هذا الذهب الظاهر بخاطر كل أعمي مبعد عابد للذهب .
- إن الأطفال يحطمون الفخار ويسمونه ذهبا ويضعونه في حجورهم .
- وفي تلك اللعبة ، عندما تذكر اسم الذهب ، فإن ما يطوف بخاطر الأطفال هو هذا الفخار .

4365 - بل إن الذهب “ الحقيقي “ هو المسكوك بالضرب الإلهي ، إنه لا يكسد أبدا بل يكون سرمديا .
- إنه الذهب الذي وجد الذهب لمعانه منه ، ووجدت الجواهر فيه تألقها وبريقها .
- إنه ذلك الذهب الذي يثري به القلب ، ويتغلب علي القمر في ضيائه .
- كان ذلك المسجد شمعا وكان هو فراشة ، وقامر بنفسه ذلك المتطبع بطبع الفراش .
- لقد أحرق الجناح ، لكنه صنعه ، وكانت فدائيته تلك كثيرة البركة .

4370 - كان كموسي ذلك المقبل ، إذ رأي نارا ناحية تلك الشجرة .

- ولما كانت العناية موفورة له ، كان يظنها نارا ، وكانت هي عين النور .
- وعندما تري نار حق يا بني ، لا تظنن بها ظنك بنار البشر .
- إنك تستمد معني الأمر في نفسك وما هو فيك ، فالنار والشوك ظن باطل في هذا المقام .
- إنها شجرة موسي تفيض بالضياء ، سمه نورا ولا تسمه نارا وأقبل إليها مرة ! .

4375 - ألم يبد الفطام عن هذه الدنيا نارا ؟ لقد مضي فيه السالكون فكان عين النور .
- إذن فاعلم أن شمع الدين في سمو ، وليس مثل الشموع التي " تحتوي " علي النيران .
- إن الشموع العادية تبدي النور لكنها تحرق الصديق ، وشمع الدين نار في صورته لكنه ورد للزوار .
- وشمع " الدنيا " يبدو صافيا لكنه محرق ، لكن " شمع الدين " عند الوصال مضئ للقلب .
- وإن شعلة النور الطاهر الخلاق نور للحضور ، لكنها كالنار للمبعدين " 1 " .

لقاء ذلك العاشق مع صدر جهان

4380 - لقد ألقي ذلك البخاري بنفسه علي الشمع أيضا ، كان ذلك الكبد قد هان عليه من العشق .
- لقد تصاعدت أهاته الحري نحو الفلك ، فتحركت الرحمة في قلب صدر جهان .

....

(1) ج / 9 - 142 : إن الحاضرين أسعد حالا من الغائبين ، وليس للغائبين توفيق الخير ، وليس لهذا الكلام من نهاية ظاهرة . فتحدث عن العاشق والصدر المجيد .

- وحدث نفسه في الفجر " مناجيا " : يا أحد . . . كيف حال شريدنا ذاك ؟
- لقد إذنب ، وعلمنا ذلك عنه ، لكنه لم يكن يعلم رحمتنا جيدا ؟
- إن خاطر المجرم يكون في خوف وهم ، لكن كثيرا " 1 " من الآمال تكون في خوفه هذا ! !

4385 - إنني أخيف الوقح المهذار، لكن أي تخويف مني لذلك الذي يخاف في الأصل؟
- والنار خليقة بالقدر البارد ، لا بذلك القدر الذي يطف حتى حافته من الغليان .
- إنني أخوف الآمنين بالعلم ، لكني أخوف الخائفين بالحلم .
- إنني أرقع ، أضع كل رقعة في موضعها ، وأعطي كل امرئ ما يصلح له من شراب .
- وسر المرء كجذر الشجرة ، تنمو أوراقها من الخشب اليابس .

4390 - ولقد نمت الأوراق بما يليق بهذه الجذور ، وهذا الأمر سواء في الشجر أو في النفوس أو في النهي .
- وعلي الفلك أوراق من " أشجار " الوفاء ، أصلها ثابت وفرعها في السماء .
- وعندما نبتت أوراق من العشق فوق السماء، كيف لا تنمو إذن في قلب صدر جهان؟
- وأخذ العفو عن الذنب يتموج في قلبه ، ذلك أن هناك كوة من القلب إلي القلب .
- من القلب إلي القلب كوة علي وجه اليقين ، ليست منفصلة أو بعيدة مثلما يكون الجسدان .

....
(1) حرفيا : مائة أمل .

4395 - وقاعدتا مصباحين لا تلتقيان ، لكن نورهما يمتزج في مجاله .
- ولا يوجد عاشق قط يكون باحثا عن الوصل ، ولا يكون معشوقه باحثا عنه .
- لكن عشق العاشقين يصيب الجسد بالنحول ، وعشق المعشوقين يجعل المرء سعيدا ممتلئا .
- وعندما لمع في هذا القلب برقُ حب الحبيب ، أعلم أن الحب موجود علي وجه اليقين في ذلك اللقب .
- وعندما صار حب الحق في قلبك زائدا ، فعند الحق بلا شك الحب لك .

4400 - فلا يتأتي تصفيق منك أبدا من يد واحدة دون اليد الآخري .
- إن الظمآن يجأر بالشكوي قائلا : أين الماء العذب ؟ والماء يشكو أيضا قائلا : أين الشارب ؟ .
- إنه جذب الماء ذلك العطش الموجود في أرواحنا ، إنه لنا ونحن أيضا له .
- وكلمة الحق في القضاء والقدر ، قد جعلت كلا منا عاشقا للآخر .
- وكل أجزاء الدنيا من ذلك الحكم السابق ، صارت أزواجا كل عاشق لزوجه .

4405 - وكل جزء من العالم طالب لزوجه ، تماما كما “ يجذب “ الكهرمان قطع القش .
- وتقول السماء للأرض : مرحبا ، إنني معك “ كما يكون “ حجر المغناطيس وبرادة الحديد .
- فالسماء هي الرجل وهي المرأة في نظر العقل ، وكل ما تلقيه السماء تربيه الأرض .
- وعندما لا تبقي فيها حرارة ترسلها إليها وعندما لا يبقي فيها رطوبة أو ماء تعطيها إياها .

- والبرج الترابي مدد لتراب الأرض ، والبرج المائي يبث فيها الرطوبة .

4410 - والبرج الهوائي يحمل إليها السحاب ، حتى يجذب منها الأبخرة الوخمة .
- وحرارة الشمس من البرج الناري ، وهو كالمقلاة الحمراء من النار ظهرا ووجها .
- والفلك دوار حول الأرض ، مثل الرجال حول (الكدح) من أجل النساء .
- وهذه الأرض تقوم بالتدبير ، وتتكفل بأمور الولادة والرضاع .
- فأعلم إذن أن الأرض والفلك من العقلاء ، فهما يقومان بأعمال العقلاء .

4415 - وإن لم يكن هذان الحبيبان يستمع كل منهما بالآخر ، فلماذا إذن يتداخلان كالأزواج ؟
- وبدون الأرض متي ينمو الورد والأقحوان ؟ وماذا يتولد إذن من ماء السماء وحرارتها ؟
- ومن أجل هذا يكون الميل في الأنثي إلي الذكر ، حتى يكمل كل منهما الآخر .
- لقد وضع الحق الميل في الرجل والمرأة ، حتى تجد الدنيا البقاء من الاتحاد .
- ويضع أيضا الميل في كل جزء إلى جزء ، ومن اتحادهما معا يوجد ميلاد .

4420 - والليل هكذا مع النهار في اعتناق ، إنهما مختلفان في الصورة لكنهما في اتفاق .
- والليل والنهار وهما في الظاهر ضدان وعدوان ، ينسجان كلاهما حقيقة واحدة

- كلاهما طالب للآخر مريد له لنفسه ، وهذا من أجل إكمال فعله تعالي وأمره .
- ذلك أنه إن كان لا ليل لا يكون هناك دخل للطبع ، وماذا ينفق إذن خلال النهار ؟

جذب كل عنصر لجنسه المحتبس في تركيب الإنسان مع غير جنسه

- يقول التراب لتراب الجسد : عد ، اترك الروح وأقبل نحونا كالغبار .

4425 - إنك من جنسنا وأولي بك أن تكون عندنا ، وأفضل لك أن تنجو من الجسد ، ومن تلك الرطوبة “ التي فيه “ .
- فيقول : لبيك ، لكني مقيد القدم ، بالرغم من أنني في ألم من الهجران مثلك .
- ويطلب الماء رطوبة الجسد قائلا لها : أيتها الرطوبة عودي إلينا من الغربة .
- ويستدعي الأثير حرارة الجسد قائلا لها : أنت من نار فعودي إلي أصلك .
- وهناك سبعون واثنتان من العلل في الجسد ، فاقدة للزمام من جذب العناصر .

4430 - وتأتي العلة حتى تفتت البدن ، وحتى تترك العناصر بعضها البعض الآخر .
- وهذه العناصر طيور أربعة مقيدة القدم ، والموت والمرض والعلة هي التي تفك قيد القدم .
- وعندما تفك قيودها بشرع طائر كل عنصر في الطيران علي وجه اليقين .

- وجذب هذه الأصول لفروعها يضع في كل لحظة ألما علي أجسادنا .
- فتمتزق كل هذه التراكيب ، ويعود طائر كل عنصر محلقا إلي أصله .

4435 - وحكمة الحق هي التي تمنع حدوث هذا الأمر علي عجل ، وتجمع هذه العناصر بالصحة حتى يحين الأجل .
- قائلة : أيتها الأجزاء ليس الأجل مشهودا ، ولا نفع لكم في الطيران قبل أن يحين الأجل .
- ولما كان كل يبحث عن اللحاق برفيقه ، فكيف تكون الروح الغريبة من الفراق ؟

انجذاب الروح أيضا إلى عالم الأرواح وطلبها لمقرها وميلها إليه وانقطاعها عن أعضاء الأجسام التي هي بمثابة القيد في قدم بازى الروح

- تقول الروح : يا أجزائي الأرضية الدنية ، إن غربتي أكثر مرارة فأنا من العرش .
- فميل الجسد إلي الخضرة والماء الجاري ، وذلك لأن أصله منها .

4440 - وميل الروح إلي الحياة وإلي الحي ، ذلك أن أصلها هو روح اللامكان .
- وميل الروح إلي الحكمة وإلى العلوم ، وميل الجسد إلي البستان والرياض والكروم .
- وميل الروح إلي الترقي والشرف ، وميل الجسد إلي الكسب وأسباب العلف .
- وميل ذلك الشرف وعشقة أيضا موجه إلي الروح ، وأعلم أنه “ يحب “ و “ يحبون “ أيضا من نفس هذا المجال .

- والخلاصة أن كل من يكون طالبا لشئ تكون روح مطلوبه راغبة فيه .

4445 - ولو شرحت هذا الأمر لطال الكلام إلي ما لا حد ، ولصار المثنوي ثمانين مجلدا .
- والإنسان والحيوان والنبات والجماد ، كلها مرادات عاشقة لمن لا مراد له .
- ومن لا مراد لهم ينسجون حول مراد وتلك المرادات تجذبهم إليها .
- لكن ميل العاشقين يصيب بالنحول ، وميل المعشوقين طيب ويسبب العافية والامتلاء .
- لقد أشعل عشق المعشوقين النار في الوجنتين ، لكن عشق العاشق قد أحرق روحه .

4450 - وكهرباء العشق مستمرة بشكل لا انقطاع فيه ، والقش لا يزال يجاهد في ذلك الطريق الطويل .
- ودعك من هذا ، فعشق ذلك الظمأن الشفة ، قد اشتعل في صدر " صدر جهان " .
- ونفذ دخان ذلك العشق وزفرات معبد نار " قلبه " إلي السيد فصار مشفقا .
- لكنه كان خجلا في طلبه إياه ، من حوله وطوله وكرامته .
- صارت رحمته مشتاقة لذلك المسكين ، لكن سلطته كانت حائلا دون إبداء هذا اللطف .

4455 - والعقل في حيرة " متسائلا " : عجبا ، أيجذبه هذا ، أم أن الجذب جاء من تلك الناحية إليه .
- فاترك التذاكي فلست واقفا علي " سر " هذا الأمر ، وأصمت فالله تعالي أعلم بالخفي " 1 " .

....
(1) ج / 9 - 162 : انني اضم شفتي كل لحظة عن مثل هذا الكلام ، وأتوب كل لحظة مائة مرة

- ولأخف هذا الكلام بعد الآن ، فذلك الجاذب يجذبني وما ذا أفعل .
- ومن ذلك الذي يجذبك أيها المعتني ؟ إنه هو الذي لا يدعك تتحدث بهذا النفس .
- إنك تعزم مائة مرة علي السفر ، لكنه يجذبك إلي مكان آخر .

4460 - ويسوق ذلك الزمام إلي كل ناحية ، حتى يجد الجواد الساذج خبرا عن الفارس .
- والجواد الذكي مبارك الخطي ، يعلم أن الفارس ممتط صهوته .
- لقد علق قلبك بمائتي شهوة ، ثم ردك خائبا وكسر القلب .
- وما دام هو قد حطم قوادم الرأي الأول ، فكيف لم يثبت لك الوجود المحطم للقوادم ؟
- وما دام قضاؤه قد جعل غزل تدبيرك أنكاثا ، فكيف لم يثبت لك أن قضاءه قد جري عليك ؟

فسخ العزائم ونقضها من أجل إعلام الإنسان أنه هو المالك والقاهر وعدم فسخ العزائم بين الآن والآخر وإنفاذها لكي يطمعه على العزم حتى ينقض عزمه ثانية ، وحتى يكون هناك تنبيه بعد تنبيه

4465 - إن العزائم والمقاصد في الحوادث ، تصح لك بين الحين والآخر .
- حتى يلوي قلبك طمعا ، فيحطم قلبك مرة أخرى .
- ذلك أنه إن جعلك بلا مراد كلية ، لصرت قانط القلب ، فمتي غرست غرس الأمل ؟
- فهو وإن كان ينقش الأمل في قلب الإنسان ، فمتي كان قهره يبدو عليه من انتفاء هذا الأمل ؟
- لقد صار العشاق من صدهم عن مرادهم عارفين بمولاهم .

4470 - وصارت الخيبة دليلا إلي الجنة ، فاستمع إلي " حفت الجنة " يا حسن الجبلة .
- وكل مراداتك كسيرة القدم ، ومن ثم يلزمك شخص ، موفق الخطي .
- ومن ثم صار هؤلاء الصادقون كسيرين ، لكن أين هو انكسار العاشقين .
- وإن العقلاء كسيرون له اضطرارا ، لكن العشاق كسيرون له بمائة اختيار .
- والعقلاء عنده عبيد مقيدون لكن العشاق ممزوجون بالسكر .

4475 - " ائتيا كرها " هي مهار العاقلين ، و " ائتيا طوعا " هي ربيع مسلوبي القلوب .

نظر الرسول عليه السلام إلى الأسرى وتبسمه وقوله :
عجيب من قوم يجرون إلى الجنة بالسلاسل والأغلال

- رأي الرسول عليه السلام جماعة من الأسري ، كانوا يصحبونهم في ضجة وصخب .
- رآهم ذلك الأسد اليقظ وهم في القيد ، وكانوا يسترقون إليه النظر .
- كان كل منهم يصر علي أسنانه وشفتيه غضبا علي رسول الصدق .
- لكنهم لم يجرءوا مع هذا الغضب علي الحديث ، ذلك أنهم كانوا في قيد الغضب الثقيل " 1 " .

4480 - كان حارس يسوقهم نحو المدينة ، كان يحملهم من ديار الكفر قهرا .
- كانوا يحدثون أنفسهم " إنه لا يقبل فداء أو مالا ، ولا شفاعة من عظيم تؤثر فيه .

....

(1) حرفيا : الذي يزن عشرة أمنان .

- إنهم يقولون إنه رحمة للعالمين ، بينما هو في الحقيقة يذبح عالما “ .
- أخذوا يسيرون في الطريق مع آلاف من أنواع الإنكار ، وهم يعببون همسا علي أمر المليك .
- “ ويقولون “ لقد احتلنا كثيرا ولا حيلة لنا هنا ، إن قلب هذا الرجل ليس أقل “ قسوة “ من حجر الصوان .

4485 - إننا آلاف من الرجال أسد الوغي “ كألب أرسلان “ . هكذا في أسر اثنين أو ثلاثة من العراة المتهافتين .
- وهكذا أسقط في أيدينا ، أمن سيرنا المعوج ؟ أو سوء الطالع ؟ أو لعله سحر .
- لقد مزق إقباله إقبالنا ، وانقلب عرشنا من “ تأثير “ عرشه .
- فإذا كان أمره قد أرتفع من جراء السحر ، لقد قمنا نحن أيضا بالسحر فكيف لم يجد فتيلا ؟

تفسير هذه الآية : إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الْفَتْحُ إلى آخره .
أيها الطاعنون كنتم تقولون انصر من على الحق منا ، حتى يظن
أنكم طلاب حق بلا غرض والآن نصرنا محمدا
حتى تعلموا من هو صاحب الحق .

- لقد دعونا الأصنام ودعونا الله قائلين : اقض علينا إن كنا علي غير الحق .

4490 - وانصر من يكون علي الحق منا ، وأيده بالظفر “ من لدنك “ .
- لقد دعونا هذا الدعاء كثيرا وصلينا أمام اللات والعزي ومنات .
- قائلين : إن كان هو علي الحق فأظهره ، وإن لم يكن علي الحق فاجعله مغلوبا لنا .

- ولما رأينا أنه المنصور ، كنا جميعا ظلمة ، وكان هو النور .
- وهذا هو جواب دعائنا قد ظهر ، وهو يقول لنا : إنكم كنتم علي غير الحق .

4495 - لقد أخذوا يبعدون هذه الفكرة عن عقولهم ويمتنعون عن ذكرها .
- قائلين : لقد عنت لنا هذه الفكرة من هزيمتنا ، بحيث وقر في قلوبنا أنه علي الحق .
- وماذا في الأمر إن غلب هو عدة مرات ؟ إن الأيام تجعل كل امرئ غالبا !
- لقد كنا أيضا موفقين منذ أيام ، وانتصرنا عليه عدة مرات .
- ثم أخذوا يقولون : إنه وإن هزم فليست هزيمته كهزيمتنا ، إن هزيمتنا هذه قبيحة ومنكرة .

4500 - ذلك أن إقباله قد وضع تحت يده - حتى في الهزيمة - كثيرا من السرور الخفي .
- إنه لم يكن يشبه مهزوما قط ، فلم يكن لديه من الهزيمة - حزن أو قلق .
- وبالرغم من أن أمارة المؤمنين النصر ، فإن المؤمن سعيد أيضا في الهزيمة .
- فلو أنك تفتق المسك والعنبر ، فإنك تجعل عالما مليئا بأريج الريحان .
- ولو كسرت فجأة بعر الحمار ، تمتلئ المنازل بالعفن حتى سطوحها “ 1 “ .

4505 - ذلك أنه عندما عاد من الحديبية بذل ، دقت دولةإِنَّا فَتَحْناله الطبول .

....
(1) ج / 9 - 174 : من الذي يقيس المسك الملك بالبعر ؟ ! ومن الذي يقيس الماء بالبول والأطلس بالخرقة البالية ؟ ! وعندما كان رسول الله عائدا من الحديبية ، كان مثقلا ملولا حزينا .

السر في أن الله تعالى سمى عودة الرسول عليه السلام من الحديبية فتحا ، ونزلت إِنَّا فَتَحْنا أي أنها كانت هزيمة بالصورة وفتحا بالمعنى كما أن تفتيق المسك هو في الظاهر كسر له وبالمعنى تحقيق المسكية فيه وإكمال فوائده

- لقد بلغت رسالة من الدولة “ الإلهية “ أن : امض ولا تكن حزينا من منع هذا الظفر .
- ففي هذه الذلة الحاضرة فتوح لك ، والآن فإن قلعة كذا وقلعة كذا هي لك .
- فانظر في النهاية أنه عندما عاد حزينا ، ماذا حدث لبني قريظة وبني النضير منه ؟ .
- لقد سلمت له قلاع حول هاتين البقعتين ، وغنم من الغنائم الفوائد الكثيرة .

4510 - وإن لم يكن الأمر هكذا ، فانظر إلي هذا الفريق “ من المؤمنين “ ، إنهم ممتلئون حزنا وغما ولكنهم مفتونون عاشقون .
- إنهم يقضمون سم الذلة كأنه السكر ، ويرعون أشواك الغم كالجمال .
- وهذا من أجل الحزن في حد ذاته لا من أجل “ انتظار “ الفرج ، فهذا النزول عندهم كالدرج .
- إنهم سعداء في قعر الجب بحيث يخافون من العرش والتاج .
- وحينما يكون الحبيب حبيبا ، فالمكان فوق ذري الفلك لا تحت الأرض .

تفسير الخبر أن المصطفى عليه السلام قال : لا تفضلوني على يونس بن متى

4515 - قال الرسول عليه السلام : إنه ليس لمعراجي فضل علي معراج يونس بن متي .

- إن كان معراجي علي الفلك وكان معراجه تحت الأرض ، ذلك أن قرب الحق خارج عن الحساب .
- وليس القرب هو الذهاب إلي أعلي أو إلي أسفل ، إن قرب الحق هو الخلاص من حبس الوجود .
- فأي مكان للغالي والسافل في ، “ عالم “ العدم ، وليس فيه عجلة ، أو بعد أو تأخير .
- إن مصنع الحق وكنزه في “ عالم “ العدم ، وأنت مغرور بالوجود فما الذي تدريه عن العدم ؟ .

4520 - “ أخذوا يقولون “ : الخلاصة أن هزيمتهم هذه أيها العظيم لا تشبه أبدا هزيمتنا .
- إنهم سعداء في وقت الذل والتلف ، كما نكون نحن في وقت العز والشرف .
- إن القدرة علي الاستغناء هي إقطاعهم ، والفقر والذل فخر لهم وعلو .
- وقال أحدهم : لو أن هذا الخصم كما يقولون فكيف ضحك هكذا عندما رآنا مغلوبين ؟
- وإذا كان قد بدل “ من الصفات الذميمة “ ، أليس فرحه إذن من وقوعنا في الأسر بينما هو حر ؟

5425 - وكيف فرح إذن بقهر الأعداء ، وكيف امتلاء هكذا بالكبرياء من هذا الفتح ؟
- نعم ، لقد فرحت روحه إذ وجد النصرة واليد الطولي والظفر علي أسد الوغي ! !
- إذن فقد علمنا أنه ليس مبرأ “ من صفات الخلق “ ، وليس راضيا ولا سعيدا إلا بالدنيا .

- وإلا فلماذا الضحك ؟ إن أهل الآخرة يكونون مشفقين حنونين علي الطيب والشرير ! !
- كان هؤلاء الأسري يغمغمون بهذا الكلام عند مناقشتهم لهذا الأمر معا .

4530 - قائلين “ حذار حتى لا يسمع الحارس ويحمل علينا ، وينتقل هذا الكلام إلي أذن ذلك السلطان “ !

علم الرسول عليه السلام بعذلهم إياه على شماتته

- بالرغم من أن ذلك الحارس لم يسمع هذا الحديث ، فإنه قد بلغ تلك الأذن التي كانت من لدنحَكِيمٍ خَبِيرٍ.
- فلم يشم رائحة قميص يوسف من كان يحمله وشمها يعقوب .
- وأولئك الشياطين فوق عنان السماء لا يسمعون ذلك السر المكتوب في لوح علام الغيوب .
- أما محمد عليه السلام الذي يكون نائما متكئا ، يجئ ذلك السر ويطوف حوله .

4535 - إنما يأكل الحلوي من تكون رزقا له ، لا ذلك الذي يكون طويل اليد .
- ولقد صار النجم الثاقب حارسا يطرد الشيطان قائلا له : انصرف أيها اللص ، وخذ السر من أحمد .
- ويا أيها العزيز المهرع خوفا نحو الدكان منذ الفجر ، انتبه واذهب إلي المسجد واطلب الرزق - أولا - من الله .
- لقد فهم الرسول قولهم هذا ، فقال عليه السلام : لم يكن ضحكي ذاك من “ انتصاري “ في المعركة .

- لقد ماتوا واهترأوا في الفناء ، وليس من الرجولة في عرفنا أن نقتل الموتى .

4540 - ومن يكونون هم ؟ والقمر ينشر عندما أثبت في ميدان القتال .
- وعندما كنتم أحرارا ومتمكنين ، كنت أراكم أيضا هكذا مغلولين .
- فيا من أنت مدل بالملك والنسب ، إنك في عرف العاقل جمل علي قناة .
- فمنذ أن صارت صورة الجسد هذه مفتضحة في الدنيا " 1 " ، صار أمام عيني كل أت حاضرا .
- أنظر إلي الحصرم فأري الخمر عيانا ، وأنظر إلي العدم فأري الشيء عيانا .

4545 - وأنظر إلي السر فأري عالما خفيا ، وأدم وحواء لم يظهرا بعد في الدنيا .
- وقد رأيتكم يوم " الست " مغلولي الأقدام ناكسي رءوسكم أذلاء ! - ومنذ خلق السماء التي بلا عمد ، ما علمته حدث دون زيادة أو نقصان .
- كنت أراكم ناكسي رءوسكم ، قبل أن أصور من الماء والطين .
- وليست رؤيتي لكم هكذا بالأمر الجديد حتى أفرح بها ، إنه هو ما كنت أراه أوان إقبالكم .

4550 - كنتم مقيدين بالقهر الخفي وأي قهر هو ، كنتم تأكلون السكر وقد امتزج بالسم .
- ولو يشرب العدو مثل هذا السكر الممزوج بالسم ، فأي حسد يأتيك له ؟ .
- كنتم تشربون ذلك السم بسرور ، والموت أخذ بكلتا أذنيكم خفية .
- إنني لم أكن أغزو من أجل هذا ، أي من أجل أن أحصل علي الظفر وأستوي علي " عرش " الدنيا .

....

(1) حرفيا : سقط طست صورة الجسد من السقف .

- فهذه الدنيا جيفة وميتة ورخيصة ، فكيف أكون حريصا علي هذه الميتة ؟

4555 - ولست بالكلب حتى أمزق أكفان الموتى ، إنني عيسى أتي لكي أحييهم .
- ولذلك فأنا أشق صفوف القتال ، حتى أخلصكم من الهلاك و “ الوبال “ .
- ولست أمزق حلوق البشر ، لكي يكون لي مجد “ وحشمة وأبهة “ .
- بل أمزق حلوق عدد من الناس ، حتى يتحرر عالم من تلك الحلوق .
- لأنكم كالفراش من جهلكم ، تتهافتون علي النيران بهجومكم هذا .

4560 - وأنا أحول بينكم وبين السقوط في النيران كالثمل بكلتا يدي .
- والذي كنتم تظنونه نصرا وظفرا لكم ، هو في الحقيقة أنكم كنتم تبذرون بذور شؤمكم .
- كنتم تنادون بعضكم بعضا : جد جد ، وتسوقون خيولكم نحو أفواه التنانين .
- كنتم تنتصرون وفي نفس هذا النصر ، كنتم أنفسكم مقهورين بقهر أسد الدهر .

بيان أن الطاغية في عين قهره مقهور وفي عين نصره مأسور

- لقد ظفر اللص بسيد ما وسرق ذهبه ، وبينما كان مشغولا بهذا وصل الوالي .

4565 - ولو أنه هرب من السيد ذلك الزمان ، فإن الوالي كان سيحرش خلفه الأعوان .
- كان نصر اللص هزيمة له ، ذلك أن نصره هذا اختطف رأسه .
- كان نصره علي السيد فخاله ، وذلك حتى يصل الوالي ويأخذ القود .

- فيا من قد انتصرت علي الخلق في الوغي ، وانهمكت في القتال والغلبة .
- لقد جعله “ الله “ مهزوما لَكَ عن قصد وعمد ، حتى يجرك في نفس حلقته .

4570 - فهيا وأقصر العنان عن مطاردة هذا المهزوم ، ولا تسق - في هذا الأمر - حتى لا تصير هالكا .
- فما داموا قد جذبوك بهذا الحيلة إلي الشبكة ، فسوف تري الهجوم عليك “ فيما بعد “ في الزحام .
- ومتي صار العقل سعيدا بهذا النصر ، ما دام قد رأي في انتصاره الفساد .
- إن العقل الذي يري العاقبة حاد البصر ، ذلك أن الله تعالى قد كحله من كحله .
- لقد قال الرسول عليه السلام : إن أهل الجنة ضعفاء في الخصومة وهذا من فضلهم .

4575 - وهذا من كمال الحزم وسوء الظن عندهم ، لا نقصا أو خوفا أو ضعفا في الدين .
- لقد سمعوا عن إظفار عدوهم بهم من السر كلمة “ لولا رجال مؤمنون “ .
- وإن كف الأيدي عن الكفار الملاعين ، قد فرض من أجل خلاص المؤمنين .
- فأقرأ قصة عهد الحديبية ، واعلم منها المعني الصحيح ل “ كف أيديكم “ .

- إنه - عليه السلام - حتى في نصره هذا، قد رأي نفسه مغلوبا بشراك الكبرياء "1" .

4580 - فقال : لست من أجل هذا أضحك ، أي من أجل أغلالكم أو لأنني ظفرت بكم فجأة .
- إنني أضحك لأنني بالقيود والأغلال . . . أجركم إلي رياض أشجار السرو والورود .
- فيا عجبا ، إنني من النار التي لا مفر منها أتي بكم مغلولين مقيدين إلي الرياض .
- إنني أجركم من الجحيم إلي الخلد ، وأنتم مقيدون بالقيد الثقيل .
- وكل مقلد في هذا الطريق طيبا كان أو شريرا ، يجر مقيدا هكذا إلي الحضرة الإلهية .

4585 - وكلهم يمضون في هذا الطريق وهم في قيود الخوف والابتلاء اللهم إلا الأولياء .
- إنهم يتحملون هذا الطريق كأنه السخرة ، اللهم إلا أولئك الذين وقفوا علي أسرار الأمر .
- فجاهد حتى يتألق منك النور ، وحتى يهون عليك السلوك والطاعة .
- إنك تحمل الأطفال إلي المكتب بالإجبار ، ذلك أنهم يجهلون فوائده .
- وعندما يفهمون هذه الفوائد يسرعون إلي المكتب ، وتتفتح أرواحهم من هذا الذهاب .

4590 - إن الطفل يذهب إلي المكتب متعثرا وباعوجاج ، لأنه لم ير شيئا قط أجرا لعمله .
- وعندما تضع " دانقا " في كيسه تشجيعا له ، لا ينام الليل أنذاك وكأنه اللص .

....

(1) ج / 9 - 198 : ولقد جاءه الخطاب ب " ما رميت إذ رميت " وتحير ، والله أعلم الصواب .

- فجاهد حتى يصلك أجر الطاعة ، فتبدأ أنذاك في حسد المطيعين .
- إن “ ائتيا كرها “ قد نزلت في من كان مقلدا ، أما “ ائتيا طوعا “ فهي لمن عجنوا بالصفاء .
- فهذا محب للحق من أجل علة ، والآخر - دون غرض في نفسه - يكون في خلة .

4595 - هذا يحب المرضعة من أجل ما يرضعه منها من لبن ، وذاك ضحي بقلبه من أجل تلك السيدة .
- والطفل لا خبر لديه عن حسنها ، ولا غرض لقلبه منها إلا في لبنها .
- أما الثاني فهو عاشق للمرضعة نفسها ، وهو ثابت على عشقه لها دون غرض .
- ومن هنا ، فمحب الحق على الرجاء أو الخوف ، إنما يقرأ دفتر التقليد عند الدرس .
- وأين ذلك المحب للحق من أجل الحق و “ أين ذلك “ الذي يكون منفصلا عن العلل والأغراض ؟

4600 - لكن لما كان هذا وذاك طالبين للحق ، فإن جذب الحق يجذبهم إليه .
- سواء كان محبا للحق من أجل غيره ، ولكي ينال دائما من “ بره “ وخيره . .
- أو محبا للحق لعينه لا سواه خائفا من بينه .
- وكل هذا السعي عند كليهما هو ذلك السبب ، أي انشغال القلب بذلك المحبوب .

جذب المعشوق للعاشق من حيث لا يعلمه العاشق ولا يرجوه ولا يخطر بباله ولا يظهر في ذلك الجذب أثر في العاشق إلا الخوف الممزوج باليأس مع دوام الطلب

- ها نحن أولياء أتينا إلي هذا الموضع ، إنه بالرغم من أنه لم يكن عند صدر جهان جذب لذلك العاشق في السر .

4605 - متي كان صبره إذن ينفد من الفراق ؟ ومتي كان يعود مسرعا نحو الموطن ؟
- إن ميل المعشوقين خفي ومستور ، وميل العاشقين ذو مائة طبل ونفير .
- وهناك حكاية " تساق " اعتبارا في هذا المجال ، لكن البخاري قد نفد صبره في الانتظار .
- فلنترك قصها إذن ، فهو في بحث وسعي ، حتى يري وجه محبوبه قبل أن يوافيه الأجل .
- وحتى ينجو من الموت ، ويجد منه النجاة ، ذلك أن رؤية الحبيب هي ماء الحياة .

4610 - وكل من لا تدفع رؤيته الموت ، لا هو بحبيب ، ولا هو بزاد أو ثمر .
- فالحب هو ذلك الحب أيها المشتاق الثمل ، الذي لو حاق بك الموت فيه يكون حلوا .
- فلقد صارت أمارة صدق الإيمان أيها الفتي هي أن يحلو لك الموت فيه .
- وإن لم يكن إيمانك هكذا أيها العزيز ، فلست بكامل فامض وأبحث عن كمال الدين .

- وكل من كان في أثرك محبا للموت ، وكان غير مكروه من قلبك فهو حبيب .

4615 - وما دامت الكراهية قد انتفت " عن الموت " فهو ليس بموت ، إنه صورة الموت ، لكنه انتقال .
- وعندما تنتفي الكراهية يصير الموت نفعا ، ومن ثم يصح أن يكون الموت دفعا " للأجساد والصور " .
- والحبيب علي وجه الحقيقة هو الحق ، وذلك الذي قال لك " أنت لي وأنا لك " .
- واستمع الآن ، فها هو ذا العاشق " البخاري " يصل ، وقد شد العشق وثاقة بحبل من مسد .
- وعندما أبصر وجه صدر جهان ، كأنما طار من جسده طائر الروح .

4620 - أنهدّ جسده وسقط كأنه الخشب اليابس ، وسرت فيه البرودة من مفرق الرأس إلي أخمص القدم .
- ومهما أحرقوا من بخور أو رشوا " علي وجهه " ماء ورد ، لم يتحرك ولم ينبس ببنت شفة .
- وعندما رأي الملك وجهه الشبيه بالزعفران ، ترجل عن مطيته ومشي صوبه .
- وقال : إن العاشق يبحث عن المعشوق بقلق وجد ، وعندما وجد المعشوق ذهب ذلك العاشق .
- إنك عاشق للحق ، وعندما يتجلى الحق فإنه لا يبقي منك شعرة واحدة .

4625 - إن مائة مثلك فانون أمام تلك النظرة ، إنك عاشق لنفي ذاتك أيها السيد .

- إنك ظل وعاشق للشمس ، وعندما تسطع الشمس ، لا غرو أن الظل يفر مسرعا " 1 " .

تظلم البعوضة من الريح لحضرة سليمان عليه السلام

- لقد جاءت البعوضة من الرياض والأعشاب ، إلي محضر سليمان عليه السلام متظلمة له .
- وقالت : يا سليمان إنك تنشر العدل بين الشياطين والإنس والجن .
- والطيور والأسماك في حمي عدلك ، ومن هو ذلك الضال الذي لم يبتغ فضلك ؟

4630 - فأنصفنا ، إنا شديد والمسكنة ، ونحن بلا نصيب من البساتين والرياض .
- وإن مشكلات كل ضعيف لها منك الحل ، والبعوضة في حد ذاتها مثل في الضعف .
- إن شهرتنا في الضعف وانكسار الجناح ، مثل شهرتك في اللطف ورعاية المساكين .
- ويا من أنت في منتهي درجات القدرة ، نحن في منتهي النقصان والضعف .
- فأنصفنا وخلصنا من الغم ، وخذ بأيدينا يا من يدك هي يد الله تعالى .

4635 - فقال سليمان : يا طالب الإنصاف ، ممن تطلب العدل والإنصاف ؟
- فقل لي : من ذلك الظالم الذي خمش وجهك من كبريائه وعنجهيته ؟

....

(1) ج / 9 - 217 : وعندما يطل قرص الشمس من المشرق ، لا يبقى من الليل أو من النجم أثر ، وعندما يدخل العشق قلبا ، يلقي العقل بمتاعة خارجا . مثل أسد شرب مع غزال مرتين أو أربع ، فغاب الغزال عن الوعي وسقط ، مثل بعوضة أمام ريح عاتية ، فافهم الله أعلم بالسداد .

- عجبا : أين هو الظالم في عهدنا وليس في سجننا أو مقيدا في أغلالنا ؟
- ذلك أن الظلم قد مات يوم ولدنا فمن الذي زاول الظلم في عهدنا إذن ؟
- وعندما ظهر النور انمحت الظلمة ، فالظلمة هي أصل الظلم وعضده .

4640 - والشياطين الآن تقوم بالكسب والطاعة ، وآخرون منهم مصفدون بالأغلال .
- وأصل ظلم الظلمة من الشيطان ، والشيطان مصفد في الأغلال فكيف ظهر الظلم ؟
- لقد أعطانا الله الملك بأمر “ كن “ فكان ، وحتى لا يضج الخلق بالشكوي نحو السماء .
- وحتى لا يصعد دخان “ قلوب المظلومين “ إلي الأعالي ، حتى لا تضطرب الأفلاك ونجوم السها .
- وحتى لا يهتز العرش من أنين اليتيم ، وحتى لا تصاب روح بالسقم من الظلم .

4645 - ومن هنا فقد أقمنا شريعة في الممالك ، حتى لا ترتفع إلي الفلك صيحة “ يا ربي “ .
- فلا تنظر أيها المظلوم نحو السماء ، فإن لك الآن ملكا سماويا .
- قالت البعوضة : إن شكواي من الريح التي مدت كلتا يدي ظلمها علينا .
- ولقد ضقنا ذرعا من ظلمها ، ونعاني فيها الويلات بأفواه صامتة “ 1 “ .

أمر سليمان عليه السلام البعوضة المتظلمة بإحضار الخصم إلى ديوان الحكم

- فقال سليمان : يا جميلة الخطي ، ينبغي عليك أن تسمعي منصتة إلي أمر الحق .

....
(1) ج / 9 - 220 : فظلمها علينا صريح وواضح للعيان ، ولا حيلة لا لنا إلا الشكوي ، فخذ بحقنا منها وأنصفنا ، أيها الكريم العادل يا من طبعك الإكرام .

4650 - فقد قال الحق : أحذر أيها الحكم أن تسمع من خصم دون أن تسمع إلي الخصم الآخر .
- وما لم يحضر الخصمان معا ، فإن الحق لا يظهر للحاكم .
- ولو أتي أحد الخصوم بمائة تضرع ، فحذار حذار أن تأخذ قوله " مأخذ الجد " دون وجود خصمه .
- وأنا لا أجرؤ علي عصيان الأمر ، فأذهبي وأحضري خصمك إلي .
- فقالت : إن قولك صحيح ذو برهان ، وخصمي هو الريح وهو تحت أمرك .

4655 - فصاح ذلك الملك : يا ريح الصبا ، لقد شكت البعوضة إلي من ظلمك فأقبلي .
- هيا قفا متقابلين أنت والخصم ، وأجيبي عليه وأدفعي عنك العدو .
- وعندما سمعت الريح جاءت علي وجه السرعة ، فهمت البعوضة بالفرار .
- فقال سليمان إلي أين أيتها البعوضة ؟ انتظري حتى أقضي بينكما .
- فقالت : أيها الملك : أن موتي من وجودها ، لقد أسود يومي هذا من دخانها .

4660 - وما دامت قد حضرت كيف أجد القرار ، إنها تخرب بنياني من أساسه .
- وهكذا يكون الباحث عن العتبة الإلهية ، عندما يتجلى الإله يصير هو فانيا .
- وبالرغم من أن ذلك الاتصال بقاء خالص ، لكن ذلك البقاء متوقف في البداية علي الفناء .
- والظلال التي تكون باحثة عن النور ، تنعدم عندما يظهر لها ذلك النور .

- فمتي يبقي العقل عندما يطل هو ،كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ.

4665 - إنما يهلك أمام وجهه الوجود والعدم ، والوجود في العدم أمر طريف في حد ذاته .
- وفي هذا المحضر تاهت العقول ، وعندما وصل القلم إلي هنا انكسر

ملاطفة المعشوق للعاشق الغائب عن الوعي حتى يعود إلى وعيه

“ 1 “
- أخذ صدر جهان يعيده إلي وعليه رويدا دويدا صدر “ بحلو “ بيانه .
- وهمس الملك في أذنه : أيها الشحاذ ، لقد جئت بالذهب نثارا لك فافتح حجرك “ 2 “ .
- فكيف فرت روحك التي كانت تخفق في فراقي عندما أتيت لنجدتها ؟

4670 - يا من رأيت في فراقي الحلو والمر ، عد إلي وعيك من إغمائك . . . عد .
- إن طائرا منزليا يصطحب جملا مضيفا إياه في منزله لقليل العقل .
- ذلك أن الجمل عندما وضع خفه في كن الطائر ، خرب المنزل وسقط السقف .
- إن كن الطائر هو وعينا وعقلنا ، ووعي صالح طالب لناقة الله .
- وعندما أطلت الناقة في مائة وطينه ، لم يبق الطين هناك ولم تبق روحه أو قلبه .

....
(1) ج / 9 - 229 : لأعد صوب صدر جهان وملاطفته لعاشقه في السر .
(2) ج / 9 - 229 : وأمسك به ووضع رأسه إلي جواره ، وهو يذرف الدموع الندية .

4675 - لقد جعل فضل العشق الإنسان فضوليا ، وهو من تزيده هذا ظلوم جهول .
- إنه جهول وفي هذا الصيد الصعب يعانق الأرنب أسدا .
- فمتي كان له أن “ يجرؤ “ علي عناق الأسد ، إذا كان قد رأي الأسد وعرفه ؟
- إنه ظالم لنفسه ولروحه ، فانظر إلي الظلم الذي يختطف الكرة من أنواع العدل ؟
- إن جهله أستاذ للعلوم ، وظلمه قد صار رشادا لأنواع العدل .

4680 - أخذ بيده وقال : إن نفسه المسلوب إنما يعود إليه عندما أهبه أنا النفس .
- وما دام يحيا بي هذا الميت الجسد ، فإنها تكون روحي تلك التي تتجه إلي .
- وإنني لأجعله من هذه الروح ذا حشمة وجاه ، وتري الروح التي أهبها عطيتي .
- إن الروح التي لم يسمح لها لا تري وجه الحبيب ، إنما تراها تلك الروح التي يكون أصلها من حيه .
- إنني كالقصاب أنفخ هذا الصديق ، حتى يترك لبه اللبيب ذاك الجلد .

4685 - وقال : أيتها الروح الخائفة من البلاء ، لقد فتحنا باب وصالنا فتفضلي - يا من ذاتنا غيابك عن الذات وسكرك ، يا من وجودك دائما من وجودنا .
- إنني في هذه اللحظة ، وبلا شفة ، أكشف لك الأسرار القديمة وأولا بأول فاستمع إليها .
- ذلك أن الشفاه تفر من هذا النفس ، وتنفتح علي حافة الجدول الخفي .
- فافتح الأذن التي بلا أذن في هذا النفس ، من أجل سر “ يفعل الله ما يشاء “

4690 - وعندما سمع نداء الوصل ، أخذ الميت يتحرك قليلا قليلا .
- إنه ليس أقل من التراب ، الذي من أفتنانه برياح الصبا ، يرتدي “ وشاحا “ أخضر ويطل برأسه من العدم .
- وليس أقل من النطفة التي من الخطاب ، تلد أمثال يوسف الصديق بوجوه كالشمس .
- وليس أقل من الريح التي من أمر “ كن “ تصير في الرحم طاووسا وبلبلا حلو التغريد . “ 1 “
- وليس أقل من الجبل الصخري الذي ولد ناقة كأنها مولودة من ناقة أخري .

4695 - ودعك من هذا كله ، أليس أصل العدم ذاك ولد عالما ويلده لحظة بلحظة ؟
- فقفز واهتز ودار دورتين بفرح شديد ، ثم انكب على وجهه ساجدا .

عودة العاشق المغمى عليه إلى وعيه واتجاهه إلى شكر المعشوق والثناء عليه .

- قال : يا عنقاء الحق يا مطافا للروح ، الشكر “ لله أنك قد عدت من جبل قاف “ . “ 2 “ .
- يا إسرافيل أوان قيامه العشق ، ويا من أنت عشق للعشق ويا منية العشق .
- إن أول خلعة أريد منك أن تخلعها علّي ، إنني أريد أذنا تضعها علي كوتي .

4700 - فبالرغم من أنك تعلم حالي ، بصفوة قلبك ، فاستمع إلي أقوالي يا راعيا لعبيدك ؟

....
(1) ج / 9 - 230 : وليس أقل من النار التي في أمر السلام ، صارت روضة على الخليل حلو الكلام . وليس أقل من قطعة الخشب التي دفعا للعدو ، صارت حبة منكرة من أمرة .
(2) ج / 9 - 238 : وتهلل من وجهه وصار سعيداً ، وفي الوصال تحرر من قيد الهجر

- ومئات ألاف المرات - أيها الصدر الفريد - قد طار مني الوعي رغبة في سمعك .
- إن سمعك ذاك وإصغاءك لي ، وهذه البسمات التي تطيل العمر .
- وذلك الإنصات لما أقوله قل أو كثر ، هو فتنة لروحي سيئة الظن .
- إن زيفي الذي تعلمه جيدا قد قبلته أنت كأنه النقد الصحيح .

4705 - ومن أجل جريء وقح مغرور “ مثلي “ ، تتضاءل الأحلام إلي جوار حلمك وتصير كذرة الهباء .
- فأعلم أولا أنني عندما تخلصت من شصك ، فر من أمامي كل ما هو أول وآخر .
- واسمع ثانيا أيها الصدر الودود ، لقد طوفت كثيرا وبحثت ولم يكن لك ثان ! !
- وثالثا : إنني عندما خرجت عن معيتك ، فكأنني قلت : ثالث ثلاثة .
- ورابعا : لما كانت مزرعتي قد احترقت ، فإنني لا أعلم الخامسة من الرابعة “1” .

4710 - وحيثما تجد دماء “ مسكوبة “ علي التراب ، فاعلم علي وجه اليقين أنها من عيوننا .
- إن قولي بمثابة الرعد وهذا الصوت والحنين ، يريد سحابا حتى يمطر علي الأرض .
- إنني حائر بين الحديث والبكاء ، أبكي أم أتحدث ، “ رباه “ ما ذا أفعل ؟
- فإن تحدثت فاتني البكاء ، وإن بكيت فكيف أفصح عن الشكر والثناء ؟
- إن الدم يتساقط من المآقي أيها الملك ، فأنظر إلي ما سال من مأقى ؟

....
(1) ج / 9 - 238 : وخامسا في هجرك يا صدر جهان ، كتب في خسارة حتى من حواسي الخمسة . وسادسا بدون وجهك ، كان الحزن يمطر على من الجهات الستة . ولا أدري السابع من الثامن فقد تهت ، ويبكى الفلك علي دما .

4715 - قال هذا وانخرط في البكاء ذلك النحيل ، حتى بكي عليه الوضيع والشريف .
- وانطلق من قلبه العديد من صيحات الوجد ، فتحلق حوله كل أهل بخاري .
- فهو متحدث كيفما اتفق ، باك كيفما أتفق ، ضاحك كيفما اتفق ، فاندهش الرجال والنساء والصغار والكبار ! !
- وصارت المدينة بأجمعها مشاركة إياه ذرافة الدمع ، واختلط الرجال بالنساء وكأنها القيامة .
- وكانت السماء تقول في تلك اللحظة للأرض ، إن لم تكوني شهدت القيامة فانظري إليها .

4720 - والعقل حائر : أي عشق هذا وأي حال ؟ أفراقه أعجب أم هذا الوصال ؟
- وتلا الفلك كتاب القيامة ، حتى مزقت المجرة ثيابها !
- إن العشق ذو غربة عن العالمين ، والاثنان والسبعون " مذهبا " فيه من قبيل الجنون .
- إنه خفي جدا لكن حيرته بادية ، وأرواح سلاطين الروح في حسرته .
- ومذهبه غير الاثنين والسبعين مذهبا ، وعروش الملوك " إلي جواره " مجرد جبيرة ساق .

4725 - إن مطرب العشق يتغني بهذا وقت السماع ، العبودية قيد والسيادة صداع .
- إذن فماذا يكون العشق ؟ إنه بحر العدم ، لقد حطمت العقل هنا القدم .
- صارت العبودية والسلطنة معلومتين ، وعن هذين الحجابين كتم العشق .
- وليت الوجود كان ذا لسان ، حتى يرفع الحجب عن الموجودات .

- وكل ما تقوله يا نفس الوجود عن الوجود ، اعلم أنك قد وضعت به حجابا اخر عليه .

4730 - إن آفة الإدراك هو ذلك المقال والحال ، وغسل الدم بالدم محال محال .
- وأنا لما كنت صفيا للهائمين فيه ، فإنني أنفخ ليل نهار ، لكن في قفص .
- إنك ثملة جدا غائبه عن الوعي مضطربة أيتها الروح ، فعلي أي جنب كنت نائمة ليلة الأمس ؟
- انتبه انتبه وحذار أن تفيض بنفس ، انهض أولا وأطلب من سمح له “ به “ **! !**
- عاشق وثمل وفاتح فاك متحدثا ؟ الله . . . الله . . . جمل علي قناة **! !**

4735 - وعندما يتحدث اللسان عن سره وعن لطفه ، تتلو السماء قائلة : يا جميل الستر .
- أي ستر ؟ والنار في صوف وقطن ، مهما تخفيها تكون أكثر ظهورا .
- وكيف أسعي في إخفاء سره ؟ وهو يطل كالعلم قائلا : هأنذا .
- إنه يأخذ رغم أنفي بكلتا أذني قائلا : أيها الغبي ؟ كيف تخفيه ؟ اخفه إذن **! !**
- أقول له : إمض ، فالبرغم من أنك في غليان ، إلا أنك كالروح خفي وظاهر .

4740 - فيقول : إن جسدي هذا محبوس في دن ، لكني أصفر كالخمر في محفل **! !**
- أقول له : إمض قبل أن تسقط في الأسر ، إمض حتى لا تحيق بك آفة السكر **! !**
- يقول : إن شربي من الكأس للطيف ، وهي رفيقة نهاري حتى صلاة المغرب .

- وعندما يأتي المغرب ويسرق مني الكأس ، أقول له : أعدها إلي فلم يأت مغربي بعد .
- ومن هنا سمي العرب الخمر بالمدام ، ذلك أن شاربها لا يشبع من شربها علي الدوام .

4745 - إن العشق ينضج خمر التحقيق ، ويكون " هو " الساقي الخفي للصديق .
- وعندما تبحث أنت بالتوفيق الحسن ، تكون الخمر هي ماء الروح والإبريق هو الجسد .
- وعندما تزيد في خمر التوفيق ، فإن قوة الخمر تكسر الإبريق .
- يتحول الماء إلي ساق ، ويثمل بالماء ، ولا تقل لي كيف ؟ الله أعلم بالصواب .
- إن شعاع الساقي هو الذي انصب في العقار ، فغلي العقار وصار رجراجا متماسكا .

4750 - فسل في معني هذا ذلك المتحير ، فمتي كنت قد رأيت العقار بهذا الشكل ؟
- وفي رأي كل عالم بداهة أن كل متحرك يلزمه محرك ما .

حكاية عاشق طويل الهجران وكثير الامتحان

- كان أحد الشباب قد جن " 1 " " عشقا " بامرأة ، ولم تكن أيام الوصول تمد يدها له .
- فعذبه عشقه هذا فوق الأرض ، فلماذا يكون العشق في بدايته " في عذاب " الحقد ؟

....

(1) ج / 9 - 252 : كان أحد الشاب قد عشق امرأة ، فقضي الليل والنهار دون أكل أو نوم . صار مسلوب القلب مضطربا ومجنونا ثملا ، ولم تكن أيات الوصل تمديدها له

- لماذا يكون العشق في البداية دمويا ؟ بحيث يهرب منه كل من يكون خارج حلقتنا ؟

4755 - وعندما كان يرسل رسولا إلي المرأة ، كان الرسول يتحول حسدا إلي حائل بينه وبينها .
- وعندما كتب لها كاتبه خطابا ، كان نائبها يقرأ الخطاب مصحفا .
- وإن أرسل الصبا رسولا في الوفاء ، كان ذلك الصبا يظلم من " كثرة ما يحمله " من غبار .
- وإن أرسل رقعة علي جناح طائر ، كان جناح الطائر يحرق الرقعة من حرارته .
- لقد سدت الغيرة طريق الحيلة ، وكسرت راية عسكر الفكر .

4760 - كان الانتظار يسري عنه في البداية ، وفي النهاية هزمه حتى الانتظار .
- وكان أحيانا يقول : هذا بلاء بلا دواء ، وأحيانا كان يقول :
بل حياة لأرواحنا .
- كان الوجود أحيانا يطل برأسه منه ، وأحيانا كان يأخذ نصيبا من العدم " 1 " .
- وعندما كانت " رغبة " الجسد تفتر عنده ، كانت عين الاتحاد " بالمحبوب " تجيش فيه حارة .
- وعندما وطن النفس علي غربة الاستغناء ، أسرعت إليه القدرة علي الاستغناء .

4765 - صارت عناقيد فكرة بلا نقصان ، وصار مرشدا للسارين كأنه القمر .
- فرب ببغاء حسن الصوت لكنه صامت ، ورب حلو الروح لكنه عابس الوجه .

....
(1) ج / 9 - 252 : وحينا كان صراخة يصل إلي الفلك وحينا كان خيال الحبيب يصير رفيقا له .

- فاذهب إلي المقابر واجلس صامتا للحظة واحدة ، وانظر إلي أولئك الصامتين المتحدثين .
- لكنك وإن رأيت ترابهم متوحد اللون ، إلا أن أحوالهم الروحية ليست سواء .
- إن شحم الأحياء ولحمهم واحد وعلي السواء ، لكن ذاك يكون حزينا وهذا يكون فرحا .

4770 - فأي علم لك بأحوالهم ما لم تسمع أقوالهم ، ما دامت أحوالهم خافية عليك ؟
- تسمع من المقال كثيرا من صيحات الوجد ، فمتي تري الحالة المتشابهة المستترة ؟
- وصورنا سواء ، لكنها تتصف بالتضاد ، والتراب أيضا سواء لكن الأرواح مختلفة .
- وكذلك الأصوات كلها علي وتيرة واحدة ، لكن أحدها مليء بالألم والآخر مليء بألوان الدلال .
- إنك تسمع صهيل الخيول عند القتال ، وتسمع تغريد الطيور عند التنزه .

4775 - فواحد “ يصيح “ من الحقد واخر “ يتحدث “ من المحبة ، وواحد “ يصرخ “ من الألم ، وهذا “ يشدو “ من السرور .
- وكل من يكون بعيدا عن أحوالهم ، تكون تلك الأصوات في “ سمعه “ علي السواء .
- وتلك شجرة تهتز من ضربات الفأس ، وهناك شجرة أخري “ تهتز “ من نسيم السحر .
- وكثيرا ما خدعت بقدر يحتوي علي شيء تافه ، ذلك لأنها تغلي بينما يكون غطاؤها فوقها .

- ويقول لك شخص : هذا حساء سائغ فتعال ، سواء كان حساء حقيقا أو حساء خفيفا “ يُعطي للمريض “ .

4780 - فإن لم تكن لديك قبسة من روح ذي فراسة بالوجوه ، فاذهب واحصل علي أنف عارف بالروائح .
- وتلك الأنف التي تطوف حول تلك الروضة ، تضيء حتى عيون أمثال يعقوب .
- فهيا وقل أحوال مفتت الكبد ذاك ، فلقد ابتعدنا عن البخاري يا بني .

إيجاد العاشق المعشوق وبيان أن من جد وجد مصداقا للآية الكريمة
فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ

- ظل ذلك الشاب في بحث وسعي لسبع سنوات ، وصار من التفكير في الوصل كأنه الخيال .
- وإن ظل الحق يكون فوق رأس العبد ، ومن جد وجد في النهاية .

4785 - وقال الرسول عليه السلام : عندما تقرع بابا ، فسوف يطل رأس من هذا الباب في النهاية .
- وعندما تجلس علي رأس حي أحد ، فسوف تري وجهه في نهاية الأمر .
- وعندما تخرج التراب من بئر كل يوم ، فسوف تصل في النهاية إلي الماء الصافي .
- وكل الناس يعرفون هذا وإن لم تصدقه أنت ، إن ما تزرعه تحصده في يوم من الأيام .
- فهل ضربت الحديد بالحجر ولم يقفز الشرر ، إن هذا لا يكون وإن حدث يكون نادرا .

4790 - وذلك الذي لا يكون له في الآخرة حظ أو نجاة ، لا ينظر عقله إلا في الأمور النادرة .

- فيقول : إن فلانا زرع ولم يجن الثمر ، وذاك حصل علي الصدف ولم يكن في الصدف جوهر .
- وبلعم بن باعوراء وإبليس اللعين ، لم تجدهما عبادتهما فتيلا .
- لكن مئات الآلاف من الأنبياء والسالكين ، لا يخطرون بخاطر هذا السيىء الظن .
- إنه يحتج بهذين بحيث ينشر في القلب الظلمة ، فمتي يضع الإدبار شيئا غير هذا في قلبه ؟

4795 - إنه يقول : رُب شخص يكون تناول الخبز سرور قلبه ، ثم يصير موتا له ويقف في حقله .
- إذن فامض أيها المدبر ولا تأكل الخبز ، حتى لا تقع مثله في الاضطراب والشر .
- فمئات الآلاف من الخلق يأكلون الخبز ، فيجدون " به " القوة ويربون الروح .
- فأين وقفت أنت علي هذا الشخص النادر إن لم تكن محروما وابن أحمق ؟
- وهذه الدنيا مليئة بالشموس وضوء القمر ، وقد تركها وطأطأ رأسه في بئر .

4800 - قائلا : إذا كان هذا الأمر حقا فأين النور ؟ ارفع رأسك من البئر وانظر أيها الدني .
- لقد وجد كل العالم من الشرق إلي الغرب هذا النور ، وما دمت في بئر فلن يسطع عليك .
- فاترك البئر واذهب إلي الإيوان والكروم ، وكفاك جدلا هنا فاللجاج شؤم .

- هيا ولا تقل : إن فلانا قد زرع في عام كذا ، لكن الجراد أكل زراعته - إذن فلماذا أزرع وهنا مجال للخوف ؟ ولماذا أبذر هذا القمح من يدي ؟

4805 - وذلك الذي لم يترك الزرع والفلاحة ، ملأ برغم أنفك أهراءه . " 1 " .
- لقد كان يداوم علي قرع الباب شوقا وأملا وفي النهاية ظفر ذات يوم بالخلوة .
- لقد هرب خوف العسس ذات ليلة إلي بستان ، فوجد حبيبه كأنه الشمع والمصباح .
- فقال لمسبب السبب في تلك اللحظة : يا إلهي لتنزل رحمتك علي العسس .
- لقد سببت الأسباب من حيث لا تعلم ، وحملتني من أبواب الجحيم إلي الجنة .

4810 - لقد جعلت هذا الأمر سببا ، حتى لا أستهين بأي شئ ولو كان شوكة واحدة .
- فعند انكسار القدم يخلق الحق جناحا ، وحتى في قاع البئر يفتح سبحانه وتعالي بابا " 2 " .
- فلا تنظر إلي أنك علي شجرة أو في " قاع " بئر ، بل انظر إلي فأنا مفتاح الطريق .
- وإن كنت تريد بقية هذا الحديث ، فالتمسه يا أخي في الكتاب الرابع .

....

(1) ج / 9 - 258 : ذعك من هذا البيان ، وسق لحظة ، نحو أحوال ذلك العاشق الشاب .
(2) ج / 9 - 258 : وكل ما يكون في نظرك باعثا على الكراهية ، هو في الحقيقة رحمة .

“ 410 “

.

شروح وتعليقات

“ 412 “

.

[شرح الديباجة]
الحكم جنود الله :
الحكمة في اصطلاح العارفين ، هي العلم الباطني بالقرآن الكريم والمعرفة التي تبعد العبد عن الدنيا وأمورها وتجعله عارفا بعالم الغيب والوجود الحقيقي ، ولا تتأتى هذه المعرفة عن طريق مدرسة أو كتاب أو معلم ، فهي من أجل الحق وللحق يجذبهم إليه بعنايته إن كانوا جديرين بها (استعلامى / 3 - 244) ، يقذف بها بنور حقيقي في قلوبهم (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً)

جاء في الكتاب الأول :
هكذا رأى كاتب وحى الرسول الحكمة في ذاته وفي النور الأصلي (بيت 2355) كما ورد في المجلد الثاني : “ وهو الذي يوصل إلى العين ما يشاء من الجمال ومن الكمال ومن نظرات المحبة - وهو الذي يوصل إلى الأذن ما يشاء من الأنغام والبشائر أو من الصراخ - إن الكون ملىء بالوسائل لكنك تبقى بدون حلية ما لم يفتح عليك الله منفذا إليها (أبيات 680 - 683 الكتاب الثاني) .
كَذلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ: النساء / 94 نزلت الآية الكريمة في سياق في النهى عن الشك في إيمان من ألقى السلم ، ويتعامل مولانا مع الآية الكريمة لكي يؤدى بها معاني عرفانية ، لكي ينهى السالك الواجد عن الفخر ، فقد كان ذات يوم من الذين حرموا من هذه العطية ، أما وقد فتحت عليه الإنعامات الإلهية فليس عليه أن يفخر على من لا يزالون محرومين منها (محمد استعلامى : مثنوى مولانا جلال الدين محمد ج 3 ص 225 - تهران - زوار 1373 ه - ش . يذكر بعد ذلك باسم استعلامى فقط .الآيات الكريمة
:يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُانُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ ، وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ- صحتهايُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا (الصف 8) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ (الحجر) فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ ما سَمِعَهُ فَإِنَّما إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ

يُبَدِّلُونَهُ(البقرة 181) يستعير مولانا ما نزل بشأن القرآن الكريم على أساس أن كل ما قصد به وجه الله تعالى من جوامع الحكمة والعرفان مشمول بالعناية الإلهية شأنه في هذا شأن القرآن الكريم إذا وعد تعالى بحفظه إلى يوم الدين ، وقد عاد مولانا إلى هذه الفكرة مرة أخرى ففصلها في هذا الكتاب الثالث (انظر المتن 4230 - 4252 والأبيات 4323 - 3285 الأبيات 1198 - 1215) .

[شروح الأبيات]

(بيت 1 - 5) الخطاب لحسن حسام الدين أحد كبار مريدى مولانا ، وكاتب وحيه الشعرى ، (لمعلومات عن حسن حسام الدين أنظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الأول) أما قوله : وقد جرت السنة على ثلاثة مرات إشارة إلى اعتقاد شعبى فارسي يعبر عنه بصيغ مختلفة ، وله أساس بالطبع في المأثور الإسلامي على أساس أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم كان يكرر القول والدعاء ثلاثا ، قال صاحب شرعة الإسلام : إذا سلم النبي صلّى الله عليه وسلم سلم ثلاثا وإذا كلم كلم ثلاثا ، وروى في المصابيح عن سعد بن مالك قال : إذا أكل النبي عليه السلام أكل بثلاثة أصابعه ، وقال ابن عباس رضي الله عنه ، توضأ النبي عليه السلام مرتين مرتين ولكن ثلاث مرات غسل - يقول يوسف بن أحمد : هذا الدفتر الثالث ، يقصد الكتاب الثالث من المثنوى ، هو بمثابة غسل الأعضاء المعنوية ثلاث مرات ، فسنة النبي صلّى الله عليه وسلم وسنة الأنبياء من قبله ثلاث مرات (يوسف بن أحمد المولوي : المنهج القوى لطلاب المثنوى - ج 3 بدون تاريخ أو مكان طبع بعد ذلك يكتفى بكلمة مولوى)
وينظر أيضاً شرح إسماعيل حقي الأنقروى : شرح المثنوى : شرح المثنوى بالتركية مجلد 3 أستانبول 1130 ه - ص 14 - ص 15 يذكر بعد ذلك أنقروى فقط 3 ، بديع الزمان فروزانفر : أحاديث المثنوى ص 17 تهران 1332 ه - ش)
والمقصود بترك الأعذار غير واضح اللهم إلا إذا كان المقصود بالبيت التالي الحديث عن القوة المعنوية في مقابل القوة المادية ، إن حسن حسام الدين كان يشكو مرضا ، وإن مولانا جلال الدين كان يواسية بأن القوة المادية لا علاقة

لها بالأعمال المعنوية وأن “ عمارة الروح من خرب الجسد “ وهي فكرة (يدق) عليها مولانا جلال الدين (ويدق) عليها الصوفية كثيراً ، ويضرب مولانا الأمثال من السماء القائمة بغير عمد ، والقوة التي تتم عن طريق مزاولة الأعمال الروحية كقوة جبريل من رؤية الخالق ، وهي قوة وصفت في القرآن الكريمذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ(التكوير / 20) وإن الرسول صلّى الله عليه وسلم سأل جبريل عن قوته فقال : خلعت ديار قوم لوط بجناحي ورفعتها إلى السماء فقلبتها “ (شرح الأنقروى ثالث ص 17 - مولوى / 3 ص 8) .

(7) الأبدال في مصطلح جلال الدين بمعنى عام هو العارفون السائرون في طريق الله أو كما سيرد فيما بعد (من بدلت صفاتهم وبدلت ذواتهم الجسمانية وتبادلوا إلى أرواح) .

(9) وفي البيت التاسع ما يؤكد أن حسن حسام الدين كان مريضا ، ويضرب له المثل بأن هذا المرض لن يؤذيه كما لم تؤذ النار إبراهيم الخليل عليه السلام ، وكانت عليه برداً وسلاما ورد هذا المعنى في سورة (الأنبياء) .

(10) والدليل على ذلك أن العناصر التي تؤثر في مزاج الإنسان العادي والعامي لا سلطة لها على الأبدال والعارفين بل هي خاضعة لسلطتهم الروحية الخارقة .

(11) ومزاج العارف والمقصود بالمزاج أخلاط الجسم هي أعلى من كل مرتبة لأن - هؤلاء قد صاروا روحا خالصة ، وتمت سيطرة أرواحهم على أجسامهم بحيث إن حالات الجسم قد تكون انطلاقا للروح .

(12) ، وهؤلاء - أي أبدال الحق - إنما يعيشون على الأرض كنموذج للعالم المنبسط أي عالم الوجود الحقيقي الذي لا يحتوى على جسم .

(13) ، ويقف مولانا جلال الدين عن الاسترسال في أوصاف العارفين ،

وليس ذلك إلا أن الخلق محجوبون عن أمثال هذه المعاني ، فساحة أفهامهم ضيقة لأنهم متعلقون بهذا العالم الأرضي ، وهمتهم على قدره ، وحلوقهم مكيفة على أغذية الأرض وليس على الغذاء المعنوي ، ويستطيعون تفهم هذه المعاني .

(15 ، 16) ، وهذه المعاني كان للجبل الحلق الذي يتشربها ومع ذلك فقد صار دكا وخر موسى صعقا وورد هذا المعنى في سورة (الأعراف / 143) إنه لم يحافظ على ثباته ورقص كالجمل (انظر أيضا بيت (25) من الكتاب الأول) .

(17) إن الجود بالطعام هنا أو كما ذكر حرفيا “ منح القمة “ يقصد به تعليم أسرار الحق وتلقينها ، أما الجود بالحق أي استعداد إدراك هذه الحقائق فهو من هبات الله سبحانه وتعالى فحسب .

(19) هنا يصير المرء منسوبا إلى ذي الجلال أو كما يقول مولانا “ إجلاليا “ أي جديرا بألطاف الحق وعنايته .

(20) صب السكر أمام الذباب كناية عن الحديث بالأسرار الإلهية أمام من ليسوا لها بأهل .

(21) فإن رجل الحق لا يقول سر الحق لكل إنسان ، بل جدير به الأخرس لأن من عرف الله كل لسانه “ احفظ أسرار أولى الأبصار عن الأغيار الأشرار “ (مناقب 1 / 138) .

(22 - 25) الوجود الأرضي عبارة عن دائرة تبدأ من التراب وتنتهى إلى التراب ، وما خلق الإنسان إلا لكي يقطع هذه الدائرة .

(26 - 30) يطرح الفكرة السابقة من منطلق اخر : إنه لطف الله الذي يجعل

كل المخلوقات منتفعة على بعضها - أو إنها إسراع الموجودات كلها إلى العدم حيث يسلط مخلوق على مخلوق ، كيلا يبقى سوى وجهه فكل شئ هالك إلا وجهه والذرات كناية عن ظواهر الحياة المختلفة ، أو كما عبر ملا محمد هادي سبزوارى في شرحه الفلسفي على مثنوى مولانا جلال الدين (افست كتابخانه سنائى طهران عن طبعة 1285 ه - ق في مجلد واحد) في الصعود تكون الجمادات غذاء للنباتات والنباتات غذاء للحيوانات ومن ثم فكل عالم أدنى يفنى فيما هو أعلى كفناء الغذاء في المتغذى وهذا ما تراه في الإنسان حتى يظل من الخالدين (ص 189) .

والمقصود بالأوراق إمكانية تداوم الحياة واستمرارها ، فكل ورقة من أوراق الشجرة هي وسيلة لإدامة الحياة من لطفه سبحانه وتعالى على عبيده ، وهذا الإنعام هو الذي يرى العالم وما في العالم من حواضن ومربيات والمقصود “ بالباقين “
أي أولئك الذين تجاوزوا هذا العالم الظاهر وهم باقون ببقاء الحق ، فهم مقبلون (استعلامى 3 - 226) ومقبولون عند الله فلا هم يأكلون من الغذاء المادي ، ولا هم يصيرون مأكولين : فالبقاء بالله هو البقاء الدائم الأبدي ، وهو النجاة من شبكة الدنيا وفخ الخليقة ، والخروج عن النسق الإنسانى .

(31 - 35) يواصل مولانا المقارنة بين “ الباقين “ وبين بقية أهل الدنيا ، فسكان هذه الدنيا ، منتشرون “ أي في “ تفرقة “ ومنقطعون عن بعضهم البعض وعن بقية سكان العالم أما “ الباقون “ فهم قابلون للبقاء وهم وجود واحد (مجتمعون) ومن ثم ينبغي على المرء أن يسعى في أثر ماء الحياة ، وماء الحياة هو الاتصال بالله ، والمتصلون بالله هم الباقيات الصالحات “ ومن ثم فلأنهم باقون فهم في أمان من كل افات الدنيا ، وأخطارهم ، ولأنهم مجتمعون لأن مادتهم النفسية مصورة بصورة واحدة فصورتهم المعنوية هي علم التوحيد وكلهم مختلقون بأخلاق واحدة ، السراج واحدة وتعددت المسارج (سبزوارى

189) فهو وحدة واحدة لأنهم أجزاء للوحدة المطلقة ، أما تعدده وكثرتهم فهي من خيالنا وظننا (استعلامى / 227) فالعلماء نفس واحدة (الأنقروى 24) عند عبد الباقي جلبنارلى : ترجمة وشرح مثنوى شريف - الترجمة الفارسية لتوفيق سيحانى - دفتر سوم تهران 1371 هـ - . ش ص 31 في ما بعد جلبنارلى - 3]
المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه أشتكى كله ، وإن اشتكى عينه أشتكى كله حديث شريف .

(36 - 42) جرى الحديث إذن عن “ الآكل والمأكول “ كظواهر بهذا العالم المادي ، ولكل منها حلق ، سواء الآكل والمأكول والغالب والمغلوب ، ولكن منها عقل مناسب لحياة هذا العالم ، لكن ابتداء من البيت 37 يجرى الحديث عن أكل اخر وخلق اخر خارجين عن هذا الإطار ، فعصا موس تحولت إلى عصا “ وهبت الحلق “ وأكلت العصى والجبال الأخرى ، فأكلها ليس أكلا ماديا لأن جسمها لم يزدد من هذا الأكل ، ومن ثم فإن مرتبة اليقين في السير إلى الله على نفس هذا النسق تفترس كل ظن وتبعد الشك عن قلب العبد ، فالأمور الروحانية الباطنية ذات حلوق كالأعيان ، وليس رزقها ماديا ، والمقصود به “ من أدنى العالم إلى أعلاه “ أي في كل مراتب الخليقة ، فكل المخلوقات وحتى الظواهر الروحانية غير المحسوسة ذات حلق يناسب خلقتها ، وتأكل ما يناسبها اللهم إلا الروح التي فرغت من العالم المادي فإن رزقها يصل من الإجلال (استعلامى / 3 - 227)
ونقل الأنقروى عن الشيخ صدر الدين القونوى في كتابه إعجاز البيان “ إن لكل شئ غذاء خالصا فغذاء الأسماء أحكامها بشرط المظاهر التي هي محل الحكم وغذاء الأعيان الوجود ، وغذاء الوجود أحكام الأعيان ، وغذاء الجواهر الأغراض ، وغذاء الأرواح علومها وصفاتها وغذاء الصور العلوية حركاتها وما به دوام حركاتها وغذاء العناصر الصور والمزاج “ أنقروى 3 / 25 - مولوى 3 / 13) .

(43 - 45) إن شرط أن يكون " حلق الروح خاليا من فكر الجسد " هو تبديل الاحتياجات الروحانية ، فالطبيعة السيئة أو المزاج السيئ هو الدنيا الذي يبعدها عن الحياة الروحية ، ويشبه هذه الحالة " بأكل الطين " وهو حالة مرضية أغلب ما تحدث للائى يعانين أمراض الحمل ، ومن هنا فالبطنة هي سبب إصفرار الوجه ، وإصفرار الوجه مساو للموت ، كما أن البطنة تؤدى إلى موت القلوب ، ولسنائى الغزنوي في الحديقة أبيات طويلة حول هذا الموضوع .

(46 - 49) إن هجر الحياة المادية وتبديل الطبيعة كأنه فطام الطفل ، وفطام الطفل في حاجة إلى حاضنة ، والحاضنة هو المرشد الذي يفطم طفل الدنيا عن لبنها ويعود الروح على النعم الروحية ، وهي والبستان في هذه الأبيات رمزان لمعرفة الحق كما أن الثدي " هو " العلائق الدنيوية ، ومن ثم فإن الحياة المعنوية هي فطام عن لبن الدنيا .

(50 - 68) يرى مولانا هنا تشابها بين الحياة الجسمانية ومراتب الكمال الروحاني فهو جنين أكل للدم ثم رضيع ، ثم أكل للطعام ، وعندما يشغل عن هذا العالم يصير كلقمان ، ويستطيع المؤمن إذن أن يظفر " بالطهر " من " النجس " كما يخرج الجسم من الدم النجس ، وكما أن هناك فرقا بين العالم الذي يعيش فيه الجنين والدنيا ، هناك فرق أيضا يشبهه بين عالم الدنيا وعالم الآخرة ، وكما لا يصدق الجنين إذ حكيت له عن العالم خارج الرحم ، لا يصدق عابد الدنيا أن هناك عالما خارجا هذه الدنيا ، ولسنائى في الحديقة أبيات تتحدث فيها عن هذه المراحل لكنه يخلص منها إلى فكرة حفظ الله للإنسان وعدم تضييعه إياه ورزقه إياه في كل مرحلة وتطور هذا الرزق بقدر تطور الإنسان يقول :
" ألم تر أن الذي فوق الوجود ، حين خلق وجودك في الرحم - أعطاك رزقك من الدم تسعة شهور ، ذلك الخالق الحكيم الذي لا مثال له - ورباك أيضاً في بطن أمك ، وبعد تسعة شهور أتى بك إلى الوجود - وحينما أغلق هذا الباب للرزق في وجهك

أعطاك بعده بابين أفضل منه - أعطاك بعده الألفة بالثديين ، فهما أمامك ليل نهار ينبوعان يجريان - وقال لك أمتص من هذين الاثنين وكل هنيئا فليسا حراما عليك - وحينما فطمت بعد عامين - تبدلت جميع أحوالك - أعطاك رزقك من يديك وقدميك أمسك بتلك واسع بذى في كل مكان - فإذا كان البابان قد جاز غلقهما عليك ، فقد أقام بدلا منهما أربعة أبواب . فخذ باليدين واسع بالقدمين بدأب ، وأطلب الرزق في أنحاء العالم ، وحين يحم القضاء فجأة ، تكون أمور الدنيا كلها مجازا ، عجزت اليدان ، والقدمان عن العمل وبدلا من الأربعة أعطاك ثمانية - فحينما قيدت الأربعة منك في اللحد ، صارت الجنان الثمانية خالية من أجل ،
(حديقة : الأبيات 264 - 276 من الترجمة العربية لكاتب هذه السطور دار الأمين 1995)
وواضح الفرق بين الفكرتين فضلا عن أن مولانا جلال الدين يعود إلى الفكرة أكثر من مرة كأداة لشرح أفكار أكثر عمقا مما سيأتي في حينه ، ويضرب في الأبيات 62 - 68 مثالا اخر غير مثال الجنين وهو مثال الأعمى ، والمقصود بالطبع أعمى البصيرة والعمى الروحاني وليس عمى البصر أو العمى الجسماني ، فالعمى الجسماني ليس بحجاب عن العالم الروحاني لكن العمى الروحاني هو الحجاب ، والأوطان الدنية أو الدنيئة فسرها استعلامى بأنها الرحم (3 / 228) لكن تفسير يوسف بن أحمد بأنها ظلمة القلب وظلمة المشيمة وظلمة الرحم (مولوى 3 / 18) .

(69) مصادر القصة التي تبدأ بهذا البيت كثيرة ، فقد رويت في حلية الأولياء لأبى نعيم الاصفهاني (الجزء العاشر) عن نذر أبى عبد الله القلانسي إن أنجاه الله من سفينة عصفت بها الرياح ألا يأكل من لحم الفيل ، ثم انكسرت السفينة ووقعوا على الساحل فإذا بولد فيل أكله رفاقه وناموا ، ثم جاءت الفيلة تطلب ولدها حتى انتهت إلى عظامه فشمت أفواه أكليه ومزقتهم شر ممزق ولم تجد رائحة من القلانسي ، فمكنته من ركوبها ونقلته إلى العمران ، ثم نقلت من

حلية الأولياء في أكثر من مصدر منها حياة الحيوان للدميري (مجلد 2) كما نسب ابن بطوطة هذه الحكاية لابن خفيف الشيرازي ، نقلتها أنا ماريا شميل في سيرة ابن خفيف (أنظر سيرة الشيخ الكبير ص 275 - من الترجمة العربية لكاتب هذه السطور ص 276 القاهرة 1977) بديع الزمان فروزانفر : ماخذ قصص وتمثيلات مثنوى تهران 1333 ه - ش ص ص 87 - 88 بعد ذلك يذكر ماخذ فقط) كما ترجمت الزميلة المرحومة الدكتورة إسعاد قنديل هذه القصة تحت عنوان " قصة أكلى ولد الفيل مع بعض التعليقات " .

(79 - 84) يبدو أن مولانا يقصد في هذه الأبيات الحديث النبوي " الخلق كلهم عيال الله " فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله " (مروى في الجامع الصغير عن ابن مسعود) وهم أطفال الله لأنهم وكلوا أمرهم كله الله ، ولو وكلوا لأنفسهم في رأى نجم الدين كبرى " كانوا يعملون السيئات (مولوى / 3 - 20) ،
لأن الولي في غيبته أو حضوره أو في سكره وصحره لا يغفل عن الله طرفة عين ، ومن ثم فمهما بدوا في أعين الخلق أذلاء حقراء إلا أنهم " أولياء " الله في حفظة . . . وهم (كنفس واحدة) (انظر البيت 35 وتعليقاته) .

(85 - 91) ومن ثم فإن كل معجزات الأنبياء هي من هذه الولاية ، وهي بيان عملي من الله على قدرتهم وعظمتهم ويجرد الآيات القرانية فالبيت 85 مستند على الآيات

(56 - 72) من سورة طه ، و 86 مضمون سورة نوح الآيات (14 - 15) من سورة العنكبوت و 87 قصة عاد ولعنة لوط ، ويقصد في البيتين (88 - 89) خرائب مدينة لوط وهي بالقرب من بيت المقدس ، أما البيت 90 فيرى أن معجزات الأنبياء من هذا القبيل كثرة وهي موجودة في كل قرن من القرون الماضية .

(93) الأعمى الحاد النظر هو الإنسان الذي يشاهد كل ما يدفعه إليه حرصه لكنه لا يرى ما وراء ذلك .

(97) ينقل فروزانفر (أحاديث مثنوى / 180) من روضات الجنات خبرا عن الإمام الرضا رضي الله عنه “ إن لله تبارك وتعالى شراباً لأوليائه إذا شربوا سكروا وإذا سكروا طربوا وإذا طربوا ذابوا وإذا ذابوا خلصوا وإذا خلصوا وصلوا وإذا وصلوا اتصلوا وإذا اتصلوا لا فرق بينهم وبين حبيبهم “ ايضاً جلبنارلى ثالث / 41) .

(102) (1) إشارة إلى الآية 61 من سورة التوبة عندما كان الكفار يؤذون النبي ويقولون “ هو أذن “ أي يسمع كل ما يقال ويصدقه ، لكن مولانا هنا يستخدم الآية استخداما اخر وهو أنه كان يسمع كلام المنافقين دون أن ينطقوه (مولوى / 3 - 25) .

(123) يرى مولانا أن كل لحظة في عمر الإنسان عمر مستقل يولد فيه الإنسان ويموت (إن لك في كل لحظة موتا وبعثا - الكتاب الأول / بيت 1150) .

(127) إن كل لحظة تمضى لا عوض عنها إلا السجود والاقتراب والعبادة فإن هذا يجعل العمر قربة إلى الله تعالى وهذا هو العوض الوحيد عن ضياع العمر .

(138) الناصح هنا هو أبو عبد الله القلانسي أو ابن خفيف الشيرازي (انظر 690) .

(140) دين الناصح : على أساس أن كل مسلم مدين بالنصح لجميع المسلمين .

(158) المقصود بأم وليد الفيل ذاك قدرة رجال الحق " استعلامى / 3 - 232 " .

(161) إشارة إلى ما روى عن الرسول أنه قال وهو في المدينة " إني لأجد ريح الرحمن من قبل اليمن " يقصد أويس القرني (مولوى 3 / 35) .

(169 - 170) : في الدعاء الذي علمه الإمام على رضي الله عنه لكميل بن زياد المعروف باسم دعاء كميل " اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء " وفي وصيته رضي الله عنه بعد أن ضربه ابن ملجم " لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيولى عليكم شراركم فتدعون فلا يستجاب لكم " (جلبنارلى - ثالث - ص 44) .

(171) اللفظ لا يهم في الدعاء إلى الله المطلع على ما في القلوب إنه يتجاوز الاعوجاج في اللفظ وعدم حسن التعبير إن صحت النية ، ولمولانا جلال الدين في هذا المجال معالجة أكثر تفصيلا في الكتاب الثاني في قصة " موسى والراعي " (الكتاب الثاني - الأبيات من 1620 إلى 1774) .

(172 - 179) يضرب مولانا مثلا على عدم أهمية مخارج الألفاظ إذا صحت النية وصلح القلب - أو عدم أهمية الظاهرة إذا صلح الباطن عموما - أو أن خطأ المحبوب أفضل من صواب غير المحبوب بهذه القصة عن بلال ، وهي في الظاهر مأخوذة عن حديث موضوع هو " سين بلال عند الله شين " كما ورد نظيرها في تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار عن الحسن البصري ، الذي صلى وراء الصوفي حبيب العجمي ولما راه يقرأ الحمد (الهمد) انصرف عن الصلاة خلفة ، فعاتبه الله تعالى في نومه قائلا : " إن هناك فرقا كبيراً بين تقويم اللسان وتقويم القلب " (مأخذ / 88 - 89) وإخوان الصفا 179 ليس مقصودا به الجماعة التي تحمل هذا الاسم .

(180 - 186) الرواية الواردة في الأبيات مبنية على ما ورده الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره ، قال عليه السلام : ادعوا الله بألسنة ما عصيتموه بها ، قالوا يا رسول الله ومن لنا بتلك الألسنة قال يدعو بعضكم لبعض لأنك ما عصيت بلسانه وهو ما عصى بلسانك (ماخذ 89) وفي الجامع الصغير ، دعاء المرء المسلم مستجاب لأخيه بظهر الغيب ، عند رأسه ملك موكل فكلما دعا لأخيه بخير قال الملك أمين ولك بمثل ذلك “ و “ دعوتان ليس بينهم وبين الله حجاب ، دعوة المظلوم ودعوة المرء لأخيه بظهر الغيب “ جلبنارلى - ثالث - ص 107 - ص 108 .

(189 - 197) نقل يوسف بن أحمد عن نجم الدين كبرى أن الذكر هنا يحتوى على فاء التعقيب معناه أذكركم فاذكروني كما قال رضي الله عنهم ورضوا عنه ويحبهم ويحبونه (مولوى / 3 - 38) ، ويفسر مولانا هنا فكرة طالما تناولها في المثنوى وفحواها أن الله هو الذي يلهم الدعاء ، وهو الذي يجيب ، والدعاء والاستجابة من الله ، أو كما يعبر هنا : يا الله هي لبيك ، وواضح في البيت 196 أن مولانا يقصد أن الخوف من الله وحب الله كلاهما جذب من قبل الله ، وهو دائما ما يستجيب لتضرع الصادق ورجل الحق “ في الكتاب الأول “ يا رب واحد منه مقابلها ستون لبيك بيت 1588) .

(198 - 201) وكما أن الدليل إلى الدعاء هو جذب من الله تعالى أنه يسد باب الدعاء أمام من ختم على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم ، فلا إذن لهم يقول “ يا رب “ ، ويصل الأمر ألا يبتلى من لم يؤذن له بالدعاء ، “ وإذا أحب الله عبداً ابتلاه “ فكان البلاء هنا عطية من الله تعالى لأنه يدفع للدعاء المقرون بالاستجابة .

(205 - 210) والمخلوقات الأخرى ، حتى المخلوقات التي يقال إنها نجسة كالكلاب (وتعاطف مولانا جلال الدين مع هذه المخلوقات مشهود في مواضع

عديدة من المثنوي كما سنرى) ليست محرومة من الدعاء ، لأن كل راغب أسير لمانع ، فإن خلص قد نجا (مولوى / 3 - 41) وكما يصل الإنسان بالدعاء والتقرب إلى الخروج من الطبيعة الإنسانية وكذلك بإرشاد المرشد ، فإن الكلب يستطيع ذلك ، والمثال كلب ال الكهف ، وهو مثال يتكرر عند الصوفية كثيراً عن الرياضة والسلوك والعبادة التي يمكن أن تغير من الطبيعة ، فهو مع الملوك أي أصحاب الكهف في الغار ، وهو يشرب ماء الرحمة بلا كأس ، لأنه متى يسع هذا الماء المعنوي كأس ؟ أما الذين يرتدون جلود الكلاب فهم الذين تزدريهم العين لقبح منظرهم أو لسوء هندامهم ، هم الشعث الغبر الذين لو أقسموا على الله لأبرهم .(211 - 218) ينتقل مولانا جلال الدين إلى فكرة أخرى يقرنها بالدعاء ، فالدعاء في حاجة أيضا إلى عمل وجهاد مع النفس وصبر على مصاعب الطريق وعدم الشكوى من صعوبة الطريق . . . وحسن اختيار المرشد ، فإن المرشد المزيف الذي لا يعرف الطريق ويدعى أنه يعرفه أكثر خطورة من الذئب ، وهو أشبه بالغول أو بإخوة يوسف .

(228 - 235) إن العيبة أي " الخُرج " هي الزاد المعنوي والتقوى ، ويشير في الشطرة الثانية إلى قصة شهيرة من قصص تراث الأدب الفارسي هي قصة العاشق ويس والمعشوقة رامين ، وقد نظمها شعرا فخر الدين أسعد الجرجاني ، إن المعشوق إذن هو ذاتك ، فكن باحثا عن حقيقة هذه الذات ، وكل ما هو سواها مانع . فمن عرف نفسه عرف ربه ، وإلى جوار الصبر والجهاد هناك الحزم وبعد النظر وعدم الاغترار بدعوة أهل الدنيا الذين يجعلون المرء يحيد عن الطريق ، فهي كصفير ذلك الصياد الذي يقلد صوت الطائر لكي يخدع الطيور فتقع في الفخ (انظر الكتاب الأول بيت 318) وفي البيت 234 الطائر الدى أعطاه الله الحزم أي العبد الذي لا تخدعه الدنيا ولا تلهيه مغرياتها .

(236) القصة التي تبدأ بهذا البيت ورد شبيه لها في كتاب البخلاء للجاحظ وهي قصة المروزي الذي كان ينزل بمنزل العراقي فيكرمه أشد الكرم فيلح على العراقي بزيارته لرد بعض جميلة ، وفي النهاية تعن للعراقي حاجة في مرو ، لكن المروزي ينكره تماما (طبعة صادر ص / 16)
(ماخذ / 89 - 90) ويجعل مولانا من هذه القصة بين الخضري والقروي كعادته في التعامل مع قصصه مجرد خلفية لإرشاد المريدين والخوض في الأفكار السامية العالية ، ويشك استعلامى في كتاب البخلاء كمصدر للحكاية (3 ص 235) ويرى أنها تقدم نموذجا بشريا للجحود والنكران والخداع يتكرر في كل عصر وفي كل بيئة ، وربما قرأها مولانا في كتاب اخر أو سمعها من شيوخه أو رفاقة أو نقلها اقتباسا واستحياء من الحديث النبوي الذي ذكره في الأبيات من 518 إلى 523 ، عن تأثير القرية في العقل وسيرد في حينه ، والقصة اية في فن القص سواء من ناحية الحبكة أو من ناحية السرد أو من ناحية الحوار أو من ناحية مطابقة الحوار للشخصية ، وتسودها روح ساخرة ترجح الرأي القائل باستنادها إلى الحكاية المروية عند الجاحظ ، وقد عرض الزميل الفاضل الدكتور رجاء جبر للقصة في كتابه “ في الأدب المقارن دواسة في المصادر والتأثيرات لثلاثة من الأعمال الأدبية العالمية “ (القاهرة - مكتبة الشباب 1966 - ص 137 - 176)
وحللها تحليلا عظيما وترجم بعض أبياتها أثناء تحليلها ويرى الزميل الدكتور رجاء أن الرحلة إلى القرية ترمز إلى كل ما هو مضاد للمعرفة والعقل والدين ، ودعوة القروي للمدنى هي دعوة إلى الجهالة والانسياق وراء خداع الشكل والظاهر (ص 160) ،

وفي تفسير اخر ليوسف أبن أحمد أن القروي هو النفس والحضري هو العقل والأبناء هم الحواس ، ولا شك أن المفسرين القدامى لجلال الدين كانوا يحاولون ربط كل ما ورد في المثنوى بأفكار جلال الدين العرفانية ، وسوفى تنبئ القصة أثناء تحليلها هنا عن معان أخرى كثيرة .

(250) طائر اللقلق من الطيور التي تهاجر في فصل الشتاء ثم تعود في بداية الدفء ، وتقيم عادة بأعلى المآذن أو قباب المساجد ، ومن ثم يسمى " حاجى لقلق " وانظر إلى سخرية جلال الدين وهو يصف تردد الريفي على المدينة في موعده وأنه طائر " اللقلق " ، فضلا عن أن تصور الريفي طائر اللقلق بساقيه الرفيعتين وريشه المتهدل ووقار مظهره يضيف صوراً فنية عديدة إلى هذا المعنى .

(263) يخاطب الحضري ابنه بلقب " سيبويه " ويقصد به طبعاً النحوي المشهور أبا بشر عمرو بن عثمان البيضاوي مؤسس علم النحو المتوفى سنة 183 ه - أو سنة 185 ه - ، وذلك لأنه " استفاض " في محاولة إقناع أبيه بالسفر إلى القرية ، ومن المستبعد بالطبع ما ذهب إليه استعلامى (3 / 235) من أن مولانا استخدم الكلمة استخداما لغويا ، ويقصد أن ينادى ولده " يا تفاحتى الصغيرة " ، والشطرة الثانية مثل مشهور أورده الميداني كمثل من أمثال العرب ، كما ينسب أيضاً إلى الإمام على رضي الله عنه ويرى جلبنارلى (ثالث / 109)
أن قول الإمام على هو " احذروا صولة الكريم إذا جاع واللئيم إذا شبع " والمعنى بعيد ، ويعلق مولانا بحديث عن الصداقة فيرى أنها بذرة النفس الأخير ، أي من الذخائر التي يعدها المرء لأخريات حياته وليس من اليسير بمكان أن يهب صداقته لأي إنسان ، بل يجب أن يبحث عن صحبة كالربيع لا صحبة كالشتاء القارس في المزارع ، وينبئ الحضري هنا بحسه الداخلي عن عدم استراحته للسفر إلى الريف وعدم حسن ظنه بالريفى " فسوء الظن من حسن الفطن "
وقد نسبه إلى الرسول صلّى الله عليه وسلم ، وورد في الجامع الصغير ، لكنه ورد أيضاً في مجمع الأمثال للميدانى منسوبا إلى أكثم بن صيفي ، ويقدم مولانا جلال الدين في الأبيات التالية ،
درسا عن الطريق : فحذار للسالك من أن يظن الطريق ممهدا ، فالصحراء تبدو ممهدة مستوية ، لكن كل قدم منها تحته

فخ على السالك أن يحذره ولا يكون كالماعز الجبلي الذي لا يرى الفخ فيقع فيه من جهله وغفلته وعدم حزمه ، بل إن الظواهر نفسها تدلنا على الفخاخ ، فهل يوجد الشحم والدسم في المزرعة ؟ إنه إن وجد فلا بد أنه لفخ ويشير مولانا أيضاً في هذا المثال إلى أنه لا يوجد " غذاء معنوي " في المزرعة " الريفية " فإن وجد (تظاهر الريفي) فلابد أنه زيف وشبكة صياد وفخ .

(276) إن كانت لك بصيرة ربانية فامض في الطريق ، وإن لم تكن لك بصيرة فاستعن بعصا (مرشد) وإن لم تكن لك هذه العصا ، فهناك عصا أخرى تعتمد على العقل والطهارة الأخلاقية (الحزم والاستدلال) .

(281) الصورة تكررت في الكتاب السادس الأبيات 4093 - 4095 .

(282) القصة التي تبدأ بهذا البيت معتمدة على قصة سبأ كما وردت في القرآن الكريم (أنظر سورة سبا الآيات 15 - 19) ، ويبدأ مولانا القصة هنا ثم يتركها غير كاملة لأن الاسترسال في موضوعات إرشادية يقطع سياق القصص عنده دائما ولكنه يعود إليها ثانية ابتداء من البيت 364 والبيت 2602 - لكنه يتخذ من هذه القصة منطلقا لتقديم تصوير حي للقصص الديني عن طريق المناقشات التي تجرى بين الأنبياء الذين أرسلوا لسبأ وعددهم ثلاثة عشر (أنظر البيت 2671) وهذا في حوار حي مفعم بالنقاط العرفانية .

(293 - 297) ينتقل مولانا من الصور التي يأخذها من الحياة ، ومن الحوار بين " الكلاب " إلى أوج بيانه العرفاني ، فها هو يخاطب الناكص عن " أبواب القلوب " من أهل الحق والعارفين بعد أن نال غذاءه الروحاني من ماء الحياة (الماء المذكور في الأساطير الفارسية أن من يشربه يعيش إلى الأبد ، وهو ماء الحياة وماء الإسكندر وماء الخضر وماء الحيوان) ، والمقصود بالانسلاخ عن الذات الخلاص من نوازع النفس ، والدب بالطبع لا يطوف على

باب كل دكان ولكن المقصود هنا هو اللاعب بالدب " الذي يطوف بدبه بين الدكاكين ليتكدى به " . . . وفي رقم 296 يرى أن الدسم الحقيقي هو " دسم " الروح من المعاني والإرشادات ومن الأفضل هنا أمر القانط ، أي أن القانط من رحمة الله عليه أن يلزم هذه الأبواب ، أهل الروح وأهل المعنى ، أو خير للإنسان هنا أن يقنط مما في أيدي الناس .

(299 - 306) يضرب بعيسى عليه السلام المثل على أبواب أهل القلوب المفتوحة أمام مكدودى الدنيا ومرضاها ومتعبيها على ما ورد في القرآن الكريم ، والمقصود بالطبع أنه إذا كان باب عيسى قد أغلق ، فإن من رحمة الله سبحانه وتعالى على خلقه ألا يغلق باب هذه الرحمة ، وأن يوجد في كل عصر من أهل القلوب والأولياء وأبدال الحق من يقومون في عصورهم بما كان يقوم به عيسى عليه السلام في عصره .

(307 - 322) يتوجه مولانا جلال الدين بالحديث إلى المريدين الذين ينكصون عن عهد الشيوخ وميثاقهم ويضلون عنهم تمهيدا لأن يضلوا عن أنفسهم أيضاً فالمنكر لشيخه غالبا ما ينكر ذاته ويتخبط في متاهات الدنيا ، ثم يعود في الأبيات
(314 - 322) إلى الحوار الذي يجرى بين الكلاب الوفية والكلاب الجحودة وزجرها إياها عن التحول عن " الباب الأول " و " الجرى بين الأبواب "
(أنظر أبيات (291 - 292) ويضرب المثل أيضا بكلب أهل الكهف (أنظر الأبيات 406 - 409 من الكتاب الأول وشروحها) .

(323 - 330) إن الوفاء بالعهد من الأهمية بمكان بحيث يفخر به الله سبحانه وتعالىوَمَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ(التوبة / 111) لكن الوفاء لا يليق مع غادر لعهد الله تعالى ، لأن حقوق الله دائما سابقة على حقوق البشر ، ويضرب المثل بحق الأم وهو مقدم على كل حقوق البشر ، لكنه لا يقدم على حق الله تعالى ، لأن الله تعالى هو الذي وضع " الأمومة " في طبعها وجبلتها ، فلا

تفترض أن هذا الأمر منها هي .

(331 - 337) يناجى مولانا جلال الدين الله سبحانه وتالي : يا قديم الإحسان ، أي يا من إحسانك علينا منذ الأزل “ الحق سبحانه وتعالى عند الحكماء فاعل بالعناية وعند العارفين الشامخين فاعل بالتجلي (سبزوارى / 193) يا من حفظك لنا قديم قدم العهد حتى قبل أن تأتى بنا إلى عالم الصورة ، منذ أن أخذتنا من ظهورنا ، وأشهدتنا بالربوبية وهذا المعنى في سورة (الأعراف / 173) فكل الوجود منك حتى الذكر فإنك أنت الذي أمرتنا بالذكر ، وحفظتنا مرة ثانية كنطف في ظهور أجدادنا عندما كنا في سفينة نوح - وفي البيت 335 يذكر الماء النارى الطبع إشارة إلى ما يروى من أن طوفان نوح قد بدأ من تنور عجوز في الكوفة ، وإنه انبعث من هذا التنور ما يشبه البركان (استعلامى 3 / 238) .

(348 - 363) إن هذا الحفظ الإلهى في حاجة إلى شكر من الإنسان ، لكن الإنسان الذي لا يؤدى حق المنعم بشكر نعمته يتعرض للعذاب ليس في الآخرة فحسب بل وفي الدنيا أيضا ، ويؤكد مولانا جلال الدين كثيرا على هذه الفكرة أن العذاب ليس في الآخرة فحسب ، بل إن الله سبحانه وتعالى لكي يحمل عبده سبحانه وتعالى على الجادة ، يرسل إليه من المشاعر الداخلية والأحوال ما يخزه في هذه الدنيا .

وكأني بمولانا جلال الدين كان يرى في ذلك العصر المبكر أن المجرم هو أول من يعاقب نفسه ، وقد وردت الفكرة عن سنائى أيضا : إذا فاتتك صلاة فانظر إلى نفسك تصير من المرضى “ سنائى ديوان 436 “ وإن العقاب على الجريمة ليس من اللازم أن يأتي من الخارج (الفكرة التي قامت عليها رواية الجريمة والعقاب لديستيوفسكى ، وكثير جدا من الأعمال الأدبية المعاصرة) ،
ويعبر مولانا عن هذا العقاب الداخلي بمصطلح القبض (الانقباض ، الاكتئاب ، الحزن بلا سبب ظاهر) ، إنه - أي مولانا - يخاطب المريد الناكص الجاحد على شكل الاستجواب ألم يحس المريد بقبض لأنه ترك وردا من أوراده ؟ إن هذا

القبض يستمر ثم يصير كالغل الحديدى ، أليس هذا يعنى أن بعض أمراض الجسد يبدأ من أمراض النفس ؟ وبدلا من أن يكون واردا (وقتيا) يثبت ويعلن على الملأ ، وهذه هي المعيشة الضنك التي أوعد الله سبحانه وتعالى بها من أعرض عن الذكر (طه / 124) ،
ثم ينتقل ابتداء من البيت 355 إلى مثال حي اخر : إن اللص عندما يسرق مال الناس يحس بهذا القبض (الانقباض) ويتساءل بينه وبين نفسه لماذا ؟ ويجيب مولانا . . . إن حزن ذلك المظلوم الذي تعرض لأذاك ، ولا يلبث أن ينقلب “ قبض “ القلب إلى “ قبض “ الشرطة والعسس ، ينقلب ككل شعور يرسخ إلى “ عمل “ ظاهر معلن على الملأ ، ومن ثم فعلى المرء أن يتتبع مشاعره فهي أشبه بجذور إن لم تقتلع فإنها سريعا ما تؤتى أوراقها وثمارها وتنتشر من القلب “ على الملأ “ ، وعلى العكس فإن “ بسط “ القلب وسروره أيضا في حاجة إلى متابعة مباشرة حتى يؤتى ثمار الروح التي يمكن إن تؤثر بها الأصدقاء .

(368) المقصود ما ورد في الآية الكريمةرَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا(19 سبأ) يقول يوسف بن أحمد : يروى أنه كان بين سبأ والشام أربعة آلاف قرية عامرة ، فطلب أغنياؤهم من الله أن يجعلها فيافى وقفارا حتى يتطاولوا على الفقراء بركوب المطايا وحمل الزاد . (مولوى 3 / 66) .

(371 - 372) يرى استعلامى أن مضمون الأبيات العربية شبية بشعر نسب إلى امرئ القيس هو :يتمنى المرء في الصيف الشتا * فإذا جاء الشتا أنكره
فهو لا يرضى بحال واحد * قتل الإنسان ما أكفره !وواضح من صياغة هذا الشعر ومن لغته أنه لا يمكن أن يكون لامرئ القيس .

(374) إن النفس شبيهة بهذا الإنسان الكفور ، ومن ثم فهي جديرة بالقتل .

ومن هنا قال موسى عليه السلام :وَإِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلى بارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ” يفسر نجم الدين كبرى الآية بما يذهب إليه مولانا جلال الدين : ارجعوا إلى الله بالخروج عما سواه ولا يمكنكم إلا بقتل النفس بقمع الهوى لأنه هو حياتها “ (مولوى 3 / 66) وفسرها يوسف بن أحمد : أي ليقتل البرئ المجرم (مولوى 3 / 66) .

(380 - 389) يعود مولانا إلى فكرة يؤكد عليها كثيرا (انظر الكتاب الأول 1264 - 1271) وهي أن القضاء الإلهى يمحو كل قدرة أخرى نراها في الوجود وينقل جلبنارلى (ثالث - ص 111) حديثا نبويا هو “ إذا أراد الله انفاذ قضائه وقدره سلب ذوى العقول عقولهم حتى ينفذ فيهم قضاؤه وقدره ، فإذا قضى أمره رد إليهم عقولهم ووقعت الندامة “ ، وكحل العين ، في البيت 382 هو قدرة الحق القريبة من الأبصار قرب الكحل من العين ، وفي 383 - 384 الفارس هو القضاء الإلهى والقدرة الإلهية ونحن أسارى لمظاهرها واثارها ولا نرى من الفارس إلا الغبار (استعلامى 3 / 240) ويرى يوسف بن أحمد أن الفارس هو الله والغبار أسباب الدنيا (3 / 67) والفارس هو الحقيقة والغبار هو غبار الطبع والأغراض والأمراض التي تخفى وجه الحقيقة ، وكعادة مولانا في تكرار الصور
(المثنوى كتاب تعليمي في الحقيقة كتب ليعلم المريدين ، فانظر كيف كان المريدون يتعلمون منذ ثمانية قرون) يكرر هذا المعنى في صورتين : الذئب والأسد ، ويضرب بالذئب مثلا للقدرة الإلهية خاصة عند القهر والغضب .

(390 - 397) ينتقل مولانا جلال الدين من الحديث العام إلى الموضوع الذي يتناوله وهو موضوع أهل سبأ فالذئب هو القهر الإلهى والخراف هم الضالون الذين يغمضون العين عن راعى العقل “ أو في حالة أهل سبأ ينصرفون عن أنبياء الله الذين أرسلوا لهدايتهم ، وتمسكوا بالحمية حمية الجاهلية ، ظلموا الأنبياء ومزقوا صدورهم .

(398 - 411) يتحدث مولانا عن تعرض القلب والروح للظلم في سجن الجسد ، إن القلب “ الباحث عن الحق “ مقيد في “ حي النفس “ ، إنك تعامله كالحيوان ، تحاول أن ترضيه بمنافع الدنيا ، تحضر له عجلا حنيذا كي يشبع “ ويسمن “ وأولى بك أن تحمل هذا العجل إلى مستودع التبن فإن قوت الروح هو رؤية الله ومشاهدته إنه - أي القلب الباحث عن الحق - يستغيث بالله في هذا البلاء ويرجو منه العون على هذا الذئب العجوز (النفس) ، إنه أي القلب الباحث عن الحق يشبه نفسه في إسار الجسد بالأنبياء في إسار الكفار : محمد صلّى الله عليه وسلم في تعامله مع اليهود ، وصالح عليه السلام في سجن ثمود ، فكما وهب الله تعالى السعادة لأرواح الأنبياء تطالب الروح بالسعادة ، تطالب الروح بأن يدعوها إليه ، أما تعال : فلا تعنى المجئ بل تعنى في رأى ليوسف بن أحمد : تجل بجمالك واقطعنى عمن سواك (3 / 70)
فالكافر نفسه لا يستطيع أن يصبر عن الرؤية ، إنه القائل يوم القيامة عندما يرى حرمانه من الرؤية والمشاهدة (يا ليتني كنت ترابا) (النبأ / 40) ، ثم يخاطب الله سبحانه وتعالى الروح بلطف طالبا منها أن تتجمل بالصبر ، فالله سبحانه وتعالى هو الذي يسعى من أجلها ، يعمل في جذبها برسن اللطف إلى حضرته ، وفي الكتاب الأول :
إنه يبدي نفسه للقلوب وهو الذي يخيط خرق الدراويش (بيت 685) .

(419 - 432) الرفيق المذكور في البيت 419 المقصود المقصود به أهل الله والرفاق في الطريق أما كنز الفقير فهو المرشد ورجل الحق فهو في الظاهر معدم لكنه خازن خزانة الله في الحقيقة ، وفي الأبيات من 421 فما بعدها أسباب نزول الآية الكريمةوَإِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْها وَتَرَكُوكَ قائِماً قُلْ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ(الجمعة / 11) وحوار البازي والبط فيما يقول زرين كوب (سرني 1 / 300) مأخوذ عن نظامى دون تحديد .

(453 - 464) ينتقل من الحديث عن الأرض إلى الحديث عن " الأرض " أي الإنسان ، إذ كانت الأرض مستسلمة لحكم القضاء ، ومن هذا الاستسلام يكون لها الزرع والثمر والرياض والبساتين فأولى بالإنسان وهو من تراب هذه الأرض أن يستسلم ، وقد ورد هذا الربط في شعر لسعدى :
لقد خلقك الإله الطاهر من تراب * إذن فتواضع أيها العبد كالتراب (بستان - كليات ص 408 طهران 1351 ه - ش)
فكما تستسلم البذرة فتنبت حبا وسنابل سامقات ، على الإنسان أن " يسلم " ، وفي هذا التسليم علو له ، فكما ينزل كل شئ من أعلى ، ثم يصعد إلى أعلى مرة ثانية ، فقوسا الصعود والهبوط ليسا خاصين بالسير العلوي الإنسانى ، بل هي قاعدة إلهية تجرى على كل المخلوقات : فكلهم رجعتهم إليه ، وكل شئ هالك إلا وجهه .

على السبزواري على قوله كل الأجزاء سواء في تحرك أو سكون : إن الأشياء إذا كانت ساكنة من جهة فهي متحركة من جهات وطالبة للحركة واتجاهها إلى المطلوب ، فالنباتات ساكنة في المكان لكنها ذات حركة في المقدار اللهم إلا في وقت الوقوف وكذا كل شئ يبدو ساكنا (ص 196) .

(466 - 473) يعود ثانية إلى قصة الحضري والقروي ، وكيف أن القضاء يجعل القوى مغلوبا للضعيف ، يسلبه لبه ، يستطيع سليمان أن يحبس الجنى والشيطان في زجاجة ويلقيها في اليم ، ويمضى هاروت نحو الفتنة والضياع والسجن في بابل ، (مضامين سبق لمولانا تناولها : انظر الكتاب الأول الأبيات 1202 ، من 1236 - 1242 ، 1242 - 1271)

هنا تلميح إلى قول منسوب إلى الإمام على أنه عندما سمع قول أفلاطون إن العالم كرة والأرض نقطة والأفلاك قسى والحوادث سهام والمواليد أهداف والله كالرامي : قال ففروا إلى الله (سبزوارى ص 196) ولا حيلة إلا الفرار من القضاء إلى القضاء ، فلن ينجو

إلا من يلجأ إلى الله ، ولا يستطيع " تربيع " أي طالع سوء أن يجد سبيله إليه ، والتربيع في اصطلاح علم الهيئة اسم نقطتين في مسير القمر حول الأرض بحيث يبدو نصف القمر مظلما ، وفي علم التنجيم يعنى وقوع نجمتين في منطقة البروج بحيث يكون بينهما برجان ، وينظر أحدهما إلى الآخر في الخانة الرابعة ، ويعتبر المنجمون هذا الوضع من طوالع النحس (استعلامى 3 / 243 - 244) .

(474 - 481) ضروان موضع في اليمن على بعد فرسخين من صنعاء ووردت قصة أهل ضروان في القران الكريم في قوله تعالى :إِنَّا بَلَوْناهُمْ كَما بَلَوْنا أَصْحابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّها مُصْبِحِينَ * وَلا يَسْتَثْنُونَ * فَطافَ عَلَيْها طائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ * فَتَنادَوْا مُصْبِحِينَ * أَنِ اغْدُوا عَلى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صارِمِينَ * فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخافَتُونَ * أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ * وَغَدَوْا عَلى حَرْدٍ قادِرِينَ * فَلَمَّا رَأَوْها قالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ(القلم 17 - 27) في رواية كان أبوهم أهل خير وإنفاق فلما مات بخلوا بحق الفقراء ، فأرسل الله على مزارعهم نارا بليل أحرقتها عن أخرها (ماخذ / 169 - 170)
ومن الواضح أن مولانا سيترك القصة بعد عدة أبيات . . . إلى أن يعود إليها في الكتاب الخامس ، والشطرة الأولى من البيت 479 مقتبسة من الآية الكريمةأَ لا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ(الملك / 14) ،
وفي البيت 481 اقتبس الشطرة الثانية من الآية الكريمة (وأحصى كل شئ عددا) (الجن 28) واقتباس الآيات القرآنية في أشعار الشعراء الفرس الكبار ظاهرة ملحوظة عند سعدى وحافظ وجلال الدين ، ولعلهم كانوا ينقلون عن القران الكريم خوفا من اللحن عند الكتابة بالعربية .

(482 - 487) يترك مولانا قصة أهل ضروان ، ليتحدث عن هجر المحزون

“ 436 “

أي إلى بث الروح التي تتألم من ألم الهجر (انظر ترجمة أغنية الناى في الأبيات الأولى من الكتاب الأول وفي كتاب فصول من المثنوى للدكتور عبد الوهاب عزام) ، وانظر إلى قول مولانا في البيت التالي : إنها زكاة تلك التي تؤديها للمحزون باستماعك إليه يبث شكواه ، إن مجرد البث والشكوى راحة للمحزون وسلوى له ، فالروح شريفة نزلت في منبت الشرف ومن النفخة الإلهية وحبست في الماء والطين “ أي الجسد “ ، ويشبه الإصغاء لهذا البث والشكوى كأنه “ كوة “ تخرج الدخان من قلب المكلوم أو المحزون . . . ويطلب من السالك أو من عابر السبيل أن يقدم هذا الإصغاء .

(488 - 496) تتناول الأبيات شكوى الروح ، أو شكوى ذلك الإنسان الذي يحس بهذه الروح وبترددها بين الجنوح نحو موطنها ومنبتها الأول وبين سجن الجسد والطين ، وهو ميدان الصراع عند الصوفي أو السالك ، أو القضية الأولى في جدلية العرفان إذا جاز لنا التعبير ، ويدق عليها مولانا كثيرا ، ويتركها ويعود إليها في مواضع كثيرة وقد عبر مولانا سنائى عن هذه الجدلية في بيت واحد :
ما ذا أفعل بالجسد ولست من الطين ؟ * وما ذا أفعل بالروح ولست من عليين (ديوان سنائى - تهران 1362 ه - ش . ط 3 ص 385) .

إن هذا التردد عقبة لأنه لا يزال يجذب الإنسان نحو الماء والطين ، ولا حل كما يعبر مولانا في هذه الأبيات إلا التعلق بمن يعرف الطريق والسير في أثره أو كما عبر عنه مولانا سنائى : “ التعلق بأهداب سرج صاحب دولة أو مقبل “ ديوان سنائى 486 “ .
أما السير على النار فهو يعنى السير في الطريق الصوفي المحفوف بالمخاطر والملئ بالعقبات ، ولا ينجو فيه إلا من حرره الله تعالى من الخوف ، وخاطبه كما خاطب موسى عليه السلامقُلْنا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلى

(طه / 68) ، غير أن هذا الخوف هو السبيل إلى جذب رحمة الحق ، على المرء أن يخاف ويحس بالقلق إن لم يحس في قلبه بالخوف ، وفي هذا الموضع روايات كثيرة عن الصوفية أبرزها ما قاله السرى السقطي “ إني لأنظر في المرأة في اليوم سبعين مرة مخافة أن يكون قد اسود وجهي “ ويعلق صاحب شرح التعرف على هذا القول “ وهذا لأن الرسول - صلّى الله عليه وسلم - قال وجه المؤمن مراة قلبه ووجه الكافر مراة قلبه “ . وقالوا إن بياض وجه المؤمن يوم القيامة هو نور إيمان قلبه وروى عن السرى أيضا : لا أحب أن أموت حيث أعرف مخالفة ألا تقبلني الأرض وكل هذه الأمور نابعة من أن تكون العبادة عن رياء أو خوف أو طمع (شرح التعرف لإبراهيم بن المستملى البخاري 2 / 8 - 9) ويطول الكلام في هذا المجال ، أي أن تكون عبادته رياء وعجبا ويشعر بالزهو من تعظيم الخلق “ وسوف يرد هذا المعنى “ فيسود الوجه ، فغير الخائف لا إذن له بالطواف حول هذا المحل .

(502 - 506) في هذه الأبيات العربية يستلهم مولانا القران الكريم أيضا (انظر تعليقات 474 - 481) فأبناء الحضري فرحون ، لكن العقل الواعي بالحقيقة المنتبة إليها الذي بينه وبين القلب كوة (وهو غير عقل الفلسفي الذي يعتمد على الظواهر) يحذر من أن الفرح بغير الله ترح وبُعد عن الطريق ، وفي البيتين (504 - 505)

اقتباس من الآية الكريمةلا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ” القصص 76 “ في خطاب قوم موسى لقارون ، وفي البيت رقم 506 إشارة إلى الآية الكريمةلِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ(الحديد / 23)

وفي هذا المعنى حديث روى عن الرسول - صلّى الله عليه وسلم - وكل ما ألهاك عن مولاك فهو دنياك “ (استعلامى 3 / 245) .

(508 - 516) الاستدراج في مصطلح الصوفية هو الأمور الخارقة للعادة التي تبلغ الكرامة وتصدر عن المدعين بل والمنكرين والمرائين وينخدع بها السذج فيقعون في شراكهم ، وجلال الدنيا وعظمتها وشوكتها وملكها كلها من أمور الاستدراج ، ويفضل الحزن كل هذه الأمور ، لأن الحزن هو الذي يوصل إلى المليك . فحزن الروح هو الذي يجعلها تحن إلى أصلها ، وحزن الجسد هو الذي يحفز الروح على مقاومة النفس وأهوائها وكل هذا منه طريق النجاة ، ولا يقدر على هذا سوى الرجال ، أي رجال الطريق الذين يستمدون من رجولة الهمة والخلق وليس الجنس ، فرب امرأة في الطريق أفضل من مائة رجل ، أما الأطفال - وهم من لم يصلوا إلى مرتبة الرجولة في الطريق - فهم الذين يغريهم لهو الدنيا ولعبها وزينتها ، أما المقصود بصحراء القلب في البيت 514 فهو طريق معرفة الحق ، وفي مقابلها صحراء الطين ، إي الدنيا والحياة المادية - " وسارية " هو المذكور في رواية سيدنا عمر الشهيرة : " يا سارية الجبل " . ومن العجيب أن الشارح محمد استعلامى الذي يشرح لا يقترب من هذا البيت وهذا الأسباب لا تخفى . . .

وهذه الكرامة لعمر رضي الله عنه وهي مشهورة وفحواها أن عمر سير الجيوش وعلى رأسها " سارية " وعلى المنبر أبصر بعيني القلب أن العدو كمن للمسلمين خلف الجبل فصاح من فوق المبنى يا سارية الجبل وسمعه سارية ، وأعجب منه شرح السبزواري (الفيلسوف) الذي فسره لفظيا فقال عن سارية إنه بعض (الجماعة السارية) ولم يذكر عمر (ص 197) .

(517 - 523) ينقل يوسف بن أحمد حديثين نبويين أولهما " التوطن في القرى قبر للنهي " والحديث الثاني " ساكن الكفور كساكن القبور " (3 - 87) كما أورد فروزانفر حديثا اخر هو " من سكن في القرى يوما تحمق شهرا ومن

سكن في القرى شهرا تحمق دهرا “ (استعلامى 3 - 246) ، وفي معارف بهاء ولد (والد مولانا جلال الدين) 2 / 89 تحقيق فروزانفر - طهران - ظهورى - ط 1352 ه - ش) يقال الريف مقبرة العلم إذ يندرس فيها العلم ، وتجوع بطن الذئب ، ويكون الجو قبرا ، والقرية هنا كما يفسر مولانا نفسه في الأبيات التالية رمز للمكان الذي لا يحصل فيه المرء على بضاعة القلب ، كما سنرى في سياق القصة فيما بعد ، والعمى المذكور في البيت
(521) هو عمى الباطن عن الحقائق ، والقرية أيضا هي الشيخ غير الواصل الذي يريد أن يبدي طريق الحق بالتقليد أو بالاستدلال وفي مناقب العارفين للأفلاكى (2 / 661 - أنقرة / 1961 (قال ذات يوم أن مولانا عليكم بالسواد الأعظم يعنى بخدمة الشيخ الواصل وإياكم والقرى يعنى صحبة الناقصين ، وفي مقابلها يرى أن المدينة هي “ العقل الكلى “ المدرك للحقائق الإلهية ، لكن التقليد والحجة كحمار معصوب العين يدور في طاحون .

(524 - 534) يترك مولانا سياق القصة لكي يفصل معانيه العالية التي تشبه حبات الدر عن حبات القمح ، إنه يوجه الحديث وهو يعلم أن من بين مريديه قد يوجد من لا يستطيع أن يفهم هذه المعاني فيقول لهم : دعوا الدر وخذوا القمح والدر هو باطن الحكاية أما القمح فهو ظاهرها ، والظاهر قد يقود إلى الباطن كما أن المجاز هو قنطرة الحقيقة ، فقد يوصل العشق الأرضي وهو مجاز إلى العشق العلوي وهو حقيقة ، والقصة ما هي إلا مخيم لكي يدعى الترك وتعنى اصطلاحا في الأدب الفارسي الحسان إليها والحسان هي الحقائق الإلهية . . . ويعود إلى القصة بعد أن يشرح هذه الفكرة ، وفي البيت رقم 533 إشارة إلى الحديث النبوي (سافروا تصحوا وتغنموا) (ورد في الجامع الصغير 2 / 30) .

(535) عن الإمام الصادق رضي الله عنه ، قال في حكمة داود عليه السلام :
إن على العاقل ألا يكون ظاعنا إلا في تزود لمعاد أو مرقة لمعاش أو طلب لذة في غير محرم (عن جعفري 6 / 347) .

(539 - 561) يترك مولانا سياق القصة ليتحدث عن العشق ، ويسوق الأمثلة لكي يقرب المعنى من مريديه على جميع مستوياتهم ، فينتقل من فكرة مطروقة هي أن الحنظل من المعشوق يصير رطبا إلى أفكار منتقاة من الحياة من حوله : فالدار تعتبر مرجا من رفيقه الدار أو الزوجة ، وقد تصير جحيما أيضا ، وكل ما في الحياة من كدح في سبيل رفيقة محبوبة ، فالإنسان يتحمل الشوك في سبيل محبوب كالوردة ، فانظر إلى الحمال : لقد مزق ظهره من حمل الأحمال في سبيل ماذا ؟ في سبيل محبوب فاتن ، والحداد في عمله يصيبه دخان الكير فيسود وجهه . . . من أجل ماذا ، من أجل أن يقبل قمرية وجه ، والتاجر يجوب البحار ، كما يعود بعدها إلى جليسة منزل والنجار . . . وماذا ؟ والسيد المسمر في حانوته . . . لماذا سمر في حانوته لأن عشق معشوقة كالسرو قد مد جذوره في قلبه وعن جلبنارلى (3 / 116) أن هنا إشارة إلى المثل العربي شرف المكان بالمكين إن هذا العالم يحركه العشق ، فما بالك بعشق الحي الذي لا يموت ؟

وإذا كان كل ما أنست إليه قد مات ، فما بالك لا تأنس إلى الحي الذي لا يموت ؟ وإذا كانت مشاعر الحب ومشاعر الكراهية تنتهى . . . فلما ذا لا تتجه إلى العشق الذي لا ينتهى ؟ حتام تعلقك بالزيف وأنت تظن أنه ذهب ؟ وحتام غرامك بالظل والظل نفسه في أثر الشمس ، وحتام هيامك بالقناة وتركك للبحر إن الدنيا وكل ما هو فيها ما هي إلا جزء من شحم الإلية يوضع في الفخ كي يصيد الذئب ، فمتى يدرك الذئب هذا ، متى يدرك أنه لا يمكن أن يكون أصل الإلية فخا . . . له ؟

والفكرة مأخوذة عن مثل عربى جاء في مجمع الأمثال للميدانى وهو " إليه في برية ما هي إلا لبلية " وساقه في ذيل حكاية أن ثعلبا رأى إليه مطروحة في مغازة

فتخيل أنها ألقيت بحبالة فجاء إلى ذئب وقال له : ادخرت الأشياء لصداقتك فتقدم الذئب حتى جاء إلى الإلية فلما أراد حملها وقعت الحبالة في عنق الذئب وسقطت الإلية من الحبالة فتناولها الثعلب وقيل على لسانه ذلك المثل : (عن ماخذ ص 76في التعليق على البيتين 2722 و 2723 من الكتاب الثاني - كفافى 540) .\

(571 - 567)وردت الحكاية الصغيرة التي تبدأ بها هذه الأبيات قبل مولانا في تمهيدات عين القضاة الهمذاني وإحياء علوم الدين للغزالي وتفسير أبى الفتوح الرازي باختلافات يسيرة (ماخذ ص 91) ومولانا مثل كل شعراء الصوفية يطوع الحكاية بحيث تكون صالحة لتبيان الفكرة التي تهدف إليها من نصها :

أحب لحبها السودان حتى * أحب لحبها لسود الكلاب (585 - 578) بما أن الكلب الذي انعكس عليه نور المحبوب ممكن أن يكون محبوبا ومعشوقاً ، يخلص مولانا إلى أنه إذا تجاوزنا التعلق بالصورة فإننا سوف نرى عالم المعنى وهو رياض في رياض ، والطريق هو تحطيم صورة " النفس " وإحراقها ومن ثم تكون صورة العالم ذليلة ولا قيمة لها ويكون تحطيم الصور في سهولة تحطيم عَلِيّ رضي الله عنه لباب خيبر ، ويخلص من الحديث عن خطر " الصورة " إلى القصة : إن هذا الحضري الساذج مثل طائر خدع بالحب فوقع في الفخ خدع أيضا بكلام القروي السقيم ، وفي البيت 585 : يقول إنه كل أفراحنا مدعاة للحزن فكلها ممتزجة بالخداع وأخشى أن أعددها لك أيها السالك فتقعد عن الطريق .

(595 - 588) بالرغم ممن أن الحديث يدور حول رحلة السيد إلى القرية ، إلا أن الحديث يمكن أن يفهم على وجه أنه تنبيه عام للسالك ، فالحديث عن ضرورة المرشد ، فالذي يسير على العمياء لابد وأن يضل ، ولابد للأمور من

شكلها الطبيعي ، فالطريق يلزمه مرشد ، فمن النادر أن يظهر إنسان إلا من والدين مثل آدم وحواء وعيسى ، والمال موكول بالعمل ، ومن الأحوال النادرة أن يأتي بلا عمل وأن الرسول صلّى الله عليه وسلم - لم يكن له جسم بالمعنى المادي بل إن جسمه روح وعلاقته بالله بلا واسطة ، ومن ثم فقد علمه القرآن بلا واسطة من القلم من أجل أولئك الذين يريدون في أعمالهم الواسطة والآلة .

(604 - 601)يصور مولانا وجه القروي في لقائه للحضرى بأنه وجه كله احتيال وشر ، من الوجوه التي يقف فوقها الشيطان كأنه الذباب ، مستعد كل لحظة أن تخرج كل الشيطانية من هذا الوجه لتقع في الإنسان الذي ينظر إليه ، إنه إنسان عدوانى " بكل معنى الكلمة لا يطيق حتى النظر إليه فما بالك بالنزول في ضيافته ، هذه هي الوجوه التي قال فيها تعالى (كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية) (العلق / 15 . (

(610)

: ما أشبهه بالبيت العربي :

غير ارتضاء رضيت برك بي ، والجوع يغرى الأسود بالجيف .

(613)في البيت إشارة إلى الآية الكريمةيَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ(عبس / 34 - 35) وأوجه نظر القارئ إلى الحوار في الأبيات التالية بين الحضري والقروي وكيف تقمص مولانا شخصية الريفي وأجرى على لسانه الحوار الجدير بشخصية تدعى التدين واعوجاج نفسيته فقدم صورة حية كثيرة الحركة .

: (615)الشطرة الثانية إشارة إلى الإمام على رضي الله عنه :كل سر جاوز الاثنين شاع * كل علم ليس في القرطاس ضاع(جلبنارلى / 3 - 117) (623)ما أشبه بالبيت العربي :

وظلم ذوى القرى أشد مضافة على النفس من وقع الحسام المهند.

(644 - 638)يقول استعلامى : يتدخل مولانا معلقا داخل القصة :
فالحضرى والقروي كلاهما من أهل الدنيا ، لكن الحضري وهو أكثر وعيا كان عليه ألا يخدع بهذه السهولة وأن يأتي به طمعه (؟ ! !) إلى القرية (3 / 250) ، والواقع أن الحضري لم يطمع في القروي ولا انتظر منه خيرا ، بل جاء وهو ينتظر جزاء إحسانه سوءا . . الواقع أن الحضري ندم على فوت صحبة الكرام ورجال الله وتفضيل صحبة قروى جلف عليها ، والمقصود بملوك التراب ملوك الدنيا ، وأصوات الطبول أي كلمات جوفاء لا نتيجة منها ، والمقصود بالعقل هو العقل الباحث عن الله ، والغول إشارة إلى أهل الظاهر ، واختار النقل ، أي اعتمد على كلام أهل الظاهر .

(651)ترجم المفسرون هذا البيت بأنه جسد ذئب وحيد أو متروك أو مهجور ويرى استعلامى (3 / 251) أن الأقرب إلى الصواب أن القروي جاء بتمثال الذئب لكي يقيم فخا للحضرى ، ولا أدرى كيف جاءه هذا التفسير ، خاصة وأن ذئبا لم يظهر قط بل كان جحش القروي كما سيبدو ، وذئب وحيد أو متروك أو متهافت أكثر إقناعا على أساس أن الحضري رأى الجحش في الظلمة كتمثال لذئب يبدو من وراء التل فأصماه .

(680 - 667)يرى استعلامى (3 - 251) أن هذه الأبيات من كلام مولانا ليست على لسان الحضري لكنها إفاضات مولانا ، والواقع أن هذه الأبيات على لسان الحضري نفهم منها أن القروي عندما كان يهرب من الحضري كان يتظاهر بأنه في حالة سكر وغيبة بحيث لا يعرفه والواقع أن كثيرا من الأبيات التالية وحتى البيت

(710) يختلط الكلام الذي على لسان الحضري بالكلام على لسان مولانا . فالقروى الذي ادعى الغيبة وعدم معرفة رفيق عشرة سنوات استطاع أن يميز ضراط جحشة في الظلمات الثلاث فأي سكر هذا وأية غيبة هذه ؟ ويقدم مولانا خلال هذه الأبيات صورة كثيرة الحركة وشديدة السخرية لفئة

من المتصوفة في عهده (وفي كل عهد) ليس لهم من التصوف إلا حفظ بعض المصطلحات والتفوه بها ، والتظاهر بالوجد والسكر والحال ، وكل منهم يحسب نفسه في مرتبة الجنيد ويا يزيد والقروي نفسه يخلط بين سكر العشق وسكر الخمر فيقول في البيت (670) أنا عاقل ومجنون بالحق واعذرنى عن غيبتي ثم يتحدث عن قاعدة فقهية عن بطلان طلاق الثمل أو عتقه أو بيعه (! !) ولأن الادعاء كثير فقد كان الامتحان أشد والفضيحة أفدح ، لأن هذا الصوفي الواجد الثمل الغائب قد فضحته ريح خرجت من دبر جحش ! ! فانظر إلى السخرية .

(694 - 683)يتحدث مولانا عن امتحان الغيرة ، أو عن امتحانات الله سبحانه وتعالى التي يمتحن بها صدق عبده ، وليس الحق في حاجة إلى امتحان عبده بل يهدف سبحانه وتعالى إلى بيان الزيف من الحق وبيان المخلص من المرائي ، إن الأمر يشبه أن يدعى أحد أنه حائك ماهر فيلقى إليه أحد بأطلس فاخر ليخيط له فراجة . . . ومن هذا الامتحان الصعب يبرز له قرنان أي يصير مضحكة وسخرية للخلق ، وهكذا الله سبحانه وتعالى لا يرضى لعباده أن يكونوا صيدا للمرائين ، وقد يمد للمرائي أو العابد طمعا أو خوفا . . لكن تأتى لحظة الامتحان الأخيرة من حيث لا يدرى أو يحتسب ، هذه هي غيرة الله سبحانه وتعالى على عبيده ، فلو لم يكن الامتحان ، لظهر كل متنفج مدع كذاب مخنث في صورة رستم فالمعمعة هي التي تبديه على حقيقته ، ويهاجم مولانا الادعاء ، كيف يجعل المدعى من نفسه الحسين بن منصور الحلاج لكنه بدلا من أن ينظر إلى القطن في مخزنه فينفصل عنه البذر في التو واللحظة (تذكرة الأولياء للعطار ص (566يضرم هو النار في أقطان الرفاق .

(700 - 695)بالرغم من أن الحديث يدور حول موضوع عام هو المدعين في الطريق ، وسخف قولهم ، وافتضاحهم ، إلا أن مولانا يشير بين الآن والآخر إلى القروي موضوع قصتنا . . . وفي البيت 695 يمكن أن تكون صفة “ يتبرزون في الطريق “ تشير إلى أهل الريف ويمكن أن تشير أيضا إلى من يلوثون الطريق

بفعالهم الدنيئة . والبيت (700) إشارة إلى بهلول وهو عارف مشهور قيل إنه كان في عهد هارون الرشيد ويعتبر استعلامى (3 / 253) أن إضافة كلمة " القرية " هنا لا لزوم لها بل جاءت فحسب للقافية ، والواقع أنها في محلها تماما وأن الإشارة هنا إلى القروي الذي ادعى أمام الحضري أنه عارف " القرية . "

(709 - 701)يتحدث مولانا عن القرب ، والقرب أنواع ، وليس كل من وجد القرب بالذي يمكن أن يؤثر فيه هذا القرب ، وكثيرون هم الذين ينتفجون بالقرب على أساس أن الصانع قريب من المصنوع ، ونصيب كل من تشرق عليه الشمس منها ليس متساويا ، فهناك غصن غض يقبل إفاضاتها وغصن يابس يزداد تيبسا ، والمدعون كأشجار الصفصاف تشرق عليهم الشمس لكنهم لا يثمرون .

(720 - 710)إن السكر الذي يجلب الندم هو السكر بالذات والغرام بها والسكر بهوى النفس ، هو السكر الذي يستطيع صيد الأسود لا صيد الفئران " في استعلامى 3 / 253 " هذا البيت بأن القط يصيد الفئران ، لكنه لا يستطيع أن يحلب الأسد ، والواقع أن ترجمة " شير " في الفارسية بمعنى لبن وبمعنى أسد لكن الترجمة لا تحتمل غير هذا المعنى ، وهكذا فسره يوسف بن أحمد (3 / 112) وهكذا ترجمه نيكلسون (III 42 / . P)والمقصود بهذه الناحية أي الدنيا وتلك الناحية أي الآخرة والبيت رقم 716 متأثر ببيت لسنائى الغزنوي :
إنك لا تملك القدرة على الاستغناء فلا تهزل بأحاديث الدراويش ولا تملك وجها كوجوه العيارين فلا تقتلع روحك عبثا (ديوان / 485) وفي البيت رقم 720 يشبه كل خيالات المدعين بأنها تشبه من يصنع أنية من

الثلج في الشتاء ، أي أنها سوف تذوب عندما تسطع عليها الشمس .

(731 - 721)بعد الحديث عن الادعاء ، يضرب مولانا الأمثال ، وحكاية ابن اوى ودن الصباغ من الحكايات الواردة في خرافات العرب (ماخذ (92 / ، أو لعلها صورة أخرى في حكاية تقليد الغراب لمشية الحمامة من الحكايات المشهورة في كليلة ودمنة ، والقفز على المنبر في البيت رقم 728 مقصود به اغتصاب حق وعظ الخلق دون أحقية أو علم ، وفي البيتين (731 - 730) يعلق مولانا قائلا : إن الإقبال هو الأولياء الحق وليس لكل مدع مراء ، ويترك مولانا الحكاية ليعود إليها في البيت رقم 766 .

(739 - 732)لا يزال مولانا (يركز) على موضوع الادعاء ، ويسوق حكاية أخرى في هذا المجال ، وإن كان فحواها يدل على أنها سيقت لتبرهن على أن المدعى وإن كان راضيا بمظهره إلا أن باطنه يلعنه ، وأن ضرر الادعاء لا يعود إلا على المدعى نفسه ، والحكاية المذكورة في هذا المجال فيما اتفق عليه الباحثون الإيرانيون من مبتكرات مولانا جلال الدين ، وأنها صارت مثلا ، فعندما يقال مثلا : في إيران تلك الشحمة سرقتها القطة " فالمقصود أن مجال الاستفادة من شئ ما قد انتهى (انظر داستانهاى أمثال : أمير قلى أميني 19 20 - أصفهان 1351) وواضح من الحكاية أيضا أنها شائعة في المأثور الشعبي المصري ، وكالعادة يترك مولانا الحكاية ليعود إليها في البيت 474 (740 (746 - البيت 740 إشارة إلى الآية الكريمةهذا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ(المائدة / 119) البيت 741 إشارة إلى الآية الكريمةفَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ(هود / 112) حتى ولو كان قد فتح عليك بالإفاضات الإلهية فلا تتحدث وذلك خوفا من أن تمتحن ، ويضيف أنه هو نفسه تعرض لمثل

هذه الامتحانات . أما الشطرة الثانية في البيت 745 فهي إشارة إلى جزء من الآية 126من سورة التوبةأَ وَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ .

(765 - 747)بلعم بن باعوراء من زهاد بني إسرائيل وكان معاصرا لموسى وبالرغم من أنه أوتى من الآيات والعلم إلا أنه لم يؤمن بموسى وناصبه العداء ، ويضرب به المثل في المأثور الصوفي الفارسي على من يضله الله على علم وتأتى قصته دائما في تفاسير القران الكريم على الآية الكريمةوَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الْغاوِينَ(سورة الأعراف / 175) وفي البيت أيضا إشارة إلى إبليس على أساس أنه كان من أكثر الملائكة عبادة لكنه لم يوفق في الامتحان الأخير عندما طلب منه أن يسجد لآدم ومنعه كبرياؤه من ذلك ، وهذه القصة أيضا تناولها الصوفية من وجهات نظر عديدة أهمها أن على الصوفي ألا يأمن مكر الله فإنه لا يدرى من أين تأتيه الفتنة ولن يكون أكثر علماً من بعلم ابن باعوراء أو أكثر عبادة من عزازيل ، وعلى عكس ذلك أيضاً لا تنظر إلى كافر باحتقار فربما مات مسلما (كتاب 6 / بيت 2541)

وبقية الأبيات ابتداء من البيت 748 حتى 765 تكمله الرجل الذي كان يدهن شاربه بالإلية وفحوى الحكاية أو الهدف منها يرد في البيت رقم 571 وهو أن التنفج والادعاء يمنعان عنا كرم الإله أو كرم رجال الحق ، فأولى أن يظهر الإنسان حاجته حتى يعطف عليه المولى أو يبعث الشفقة في قلوب قوم يعطفون عليه .

(777 - 766)عودة إلى قصة ابن اوى الذي وقع في دن الصباغ ، أو بمعنى أصح المبعد المطرود الذي وقع في “ دن “ زخارف الدنيا وبهرجتها وظواهرها ، وكيف أن ابن اوى اعتبر نفسه مظهرا للعظمة والكبرياء الإلهى) بيت 770 . وفي

البيت رقم 774 : المقصود بطواويس الروح أي أولئك الذين لديهم العظمة الإلهية والكمال والوجود بلا قيد وشروط ، ولهم حالات وتجليات تظهر كل هذا الجمال والأبهة ، وفي البيت رقم 775 : يسألون ابن اوى الملون ذاك : هل لك تجليات معنوية مثلهم ؟ فيجيب : لا ، كيف أتحدث عن منى وأنا لم أقطع بادية مكة ؟ كيف أتحدث عن النهاية وأنا لم أقطع الطريق ؟ وكان ابن اوى نفسه أعترف بالعجز على نفسه ، ويخلص في البيت 777 إلى الهدف التعليمي من الحكاية وهي أن : جدارة رجال الطريق لا هي من اللون أو من الكسوة بل هي من الله تعالى فحسب .

(789 - 778)لا يكاد مولانا يترك فرصة دون أن يسخر من جبارى الأرض أولئك الذين ينازعون الإله رداء كبريائه ، وكيف يصير هؤلاء فتنة للخلق ولأنفسهم ، وهذا هو " فرعون " يرصع لحيته بالجواهر (أو يرصع بزته بالنياشين والأنواط) ، ويظن بهذا المظهر أنه أعلى من عيسى عليه السلام ، وما هو إلا ابن اوى سقط في دن المال والجاه ، وسجد له الخلق وصدق ، وهؤلاء الخلق هم الذين يخلقون " كل فرعون " في " كل عصر " وذلك أنه كما روى عن أفضل الخلق - صلّى الله عليه وسلم - " المال حية والجاه أضر منه) " استعلامى 3 / 256) فكل المتجبرين المغرورين بالدنيا كأبناء اوى الملونة والطواويس المذكورة - بيت (784 وما بعده) - هم رجال الله ، وهم المحك الذي يفضح أولئك المدعين الذين يرتدون إهاب الأسود وهو كلاب ولا يمكن أن تتواءم صورة الأسد مع أخلاق الكلاب ، وإلا تعرض لامتحان من زئير أسد حقيقي .

(796 - 790)يتناول تفسيرا للآية الكريمة التي نزلت في شأن المنافقين - أي الذين تختلف ظواهرهم عن بواطنهموَلَوْ نَشاءُ لَأَرَيْناكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيماهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمالَكُمْ(محمد / 30) والسياق مناسب بالطبع فالنفاق والادعاء سيان ، والبيتان 792 ، 793 اقتباس

“ 449 “

من قول منسوب للإمام على - كرم الله وجهه - “ كما تعرف أواني الفخار بامتحانها بأصواتها فيعلم الصحيح منها من المكسور كذلك يمتحن الإنسان بمنطقة فيعرف ما عنده “ (استعلامى 3 / 256 - 257) .

(800 - 797)قصة الملكين ببابل أي هاروت وماروت من قصص القرآن الكريم التي تستوى مولانا كثيرا وذلك للدروس الكثيرة التي تقدمها في ميدان العرفان والتصوف ، ومولانا نفسه يذكر أنه تحدث مرات عن القصة (انظر الكتاب الأول الأبيات 539 ، 540 ، 3334 فما بعد 3425 : الكتاب الثاني 2475 ، (2476وانظر أيضا البيت 417 من هذا الكتاب) وأنه يعود إليها هذه المرة ليقول جزءا من آلاف الأجزاء أو معنى من آلاف المعاني التي تثيرها هذه القصة في وجدانه العرفاني ، أو كأنه ذكر عضوا واحدا من أعضاء الفيل (انظر الأبيات 1260 فما بعده من هذا الكتاب وتعليقاتها) والقصة نفسها مذكورة مع اختلافات يسيرة في كل كتب التفاسير (على الآية 102 من البقرة) وكتب قصص القرآن (الثعلبي مثلا قصص الأنبياء 42 - 45) ويتناول مولانا القصة من منطلق “ الامتحان “ وكلما ذكر الامتحان في المثنوى ذكر هذين الملكين ، وكيف كانا يعتبر أن الذنب خاصاً بأبناء ادم وبناء على طلب منهما وبإذن من الله نزلا إلى الأرض حتى يثبتا أن الملائكة أبرياء من الذنوب ، ووضع امتحان الحق في طريقهما امرأة جميلة ، وبعد أن زنيا بها تعرضا لعقاب الحق بأن علقا في بئر ببابل .

(807 - 801)كانا ملكين مقربين وعلى صلة بالروح المطلقة ، وكأنما كانا يشاهدان الإله ويسكران من هذه المساعدة ، لكن هذا السكر كان استدراجا لهما ، أي من قبيل تلك القدرة الظاهرية التي لا توصل السالك إلى شئ ، وتصيبه بالغرور ، فيأتيه الامتحان (انظر عن الاستدراج تعليقات البيت 508 من هذا الكتاب) وفي البيت 802 يتساءل مولانا : إذا كان سكر الاستدراج هكذا فكيف

" 450 "

يكون سكر المعراج حيث قوبل الرسول في حظيرة الحق ؟ والحبة في الشراك المذكورة في البيت 803 هي نفس هذا الاستدراج ومائدة الإنعام هي المعراج أو رؤية الحق .وأية حبوب تستطيع أن تفتقها ، أي ماذا يمكن أن تفعل معنا ؟
بالتأكيد تغيرنا وتبدلنا تماما ، وفي البيت 804 : ناجيان من الوهق أي حران من الحياة النفسانية والمادية ، قبل أن ينزلا إلى الأرض وفي البيت 805 : الامتحان هو امتحان الحق الذي يشبه " ريح الصرصر " التي اختطفت قوم عاد ، وما قوم عاد ؟ إنها الريح التي يكون الجبل في مهبها كأنه القشة . . ولم يكن لهما أي حس بهذا الامتحان فقد كانا " ثملين " ، وهما في سكرهما كالعاشق . . . الذي لا يرى الخطر أمامه ولا يستطيع أن يدركه .

(817 - 808)في هذه الأبيات يشبه حالة هاروت وماروت بحالة الماعز الجبلي وكيف يلقى بنفسه في الخطر عندما يرى أنثاه على جبل اخر وذلك لتشبيه سقوط هاروت وماروت من أجل امرأة . . فالشهوة هي بالفعل التي تعمى العين عن الخطر ، ولعل مولانا في هذا التشبيه متأثر ببيت ورد في أسرار نامه لفريد الدين العطار :
حتام تريد السفاد كالماعز * فسوف يقصم ظهرك في هذا طوعا أو كرها (ماخذ / 92) .

(827 - 818)إن رجل قوى كرستم يكون مصرعه الشهوة نفسيا وهوى النفس والبيت التالي يتحدث عن نفسه وربما يقصد العارف عموما ، وهو يعتبر سكر الشهوة أمرا حيوانيا ، ومثاله في الجمل الذي يتحمل الأثقال والعطش والرحلات الطويلة في الصحراء القاحلة لكنه ينوء بكلكله من ثقل الشهوة وسكره بها ، جاء في (معارف بهاء ولد 2 / 3) " سكر الجمل في كل سنة أربعون يوما في الربيع في حالة قضاء شهوته بالناقة وفي السكر لا يأكل شيئا

أربعين يوما " لكن شتان بين سكر وسكر : سكر الشهوة وسكر الملائكة من مشاهدة الحق ، فسكر المشاهدة يقضى على سكر الشهوة الذي يشبه الماء المالح لا تحس بملوحته إلا إذا جربت الماء العذب ، وخمور السماء أي عنايات الحق تجعلنا في غنى عن أي سكر أو خمر ساق ، ومن ثم فإن الملائكة ورجال الحق ذوى الأرواح الطاهرة ذوو نصيب من هذه الخمر الإلهية بحيث لا يلقون أي بال إلى خمور الدنيا ، وما هي خمور الدنيا ؟ إنها المال والجاه والمقام والمنصب ، أما القانطون والمطرودون من رحمة الله فهم مثل الكفار في القبور " كما يئس الكفار من أصحاب القبور " فقد يئسوا من التوبة تماما ، وكانوا كل ما يزرعونه شوكا ، ومتى ينبت الشوك الثمر ؟ وهل ينبت الشوك إلا الشوك ؟

(839 - 828)يعود مولانا إلى قصة هاروت وماروت ، لقد أمنا في عصمة الله وثملا بمشاهدة جماله واستبعدا أن يبدر منهما خطأ أو ذنب وعابا وعذلا وتدخلا في ملكوت الله بقولهما ، لو كنا في الأرض لعمرناها بالعدل والعبادة والوفاء ، لكن القضاء الإلهى كان يقول لهما : قفا ، خففا الوطء ، حذار فإن طبيعة الأرض صحراء البلاء ، حذار وامشيا الهوينى ، مفتحى البصر في هذه الأرض التي من طبيعتها قتل الطيبين الأخيار الأطهار (كربلاء) ، انظرا إلى الأقوام الذين أهلكهم سيف القهر الإلهي " فأديم الأرض من هذه الأجساد " . . . ومن هنا يقول الله تعالىوَعِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً(الفرقان / 63) وفي البيت 835 مزرعة الشوك أي الدنيا ، لكن هاروت وماروت لم يستمعا إلى تحذير القضاء ، فقد كان هناك من الوجد والسكر حجابا على أذانهم ، وهكذا الجميع أغلقوا عيونهم واذانهم ، اللهم إلا رجال الحق الذين تخلصوا من ذواتهم ، وهذا الختم على الأسماع والأبصار لا دواء له ولا علاج إلا العناية الإلهية ، وهذا القهر لا يطفؤه إلا محبة الحق ، ولا جهد هناك يؤدى إلى نتيجة إلا بتوفيق وعناية الحق العالم بالسداد .

(845 - 840)القصة التي تبدأ بهذه الأبيات من قصص القران الكريم

ويتضمن هذا الكتاب جزءها الرئيسي ، ولا يكاد كتاب من كتب المثنوى الستة يخلو من ذكر لموسى عليه السلام وفرعون عليه العنة الله . . ترى إذا لم يكن مولانا يعتبر الحرب بين الطغيان والإيمان من أهم المبادئ التي يتجلى فيها العرفان ، ويقوى بها السالك ، إذن لماذا أخذت منه القصة كل هذا الاهتمام ؟
(انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب السادس) وقصة موسى وفرعون وردت في سور عديدة من سور القرآن الكريم ، ولا داعى لتكرارها منعا للإطالة .ويرى فروزانفر أن مولانا اعتمد في سرده لأحداث القصة (معانيها بالطبع) على تفسير أبى الفتوح الرازي (ماخذ 93 - 93) ويقدم مولانا القصة هنا كنموذج للجهد الذي بلا توفيق ، فكل مساعي فرعون انتهت دونما نتيجة ، فالله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، والمقصود بليلة الحمل في البيت 845هو موعد انعقاد النطفة .

(861 - 858)يرى استعلامى (3 / 259) أن هذه الأبيات إشارة من مولانا إلى أحوال المصريين في آسيا الصغرى في عصره ومقارنتها بأحوال بني إسرائيل تحت حكم فرعون وفي تلك الفترة كان هناك صراع بين عز الدين كيكاوس وأخيه ركن الدين قلج أرسلان على حكم قونية ، لعل عز الدين تحالف مع مماليك مصر ومن أجل ضرب هذا التحالف كان قلج أرسلان يقتل المصريين ، وهذا التفسير غير مفهوم فعز الدين وأخوه ركن الدين لم يكونا من المغول ، ولم يصل المغول إلى آسيا الصغرى إبان حياة جلال الدين ، والقصة شبيهة بقصص حكيت عن المغول في التسام ، وربما سمعها جلال الدين من أحد شيوخه الشوام أو أثناء إقامته في الشام .

(866 - 865)حتى بين الشحاذين الطماعين الملحاحين قد يوجد رجل حق كما يوجد الجوهر بين حصى البحر.

(879) طبقا لكثير من تفاسير القران ومن بينها تفسير أبى الفتوح الرازي :
" أن الملائكة حملت امرأة عمران إلى زوجها في مقر عمران ، وبعد جماعها حملوها مرة ثانية وأعادوها " . وطبقا لرواية قصص الأنبياء للثعلبي أن النساء فكرن بأن فرعون لن يعود إلى الميدان ، وأسرعت كل منهن إلى زوجها وعلى باب البلاط وجدت امرأة عمران زوجها .

(901) طبقا لمعتقد في المأثور الإسلامي أن كل نبي كان يولد إلا ولدت نجمة حمراء له في السماء (انظر ماخذ ص 94) كما قال جلبنارلى (ثالث / 123) أنها وردت في إنجيل متى .

(952) طبقا لتفسير أبى الفتوح الرازي ، " ألقت بالطفل في التنور ، وسدت باب التنور وهربت تاركة البيت " (ماخذ ص 94) .

(959 - 960) البيتان ترجمة تقريبية للآية 7 من سورة القصص :فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ.

(963 - 968) " الأعمى حاد البصر " أي الأعمى الذي لا يرى ما تحت قدميه ومع ذلك يمد بصره طامحا إلى رؤية الأشياء البعيدة ، وهكذا كل إنسان من الحرص والطمع قد يغمض العين عما في يده ويمد بصره إلى ما بعد عنه ، مثل فرعون يقتل أطفال الناس حيثما وجدهم ، و " موسى " وهو الهدف في صدر منزله لكن الله أعماه عن رؤيته ليتم أمره - وهذا هو الجهد بلا توفيق ، كان مكر فرعون كالأفاعى ، لكن موسى كان أكثر قوة منه ، وكانت أفعاه أقوى من أفعى مكر فرعون . . . وفي البيت 967 يد فوق يد مثلما نقول نحن : أبدان مسلطة على أبدان ، بمعنى أن كل من في هذا الكون مسلطون بعضهم على البعض ، فالقوى يقضى على الضعيف ثم هو أقوى منه فيقضى عليه ، وهكذا

حتى نصل إلى الله سبحانه وتعالى . . . فإليه المنتهى . . . فهو البحر الذي لا نهاية له . . . وكل البحار أمامه كأنهار كونها مجرى السيل .

(971 - 975) يعلق مولانا على قوى الشر الكامنة في البشر ، فهو عندما يتحدث عن فرعون موجود ، إنما يتحدث عن القوى الفرعونية الكامنة في كل إنسان إن كل ما هو موجود في فرعون موجود فيك ، لكن فرعون وجد الوسيلة ، ولو وجدت أنت الوسيلة لصرت أشد فرعونية من فرعون ، فالأفاعى الفرعونية والرغبات الكامنة وقوى الشر والتدمير هي في بئر من الضعف وانعدام الوسيلة ونار الفرعونية موجودة في كل إنسان لكنها لا تجد الحطب ولو وجدت الحطب لأصبحت مثل نار الفرعون ، ولا يرى مولانا أنه لابد أن ينبه إلى هذه الحقيقة ، إنه يتحدث عن فرعون ، لأن السالك سوف يخاف أن يتحدث إليه عن فرعونية مباشرة ، كما أنه لن يتركه بلا تنبيه حتى لا يظن أن ما يحدثه عنه مجرد حكاية أو أسطورة لا يوجد مثيلها داخل النفس المهلكة الموجودة عند كل إنسان .

(976 - 977) إن " أفعى " فرعون أو نفس فرعون التي تشبه الأفاعي تجعل مولانا يستحضر حكاية جديدة وهي حكاية الصياد والأفعى المتجمدة وبالرغم من أن فروزانفر لا يذكر الحكاية في كتابه عن مصادر حكايات المثنوى ، يصل استعلامى إلى أن أصل الحكاية من حكايات العرب ، كما يذكر حكاية وردت في مرزبان نامه لسعد الدين الوراوينى عن فلاح صادق حية ، وذات يوم من أيام الشتاء يجدها متجمدة فيضعها في مزود الحمار حتى تدفئها أنفاس حماره ، وعندما تعود الحية إلى وعيها تلدغ الحمار وتعود إلى جحرها (استعلامى 3 - 263 - مرزبان نامه - تأليف مرزبان بن رستم بن شروان - وأعاد صياغتها سعد الدين الوراوينى ص 36 - ص 37 من طبعة طهران أوفست عن طبعة بريل بلندن) والواضح أن الحية المتجمدة ترمز هنا إلى النفس الإنسانية إن وجدت القدرة انقلبت إلى عدو ذي خطر ، ويبدأ مولانا القصة ببيتين ثم يتركها حتى البيت رقم 995) .

(978 - 994) يترك مولانا قصة صائد الحيات ، ويتحدث " عن الطلب " أي دور الطلب عند سالك طريق الحق ، والطلب إما أن تكون بإرشاد مرشد أو شيخ ، وإما أن يكون بإرادة الحق وعنايته ، والطلب مقبول بأية طريقة كانت ، " وبلا أدب " أي بلا أي نوع من رعاية الشكليات ، والشم : أي الجهد في معرفة طريق الحق عن طريق اثاره ومظاهره ، والنموذج الحقيقي للطلب طلب يعقوب ليوسف عليهما السلام ، فلا يأس ولا قعود مصداقا للآية الكريمةيا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ(يوسف / 87) ، وإذا كان هذا هو حال نبي من أنبياء الله فأولى بالسالك والمريد ألا يقعد عن البحث ، وعليه أن يوظف كل قواه في هذا الطلب : السؤال أو السمع أو إدراك اثار الحق .
والرائحة الطيبة هي اثار وجود الحق أو عناية الحق التي تمدها القلوب الواعية ، وإذا ظفرت بأحد عنده هذه الرائحة وفيه أثر من اثار اللطف الإلهى فالزمه وخذه دليلا فإن هذا الجزء يدل على الكل . . . وكل ما في الكون من حسن يدل على وجود هذا الحسن الكلى ، وكل امرئ لديه منه بقدر استعداده وبقدر طلبه ، والمطلوب جدير بهذا الطلب والجهد ، أليست حروب الخلق كلها من أجل الوصول إلى الحسن ؟ وأليس السلام في حاجة إلى حرب ؟ وألا يتعب المرء من أجل أن يصل إلى الراحة ، فما بالك بمنبع الحسن ومنبع السلام ومنبع الراحة ، ألا يستحق دأبا في الطلب ومواصله له ؟ وحتى مظاهر الحياة المادية وصراعات الحياة اليومية ، وتلك الهموم الصغيرة التي تشغل الإنسان هي في الحقيقة سعى إلى الله وسير إليه فالمجاز قنطرة الحقيقة . . . فحتى صياد الحيات يبحث عن الحية من أجل أن تعينه على الحياة ، غائبا عن حقيقة الأمر وهي أنه يطلب العون ممن لا عون منه ، ويقلق من أجل فارغ من الهم .

(995 - 1002) يعود إلى قصة صائد الحياة وتكرار المعنى لإبداء الدهشة والتعجب ، وسبب الدهشة هو عجب ذلك الصياد من منظر الحية ، فكيف يعجب

الإنسان ويفتن وهو جبل تعيش فيه الحيات والأفاعي إلى جوار آلاف العوالم ، كيف يتعجب ذلك " العالم الأكبر " من حية ؟ يقول يوسف بن أحمد " الإنسان في حد ذاته جبل عظيم ، معدن أنواع الصفات ومنبت أصناف الأعمال والأفعال ومسكن جميع الوحوش والطيور والهوام ومع كل هذه العظمة لأي شئ يكون مفتونا .لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍوهو لا يعرف قدره وفي المعاصي يصرف وقته (مولوى 3 - 150) فأصل الوجود الإنسانى هو الوجود المطلق . إن الكون حائر في الإنسان ومع ذلك فالإنسان قد يحط من قدر نفسه ويحار في جزء تافه وحقير من هذا الكون فكيف ؟ لأن الجانب الضعيف فيه هو الذي يوجهه ، وإذا لم يكن صائد الحيات واقعا تحت سيطرة النفس وهي أفعى ، فكيف كان له أن يسعى في أثر الحيات ؟

(1008 - 1012) كما أن الحية متجمدة ميتة في الظاهر ، يقول مولانا : إن عالم التراب هذا ميت في الظاهر وكل " جامد " يبدو بلا حركة ، لكن عندما تسطع عليه شمس الحشر ، ويشاء الله أن تبعث الروح في التراب ، سوف نرى ، سواء في الدنيا أو في الآخرة - عالم الجماد وهو يضج بالحياة ، والدليل : عصا موسى التي تخبرنا كيف تحيا الجمادات ، وكل الجمادات إذن في نظرنا ميتة ، لكنها في علاقتها بعالم الغيب ذات حياة وهي تتحدث مع ذلك العالم ، قال الشيخ نجم الدين كبرى - أستاذ بهاء ولد والد جلال الدين " إن الله تعالى أثبت أن لكل ذرة من ذرات الموجودات ملكوتا لقولهفَسُبْحانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍوالملكوت باطن الكون وهو الآخرة ، والآخرة حيوان لا جماد لقوله تعالى :وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ" منهج 3 / 151 " وقال الإمام أبو محمد البغوي في معالم التنزيل : إن الله علما في الجمادات والنباتات وسائر الحيوانات لا يقف عليه غيره تعالى فلها صلاة وتسبيح وخشية (أنقروى 3 / 161) .

(1013 - 1019) يواصل مولانا قضية أن للجمادات حياة بأمره تعالى ، وهذا شديد الوضوح بالنسبة للأنبياء ، فعصا موسى تنقلب إلى حية ، وتغنى الجبال مع داودوَسَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فاعِلِينَ(الأنبياء / 79)وَلَقَدْ آتَيْنا داوُدَ مِنَّا فَضْلًا يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ(سبأ / 10) ، ووَلِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَرَواحُها شَهْرٌ،فَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ(الشعراء / 63)اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ(القمر / 1)قُلْنا يا نارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلى إِبْراهِيمَ(الأنبياء 69) (ويبتلع التراب قارون بدعوة من موسى) (القصص / 79 وما بعدها) ، ويئن الجذع ويتوجع شوقا إلى محمد صلّى الله عليه وسلم - عندما يتركه ليقف على منبر . . . ويقول - صلّى الله عليه وسلم - : إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علىّ ، وعندما هرب يحيى عليه الصلاة والسلام من اليهود قال له جبل : “ أهرب إلىَّ حتى أضعك في جوفي “ ، ويعترف الحصى في يد أبى جهل بنبوة محمد - صلّى الله عليه وسلم - ، وعن علي - كرم الله وجهه - : كنا بمكة مع النبي عليه السلام - فخرج إلى بعض نواحيها فما استقبله حجر ولا شجرة إلا قال : السلام عليك يا رسول الله . (الأنقروى 3 / 167) .

(1020 - 1028) يواصل مولانا مناقشة المنكرين لتسبيح الجماد الذين يريدون إدراك أسرار عالم المعنى متوسلين بالمعايير المادية وموازين الدنيا ، فهم إنما يسيرون إلى جماد أي أنهم في حدود هذا العالم يسيرون ، “ وروح الجماد “ أي علاقة الجماد بعالم المعنى وبعالم الحق ، ولو توجهوا إلى عالم الروح لوجدوا كل أجزاء العالم في ضجيج من التسبيح ، لكنهم بدلا من هذا يلجأون إلى “ التأويل “ ، إنهم لا يستطيعون إنكار القرآن الذي يعترف صراحة بأن ما من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا يفقهون تسبيحهم فيلجئون إلى التأويل ، ولو سمعوا

بإذن الروح تسبيح الجماد لما لجأوا إلى التأويل ، لكن هذا الأمر لا يتم إلا بنور الحق . ويشرح مولانا عقيدة المعتزلة : الذين يرون أن تسبيح الجماد مقصود به أنه يدفع الإنسان إلى التسبيح تسبح بلسان الحال إن المرء ليعتبر من عالم الجماد فيسبح ، وليس هذا في نظر مولانا إلا لأنهم ينظرون بنظر الحس .
(1051) المقصود الحجاج بن يوسف الثقفي والى بنى أمية المشهور ويضرب به المثل في المأثور الإسلامي في سفك الدماء .

(1053 - 1066) تنتهى قصة صياد الحيات ويبدأ مولانا في الحديث عن الدروس المستفادة من القصة . إياك أن تظن أن نفسك التي بين جنبيك قد ماتت ، إنها " تجمدت " فحسب لأنها لم تجد الوسيلة ، إن فرعون مع كل جبروته وعظمته لو كان قد وجد الوسيلة ، لما جعل ماء النيل يجرى إلا بأمره ، (وردت في حديقة سنائى 1440 - 1446) ولبلغ بعتوه هذا المبلغ وقد جاء في كتاب شرح التعرف أن فرعون وصل إلى هذه المرتبة استدراجا من الإله وقال : جاء في الخبر أن الله تعالى حبس النيل عن أهل مصر ، فخرج فرعون منفردا عن قومه وسجد لله وتضرع إليه واعترف على نفسه بالكذب في دعواه الربوبية وسأل له أن يجرى النيل بأمره ، فاستجاب له الله استدراجا وامتحانا فصار الماء يجرى معه فإذا وقف فرسه وقف الماء ، وإذا أمر بجريه جرى الماء (أنقروى 3 / 172) أي أن طغيان النفس لا حدود له . فعليك ألا تعطيها القوة ، لأنها بهذا تنجو هي وتنجو أنت ، وهذا مصداق لقوله عليه الصلاة والسلام : " إذا أحب الله أحدا حماه الدنيا كما يحمى أحدكم سقيمه عن الماء (جامع 1 / 16) وقال على رضي الله عنه :في طلب البسطة لا تجتهد * إن من العصمة ألا تجد(إنقروى 3 / 172)

وكما تشبه النفس بالأفعى ، فإن “ شمس العراق “ هي الشهوة ، إنها تجعل هذا الخفاش الضعيف صقرا ، وما الحل إذن : جهاد النفس مجاهدة الرجال ، وهذا هو الجهاد الأكبر ، فمن المستحيل إذن أن تنتصر في هذه المعرفة دون تضحيات ودون أن تتعرض للأذى ، فهذه هي المعركة الكبرى ، فإذا انتصرت على أعدى أعدائك أي نفسك التي بين جنبيك سهل عليك بعدها القضاء على معظم الأعداء ، هنا تكون الحية طوع بنانك ، كما كانت مع موسى بالرغم من كل ما دبره فرعون ، وهذا من رأى موسى وقوته ، ونور الله الذي يمشى به .

(1067 - 1095) منطق الطغيان ، ففرعون الذي استذل الناس واستبعدهم وأضلهم وادعى الألوهية ، ينقلب فجأة إلى حبيب الشعب “ يلوم موسى رسول الله إلى الناس لإنقاذهم من استبعادهم وكفرهم وحياتهم البائسة التي تفضلها حياة الحيوانات ، ويبلغ منطق الطغيان و “ استحمار “ الخلق مداه عندما ينذر فرعون موسى بأنه لن يتبعه سوى “ ظله “ وأن نهايته سوف تكون على أيدي “ الناس “ والذين يسميهم فرعون “ الغوغاء “ ، وهذا هو كل فرعون في كل عصر ، ويستمر المنطق الفرعونى الذي يرى أن الخلق قد اختاروه (بنسبة 99 % لا جدال) ، وأن “ موسى “ وحده هو الذي يقف ضده ، فهل من المعقول أن يكون موسى أعقل من كل هذا الإجماع “ الذي لم يسبق له مثيل “ ! وهكذا يرى مولانا أن “ الطغيان “ هو من أهم أمراض “ النفس “ بل أخطرها ، لأن صاحب “ النفس المريضة “ يدمر نفسه فحسب ويبعدها عن الحق ، ويرضى لها بالظلمة ، لكن الطاغية لا يرضيه إلا أن يكفر الناس جميعهم ، وهكذا فتنة الطغيان ، تلك التي لا يحطمها إلا ثبات الإيمان الذي يبديه موسى في هذا الحوار وهو وحيد في مواجهة فرعون إلا من تأييد الله سبحانه وتعالى ، ويطلب فرعون المهلة ، لا ليدبر هو ، فهو عاجز عن التدبير عجزه عن الكلام ، يملؤه الرعب من هذا الفرد وعصاه ،

لكن ليجمع السحرة ، وهذه نقطة أخرى جديرة بالتوقف : ففراعين العصر أيضا لا تدير شيئا ولا تستطيع ، لكنها تجمع “ السحرة “ من خبراء الإعلام وكتاب الخطب ، والمنادين “ بعزة فرعون “ دون عزة الله تعالى .

(1101 - 1107) “ فهرب فرعون ، وكان أعرج ، فأخذت الحية ذيل ثيابه ، ورمته خلف السرير ، فجعل يقول يا موسى بحق أسية خلصني من هذه الحية فلما سمع موسى بذكر آسية صاح بالحية فأقبلت نحوه كالكلب الذي يكون لصاحبه متعاقبا فأدخل موسى يده في فمها فإذا هي عصا كما كانت “ ماخذ / 95 عن قصص الأنبياء للثعلبي 154 وغيره) .

(1108 - 1117) يتحدث مولانا عن الغشاوة التي يضعها الله على العين وذلك على لسان موسى ، فتلك المعجزة التي يحملها في يمينه كانت كفيلة بالإقناع لولا أن ختم الله على القلوب ، إن الحقيقة واضحة كشمس الضحى ، لكن الله سبحانه وتعالىخَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَعَلى سَمْعِهِمْ وَعَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ(البقرة / 7) وكم من الغشاوات توجد على العين : من الكفر والطغيان والانبهار بعزة فرعون وقوة “ الحضارة “ (! !)
وهكذا يتساءل موسى :
لماذا لا يحنى الطاغية جبهته أمام المعجزة ؟ لماذا لا يسلم ويصر على الكفر ؟
ويجيب مولانا : إن هذه النفس وما تحمل من أفكار ومعتقدات ووساوس وما تراه أمامها من مغريات هو الذي يحجب أصحابها عن تقبل المعجزة رغم بساطتها ، إنما يتقبلها أولئك النائمون الأيقاظ الذين يغمضون أعينهم عن المغريات والأوهام والأفكار المسبقة ، لكن عيونهم متفتحة على الجانب الآخر ، فهم على علاقة مباشرة بالحق ، قلوبهم صفحات بيضاء لم يخط عليها خط واحد من خطوط الدنيا ، ومن ثم فعندما ينام فكر النفس وفكر الذات يكون حلق الروح مفتوحا لكي يتقبل الحقائق كما هي ، والسبيل إلى فتح هذا الحلق هو “ الحيرة “ تلك الحيرة التابعة من التدبير في حقائق الكون ، ليس الفضل أو العلم بصالح هنا ،

الحيرة إذن هي التي تبتلع الفكر والذكر وتفتح الطريق أمام الإيمان الذي لا يشوبه تساؤل منه فكر مستيقظ أو علم مكتسب يسد الطريق إلى الله ، ولذلك قال الصوفية “ اللهم زدني فيك تحيرا “ ولم يقولوا “ اللهم زدنا من علوم الدنيا “ وأنشد الشبلي :” قد تحيرت فيك خذ بيدي * يا دليلا لمن تحير فيكا “وأنشد النوري : “ يا من أشاهده عندي وأحسبه منى قريبا وقد عزت مطالبه “ والمعنى : إنك لست في مكان حتى أطلبك في هذا المكان ولا في زمان حتى أنتظرك في هذا الزمان ولست بمعلول حتى أبحث عن العلة ، ولذلك فأنا قانط من الحصول عليك لكني بحكم المشاهدة أظن أنني وجدت ولست أمنا بهذا القدر من المشاهدة ، فهي ليست الحصول بذاته والمشاهد على خطر (شرح التعرف 3 / 169) . وأولئك الذين يبدون هنا في مقدمة البشر بعلمهم في الحقيقة متأخرون عندما تنقلب المسيرة .

(1118 - 1125) إن هذا القطيع من أبناء ادم في رجعة صوب الحق ، والماعز التي تكون مقدمة في القطيع ، تكون في نهاية القطيع عند العودة ، فهذا واضح جدا عندما يعود القطيع من وروده للماء ، فالماعز المتقدمة تكون في المؤخرة بينما يتقدم ذلك الماعز الأعرج “ الإنسان الذي ترك الأسباب والوسائل وظهر عليه الضعف بحيث سبقه كل القطيع من البشر “ في طريق العودة فهو في اخر الصفوف ، ومن هنا فالعابسون هنا يضحكون عند الرجعة ، عندما تنعدم المقاييس إلا من مقياس واحد هو قرب الحق ، وهكذا مثلهم تماما أولئك الدراويش الفقراء المسلمون لله تعالى الخالون من كل علم إلا علم الحق ، إنهم هم الذين باعوا فخر هذه الدنيا ، واشتروا عارها ، لكن بالرغم من أقدامهم المحطمة فهم يذهبون إلى الحج أسرع من غيرهم (جامى : نفحات الأنس ص 136 - 137) “ ربما يكون المقصود مجازا وربما إشارة إلى الحكاية الواردة

في سيرة ابن خفيف الشيرازي : يفعل بالضعيف حتى يتعجب القوى ، (ص 136 - ص 137) فهذا الفريق من الدراويش غسل القلوب من " هذه العلوم " أي علوم الدنيا وظاهرها وزخرفها ، أما المعرفة التي تبقى لهم فهي المعرفة القادمة من تلك الناحية أي المعرفة اللدنية من الملأ الأعلى ، هو " العلم اللدني " (وعلمناه من لدنا علما) (الكهف 65) .

(1126 - 1135) العلم الذي ينبغي أن يمحى من الصدر ، علوم هذه الدنيا ، ومن ثم فاختر الاستسلام والضعف ، كن محطم القدم حتى تصل سريعا ، لا تكن كثير الوسيلة والفيهقة والجدل فكلها حجب في طريق الله تعالى ، كن من الآخرين السابقين أي من أمة محمد الحقيقية تلك التي قال فيها الرسول - صلّى الله عليه وسلم - :
" نحن الآخرون السابقون " أي المتأخرون عن الأمم السابقون لها بالعز والشرف ، كن كالفاكهة من الشجرة ، هي اخر ما يظهر في الشجرة لكنها هي المقصودة بخلقة الشجرة اخر الأمر ، اعترف بالضعف كالملائكة الذين قالوا " سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا " ، إن أحمد كان أميا ، لكنه طار بنور الحب ، إن لم تدع العلم هنا أودع الله لك العلم في قلبك ، وما ذا في هذا ؟ قد تفقد بعض الشهرة هنا ، قد لا تكون معروفا بين الناس لكنك لست بالقليل عند الله سبحانه وتعالى ، " فبحسب امرئ من الشر أن يشار إليه بالأصابع إلا من عصمه الله في دنيا أو اخرة " و " رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره " (أنقروى 3 / 185) ، والخرابات المهجورة هي موضع الكنوز ، ومن ثم فالعلم الإلهى في صدور هؤلاء المهجورين من الخلق .
ويدرك مولانا أن في هذا الكلام كثيرا من الشبه : كيف يهاجم مولانا " العلم " وكيف يمكن أن نتقبل نحن هذا في " عصر العلوم " ؟ لكن مولانا يرى أن الدابة القوية تحطم العقال والقلوب العامرة تحطم الشبه وتقضى عليها ولا تسرع في أثر " الزيغ " ، فالطريق الذي يتحدث عنه مولانا هنا هو طريق خاصة الخاصة وواضح أنه يتحدث عن " الطريق

إلى الله “ ليس الطريق إلى “ الحضارة العظمى “ وإلا فإن تبجيل “ العلم والعمل “ منتشر على طول المثنوى وعرضه .

(1136 - 1147) إن العشق . . . عشق الحق تعالى يمحو كل هذه الشبه ، إنه كنوز النهار يمحو كل خيال ، فإذا كان السؤال قد جاءك من الحق فاطلب جواب سؤالك من الحق ، إذا كان السؤال قد نبع من قلبك ، فاطلب من الحق أن يضع جوابه في قلبك أيضا ، فإن لم يكن قلبك محدودا بزوايا ، فهو طريق واسع شاسع ممتد مباشرة إلى الحق ، تنيره شعلة إلهية من قمر لا هو بالشرقى ولا بالغربى ولا تتردد إذا كنت تعرف طريقك ، فالشحاذ هو الذي يتردد ، فإذا كنت أنت جبل المعنى ، فكيف تريد جواب المسائل المعتقدة المعنوية من الدنيا وأسبابها (الصدى) ؟ ضع أذنك على داخلك وانصت حتى تستمع إلى حديث الحق ، تذكر عندما تكون متألما . فأنت لا تعرف سوى جهة واحدة تتجه إليها رافعا أكف الضراعة وأنت راكع . فكيف إذن عندما يمضى الألم تقول : أين الطريق ؟ لما ذا لم تعكف على من أزال عنك الألم ؟ إنه هو القادر أيضا على شفاء شبه العقل ؟ إنك بعدها تقول إن لديك عقلا ، لكن متى كان هذا العقل على وتيرة واحدة ؟ لكن العقل الكلى العقل الباحث عن الله امن من ريب المنون ، فعقل الدنيا جدير بعلوم الدنيا ، وأفضل منه الحيرة (انظر تعليقات 1117) ، وتقبل “ الذل “ في طريق الحق ، ودعك من الدنيا وزخرفها وزينتها . (بخارا حيث مركز العلم الظاهري) .

(1147 - 1156) إنه يتعجب ، ما هذا ؟ لقد جرفنا الحديث وتركنا موضوعنا الأصلي “ السبزواري : هذه ليست حكاية : إنها شهود ففي الحديث :
(اعرفوا الله بالله والرسول بالرسالة وأولي الأمر بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) “ ص 203 “ (موضوعه الأصلي هو هذه الأحاديث بالفعل ، وليس الحكايات) ، على كل فليست هذه الحكايات إلا تجل لشخصيتنا وأفكارنا إنني

أنمحى عن ذاتي ، وأنغمس في أنينى وحنينى حتى أجد التقلب في الساجدين (الشعراء / 219) ، أي حتى أحسب من بين عباد الحق ، ومن ثم فإن ما تقوله يعد من قبيل الحكايات ، إنه صورة لأنفسنا وما يدور فيها من أفكار وطموحات إلى الملإ الأعلى ، إن الذي لا يقبلها كحكاية هو من يكون في هذا العمل ، إنها وصف لحالة وحضور لرجال الحق وهم الأصدقاء الأعزاء ، قالوا : إن القران هو أساطير الأولين ، إنما قالوا هذا من نفاقهم ، إن هي إلا وصف لأحوالنا نحن وما نحن فيه ، وفي عالم المعنى لامكان ولا زمان ، أما الماضي والحاضر والمستقبل فهي كلها أمور فينا نحن وخاصة بنا ، إن ما أقوله عن عالم المعنى هو مجرد مثال ، وإلا فكيف تستطيع ألفاظنا أن تصف هذا العالم ؟ إن الله تعالى قد ضرب المثل لنوره بمشكاة فيها مصباح . وما المناسبة بين هذا النور ونور المشكاة ؟
(منهج 3 / 171 - 172) وفي شعر أبى تمام :لا تنكروا ضربي له من دونه * مثلا شرودا في الندى والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره * مثلا من المشكاة والنبراس(ديوان ص 153 ط - دار صعب . . . بيروت) وليس بحر الحق بالجدول الذي له شاطئ بحيث تملأ قربتك منه وتمضى ، ينبغي أن تمخر فيه لا أن تبحث عن الشاطئ أو الساحل .

(1157 - 1197) المقصود بالأبيات أن الساحرين كانا مبتكرين في سحرها ولم يكونا مقلدين ، وهما في رواية من أهل مصر وفي رواية أخرى من أهل نينوا ، لقد تنازع الدهشة والإعجاب قلبيهما ، لأنهما أعجبا بموسى وهارون كساحرين مثلهما ، والمقصود بعرق الجنس هنا أي المنافسة في العمل بين أهل المهنة الواحدة ، وفي البيت 1174 يتحدث مولانا عن حال المراقبة عند الصوفية عندما يضعون رؤوسهم على ركبهم في تفكر لكشف أسرار الحق (انظر : ج 2

تعليقات البيت 158) وفي الأبيات التالية ما جاء عن سلوك الساحرين وزيارتيهما لقبر أبيهما ونصيحة أبيهما ومحاولتهما سرقة العصا . . . إلى اخره هو مطابق لما ورد في تفسير أبى الفتوح الرازي (انظر الرواية في ماخذ / 93 - 94) .

(1198 - 1215) القران بالنسبة لمحمد - صلّى الله عليه وسلم - هو كالعصا بالنسبة لموسى عليه السلام ، هو معجزته والمعجزة لا تبلى على مر الزمن ، والذي أنزلها وعد بحفظها ،إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ(الحجر / 9) والمقصود الحفظ من التحريف والتعدي والفهم الموجه والتأويل ، ويفسر استعلامى " رافض للطاعنين في حديثك " على أن المقصود هنا بالحديث هو القران (3 / 272) ، والواقع أن هذا تزيد ، فالقران ليس حديث الرسول وإنما هو حديث الله سبحانه وتعالى ، والمقصود بالحديث هنا أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام كجزء لا غنى عنه من مصادر الدين ومصادر التشريع ، ويركز مولانا كثيرا على هذا المعنى ، وكأنه كان يستشرف أنه كما طعن كثير من المغرضين في الأحاديث النبوية الشريفة ، سوف يأتي زمان يحاول فيه بعض من ينتسبون إلى الإسلام بالاسم أن يخرجوا الأحاديث النبوية من الشريعة الإسلامية على أساس أن بعضها مشكوك فيه وما دام بعضها مشكوك فيه فإنه من الممكن أن ينصرف هذا الشك إلى الكل . وهذا مجرد نموذج كما يمكن أن يؤدى إليه تطبيق مناهج الشك الحديثة على موضوعات قديمة ، والمقصود بكل هذا الجزء عند مولانا أنه كما أن الساحرين لم يستطيعا مع كل براعتهما أن يحصلا على عصا موسى أثناء نومه ، فإن أحدا من سحرة المقال والمنهج العلمي لن يستطيع أن ينال من القرآن مهما أوتى من قوة ومن " فلسفة " فإن النور المحمدي كالسهم سوف يصمى فاه .

(1216 - 1228) عودة إلى قصة موسى عليه السلام ومحاولة الساحرين سرقة العصا ، إن وصف مولانا لنومة سيدنا موسى عليه السلام خارج المدينة

في النخيل مستوحى من وصف كتب السيرة والتاريخ لنومة سيدنا عمر - رضي الله عنه - عند مجيء رسول الروم . إن هذا النائم كان هو الوحيد اليقظ في عالمه ، لقد أغلق عين الرأس لكن عين القلب كانت تستشرف الأكوان ، وهكذا فعندما تنغلق عيون الماء والطين " الجسد " فإن عين البصيرة تنفتح على كل الأكوان ، وما إغماض العين إلى جوار يقظة القلب ، أليس الرسول الكريم هو الذي قال : " عيناي تنامان ولا ينام قلبي " (منهج 3 / 180) وإذا كان الملك " القلب " يقظا . . . بماذا يضر نوم الحارس (عين الجسد) ؟

(1252 - 1259) يترك مولانا قصة سيدنا موسى دون عودة ويدخل في النتيجة المستفادة من سردة للقصة : والواقع أن مولانا كان يقتبس من قصص الأنبياء والأولياء ما يصلح للتعبير عن أفكار عنت له عند إملاء المثنوى ، وواضح من قصة سيدنا موسى هنا أو الجزء المنقول منها أنها تعبر عن موقفين : الجهد الذي لم ير توفيقا من الله سبحانه وتعالى وكيف لا يؤدى إلى نتيجة مهما كان المدبر أو المجتهد ومهما كان حوله وطوله ومهما كان عدد خيله ورجله ومهما ركض وسعى ، فالله غالب على أمره في النهاية . وفكرة أخرى منبثقة عنها وهي أن أقل جهد مبذول بنور الله يستطيع أن يقضى على كل هذه الجهود وأن معجزة واحدة إلهية تستطيع أن تبتلع سحر العالم بأجمعه ، ويخلص مولانا إلى أن كلا منا في داخله موسى وفرعون ، وعلى كل منا أن يتبع موسى وفرعون في داخله . هما موجودان حتى القيامة ، ويتغير السراج ولكن لا يتغير النور فالنور واحد ، وأما أن تكون من رجال الحق وترى هذا النور أو تتغلب عليك تلك النفس الفرعونية وتقضى عليك ، والنور هو الواحد ، وهو الذي ينجى من الضلال ، لكن الأعداد والثنوية والاختلاف بين الأديان تأتى من اختلاف وجهات النظر وإن كان الكل يسيرون في أثر حقيقة واحدة . ومن تعليق يوسف بن أحمد (فموسى وفرعون نقد حالك . . . موجود فيك ، اللائق أن تطلب هذين الخصمين في نفسك

لأنهما حسب حالك ، وتعلم أن المراد من موسى الروح الإنسانى ومن هارون عقل المعاد ، ومن العصا القران أو العرفان والإيقان والخواطر الرحمانية التي يعبرون عنها بالوحي الإلهامى ، ومن اليد البيضاء نور التوحيد ومن فرعون النفس الأمارة ومن هامان عقل المعاش والوساوس الشيطانية ومن السحرة الفسق والعصيان وأعوان النفس من الهوى والشهوة وغيرها ، وهذه كلها في الأنفس ما دام سالك طريق أهل الله يصادق فرعون نفسه ، ويخاصم روح بدنه وعقل معاده لا يقدر على الوصول لربه ، وإن أردت الحصة من الآفاق تعلم أن المراد من موسى الدال على الباقيات الصالحات من الوعاظ ومن هارون الذي يعاون الناس على الصلاح ، ومن العصا القران لزجر الفساق ، ومن فرعون أصحاب العصيان ومن هامان إخوان الشياطين أصحاب الخذلان ومن السحرة أهل الدنيا الذين يزينون للناس العصيان والشهوات (منهج 3 / 183) .

(1260) الحكاية التي تبدأ بهذه الأبيات وردت قبل مولانا جلال الدين في مقامات أبى حيان التوحيد وأحياء علوم الدين وكيمياى سعادت للغزالي ، كما وردت في حديقة الحقيقة لسنائى باختلافات جزئية ، فمولانا هنا جعل الفيل في حجرة مظلمة بينما جعلته الروايات الأخرى ظاهرا للملأ لكن الناس كانوا عميانا وواضح من بعض التفصيلات أن مولانا كان - مع ذلك - ناظرا إلى رواية سنائى :
“ كانت هناك مدينة كبيرة في حدود الغور ، وكان كل أهل هذه المدينة عميانا - ومر ملك بهذه المدينة ، أحضر العسكر وضرب الخيام - وكان له فيل كبير ذو هيبة ، اتخذه من أجل الجاه والحشمة والصولة - فرغب الناس في رؤية الفيل ، وذلك من كثرة ما سمعوا عنه من تهويل - وتقدمت مجموعة من هؤلاء العميان إلى الفيل ، ولكي يعلموا شكل الفيل وهيئته ، أسرع كل واحد منهم إليه متعجلا ، فتقدموا إليه وأخذوا يلمسونه بأيديهم ذلك أنهم جميعا كانوا فاقدى البصر

فلمس كل واحد منهم عضوا ، واطلع على جزء منه - وتعلق كل منهم بصور مستحيلة ، وربط روحه وقلبه وراء خيال - وحينما عادوا إلى أهل المدينة ، تجمع العميان الآخرون حولهم - وكان كل واحد من هؤلاء الضالين سيىء العقيدة راغبا ومتشوقا - فسألوا عن صورة الفيل وشكله ، وسمعوا جميعا ما قالوه ، فذلك الذي وقعت يده على الأذن ، سأله الآخر عن شكل الفيل فقال : شكل مهول وعظيم عريض وسميك ومتسع كالكليم - وذلك الذي وقعت يده على الخرطوم قال : لقد صار شكله معلوما لدى - فهو كالأنبوية أجوف القلب ، هو عظيم ومسبب للحيرة - وذلك الذي وقع ملمسه من الفيل على قوائمه الغليظة المليئة بالجذور - قال : إن شكله كما هو مضبوط حقيقة كأنه العمود المخروط . لقد رأى كل واحد منهم جزءا من الأجزاء ووقع لهم الظن الخطأ (انظر الترجمة العربية لحديقة الحقيقة الأبيات 166 - 187 وشرحها) والحكاية من أشهر الحكايات التي انتشرت على المستوى العالمي وواضح من البيتين 1263 و 1264 أنهما مطابقان تماما لما قاله سنائى .

(1269 - 1280) ما دمت لا تعرف ، وما دمت لا تملك عينا بصيرة فلماذا لا تأخذ مرشدا دليلا لك ؟ وإذا كنت معتمدا على عين الحس فإن عين الحس لن تكون لك في هذا المجال أكثر من كف لا يمكن أن تحيط (به) ، إنك ترى الزبد من البحر لأنك تنظر بالعين التي ترى الزبد ، فانظر بالعين التي ترى البحر لتراه أن كل ما تراه هو من اثار عالم الغيب وأنى لك رؤية عالم الغيب ذاته ؟ ومن هنا فنحن في نزاع . . . نطفو على سطح البحر كالسفن المتصادمة دون علم لنا بماهية البحر وأعماقه ، إنك تنظر إلى الماء ، فانظر إلى الماء الذي يسيره والتعبير مأخوذ من حديقة سنائى أو النفس الرحماني (الذي أطلق اسم الماء عليه للطف سريانه في الأشياء “ أنقروى 3 / 208 “ وذلك الماء أي الماء الأصلي موجود من قبل موسى ومن قبل عيسى بل من قبل آدم وحواء هو أزلي يسقى مزرعة الموجودات منذ الأزل ، ثم يستدرك مولانا : ما هذا الكلام الناقص ؟ ما الفيل ؟

وما البحر ؟ وما القوس ؟ وما الكف ؟ تعالى الله لكن كيف نعبر بكلام هذه الدنيا عن تلك الدنيا ؟ كيف نعبر بكلام الصورة عن المعنى ؟ كيف نعبر عما لا يعبر عنه بالكلام ؟ إنه لكلام ملىء بمواطن الزلل ومواطن الانزلاق ، وإن لم تتحدث لغص باطنك بالكلام - وربما قتلك ، ولو قلته على سبيل المثال ، فإن الناس قد يتعلقون بالمثال ، وما الحل إذن ؟ ؟ ! ! مشكلة إذن ظلت بلا حل أمام مولانا ، شبهها في مجال اخر بغسل الدم بالدم ، عندما تحدث عن المقال الذي هو آفة الحال (انظر الأبيات 4728 - 4730 الكتاب الذي بين أيدينا) .

(1281 - 1298) يقول مولانا : إننا نتعلق بظاهر القصص فحسب لأننا قد تعلقنا بهذه الحياة الدنيوية (حياة الصورة) مثل نبات جذوره في الطين ولذلك فهو يهتز عند أقل ريح دون يقين كما نسمع نحن الحقائق ونصدقها دون تيقن (وليتنا نصدقها) ، فإن انتقلت القدم من الطين سوف نستطيع الانتقال لأنك في هذا الوقت سوف تكون مستغنيا عن الحياة المادية ، لكن سيرك سوف يكون صعبا فما الحل إذن ؟ ينبغي أن تأخذ حياتك من الحق ، حياة لا علاقة لها بمتاع الدنيا المادية ، وهي أشبه بفطام الطفل يستغنى عن لبن الرضاع ويكون أكلا للغذاء فإذا انقطعت إذن عن مص العصارة من الأرض ستأخذ " قوت القلوب " أي معرفة الحق وأسرار الغيب ، حينئذ سوف تمحى الحجب بالتدريج ، وسوف ترى الأسرار المستورة دون حجب ، وسوف تسافر بين الأفلاك كأنك النجم سفرا بلا كيفية ولا يوصف ، إنه أشبه بالسفر من الوجود إلى العدم فكما خلقتنا المشيئة من عدم ونحن لا ندري كيف حدث هذا ، فعلى نفس النسق سوف نعود إلى الحق مصداقا لقول الإمام على - كرم الله وجهه - " إن لم تعلم من أين جئت ، لم تعلم إلى أين تذهب " (استعلامى 3 / 176) " والفكرة هنا موجودة بنصها في معارف بهاء ولد (1 / 39) " جاهد الآن حتى تفتح على نفسك بابا من أبواب الخير حتى تفتح عليك عشرة أبواب من أبواب الخير

وتخلص بك من الجلد إلى اللحم ، ومن اللحم إلى الدم ومن الدم إلى اللبن ، ومن اللبن إلى ماء الحياة وساحة الغيب ، وعندما تدفن في التراب تصل إلى الماء . وإذا واصلت هذا الطريق تصل إلى الملك والدولة وفي النهاية لقد جئت من عالم الغيب ، ومن تلك الناحية من الحجاب إلى هذه الناحية فأي علم لك الغى ، ومن تلك الناحية من الحجاب إلى هذه الناحية منه ولم تعرف كيف جئت ، وستعود ثانية من هذه الناحية من الحجاب إلى تلك الناحية فأي علم لك بكيفية الذهاب ؟ من العدم أتيت وإلى الله تمضى الذي أوجدك من عدمإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَقالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌوإذا كنت لا تعلم هذا الطريق وأنت تعلمه فسوف أقول لك سرا من أسراره : اترك العقل الذي يحسب وأنس هذه الدنيا ، وسد أذن الجسد التي تسمع كلام هذه الدنيا ، وراقب وانتظر ، حتى تحل بك عنايته (انظر 1146) . ولكيلا يستمر مولانا في إفشاء هذه الأسرار وهتك هذه الحجب ، فإنه يمنع نفسه عن الحديث ، فالمستمع لم ينضج بعد بحيث يكون قابلا لهذه الأسرار ، وهو كالفاكهة الفجة ما لم يصل إلى معرفة الله فلا نفع منه ولا حاصل ، والفاكهة الفجة هي التي تتشبث بأشجار الدنيا ولا تليق بأن توضع في القصور لكنها بعد نضجها تضيق بالأشجار وتتركها ، وما هي فجاجة الإنسان ؟ التنطع والتعصب . إنه أشبه بالجنين الذي يتنطع ويتعصب للرحم ولا يرى عالما سواه وليس له غذاء فيها إلا الدم ، ولا يرى العالم الرحب والواسع ولا الأرزاق العظيمة التي سوف يظفر بها إن ترك الدم (انظر تعليقات 74 - 52 وتعليقات 3965 - 2771 من نفس هذا الكتاب) .

(1299 - 1305) مثال الفاختة التي تقول كو (أين) موجود عند الخيام وعند سنائى ص 82 من الحديقة) : أما الرجال فهم كالفاختة في الطريق الطوق في أعنقاهم ويقولون : أين أين . يعود مولانا فيقول : إن هناك الكثير مما يقال ، يقوله لك روح القدس ، يقوله لك إدراكك ، وكل ما هو موجود في الكون وحدة

واحدة ، ولا يوجد " أنا " أو " أنت " فكلاهما واحد كيف ذلك ؟ يضرب مولانا الأمثال من الحياة اليومية ، فكما أنك ترى في النوم وتسمع وتسعى دون أن يبدر منك شئ من ذلك في الحياة الواقعية ، فالعلاقة مع الحق سبحانه وتعالى علاقة داخلية لا شئ منها مطروح في العالم الخارجي فإنك إذن إذا تنبهت إلى هذا الباطن فسوف تدرك أنك " ملك " وحدك وعالم عميق ، عالم صغير انطوى فيك العالم الأكبر ، وما فيك قوى هو هذه الذاتية ذات الأعمال والدهاليز والسراديب (ذات التسعمائة طية) ، لقد شبهت هذا السير الباطني بالنوم ، وهو سواه .
فاصمت إذن والله أعلم بالصواب .

(1306 - 1331) اصمت إذن ، واترك الفرصة للمتحدثين الذين يعلمون أسرار الغيب عن طريق كوة القلب أو عن طريق عناية الله ولطفه ، إنهم الشموس الساطعة ، والأرواح ذات الرابطة المباشرة مع الحق ، وما دمت مع رجال الحق ، فدعك من أنيتك ، ولا تظهر العلم بالسباحة ما دمت في سفينة نوح ، لقد أعطاك الله طريق النجاة فما لك أنت والبحث مالك والجدل ؟ وإن فعلت فأنت مثل كنعان : لقد كانت السفينة أمامه ، لكنه تنفج بالقدرة على السباحة ، وما سباحته وسعيه وجهده وكده إلا كضوء شمعة خافتة أمام هذه الرياح الصرصر ، وما الجبل الذي يريد أن يأوى إليه والجبال في ذلك اليوم كأنها قشة أمام ذلك الطوفان المهلول ؟ وما هذا الدلال المقيت أمام من لا والد له ولا ولد ولا صاحبة ولا شريكة ؟
إن كل إلا اتى الرحمن عبدا ، لكن الإدبار يضع الأختام على قلوب المدبرين وأسماعهم . هذا الحوار بين نوح عليه السلام وبين ولده كنعان ، هذا الحوار الحي المفعم بالحرارة والحياة نموذج يقدمه مولانا جلال الدين كثيرا ، فمهما كان هناك من ناصح ، فإن نصحه لا يجدى مع من لا يريد الله له الهداية ، فالمهم العناية الربانية ، هي التي تجعل نصح الناصح ذا فائدة وأثر .

(1332 - 1355) بعد غرق كنعان ، يتوجه نوح بقلب ملىء بالألم إلى الله

تعالى ، لقد جرف السيل يا الله كل ما أملك (الحمار والأحمال) ولقد وعدتني ووعدك الحق بأن أهلي ناجون ، وهناك يأتي الجواب الإلهى ، نعم وعدتك ووعدى الحق ، لكن هذا ليس من أهلك ، إنه ليس منك ، إنه عضو فاسد ، والعضو الفاسد وهو أقرب إلى الإنسان من كل أهله وولده يستغنى عنه بالبتر في سبيل أن ينجو الكل ويسلم ،
ويواصل نوح (ليس مولانا كما يقول استعلامى 3 / 278 فالحوار مستمر) : يا إلهي إن كل ما هو سوى وجودك الحق مسبب لألمى وضيقى ، وإن كان ثمة غير ، فليكن هالكا منك ، إن صلتي بك يا الله هي صلة دائمة مباشرة لا واسطة فيها ولا حائل بيني وبينك فيها ، فنحن الأسماك وأنت بحر الحياة ، فنحن أحياء بك يا من لا تستوعبك الأفكار والأوهام لقد كان كل كلامي مع هؤلاء في الظاهر لكنه كان معك أنت في الحقيقة لقد كان هؤلاء الناس هم بمثابة الأطلال والدمن والمخاطب الحقيقي هو أنت ، ومتى كان الشاعر الذي يقف على الأطلال والدقن يمدح الأطلال والدمن ، إنه إنما يمدح الأطلال والدمن ظاهرا ، لكن هدفه من كل ذلك هو " المحبوب " إن كل ما قالوه من غزل في العين والحاجب والوجه الحسن كلها في حمد الله ومن ثم فأبيات كثيرة قيلت في هذا الشأن وهدف الأبيات هو هذا (معارف 1 / 392) ، فالحمد لله أنك أزلت الأطلال والدمن حتى أحدثك بلا واسطة ، لقد كنت أحدث هؤلاء الناس عن " الله " حتى أسمع صدى صوتي على ألسنتهم يقولون " الله " لأسمع اسمك مرات ومرات فأنا عاشق لهذا الاسم ، وكل نبي هكذا أنه إنما يخرج إلى الجبل يذكرك حتى يردد الجبل صدى صوته فيسمع أسمك مرددا مضاعفا ، أما أولئك الذين لا يرددون اسم الله حتى وإن كانوا جبالا ، فهي جبال لا تليق إلا بسكنى الحشرات والفئران ما دامت خالية من اسمك . ومن الأفضل أن ندعها وشأنها ، فهي ليست جديرة بالرفقة والصداقة .

(1362 - 1376) لم يرد الحديث الأول الوارد بالعنوان في كتب الحديث

فيما نعلمه وقال جلبنارلى (3 / 240) أنه من الحديث (كل نفس تحشر مع هواها فمن هوى الكفرة فهو مع الكفرة ولا ينقصه علمه شيئاً) ، أما الحديث الثاني فهو جزء من حديث قدسي ورد في الجامع الصغير " قال الله تعالى : من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فيلتمس ربا سواي " . ويشير مولانا إلى التناقض (الظاهر) الموجود بين الحديثين والذي يثيره إنسان مغرم بالجدل : إذن فكفر الكفار ونفاق المنافقين هو أيضا من قضاء الله فلماذا لا ترضى عنه ، ويجيب مولانا : إن البشر في رأيه مسؤولون عن أعمالهم ، وأهل الخير فقط هم الذين يربطون كل أعمال البشر من خير وشر بالله تعالى ومن ثم فهم لا يخشون الكفر ، وهذا ليس صحيحا في نظر مولانا ، ويرى مولانا أن التناقض الموجود بين الحديثين تناقض لفظي ، فالقضاء هو حكم الله تعالى ومبنى على علمه الأزلي أما المقضى : فهو نفاذ قضاء الله في مواضع جزئية تتناسب مع المرء وأعماله وأفكاره ، أما عمل الكافر فهو من اثار القضاء ومن الأمور " المقضية " والرضا بقضاء الحق هو أن تقبل وقوع الكفر كما يقع أي شئ وليس أن تقول : إن شقاق الكفار وخبثهم أمر مستحب . والكفر في مرحلة القضاء لا يعد كفرا ولكنه عندما " يتعين " أي يأخذ الصورة العينية في سلوك الكفار نسميه آنذاك كفرا ، وإذا سميناه كفرا في مرحلة القضاء فكأننا سمينا الحق بالكافر ، وقضاء الحق هو علمه الأزلي والأبدي بكل الأمور ، وليس جزئياتها . فالنقاش يستطيع أن يرسم صور الحسن والقبح ، وحتى رسمه للقبح لا يدل على أنه يحبذه أو يدعو إليه ، بل إن رسمه للقبح يبين أيضا قوته على رسم الشر كقوته على رسم الخير ، وفي النهاية يخلص مولانا إلى أن هذا الجدل ليس من ديدنه وليس من الطريق الذي يسير عليه ، والخوض فيه يمنعه عن الخوض في حديث " العشق " (القابل للخير والشر على السواء) والإرشاد وهو خدمة اجتماعية والهية .

(1377 - 1386) يسوق هنا فكاهة لكي يبين أن الحيرة (وليس التحير) ، تمنع السالك من بيان أفكاره لأنه عندما يدرك عظمة عالم الغيب لا يستطيع أن يفصح عن مواجيده ، ويعجز أيضا عن البحث والفكر : والفكاهة واردة في مقالات شمس الدين التبريزي (ص 91 تحقيق أحمد خوشنويس - تهران - زهره - 1351 ه - . ش) والبحث إذن والفكر عن القضاء والكفر أشبه بفصل الشعيرات البيضاء عن السوداء في لحية الكهل ، هي عمل فيه تنطع ، ولا مجال للعاشق ولا وقت للتنطع والدخول في جدل كلامي ، ثم يسوق فكاهة أخرى ، أشبه بمن ضرب أحدهم على قفاه ، وعندما يهم الآخر برد الضربة يدخل في جدل : هل الصوت الذي نتج عن الضرب من القفا أو من الكف ، ويجيب المضروب : بأن الألم الذي أحس به من الصفعة لم يترك له فرصة للتفكير أو الجدل ، ومن ثم فإن من لديه " ألم الدين " والعشق لا يدخل في مثل هذا الجدل فهو جدل جدير بعلماء الكلام لا بأصحاب القلوب .

(1387 - 1393) تحت عنوان الحكاية لا يسوق مولانا حكاية بالمعنى المفهوم ، بل هو خبر متصل بالمعنى الذي يبحثه ، هو أن اللباب يصرف الذهن عن القشور ، أو أن الباطن يصرف الذهن عن الظاهر ، أو السلوك والذوق يمنعان عن الخوض في المسائل الجدلية الكلامية ، ومن هنا فالصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لم يهتموا بحفظ القران . . . فقد كان لهم طريق من وجود الرسول صلّى الله عليه وسلم إلى لب القران ، ومن ثم فقد شغلهم هذا اللب ، وفي البيت رقم 1390 يقول : إن رقة القشر وتلاشيه يشبهان قرب العاشق من المعشوق كلما اقترب انقضت ذاتيته وفنى وجوده في المحبوب ، وفي البيت 1391 أن كيفية أن تكون طالبا وكيفية أن تكون مطلوبا كلاهما عكس للآخر ، وحقيقة القران الكريم هو النور ، والصحابة الذين كانوا يدركون ذات النور في وجود الرسول لم تكن بهم حاجة إلى حفظ الألفاظ ، وتجلى نور الحق كان يبعد كل شئ حتى القرآن عنهم وفي البيت 1392

أوصاف القديم أي أوصاف الله سبحانه وتعالى والحادث أن المخلوق وما له وجود عيني وصوري في هذا العالم ، ومن ثم فطبقا لقول الجنيد " إذا قرن المحدث بالقديم لم يبق له أثر " (مولوى 3 / 202) ، والقديم نور الله والحادث " ألفاظ القران وصوره . . " وفي البيت 1393 جل فينا : أي عظم فينا وارتفع قدره ، ويحتمل أن هذا البيت متأثر برواية وردت في مصادر الحديث عن أنس رضي الله عنه : " أن رجلا كان يكتب للنبي صلّى الله عليه وسلم - وقد كان قرأ البقرة وآل عمران ، وكان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا " (استعلامى 3 / 281) يقول يوسف بن أحمد " وما كان هذا الحال من عدم قوة الحافظة بل كما قال صاحب شرعة الإسلام كانت الصحابة يتعلمون عشر آيات لا يتجاوزونها إلى غيرها حتى يعلمون ما فيها من العمل ، فضلا على أنهم صرفوا أوقاتهم في تدبر القران وتفكر معناه الشريف " (مولوى 3 / 201 - 202) وورد في مقالات شمس الدين التبريزي " لم يكن الصحابة يروون قط على المصطفى - صلّى الله عليه وسلم - فقد كانوا في سكر من الطريق ، وفي هذا المجال لم يرو العتيق - أي الصديق رضي الله عنه - أكثر من سبعة أحاديث (ص 164) .

(1394 - 1400) يواصل مولانا : إن الجمع بين ظاهر القران ومعناه لا يجتمعان إلا لسلطان عظيم (ذي قوة إلهية) ، وبيان هذا المعنى العظيم في ألفاظ أشبه بأن تنتظر من الثمل أن يراعى الأدب ، فأولئك الذين يصلون إلى الحقيقة تسكرهم هذه الحقيقة ولا يتأتى حالهم في لفظ (انظر تعليق الأبيات 1269 - 1280) ، والمستغنى لا يراعى الضراعة والابتهال ، ثم يقول : إن العصا محبوبة للعميان ولازمة لهم ، وأهل الظاهر كالعميان لا يعلمون حقيقة القران ، لكن أذهانهم كالصناديق المليئة بألفاظ القران مثل عصا العميان يستدل بها عميان القلب ، ويتكئون عليها بأن يجعلوها أسباب المعاش ، وعلى هذا يعشقون ألفاظ القران أو يحفظونها للمراء والشهرة " مولوى 3 / 203 " .

وهؤلاء العميان يستطيعون أن يحفظوا جيدا ما يحتوى عليه القران الكريم من البينات والذكر والنذر ، ولكنهم لا يفهمون معناها ، ويتدارك مولانا الأمر : حتى حفظ الألفاظ خير من لا شئ : فالإنسان الخالي من الخير والشر أفضل من إنسان مملوء بالشر والكفر والنفاق .

(1401 - 1406) يصل مولانا إلى نتيجة أعمق : إن الذي يصل إلى المعشوق ما حاجته بعدها إلى التوسل بالوسائل ؟ ومن ثم فقبيح بأهل المعنى أن يتوسلوا بوسائل أهل الظاهر والعبارة لأبى الحسن أحمد بن أبي الحوارى ، بلغ رتبة الإمامة في علوم الظاهر وبعدها رمى كل كتبه في البحر وقال : نعم الدليل كنت أما الاشتغال بالدليل بعد الوصول فمحال (وردت أيضا في الحلية ج 1 ص 6) ويعلق الهجويرى : إذا وصل المرء إلى الحي فالطريق والباب لا فائدة منها ، وقد لام بعض المشايخ على ادعاء أبى الحسن وقالوا : “ من ظن أنه قد وصل فقد فصل “ ويدافع الهجويرى على أنه لم يدع هذا ، بل كل ما ادعاه أنه عرف أن الطريق إلى الله لا يتأتى بالكتب ومثله فعل كثيرون مثل الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير ، وقد يقال : إن تمزيق الكتب يراد به نفى استحالة العبارة عند تحقيق المعنى ، والاستحالة قائمة أيضا بالنسبة للسان “ من عرف الله كل لسانه “ (كشف المحجوب 145 - 146 من الترجمة العربية للمترجم وآخرين القاهرة 1974) ، وما دمت وصلت إلى الكمال الروحاني “ الماء “ فما حاجتك إلى السلالم “ العلوم الشرعية “ ؟ إنه أمر يكون من البلة ، اللهم إلا إذا توسلت بهذه العلوم الشرعية لإرشاد الآخرين . والبيت 1406 مقدمة للحكاية التالية .

(1407) الحكاية التي تبدأ بهذا البيت وردت باختلافات يسيرة في محاضرات الراغب الأصفهاني وأغانى أبى الفرج الأصفهاني (ماخذ 99 / 100) ، والعاشق الذي يقرأ رسالة في حضور المعشوق أشبه بالواصل الذي يجد في طلب علوم الظاهر (انظر البيت 1402) ، وهذا يدل على أنه حتى من بين رجال الحق

من يوجد في سيره نوع من الآفة والعيب ، فالعاشق الذي خلا من ألام العشق هو الذي يتوسل بألفاظ تتحدث عن هذه الآلام . والعين الجافة هي العلاقة الظاهرية بالمعشوق والماء الزلال ، هو حقيقة العشق : وفي البيت 1415 ترد المعشوقة : حسبك . . إن ما بيننا هو بعد المشرقين ، كما يبتعد البلغار عن مدينة قتو (في التركستان) ، إن العاشق إنما يريد المعشوق كله ، ولا يريد حالة واحدة من حالاته وإلا كان عاشقا لهذه الحالة والحكاية شبيهة (في أجزاء) بحكاية أوردها سنائى في الحديقة (الترجمة العربية . . . الأبيات 4736 - 4750 وشرحها (عن الذي نهرته محبوبته لأنه رأى خالا في وجهها ولم يكن قد رآه من قبل مع أنها مولودة به) ، والحال لا يبقى ، فهو مؤقت ، يقلبه مقلب الأحوال ، إن ذلك الجزء الذي تعشقه كان لك ، وجئت تطلبه ولم يعد لك ، إنك لست طالبا لي بأجمعى ، والآن وليس لدى هذا الخال فأنا كمنزل للمعشوق بلا معشوق وكخزانة لا مال فيها .

(1419 - 1426) انتهت الحكاية ، ويحدثنا مولانا في المعرفة والتمجيد للمعشوق الفرد الصمد الذي لا تطرأ عليه الأحوال فهو المبدأ والمنتهى ، وإذا وصلت إليه فلن يكون بعد الوصل فصل ، وسوف تراه مهما تبدلت أحوالك ، فهو ليس في حالة وهو مسلط عليها والزمان عبد له ، ويستطيع حتى من الهواجس المادية في داخلنا أن يبعث روحا باحثة عن الله ، فهو المنتهى لأنه لو طرأت عليه الأحوال لما استطاع أن يكون المنتهى ، والمحدود هو الذي ينتظر حتى يوجد الله تعالى فيه حالا ، والمقيم على الحال هو الإنسان الذي تطرأ عليه أحوال مختلفة بإرادة الحق .

(1427 - 1436) كما أن هناك إنسانا متوقفا على الحال ، فمن بين سالكى الحق من هو صوفي يلزم الوقت الذي يأتيه فيه الحال ومن ثم يقال عليه " ابن الوقت " العارف ابن الوقت أي أن ظاهره تبع لباطنه وباطنه تبع للحق ، لأن الله

سبحانه وتعالى هو الذي يحرك باطنه أو يسكنه فيتحرك ظاهره ويسكن ، وهذا كما يكون الماء في لون الكأس ، فهناك وقت يجب فيه على العارف السكون ووقت يجب عليه فيه الاضطراب والحركة ووقت ينبغي فيه أن يشكو ، وحينا يصبر وحينا يشكو ، وحينا يختلط بالناس وحينا يعتزلهم " شرح التعرف 4 / 142 " لكن هناك من هو في مرتبة أعلى فلا حاجة به إلى الوقت ، أو إلى الحال وهو " الصافي " من صافاه الحب فهو صاف ومن صافاه الحبيب فهو صوفي والصفاء طبع والتصوف تكلف ، وليست صفة الصفاء مرتبطة بالأعمال والأحوال ، بل الصفاء سمة الأحباب وهم شموس بلا سحاب ، فالصفاء صفة المحبين ، والمحب هو الفاني في صفائه والباقي في صفات محبوبه ، (كشف المحجوب ترجمة 41 - 44) والحكاية التي رواها السبزواري (ص 208) مناسبة في هذا المجال : التقى صوفي مع صافي فسألة الصافي في أي مقام أنت ؟ قال :
في مقام التوكل وبعد فترة التقى به فسأله في أي مقام ؟ قال : في مقام الصبر ، ثم لقيه فسألة في أي مقام فقال : في الرضا فقال : كل عمرك مشغول بنفسك وإصلاح نفسك فمتى تشغل بالله والمقصود عدم رؤية العمل لا عدم العمل فالسير في الله والسير إلى الله والسير من الله كلها مطلوبة ، والصافي هو الواصل المسيطر على أحواله ، ومن أنفاسه التي تشبه أنفاس المسيح هناك أحوال مختلفة تتوالى عليه بعزمه ، الذي تتوقف عليه أحوال الصوفية وأوقاتهم ، وليس هو مثل ذلك المذكور في الحكاية السابقة ، إنه لا يمكن أن يكون معشوقا للخليل الذي قال : " لا أحب الآفلين " ، إن هؤلاء المتوقفين على الأحوال أشبه " ببرج القمر " (صورة برج القمر في علم الهيئة) دون نور القمر ، والصوفي ينتظر الوقت ليغتنمه ، لكن الصافي غريق في نور الجلال ، وهو ليس ابن الوقت أو ابن شئ اخر ، إنه غريق النور الذي لم يلد ولم يولد فهو أزلي أبدى ليس محدودا بمكان أو زمان .

(1437 - 1450) يدور الحديث حول العشق الذي يجعلك غريقا في نور ذي الجلال وينسيك “ أنيتك “ ولا يجعلك عبدا للأحوال المختلفة ، وشخصية كل امرئ يمكن معرفتها من مطلوبه وهمته (الهمة هي التوجه الباطني للسالك ، وللمراد أو الشيخ قدرته ونفوذه الباطني) ، وجاف الشفة هو ذلك الذي ترى فيه علامات الحاجة إلى السير إلى الله ، ويراها مولانا في كل حركات العبد في السير إلى الله (انظر الأبيات 979 وما بعدها) وفي مقابل السعي هناك الجذب ، السعي جالب للجذب لا محالة :
إذا كان الظمأى يبحثون عن الماء * فالماء يبحث عن الظمأى في العالم (الكتاب الأول / بيت 171) وهذا الطلب هو الذي يقضى على كل مانع في الطريق ، والآلة في البيت 1446 مقصود بها الاستعداد الروحي من أجل سلوك الطريق وربما يقصد بها المرشد أيضا ، فلا حاجة في أمور الحق إلى الأسباب والعلل ، إن لم يكن لديك الة فابحث عن طلاب الحق والزمهم ومهما رأيت في نفسك من عدم جدارة أو استحقاق لو سلكت طريق الحق ، تستطيع أن تكون رفيق طريق رجال الحق ، فالنملة وجدت الطريق إلى حضرة سليمان عليه السلام والمعنى في (سورة النمل / 18 - 19) .

(1451) الحكاية التي تبدأ هنا من قصص القران ووردت في التفاسير المختلفة كما وردت في قصص الأنبياء للثعلبي (ص 234) وفي تفسير أبى الفتوح الرازي (ماخذ / 100 - 101) وواضح عند المقارنة بين الأصل وتناول مولانا جلال الدين أن مولانا لم يكن يأخذ من القصة إلا الجزء الخاص بالحادثة فيها ثم يضيف ويحذف بما ينفق مع هدفه في إرشاد السالكين والمريدين ، وتناول المعاني الصوفية العرفانية . . . والنبي داود عليه السلام هنا رمز للشيخ

المراد ، والكسول الذي كان يريد رزقا بلا سعى رمز للمريد الذي أسلم نفسه لله دون ألة أو عدة أو استعداد ، اللهم إلا الإلحاح والضراعة في الدعاء وعن أبي جعفر محمد بن علي رضي الله عنهما قال : إني أجدني أمقت الرجل يتعذر عليه المكاسب فيستلقى على قفاه ويقول : اللهم ارزقني ويدع أن ينتشر في الأرض ويلتمس من فضل الله والذرة تخرج من جحرها تلتمس رزقها . (جعفري 7 / 179) (1475) المقصود أن نوره من نور الله لا من جهة الشرق أو من جهة الغرب ولذلك فهو في كل الجهات .

(1485) حديث إن الله يحب الملحين في الدعاء (الجامع الصغير 1 / 75 - البيهقي في شعب الإيمان) .

(1491) يترك مولانا استرساله في الحكاية ويجيب سائلا يستحثه في إتمام الحكاية وهل بيده أن يكمل الحكاية ؟ إن الحكاية (العمل الفنى - العمل الأدبي) كالجنين لا بد أن يأخذ دورته المحتومة لكي يولد . وهكذا كان مولانا يعتبر العمل الأدبي والفنى مخاضا وولادة معنوية قبل أن يشيع هذا التعبير بقرون (انظر أيضا الكتاب الثاني - بيت 1 وشروحه) هذا الجذب متأثر بإلهام الله سبحانه وتعالى مسير بقدرته ، ويتجه مولانا إلى الله تعالى طالبا منه العون . فهو قادر على أن يجعل لسانه يجرى بالنظم ، كقدرته على جعل الجماد مسبحا (انظر تعليقات الأبيات 1013 - 1028) وليس بمستبعد أن ينكر الإنسان تسبيح الجماد ، وكل إنسان ينكر تسبيح الإنسان نفسه إذا لم يكن على مذهبه . مع أن التسبيح مهما اختلفت أشكاله وألفاظه موجه إلى ذات عليا واحدة هي الله سبحانه وتعالى . فالسنى والجبري مسبحان . لكن كلاهما ينكر تسبيح الآخر ، وكلاهما ينكر على الآخر أن يقوم ملبيا أمر الله تعالى لنبيه بأن “ قم “ (سورة المدثر) . وما هذا الخلاف إلا لكي يظهر الله سبحانه وتعالى حقيقة كل منهم ،

فالله سبحانه وتعالى يضع القهر في صورة اللطف واللطف في صورة القهر امتحانا لعباده ، والناس يرون القهر قهرا واللطف لطفا ، اللهم إلا أولئك الذين وضع الله في قلوبهم محقا ربانيا ، أما أولئك الذين يسيرون على الظن فكأنهم طائر يطير نحو عشه بجناح واحد ماله الضلال والسقوط .

(1511 - 1522) العلم المقصود هنا هو العلم الإلهى ، وفي مقابله يستخدم مولانا الظن والوهم وما إليها ، ومقصوده منها العلم الظاهري وأبحاث علماء الدرس الذين يسميهم أهل الحس أيضا ، وعلم أهل الحق متصل بالحق ومن ثم فهو قرين باليقين . وهو يقصد بهذه الأبيات أنه بعلوم هذه الدنيا أو علوم أهل الحس أو العلوم التقليدية والمدرسية غالبا ما يقع الإنسان في الظن والوهم ولا يصل إلى الحقيقة أو إلى الراحة التي تبعثها الحقيقة (انظر المقلد والمحقق الأبيات 491 - 496 الكتاب الثاني) وفي البيت 1515 يشير مولانا إلى الآية الكريمةأ فَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلى وَجْهِهِ أَهْدى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ(الملك / 22) .

وفي البيت التالي يقصد بالقال والقيل الجدل الموجود بين الفرق المختلفة . وفي الأبيات التالية يصف الإنسان الذي يصل إلى مرتبة التيقن : لا يغره الثناء ولا يؤيسه الذم ، إنه نسيج وحده ، لا يطير خلف كل ناعق ، ولا يهمه إن كان وحيدا في يقينه حتى وإن كان العالم كله على نقيضه ولا يؤمن بما يؤمن به . وهو أيضا لا يمرض بالوهم بطعن الطاعنين والبيت تمهيد للحكاية التالية .

(1523) شخصية مريض الوهم من الشخصيات التي يقال إن الذي أدخلها إلى الأدب العالمي هو موليير في مسرحيته التي تحمل هذا الاسم ، لكن مريض الوهم الذي يقدمه مولانا جلال الدين أقدم من مريض موليير بقرون ، والقصة وردت مثلها في عيون الأخبار وألف ليلة وليلة وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ماخذ / 101) وفيها يتجلى فن مولانا في نسج القصة وحبكها ، ومن ثم فمثل كثير من القصص التي وردت في المثنوى أصبحت بعده جزءا من التراث

الشعبي كمثل من الأمثال الشعبية يعتمد على هذه الحكاية ، يضرب لمريض الوهم الذي يظهر من التفجع ما يفوق مرضه فيقال له " اخوند بدنباشى أو ملا بيمار مكن " أي لا بأس عليك يا شيخ " أو " لا تجعل الملا مريضا " (انظر داستانهاى أمثال 13 و 421) والمعلم هنا نموذج لفاقد اليقين الذي يقع في الوهم والظن من كلام هذا وذاك .

(1538 - 1539) تتفاوت العقول كما تتفاوت الصور ، والشطرة الثانية من البيت 1539 فيها إشارة إلى كلام منسوب إلى الإمام علي عليه السلام : تكلموا تعرفوا فإن المرء مخبوء تحت لسانه " ويروى في بعض المصادر كحديث نبوي شريف (استعلامى 3 / 287) . كما ينقل جلبنارلى (3 / 243) بعض الأحاديث الآخرى منها " الجمال في الرجل اللسان " .

(1540 - 1546) غالبا ما يناقش مولانا المعتزلة ، وهو أقرب في فكره الكلامي إلى الأشاعرة (مثل سنائى والعطار) وقد مرت مناقشته لتأويلهم لتسبيح الجماد ، وناقشهم في الكتاب الثاني في مسألة رؤية الله تعالى بالأبصار وهنا يناقض قول المعتزلة في تساوى العقول ، ثم تفاوتها بتأثير التعليم والإرشاد ، ويرى مولانا أن كل الفضائل تنبعث من تأثير الأنبياء والأولياء كتجل للعناية الإلهية ، ومن هنا يرى أن اختلاف العقول موجود في الأصل وفي الجبلة ، فذكاء طفل المكتب أكثر ذكاء من كل أقرانه ، ويكاد رأى مولانا جلال الدين يكون مشهودا ، فما من مدرسة أو فصل واحد إلا وفيه الجاهل والعالم والذكي والخامل ، ومن هنا ، يخلص أن الذكاء الفطري أكثر أهمية من الذكاء الحاصل عن التعليم ، وفي البيت التالي يصف أهل المدرسة بأعرج يحاول أن يعدو .

(1556 - 1562) في خلال القصة يعرج مولانا على نموذج لمريض اخر بالوهم ، إنه فرعون الذي أدى الألوهية من تعظيم الخلق له (وكم من فرعون

ينفخ فيه من حوله !) ، فالعقل الجزئي (عقل البشر) لأنه محدود في معرفته الحياة المادية مأخوذ بالوهم والظن . فهو نابع من ظلمات النفس والحس ، وخوف الوهم ، والوهم يولد الخوف . وانظر إلى الصورة فالذي يمشى على جدار عال عرضة للسقوط مهما كان الجدار عريضا ، لأن الخوف من السقوط موجود ، بينما يكون السائر على الأرض - الواقف على أرض صلبة متماسكة - امنا لو كان عرض الطريق نصف ذراع و (1580) مأخوذ من حديث منسوب إلى النبي صلّى الله عليه وسلم : لا تمارضوا فتمرضوا ولا تحفروا قبوركم فتموتوا (استعلامى 3 / 288) .

(1606 - 1611) يترك مولانا القصة عندما يذكر الشيخ أنه كان منهمكا في القيل والقال وغافلا عن هذا الألم الموجود في داخله . وهكذا يرى مولانا أن الانشغال بالظاهر قد يجعل الإنسان يغيب عما يمكن أن يجرى له : فنسوة مصر قطعن أيديهن من النظر إلى يوسف عليه السلام (يوسف 31) والمقاتل قد ينهمك في القتال دون أن يحس أن عضوا منه قد جرح .

(1612 - 1615) يتحدث مولانا عن الجانب الباطني للوجود . وليس الجسم إلا رداء وغطاء للوجود الحقيقي ، ومن البله التعلق هكذا بالظاهر (فما بالك بمن يتعلق بظاهر الظاهر أي بما يوضع على الجسم) وأولى بالروح ذكر الله تعالى ، وفي البيت التالي يبرهن على فكرته بأنك ترى في النوم أنك تسعى بقدميك وتستخدم يديك ، في حين أن قدميك ، ويديك اللتين تعتبرهما حقيقتين - موجودتان في الفراش ، وإذا كنت هكذا وبدنك نائم تمتلك البدن فلماذا تعتبر إذن أن الموت هو موت البدن وتخشاه ؟

(1616 - 1617) الحديث القدسي المروى في العنوان الذي يسبق هذين البيتين “ أنا جليس من ذكرني وأنيس من استأنس بي “ أصله موجود في الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية : “ أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت

شفتاه " ويقول جعفري (7 / 336) أن مضمون العنوان راجع إلى خطبة لعلى رضي الله عنه في نهج البلاغة : اللهم إنك انس الآنسين لأوليائك وأحضرهم بالكفاية للمتوكلين عليك تشاهدهم في سرائرهم وتطلع عليهم في ضمائرهم وتعلم مبلغ بصائرهم ، فأسرارهم لك مكشوفة وقلوبهم إليك ملهوفة إن أوحشتهم الغربة انسهم ذكرك وإن صبت عليهم المصائب صبا لجأوا إلى الاستجارة بك علما بأن أزمة الأمور بيدك ومصادرها عن قضائك . كما أن البيت المذكور قبل البيت 1616 ليس في المثنوى وإنما هو من المنسوب للشاعر الصوفي الفارسي أبي سعيد بن أبي الخير . . . والمقصود بالحديث هنا الصوفي أبو الخير عباد بن عبد الله التيناتى الأقطع النيسابوري في بعض المصادر ، ويخلط صاحب المنهج بينه وبين صوفي اخر ورد في مقالات شمس الدين التبريزي ، ومن شيوخه هو أبو بكر سله باف التبريزي ، (134) وربما حدث هذا الخلط لأن مولانا نفسه نسج من حياة الشيخين حياة واحدة . وماذا في ذلك والأولياء كلهم كنفس واحدة وإن كان قد ذكر أيضا أن أبا الخير الأقطع كان يجدل السلال بيدين وأن الله كان يرد له يده المقطوعة عند قيامه بعمله كما سنرى .
وذكر العطار أنه نقل حكايته رواية عنه (توفى أبو الخير بعد سنة 345 هـ - بينما توفى العطار كما يقال في غزوة المغول سنة 616 هـ -) (! !)
على كل ينقل العطار عنه حكاية لا بأس بها فحواها أنه حدث ذات يوم أن ملكا كان يمر بجوار جبل وكان يعطى كل فقير دينارا وأخذ أبو الخير الدينار بظهر يده وألقى به ، وبعد ذلك قرأ القران ذات يوم دون أن يتوضأ ، في ذات يوم فقدت أموال في سوق المدينة واتهموا جماعة من الدراويش ومن بينهم أبو الخير ، وأقاموا الحد عليه وقطعوا يده وهو يقول : هذه اليد التي لمست أموال العسكر وحملت القران دون وضوء مستحقة للقطع . وكان يقول لامرأته وهي تنوح : ليتهم قطعوا هذا القلب (تذكرة الأولياء للعطار أوفست عن ليدن 549) والحكاية عند مولانا جلال الدين

أقرب إلى ما رواه ابن الجوزي في تلبيس إبليس (ص 312 - ص 314) وواضح أن مولانا يركز في الحكاية على بعض الجزئيات التي تخدم الهدف من قصها .
وبعد البيتين 1616 - 1617 يترك مولانا الحكاية حتى البيت رقم 1636 (1618 - 1625) كل إنسان له ميله الخاص في الحياة ، ولقد خلق الله كل إنسان لعمل ، وييسره لهذا العمل " اعملوا فكل ميسر لما خلق له " (1622) :
ترجمت طائر " الهما " وهو طائر خرافي ورد في الأساطير الفارسية بطائر البُلَح (بضم الباء وفتح اللام) متابعة للزمخشري في أساس البلاغة (ج 1 ص 61)
والمقصود بالبيت أنك إذا كنت منبتا عن الأرض وكل ميلك نحو رجال الحق ونحو الأعمال الروحانية فإنك سوف تستطيع أن تصل إلى أعلى ما يحلق إليه طائر البُلَح ، وأن تتفوق على ملوك الأرض ، وفكر في المنتهى ، في حضرة الحق .

(1626) الحكاية هنا فيما يرى استعلامى من الحكايات الشائعة في زمن مولانا (3 / 290) والواقع أنها من التراث الشعبي إذ يوجد مثيل لها في الأدب الشعبي المصري ويقصد أن الذكي يرى عواقب الأمور وهي لا تزال في بداياتها .

(1636 - 1642) يواصل مولانا حكاية أبى الخير الأقطع ، ومن الواضح أن ما ورد هنا غير متطابق مع ما يروى عن قصة أبى الخير الأقطع ، وهو يتصل بعهد أخذه أبو الخير الأقطع على نفسه ، وهو عهد يبدو فيه أنه شق على نفسه ، و " تنطع " مع الله تعالى ، وهذا الجزء من الحكاية الخاص بالعهد ورد في شأن كثير من الصوفية الذين عاهدوا على أمور غير طبيعية ، ومن ثم فقد لحق بهم الامتحان الإلهى ، ذلك أنهم تركوا الاستثناء ، أي قولهم : " إن شاء الله " واعترفوا بالقوة والحول لأنفسهم دون استمداد من قوة الله تعالى ومن حوله (انظر الأبيات 48 - 50 من الكتاب الأول) فالله تعالى يحول القلوب كل لحظة ، وهو مقلبها ومحولهاكُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ(الرحمن / 29) .

(1643 - 1651) في هذه الأبيات إشارة إلى حديث نبوي " إن هذا القلب كريشة بفلاة من الأرض يقلبها الريح ظهرا لبطن " وحديث آخر هو " لقلب ابن ادم أشبه انقلابا من القدر إذا اجتمعت غليا " (استعلامى 3 / 291) و " شرح الأنقروى 3 / 266 - مولوى 3 / 231 " والمقصود أن غليان القدر ليس منه بل من شئ اخر . إن رغائب القلب ليست نابعة منه لكنها نابعة من المشيئة الإلهية التي تجعل غزل الإنسان أنكاثا ، وقوة قضاء الحق هي التي تجعل كل نواياك بددا ، ولا سبيل إلا الاستثناء ، أي قول إن شاء الله .

(1652 - 1672) ابن العظيم الحافي العاري الذي سقط في حب بغى فأفلسته وحطمته هو الإنسان ابن الخليفة الذي سقط في حب الدنيا فذرت كل تراثه الروحي ومكامن عظمته أدراج الرياح . إنه يطلب الدعاء من أهل الحق قائلا :
أدعو حتى يخلصني الله من هذا القيد . وتنظر إليه فلا تجد قيدا على قدميه أو على يديه . فأين إذن هذا القيد : انه قيد قضاء الحق الثقيل الذي يعجز كل حدادى العالم عن تحطيمه ، إنه قيد معنوي لا يتحطم إلا بهمة رجال الحق إذ لا يراه سواهم وهم أطباء القلوب . وزعيم أطباء القلوب هو محمد صلّى الله عليه وسلم إذ إنه هو وحده الذي رأى الحبل في جيد زوجة أبى لهبوَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ(4 - 5 المسد) فمتى كانت زوجة أبى لهب المنعمة المدللة تحمل الحطب ومن رأى سواه صلّى الله عليه وسلم الحبل على جيدها ؟ إنه هو الذي يستطيع أن يرى الأمراض المعنوية التي لا تنبىء منها هيئة المريض أو مظهره ، لم ير أحد الحبل فأولوا السورة - يقول يوسف ابن أحمد " وأولوا سورة المسد بأنها تقصد جنون امرأة أبى لهب ، فلا يعقل وهي ابنة العز والحسب أن تحمل الحطب ، فأولوه بأنها تحمل حطب الأوزار وحطب النميمة التي تشعل نار الفتنة . . ولم يعلموا أن حملها للحطب حقيقة ومجاز ، وفي تفسير نجم الدين كبرى : في عنق كبرها حبل من ذلة فهو حبل معنوي ، وفسر نجم الدين ابن الداية (امرأته حمالة

الحطب) أي الهوى المؤذى في أهل خاطر الهوى (مولوى 3 / 233 - 234) وغضب الله عندما يحط على إنسان - والعياذ بالله - يكون دائم الشكوى وهو لا يعاني شيئا في الظاهر ، وغالبا ما يتعجب إنسان : مالفلان هذا دائم الشكوى وهو لا يعاني شيئا في الظاهر ، فلا هو يشكو مرضا في البدن أو نقصا في المال . . . لكنها القيود الربانية التي توضع حول النفس العاصية وتجعلها دائمة الشكوى . إن الذي يرى العلامات الباطنة هو رجل الحق ، والمصطفى صلّى الله عليه وسلم رأى الحبل ولم يره سواه . وهو الذي يعرف الشقي من السعيد لكنه لا يكشف سرا لذي الجلال .

(1673 - 1701) يعود مولانا إلى قصة أبى الخير الأقطع : لقد مرت خمسة أيام وبلغ به الجوع مبلغه . وهذا أول امتحان من الله . فهذا الصوفي المنقطع جاع بعد خمسة أيام فقط في حين أن غيره من الصوفية كانوا يطوون (يصومون صوما متواصلا) أربعين يوما . فما باله لم يصبر سوى هذه الفترة ؟ لقد كان عهده جرأة ولم يكن يحسب فيه حساب المشيئة ، ولم يلبث الامتحان الثاني والعقاب الإلهى أن وصل إليه ، وهنا يختلف مولانا في رواية القصة عن منابعها ، فها هو في الجبل ويصل جماعة من اللصوص يقسمون المسروقات ، " ويكبس " عليهم الشرطة بعد بلاغ من أحد المخبرين ، " ويقبض على أبى الخير وهو لا يتكلم ولا يدافع عن نفسه ، فهو يعلم الدرس جيدا ، وبعد أن تقطع يده ، يمد رجله لقطعها " حد الحرابة " فيصل فارس (لعله من رجال الغيب) وينقذ قدم الشيخ في اخر لحظة . ويقدم مولانا الدرس المستفاد على لسان الأقطع نفسه وهو يرد على اعتذار الوالي (المقصود بالطبع رئيس الشرطة) ويجعله في حل من يده : لقد نكث بالعهد ولم يحافظ على عهده أمام الله . . فأمرت محكمته بقطع يمينه . إنه شؤم الجرأة لقد رأى لنفسه حولا وطولا ولم يذكر حول الله وقوته ومن ثم فكل شئ فداء لحكم الحبيب . إن مولانا يقدم درسا في الأدب

على لسان أبى الخير طالما قدمه الصوفية . قال الشبلي ذات مرة بين يدي الجنيد : لا حول ولا قوة إلا بالله . فقال له الجنيد : هذا ضيق صدر وضيق الصدر إنما يكون من عدم الرضا بالقضاء ، وقيل لرابعة : متى يكون العبد راضيا فقالت : إذا سرته المصيبة كما تسره النعمة (مولوى 3 / 237) ويسوق مولانا تعليقه هو اخذا الأمثلة من الحياة التي تحيط به : هذا هو الطائر يحلق عاليا لكن طمعه في الحب يجعله يسقط في الشراك ، وطائر اخر مغرد يسقط في قفص الأسر من جراء طمعه ، والسمكة في أعماق الماء يأخذها الشص لحرصها وطمعها ، والسيدة العفيفة في حجابها قد تنهار وتبيع جسدها من جراء شهوة الفرج وشهوة الحلق . والقاضي العالم الحبر حسن السمعة قد يرتشى طمعا ويفتضح ، ولماذا نبتعد أليس هاروت وماروت قد حرما من ملكوت السماء من جراء الشهوة ؟ (انظر شروح 471 و 797) .

(1702 - 1704) الرواية الواردة عن أبي يزيد البسطامي هنا وردت في تذكرة الأولياء ص 184 (1707 - 7221) ذكر ياقوت الحموي عند حديثه عن بلدة تينات أن بها أبا الخير التينانى وهو يفعل بيد واحدة ما لا يمكن القيام به إلا بيدين ، لكن في كثير من مصادر الصوفية - ومن بينها هذه الأبيات - أن الله كان يرد إليه يده وقت العمل ، وبالطبع هذا أكثر مناسبة للمذاق الصوفي ، كان أبو الخير يخفى هذه الكرامة ، لكن الناس اطلعوا عليها ، فناجى ربه : يا إلهي إنك أنت الذي تعلن ويجيب الحق : إن هذا لكيلا يسئ الناس الظن بالحق . وحتى لا يردوا قانطين عن الأعتاب الإلهية . وإلا فبالنسبة لك تستوى الأمور ، فإن ضياع البدن لا يعنى عندك شيئا .

(1723 - 1734) إن هذا هو السبب الذي لم يخف سحرة فرعون (الذين امنوا بموسى) من تهديد فرعون لهم بقطع أجسادهم ، كانوا قد تحرروا من

الخوف وعرفوا القيمة الحقيقية للجسد ، إنه مجرد ظل وإن الوجود الحقيقي لله ، وإنه إذا انتفى الظل أصبح الطريق إلى الوجود الحقيقي مفتوحا ، فكان ما يعتبره فرعون موتا هو بالنسبة لهم حياة ، وما يعتبره هلاكا هو بالنسبة لهم وجود ونجاة ، إن اليد التي تبتر هنا إنما تبتر في حلم ما دامت الدنيا حلما ، ولا ضير إن بترت اليد في حلم فإنك إذا استيقظت سوف تجد يدك في مكانها ، بل إن الحلم ليدل على عكسه تماما ، فإن قطعت (في سبيل الله بالطبع) في هذه الدنيا . .
فتأويل ذلك أن عمرك خالد طويل ، وأنك في أتم صحة (روحانية) .

(1735 - 1739) عن جابر قال : كنت مع النبي صلّى الله عليه وسلم إذا أتاه رجل أبيض الوجه فقال : يا رسول الله ما الدنيا ؟ قال عليه السلام : حلم النائم . فقال : كم ما بين الدنيا والآخرة ؟ قال عليه السلام : غمضة عين . فقال : كم القرار فيها .
قال عليه السلام : قدر التخلف عن القافلة . ثم ذهب الرجل فقال عليه السلام :
هذا جبريل أتاكم يزهدكم في دنياكم (مولوى 3 / 242) ويقول جلبنارلى (3 / 245) أن المعنى ناظر إلى قول منسوب إلى علي رضي الله عنه “ الدنيا حلم والآخرة يقظة ونحن بينهما أضغاث أحلام “ يقول مولانا : لقد قبلت هذا القول على سبيل التقليد لكن أهل الله يرونه على سبيل التحقيق ، وحتى حياتنا عند اليقظة هي حياة على سبيل النوم . وعندما تنام تقول ها أنا سأذهب لأنام وأنت غافل عن أنك في النوم الثاني :
فالنوم الأول هو حياتك في غفلة أما النوم الثاني فهو النوم البدني ، إنك تدرك معنى النوم الثاني عندما تدرك النوم الأول ، ويكون مطلعا على كل أعمالك خلال هذا النوم .

(1740 - 1747) الفخارى هنا كناية عن الحق سبحانه وتعالى ، وهو الذي يستطيع أن يجبر كل كسورنا ويستر عوراتنا ، والأعمى هو الذي لا يملك البصيرة ويخشى من مشكلات الدنيا ويجعلها كل همه ومبلغ علمه ، أما رجل الحق فهو العالم بالطريق والعالم بحفره . . ومن ثم فهو مستبشر بالله تعالى .

ويعود مولانا إلى الحديث على لسان السحرة : والمراد بتمزيق الخرقة تمزيق الجسد والعرى من الجسد أفضل فهو انطلاقه الروح من سجنها ، فالروح تحتضن المحبوب في عريها ، ومن الأفضل أن تكون بلا لباس والتحرير من المزاج والطبيعة أي التحرير من الجسد ومن الانشغال بنشاطه الفسيولوجى وهذه هي الحرية الحقيقة .

(1748 - 1764) المثال الوارد هنا ورد بنصه في مقالات شمس الدين التبريزي في ثلاثة مواضع : ص 44 ، وص 241 وص 327 . . فالبغل كناية عن أعمى البصيرة المذكور فيما سبق ، والجمل رمز لمن يستشرف الدنيا من عل وهو الشيخ كامل النظر . ثم يتحدث مولانا عن أصحاب الرؤية الاستشراقية من ذوى البصيرة ، وفي البيت 1757 يشير مولانا إلى الآية الكريمةقُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمى وَالْبَصِيرُ أَ فَلا تَتَفَكَّرُونَ(الأنعام / 50) ويعود إلى مثال الجنين : لقد علمه الله في مقامه هذا كيف يجذب غذاءه . ثم يظل مع الإنسان يعلمه جذب الأشياء فكيف لا يعلم الروح أيضا جذب الأشياء ، أليست الروح تتغذى كما يتغذى الجسد ؟ فكيف يهتم الله سبحانه وتعالى بالجسد وهو عارية ولا يهتم بالروح وهي الأصل ؟ ، بل إن الحق جامع لذرات هذا العالم . وهو الذي يرتق وجود الخليقة بهذه الذرات . ويستطيع ثانية أن يضمها إليه . ألست ترى هذا يحدث لك كل يوم عند النوم : أنت ترى أن كل إحساساتك تسلب منك عند النوم وعندما تستيقظ تستدعيها ثانية لتعود إليك . فكيف تشك أنها تضيع في النوم الأبدي ؟ أليس بقادر على أن يعيدها مرة ثانية ؟

(1765 - 1773) لقد ضرب الله المثال على هذا بوضوح أكثر ودون لبس وراه غيرك بعين الحس ، فلماذا لا تراه أنت بعين الروح ؟أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلى قَرْيَةٍ وَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها قالَ أَنَّى يُحْيِي هذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها فَأَماتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قالَ كَمْ لَبِثْتَ قالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عامٍ

فَانْظُرْ إِلى طَعامِكَ وَشَرابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلى حِمارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظامِ كَيْفَ نُنْشِزُها ثُمَّ نَكْسُوها لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(البقرة / 259) والقصة وردت باسم عزيز في قصص الأنبياء وفي البيتين 1772 - 1773 : يخاطب الحق عزيزاً لقد بينت لك هذا حتى تفهم فلا تخشى الموت وتعلم أنه كالنوم ، فمتى نقص بدنك من النوم ؟ .

(1774 - 1790) يواصل مولانا الأمثلة والحكايات حول هذه الفكرة :
والحكاية المذكورة لها أشباه كثيرة في سير الصوفية ، فقد وردت في “ حلية الأولياء “ و “ الرسالة القشيرية “ و “ تذكرة الأولياء “ ، وفي المصدر الأخير ذكرت في موضعين الموضع الأول حكاية عن الفضيل بن عياض ، وأنه لم ير مبتسما إلا يوم أن مات له ولد ، والموضع الثاني حكاية عن ابن عطاء ، وكيف أن قطاع الطرق قد وقعوا عليه ومعه أبناؤه العشرة ، فأخذ اللصوص في قتل أبنائه وهو ينظر إلى السماء ويبتسم ، فعيره الابن العاشر بعدم شفقته وقسوة قلبه .
فقال له : إن من يفعل هذا لا يمكن الاعتراض عليه فهو يعلم ويرى ويستطيع .
ولو يشاء لحفظهم جميعا (ماخذ / 105 - 106) وواضح أن مولانا وفق بين الحكايتين في حكاية واحدة . وفي البيت 1776 العبارة المذكورة على أساس أنها حديث نبوي ذكرت في كثير من المراجع على أساس أنها من مأثورات الصوفية

(استعلامى 3 / 297) أما البيت 1785 فهو إشارة إلى الحديث النبوي “ شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي “ (ينظر شرح التعرف ج 2 ص 11 وما بعدها) وفي رواية أخرى : أترونها للمطيعين ؟ لا بل هي لأصحاب الدماء والعظائم المتلوثين بالذنوب ، وقوله عليه السلام : وإني اختبأت شفاعتي لأمتي ، وتمام هذا الخبر أن الرسول قال : لكل نبي دعوة مستجابة واختبأت دعوتي لأمتي ، وعن عائشة الصديقة رضي الله عنها قلت لرسول الله صلّى الله عليه وسلم : أين أطلبك يا رسول الله ؟ ، قال : عند الحوض أسقى أمتي ، قلت : فإن لم أجدك ؟ قال : عند

الميزان أثقل ميزان أمتي ، قلت : فإن لم أجدك ؟ قال : عند الصراط أقول رب سلم رب سلم ، قلت : فإن لم أجدك ؟ : قال : لا أخلو من هذه المواطن الثلاثة ما بقي من أمتي واحد . وشفاعة الرسول في كل موضع أما الشفاعة الكبرى فهي أن الناس عندما يخرجون من القبور يقفون أمامها ألف عام يتشفعون بالرسل فلا يرد عليهم أحد فيأتون محمدا عليه السلام وهو قدام العرش فيخر ساجدا فيقال : يا محمد ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع - (ص 115 ج 2 شرح التعرف) . ويعلق صاحب مناقب
العارفين : عندما يكون السيف المهند قاطعا في غمده فقس أنت عليه عندما يُسّل (1 / 356) وفي البيت 1789 : صلحاء أمتي لا يحتاجون لشفاعتى ، وإنما لهم شفاعة في المذنبين (استعلامى 3 / 298)
وفي البيت 1790 : الشطرة الأولى إشارة إلى الآية الكريمة :وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى *(الأنعام / 164) والشطرة الثانية إشارة إلى الآية الكريمة :وَوَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ(الشرح / 2) .

(1791 - 1800) من كل ما سبق من إشارات قرانية ونبوية يشير مولانا : إن الذي لا وزر عليه هو " الشيخ " وكأنه قوس انطلق من يد الحق : إنه ليس شيخا بمعنى أنه أشيب الشعر ، بل بمعنى أنه لم يبق فيه مثقال شعرة من التعلق بالدنيا والأمل بالباطل هو المؤمل في الدنيا . ولا علاقة للمشيخة بالعمر .
فعيسى عليه السلام كان شيخا في المهد . والذي فنى عن أوصافه هو الشيخ أما الذي بقي من وصفه مقدار شعرة فهو " افاقى " وقد فسر استعلامى افاقى بأنه " دنيوي " (3 / 298) بينما ورد اللفظ نفسه في شرح التعرف بأن الآفاقي هو الذي يكلف برؤية الآيات في الآفاق وهي مرتبة دون رؤية الآيات في الأنفس الأولى للعامة والثانية للصلحاء والصديقين (شرح تعرف 2 - 115 وما بعدها من طبعة لكهنو الكاملة دون تاريخ) .

(1806 - 1815) يخرج مولانا من سياق القصة ليتحدث عن تأثير الأولياء

في نظام الكون وفي نسقه . . فالأولياء رحمة للعالمين وهو وصف اختص به محمد صلّى الله عليه وسلم (الأنبياء 107) إلا أن مولانا يرى أن الأولياء ملحقون أيضا بهذا الوصف ، أما الرحمة الجزئية المذكورة في البيت 1809 فالمقصود بها عشر الرحمة الذي وزع على الخلق فيه يتراحمون ، أما الرحمة الكلية فهي تسعة أعشار الرحمة التي بقيت لله تعالى (إن الله تعالى خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض فجعل منها في الأرض رحمة منها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض ، وأخر تسعا وتسعين فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة) وفي رواية أخرى أن الله تعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة وأرسل في الخلق كلها رحمة واحدة ، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بالذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار (جامع 1 / 70) والرحمة الجزئية هي السبيل إلى الرحمة الكلية . وإن وقف عليها الإنسان فهو يظن أن كل غدير بحر . وإذا كان هو نفسه أي صاحب الرحمة الكلية (من الأولياء وغيرهم) . ولا يدرى أين البحر فكيف يدل الناس على هذا البحر ؟ .

(1819 - 1825) في جواب الشيخ على امرأته يشير مولانا إلى أن الشيخ يرى بنور الباطن ما لا نراه نحن ، ويقصد بالشطرة الثانية : أننا لسنا متساوين في الرؤية . إن من تظنهم قد غابوا تحت طيات الثرى يراهم هو حوله يلعبون ، لأن رؤيته فوق الزمان وفوق المكان . وبينما يراهم الآخرون في النوم يراهم هو في اليقظة ، لماذا ؟ ، لأنه يعطل الأحاسيس الدنيوية لحظة ويسقطها من شجرة الوجود . . . ومن ثم يكون حس العقبى وهو سلم لذلك العالم في قوته . . فيراهم (انظر . حس الدنيا وحس العقبى - الكتاب الأول البيت 570 وما بعده) .

(1826 - 1836) ينتهى كلام الشيخ ليبدأ كلام مولانا . عن كيفية الخروج

من سلطة الحس ، فكما أن الحس أسير للعقل ، ولا يحكم العقل إلا في منطقة الحواس ، وإطارها ، فهناك عقل أخر فوق هذا العقل ، وهو كالماء الصافي عليه على الحواس مشاهداتها فتحجبه عن المشاهدات السامية العليا ، ثم يأتي العقل الآخر (الباحث عن الله) فيزيح كل القذى (المشاهدات الحسية) عن هذا الماء وإلا فإن “ هوى النفس “ يأخذ كل من عالم الحس فيضعه على هذا الماء بحيث يصبح “ غورا “ ، ولا حل إلا أن تقيد يد الهوى بالتقوى ، ومن هنا تصبح الحواس المتسلطة الدنيوية مساعدة للعقل الباحث عن الله بدلا من أن تكون عقبة في طريقه ، ذلك أن غلبة العقل العارف تجعل هذه الحواس نائمة دون نوم ظاهر ، ويعدها يسطع نور معرفة الغيب في الروح (استعلامى 3 / 300) .

(1837 - 1856) وردت هذه القصة في الرسالة القشيرية عن زاهد ضرير يقال له أبو معاوية (ماخذ 106) وفي خلال هذه الحكاية يورد حكاية أخرى في المجال نفسه عن لقمان وداود وردت في “ العقد الفريد “ لابن عبد ربه و “ قصص الأنبياء “ للثعالبي و “ إحياء علوم الدين “ للغزالي وتفسير أبى الفتوح الرازي (ماخذ / 106 - 107) وإن كان يغلب أنه أخذها من مصدر قريب منه وهو مجمل التواريخ والقصص والمقصود بالبيت 1850 أنك أن تسرعت وسألت ولم تظفر بالإجابة الشافية فكأنك أضعت وقتا كان أولى أن تقضيه في الصبر ، ولذا فهو أسرع في التوصيل إلى المقصود وفي البيت 1854 عبارة شبيهة بعبارة وردت في مجمل التواريخ والقصص “ الصمت حكم وقليل فاعله (ماخذ / 107) والصبر قرين للحق سبحانه وتعالى مصداقا لقوله وَتَواصَوْا بِالْحَقِّ وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ(العصر) .

(1874 - 1879) يخلص مولانا من قصة الضرير والمصحف إلى نتيجة هي أن الولي لا اعتراض عنده ، لأنه على ثقة بالله تعالى ، وفي يقين من أمره وحكمه وأنه إن سلبه شيئا فسوف يعوضه أفضل منه ، وحتى إن قضى على الحياة نفسها وسلبها فإن العوض هو وصاله وهو الحياة الحقيقية ، وفي البيت 1876 إشارة إلى حكاية أبى الخير الأقطع (انظر الأبيات 1707 وما بعدها) ويقصد في البيت 1878 بتعبير " بلا نار " أي بترك الأسباب الدنيوية و " تجذبنا ناره " أي تقضى مصاعب طريق الحق على وجودنا المادي (استعلامى 3 / 301) .

(1880 - 1885) يدور الحديث حول الرضا بقضاء الله ، وقمة الرضا هي التسليم دون دعاء بأن يرفع الله البلاء ، وهذا ما دام عوض البلاء يفوق البلاء نفسه بمراحل ، ومن ثم فأهل الرضا يحرمون الدعاء على أنفسهم ويسلمون للمشيئة والأمر على صلة بالرضا والطمأنينة والتسليم للمقادير والسرور عند المصيبة والابتلاء (شرح التعرف / 3 - 144 / 148) وهو اعتماد على حسن ظنهم بالله يتلذذون بالبلاء لأنهم يرون فيه تجلى الحق سبحانه وتعالى .

(1885 - 1899) ما يرد في هذه الأبيات وصف للمرشد الكامل أو القطب وهو الذي يرى كل ما يدور في العالم - ويحسبه الآخرون من ظواهر الطبيعة - هو من المشيئة الإلهية ، وما دام مسلما بالمشيئة الإلهية فالعالم كله يسير فوق هواه ، فلا خوف عنده ولا شكوى . بل إن الحياة والموت ينفذان أمر القطب ، ويصدق بهلول (انظر تعليقات البيت 700 في هذا الكتاب) على كلام هذا الدرويش ، لكن يطلب منه الشرح ، ليقتنع به الفاضل ، وهو الذي علم بالطريق والفضولي وهو الذي يقحم نفسه على أهل الفضل ويضايقهم بتعليقاته وأسئلته ، ويضرب المثل للمائدة التي تعطى من نفسها لكل طالب على مذاقه وحاجته بالقرآن الكريم " إن للقران ظهرا وبطنا ولبطنه بطنا إلى سبعة أبطن " .

(1900 - 1916) يفسر المرشد (الدرويش) لبهلول كيف أن الدنيا تسير

وفق هوى رجل الحق ، فإن رجل الحق يرى كل تغيير في ظاهره أو في باطنه مرده إلى الله تعالى ، فلا مشيئة له بل هو مريد لما أراد الله ، وفي البيت 1901 إشارة إلى ما ورد في سورة الأنعام اية 59وَعِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُها إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ ما فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُها وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُماتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يابِسٍ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍإن هذه كلها أمور لا يمكن شرحها فالأمر يطول لو شرحت ، كما أن “ الجلد “ على ذلك ليس على ما يرام .

فمن الذي يستطيع أن يعد أوراق الشجر ؟ ويوالى رجل الحق شرح التناسق بين المشيئة الإلهية : فعندما يكون العبد راضيا بأمر الله فهو يخضع له دون تساؤل ودون تكلف ودون انتظار لثواب أو خوف من عقاب “ إلهي ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك “ ، إنه يحيا بالله لا أملا في كسب . ويموت بالله لا نتيجة لخوف أو لنصب ، وهذا في جبلته وطبعه فلا هو اكتسبها بسلوك أو طريق ، إنه فرح بقضاء الله في حد ذاته ، نقل عن أبي على الدقاق أنه قال : هذا الأمر لا هو بعلة ولا لجهد لكنه جبلة كما قال اللهيُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُولم يذكرها في سياق ذكر الطاعة والقيادة (تذكرة الأولياء 2 / 164) .

(1917 - 1925) في هذه الأبيات يخلص إلى النتيجة الكلية بين مدرستين في التصوف الإسلامي مدرسة كانت تحبذ الدعاء ، ومدرسة كانت ترى الدعاء نوعا من نفاذ الصبر من القضاء ، فبينما يبدو بعضهم متلذذا حتى بثكل الأبناء (إشارة إلى ما ورد في الأبيات 1774 - 1790) ، وبعضهم يرى أن الدعاء ليس ضيقا ولكنه لأن الله سبحانه وتعالى أراد له أن يدعو ، إنه لا يدعو رحمة ولا شفقة ، وإلا فإن كل هذه الأحاسيس العادية قد أفناها في نفسه عندها انمحت كل صفاته ، لقد أحرق كل صفاته بنار العشق . ومن الذي يستطيع أن يدرك هذه الفروق الدقيقة إلا “ الدقوقى “ ؟

(1926) يبدأ مولانا من هذا البيت الحديث عن الدقوقى وكراماته ، في حوالي أربعمائة بيت ، ولم يذكر اسم الدقوقى بهذه الكرامات وبهذه الصورة في مصدر قبل مولانا ، هناك بهذا الاسم شخصيتان لا يتفق ما ورد عنهما مع ما ذكره مولانا في هذا الجزء من المثنوى : أولهما عبد المنعم بن محمد الدقوقى المحدث في القرن السابع والمتوفى في حماة سنة (640 هـ -) والثاني : تقى الدين محمود الدقوقى الذي ولد في أواخر عمر مولانا ، وكان حيا حتى سنة (733 هـ -) وكان واعظا - ولم يكن أحدهما بالعارف أو من يملك شخصية عارفة بحيث ينسج مولانا حوله هذه القصة الطويلة . ولا " يوجد " " دقوقى " اخر معاصر لمولانا أو قبله ، وحتى إذا قيل : إن الاسم تحريف لاسم أبى على الدقاق وهو صوفي مشهور كان دائم السفر فإنه لم تنسب له كرامة أو رواية يمكن أن تكون أساسا لهذه القصة الطويلة (انظر نفحات الأنس 291) وربما يكون الأمر كله ابتكارا من مولانا جلال الدين على أساس الرؤى التي تكررت كثيرا في " الفتوحات المكية " لابن عربى مستخدما اسما ما أعجبه

(ماخذ 107 - 110) أو سمع به ، أو لعله رأى بين الاسم وبين " الدقة " سببا فاختاره ، والدقوقى في نظر مولانا روح سامية ، يعيش بين الناس دون أن يعيش بينهم ، يرى في اليقظة ما يراه الآخرون في النوم والسكر ، دائم الطلب لرجال الطريق ، يسافر سفرا لا كيفية فيه ويرى شموعا تتحول إلى بشر وبشرا يتحولون إلى شموع والأشجار وهلم جرا . كل ذلك في بيان يطعمه مولانا بمذاق باطني خاص ، وبأسلوب أدبى رفيع يبلغ فيه الرمز الصوفي قمة استخدامه الفنى ، بحيث تبدو القصة كقصة استبطانية سابقة لمنهج الاستبطان في الأدب بقرون عديدة كما سنرى .

(1929) ورد في عوارف المعارف : إنما سمى السفر سفرا لأنه يسفر عن الأخلاق ، قال بشر بن حارثة : يا معشر الفقراء سيحوا تطيبوا ، والمسافر في طريق الله إما يسافر بفكره في المعقولات وهو من طلب الآيات على وجود صانعه

وشهود خالقه إلى حق اليقين ، وإما مسافر بالأعمال من عمل (مولوى 3 / 265) ، وقد يكون في إشارة يوسف بن أحمد عن السفر في المعقولات دليل على أن رحلة الدقوقى شأنها كشأن معارج الصوفية أغلبها معارج في الروح وفي الباطن لا في الأماكن والأصقاع ، وفي هذه الإشارة إلى كثرة سفرة الدقوقى ما يشير إلى غرام كثير من مشايخ الصوفية بالسياحة ، وبينهم أبو علي الدقاق (هل يمكن أن تكون الدقوقى إمالة للدقاق ؟) (نفحات الأنس / 191) .
وإبراهيم الخواص الذي روى عنه أنه لم يكن يمكث في مدينة ما أكثر من أسبوعين .

(1932) الاثنينية هي قطع العلائق عن الصور الظاهرة ، والمقصود أنه كان منفردا لأنسه بالحق وليس كبرياء على الخلق .

(1936) الإشارة هنا إلى حديث مروى عن الرسول صلّى الله عليه وسلم (إنما أنا لكم مثل الوالد) “ استعلامى 3 / 305 “ وإلى حديث آخر “ أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفى من المؤمنين وترك دينا فعلى قضاؤه ، ومن ترك مالا فهو لورثته “ وقال تعالى في هذا المضمون في سورة الأحزاب آية (6)النَّبِيُّ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ(مولوى 3 / 265) .

(1938) ترجمة أيضا لحديث نبوي “ كل شئ قطع من الحي فهو ميت “ (استعلامى 3 / 305) .

(1939) ما دام الرسول صلّى الله عليه وسلم وأولياء الله هم جزء من كلية الوجود فمن انقطع عنهم فهو ميتة حتى يتصل بهم ثانية .

(1947) خواص الحق هم الأولياء الكاملون ومجالستهم حتى بالنسبة للواصلين شديدة النفع ، وهي ضرورية في نظر مولانا .
إذا صرت بعيدا عن حضور الأولياء * فأنت في الحقيقة تصير بعيدا عن الحق

(انظر الكتاب الثاني الأبيات 2220 - 2224 وشروحها) .

(1956) في النص مثل داود والواقع أن داود كان المشكو له ولم تكن تسعون نعجة كما ذكر مولانا بل هي بنص القران الكريم " تسع وتسعون نعجة "إِنَّ هذا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ واحِدَةٌ فَقالَ أَكْفِلْنِيها وَعَزَّنِي فِي الْخِطابِ(ص / 23) .

(1958 - 1963) التعليق هنا خارج القصة ومن لدن مولانا ، والمقصود بالذكور أو الرجال رجال الحق الذين يقوون على الطريق ، والمخنثون هم الذين لا يملكون من الرجولة إلا مظاهرها ولا قوة لهم على الطريق ، والرجولة في الطريق ليست رجولة الجنس ، فرب امرأة في الطريق " أكثر رجولة " من كل الرجال . والسر الخفي في هذا الطريق أن سالكه لا يشبع من التجليات والإنعامات . فليس في هذا الطريق " صدر " أي ليس فيه زعامة ، ولا لسالكه منتهى ، يقول إن وصل إليه " لقد ان لي أن أتوقف " بل يظل الطريق في حد ذاته هو المنتهى .

(1964 - 1974) والدليل على هذا هو قصة موسى والخضر عليهما السلام ، والخضر هو المرشد صاحب العلم اللدني ، فموسى كليم الله كان طالبا للشيخ والمرشد ، فحتى الواصل لا بد له من الشيخ والمرشد ، أما المقصود بالشمس والقمر فهما موسى والخضر ، فكلاهما كوكب منير لكن القمر يستمد نوره من الشمس ، أما مجمع البحرين " في تفسير لبعض العارفين " فهما كناية عن وليين من أولياء الحق وهما هنا موسى والخضر ، أو هما الجمع بين السير المباشر إلى الله والسير بصحبة شيخ ، ويرى موسى أن متابعة الخضر لسنوات أمر جدير بالنصيحة المرجوة . فإذا كان المرء يسعى ويكدح في سبيل " عشق الخبز " أفلا يساوى عشق الأحبة كدحا أكثر وعملا أكثر ؟ .

(1975 - 1986) عودة إلى قصة الدقوقى : والخافقان هما الشرق والغرب أو هما السفر بين عالم المادة وعالم المعنى ، أو السير الباطني داخل الذات ، وكل ذلك في سبيل عشق المحبوب ، المشي حافيا على الشوك والحصى كناية عن صعوبة الطريق الصوفي ووعورته ، ولا يحس العارف بهذا لأن المشي لا يتم بالأعضاء ، بل هو سير بالقلب ، بل إن القلب نفسه في سكره بالمحبوب لا يحس بهذا الطريق ، وينتقل مولانا إلى موضوع محبب إليه : وهو أن الطفرات التطورية في حياة الإنسان العادي تتم دون انتقال ودون حركة ، فرحلة الإنسان من النطفة إلى العقل ومن العقل إلى الجنان

(انظر من الجنين إلى الجنان تأليف مولانا قطب الدين عنقا ترجمة كاتب هذه السطور - القاهرة دار نشر الثقافة 1977) لا يتم بالسير أو الخطو . وفي البيت 1983 يقول مولانا أن الدقوقى كان يسير هو الآخر في عالم المعنى ، أي يسير لا نقل فيه ولا حركة بالرغم من أنه كان ينتقل ويتحرك ، وفي البيت 1984 يعود مولانا إلى الحديث على لسان الدقوقى : إن الدقوقى يرى البشر تجسيدا لأنوار الحبيب ، يرى في كل إنسان جزءا من هذا النور ، وهو يطالع هذا النور في أقل جزئيات العالم ، الذرة أو الهباء الذي يظهر في شعاع الشمس وكالقطرة التي تمثل البحر ، ثم يدخل بنا في مشاهداته عند وصوله إلى “ ساحل ما “ أي ساحل هذا ؟ قد يكون ذلك الحد الذي يفصل بين مشاهداته المعنوية وتجسد هذه المعنويات في صورة تبدو كالأشباح عندما يصل السالك إلى ساحل عالم الأرواح ، وعالم المثال في صورة هذا العالم فإن اللبن صورته في عالم المثال العلم ، وكذا المحبة والعشق صورته في عالم المثال الخمر ، وكذا الأشجار المثمرة صورة العلماء ، وكذا الشموع المنيرة صورة الأولياء ، فالعوام يدخلونه حالة النوم والخواص يدخلونه حالة اليقظة (مولوى 3 / 272) .

(1987 - 1992) الشموع السبعة في رأى صاحب المنهج هي مصابيح أرواح الأبدال السبعة في عالم الظلمات (3 / 272) ، والرقم سبعة في كثير من

الأساطير والروايات المذهبية الشرقية ذو قيمة معنوية مقدسة ، وفي تصنيف الأولياء ، هناك طبقة عليا يسميهم الهجويرى في كشف المحجوب الأبرار ، ويسميهم ابن عربى " الأبدال " وهم الحكام الباطنيون على الأقاليم السبعة التي ينقسم العالم إليها في منظور الجغرافيا الإسلامية ، وقد تكون الشموع السبعة هنا هي تجلى نور الحق في الأبرار أو الأبدال السبعة ، خاصة أن الشموع السبعة تتحول فيما بعد إلى سبعة رجال . وتزداد حيرة الدقوقى من مشاهداته التي لا يراها الخلق ، وهم سادرون في غيهم يبحثون عن مصباح مع وجود هذه المصابيح المنيرة . لكن الله لم يشاء هدايتهم إليها " إنه يهدى من يشاء " .

(1993 - 2002) تحول الشموع إلى شمعة واحدة كناية عن وحدة أولياء الحق (انظر شروح الأبيات المقدمة) وهي في مرتبة الوحدة تشق جيب الفلك أي تصل إلى أسرار تخرج عن نطاق هذا العالم الترابى ، أما تحولهم إلى سبع شموع مرّة ثانية فهو كناية عن عودتهم من عالم الرحدة إلى عالم الكثرة ، أو من تجلى الذات إلى تجلى الصفات ، ورغم الكثرة فإن الاتصالات التي بينها لا توصف لأنها ليست من عالمنا الأرضي ، وتعبيراتنا مرهونة بهذا العالم الأرضي ، والمشاهدة الواحدة بعين الباطن لا يمكن التعبير عنها في سنوات ، وما يصل إليها الإدراك الباطني في لحظة لا تقوى الأذن على سماعه في عام وما دام التعبير ليس ممكنا فانشغل بنفسك وهذبها وسر في الطريق حتى تصل إلى الساحل الذي تنكشف لك فيه المشاهدات عيانا . وقل ما دمت لا تجد ما تتحدث به من الثناء " لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك " وفي الأبيات (2000 - 2002) يحاول الدقوقى أن يتقدم نحو هذه الشموع لكنه لا يقوى ويسقط مغشيا عليه .

إن محاولة إدراك الباطن بالظاهر (الجسد والحركة) مقضى عليه بالفشل . لأن " القشة " بتعبير مولانا لا تتحمل الجبل (انظر الكتاب الأول - المقدمة) .

(2003 - 2004) في رأى القدماء أن النور بلا جسم ، ويبدو هذا الأمر في هذه القصة ، فتجلى عالم الغيب على عالم الصورة ظل ما دام في صورة النور والشموع سعيا ما بين المعنى والصورة ، فهو نوع من الأعيان الثابتة أو الصور المثالية ، وفي هذين البيتين تنتقل المشاهدات من عالم المثال ، وتنقلب الشموع السبعة إلى سبعة رجال ، لكن أنوارهم مع ذلك ترتفع إلى عنان السماء . وربما شاهد الدقوقى في صحوة أنهم سبعة رجال ، لأن حالات الحيرة والإغماء المتتالية تخرج الشيخ من المشاهدة الباطنية ومن عالم السكر إلى عالم الصحو .

(2005 - 2010) حدث تحول الرجال إلى شجر عندما تحول بصر الدقوقى إلى عالم المثال فرأى كل رجل قد تحول إلى شجرة ، فقد رآهم في البداية شموعا لتجردهم من المادة العنصرية ، ثم رآهم رجالا لمشاهدته إياهم في هذا العالم مع أبدانهم فلما نظر في عالم المثال شاهدهم أشجارا ، أي شاهدهم مع أرواحهم وأجسادهم وحواسهم واثارهم وعلو مراتبهم (مولوى 3 / 275) وهذه الرؤية في عالم المثال تثبت فترة أطول كما سنرى - وفي البيت 2008 يقصد السمكة والثور الأسطوريين عندما ساد الاعتقاد بأن الأرض على قرن ثور والثور على ظهر سمكة . وثمار هذه الأشجار روحانية أيضا ينبثق منها النور أيضا ، وهذه الثمار هي إفاضات هؤلاء الأبدال وحديثهم على الحق وو رحمتهم بهم ، وهم سبب الرزق وسبب المطر الإلهية .

(2011 - 2034) تتناول هذه الأبيات فكرة أن أولياء الله غالبا ما هم مجهولون من الناس محجوبون عن الخلق ، إنهم لا يلجأون إلى ظلالهم الفينانة ويلجأون إلى أهل الدنيا في هذه الصحراء القاحلة التي لا تحتوى على أشجار سواهم ، لقد سد الغضب الإلهى عليهم أبواب المعرفة ، فهم ينظرون إلى " السها " ولا ينظرون إلى القمر ، وتتعلق أبصارهم بالهباء المنبعث مع أشعة الشمس ولا تنظر إلى الشمس ، ويتقاتلون على متاع الدنيا وهو بمثابة التفاح المهترىء ،

ويدفعهم القحط إلى السلب والنهب ، بينما كل ورقة وكل برعمة من هذه الأشجار تقول (يا ليت قومي يعلمون) (يس / 26) إنهم لا يزالون يدعون الخلق إليهم لكن غيره الله تعالى عليهم وغضبه على الخلق لا تجاهم إلى " الغير " يغمض عيونهم ، لأنهم لا يستحقون الفيض ، فأولوية شروط الفيض الاستحقاق ، وهم من جهلهم لا يسمعون من يوجهونهم ، أي تلك الأشجار الوارفة ، إنهم يظنونه يهذى من كثرة رياضاته وجوعه وسهره ، بحيث إن الدقوقى نفسه يشك : تراه واهما ؟ وكيف يكون واهما وهو يمشى بين هذه الأشجار يتفيأ ظلالها ويأكل من ثمارها ؟ إن ما يراه من تناقض بين حاله وأحوال الخلق يتقاتلون في سبيل متاع تافه (نصف حبة حصرم) ، يجعله في حيرة من أمره ، أتراه غافل عن أمره يتثبث بوهم ؟

(2035 - 2039) يعلق مولانا هنا : اقرأ يا دقوقىحَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جاءَهُمْ نَصْرُنا(يوسف / 110) الرسل أنفسهم ييأسون لا من رحمة الله بل من تكذيب الخلق ، واقرأها " كذبوا " بتشديد الذال ، لأن قرأءتها بالتخفيف تعنى أن الكذب قد قيل لهم ، ولكن كذبوا بالتشديد تعنى المعنى المفترض وهو أن الخلق قد كذبوهم ، وعند اليأس الشديد يأتي النصر .
كما ينبلج الفجر الصادق من ظلمة الليل البهيم . إن قراءتها بالتخفيف تعنى أن الأنبياء قد رأو أنفسهم " غير " الحق وأنهم كانوا في حجاب . على كل دعك من البحث في هذه الأمور الظاهرية " كيفية القراءة " ، فإن المهم هنا هو الثمار المعنوية ، فأسرع وجاهد ، لكي تأخذ نصيبك منها ، فإن ثمار عالم المعنى ذات سحر ، ولها في كل لحظة سحر جديد .

(2040 - 2047) عودة إلى حيرة الدقوقى ومشاهداته : ها هي الأشجار تنادى الناس لكنهم يظنونها خيالا من هؤلاء الناس الذين يرونهم مبتلين بالسوداء والهذيان والوهم ، إنهم يحكون عيون الأجساد علهم يرون شيئا ،

لكن متى كانت رؤية هذه الأمور منوطة بعيون الأجساد ؟ إنهم يتعجبون لأنهم لا يرون . والدقوقى يتعجب من ختم الله الذي ختم على قلوبهم وأبصارهم وأسماعهم غشاوة ، إن عجب أبى لهب من صنع الله ، لكن عجب محمد صلى الله عليه وسلم من غفلة الأبصار والأسماع والقلوب عن صنع الله . . وخير للعارف أن يصمت . فإن لم تكن هناك اذان واعية فماذا يجدى الحديث ؟

(2048 - 2055) يتوالى تغير الصور على الدقوقى ، حينا يراهم سبعة وحينا يراهم واحدا . وهكذا بشكل مستمر ، هم سبعة عددا ، لكنهم نفس واحدة ، هم من حيث التعين متعددون ومن حيث الحقيقة واحد ، لكن رؤية الدقوقى “ بحسب حاله “ فإن حل به التكوين رآهم سبعة ، وإن تحقق من مرتبة الذات رآهم واحدا (مولوى / 281) وها هو يرى “ الأشجار “ تصطف للصلاة ، لماذا يراها أشجار حتى عند الصلاة ليثبت أنهم حتى في عالم المثال عابدون راكعون ، وإن لم تصدق أن الشجر يصلى ، فاقرأ من سورة الرحمنوَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدانِ(اية / 6) ومن قال : إن الصلاة يلزمها مفاصل وركب ؟ إن هي إلا صورة الصلاة ، أما معنى الصلاة فحدث ولا تسل ! !

(2056 - 2065) تنتقل التجليات من عالم المعنى إلى عالم الصورة وتتحول الأشجار السبعة إلى رجال سبعة ، وهذا واضح ، فسوف يتحدثون مع الدقوقى ، ومن العسير أن يتم الحديث وهم في صور عالم المثال “ الأشجار “ . . لقد كانوا يعرفونه ، ونادوه باسمه ، ويتحير الدقوقى : إذا كانوا بالفعل مستغرقين في نور الجلالة فكيف يعرفون الألفاظ والأسماء ؟ لكنهم يجيبونه : متى تخفى الأسماء على القلب المستغرق في الله ؟ إنه هو الذي يعلم الأسماء كلها . . فكيف يضن على “ صفوة أوليائه بعلم كان لأحدهم “ ادم “ ؟ فإذا غاب الاسم عن الولي حينا فهو موكول بهذا الحين فحسب ، لأنه يكون في “ استغراق “ مع الله تعالى لا يرى سواه ولا يدرك إلا ما يجعله يدركه .

(2066 - 2073) يكرم الأبدال الدقوقى بأن يطلبوا منه أن يؤمهم في الصلاة لكن كيف يقوم الدقوقى بالإمامة وهو في حالته هذه أنه يطلب برهة من الزمان لكي يكون مستعدا ، ولكي تحل المشكلات التي تعن له ، والصحبة هي التي تحل هذه المشكلات وإن صدقت هذه الفكرة مع الأعيان والجماد والنبات فكيف لا تصدق مع رجال الله ، إن حبة الكرم بصحبتها وتفانيها في التراب تتحول إلى كرمة سامقة ، والروح أيضا تمتزج بالجسم لكنها من عطايا الكرم جديرة بالتحليق والطيران ولا تتخلص الذات من " القبض " أي انقباض قلب السالك من غضب الله وتصير إلى البسط (أي انبساط الخاطر والطمأنينة) إلا بأن تمحى بالكامل ، وبما أن ذات الدقوقى قد أعجبت في أصلها فقد تخلص من المادة وصار موضعا لتجلى المعنى والحقيقة . كان الدقوقى في حاجة إلى أن يصير من جنس الأبدال لكي يكون إماما لهم ومن ثم طلب هذه المهلة ، وقد وافقه الأبدال على ذلك .

(2074 - 2078) حلت إذن مشكلات الدقوقى ، ومنحه الأبدال السبعة التأييد وكلهم جلسوا للمراقبة والرحلة إلى عالم المعنى منفصلين جميعا عن ذواتهم لا خبر عندهم ولا انتباه إلا إلى الحق سبحانه وتعالى ، لقد تخلصت روح الدقوقى من محدودية الزمان ، والخلاص من محدودية الزمان هو الشباب الدائم ، ومن ثم فلا طريق للذبول والشيخوخة إلى رجال الله ، وتنجيه أيضا من ألوان التلويث أي اثار الحياة المادية ذات الألوان المتعددة وتعلقاتها ، فالصوفى الواصل من هنا يسمى في مرحلة اللون الواحد . . وإنك إن خرجت فترة بسيطة من جوف الزمان والعالم المحدود فإن حديث الكيفية والماهية سوف ينتقى تماما ويكون مأذونا لك بأسرار الغيب فالزمان مقيد بعالم المادة لا يدرك الأزمان والخروج عن قيود الحياة المادية . وإن أراد أن يعرف شيئا خارج هذه الحياة المادية فلن يظفر إلا بالحيرة (انظر الأبيات من 2937 - 2940) .

(2079 - 2085) كديدان مولانا يتدخل بتعليقاته هو من خلال حكاياته ، فالحظيرة هي ما يجتمع فيها ذوو الأجناس الواحدة وعالم البحث والسعي هو الطريق ، والمقصود أنه في العلاقة بين الله والعبد فإن كل إنسان يمضى مع من يجانسه ، والإنسان كالدابة تربطه المشيئة الإلهية بأحد هذه الحبال ، والرائض هو مدرب الخيول ، والرافض هو من يخرج عن طريق " جنسه " والقائمون " السائسون " على الحظيرة ، هم الشيوخ والمرشدون يأخذون بزمامه ويسحبونه ، والحفظة هي المشيئة الإلهية تسلب منا اختيارنا (لاختيار هو أفضل بلا جدال) ، والعيار هو مدعى الذكاء ، والحافظ هنا مقتبس من الآية الكريمةإِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْها حافِظٌ(الطارق / 4) وفي البيت رقم 2084 يقول مولانا :
إنك تنوى شيئا ما ، وتسعى فيه ، ولا تصل إلى نتيجة فما الذي قيد يديك وقدميك ، وفي البيت التالي يقول : إنك مع ذلك لا تؤمن بأن الذي فعل ذلك هو قدرة الله وتسمى هذا الأمر بتهديدات النفس ، أي مشاغل هذه الدنيا التي تضخمها النفس في نظر السالك وتجعله مشغولا بنفسه وتبعده عن الخالق (استعلامى 3 / 312 - 313) .

(2086 - 2098) يواصل مولانا حكاية الدقوقى ، لكنه يتحدث حديثه هو ، ها هم يطلبون منه أن يؤمهم في ركعتين (الفروض) فأولى أن يكون العارفون . .
المستنيرون ذوو البصيرة هم أئمة القوم ، فإن الأعمى لا يؤم المصلين وبالرغم من أنه يمكن أن يكون المقصود بالأعمى هنا أعمى البصيرة ، فإن الإشارة أيضا إلى قاعدة فقية ، وذلك لعدم اهتداء الأعمى إلى القبلة وصون ثيابه من الدنس .
وإن لم يوجد أفضل منه فلا كراهة (مولوى 3 / 286) لكن الأبيات التالية تشير إلى أن المقصود هو " أعمى الطريق " ، ذلك لأن النجس الظاهر من الممكن أن ينتفى بالغسل ، أما نجس الباطن فلا حيلة فيه وفي البيت 2096 إشارة إلى الآية الكريمةإِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ(التوبة / 28) ونجس الكافر

في باطنه ، والمقصود بالرائحة في البيت 2098 تأثير الكفر ومفاسده .

(2100 - 2110) يتحدث مولانا إلى المريدين الذين لا طاقة لديهم لتحمل المعاني العميقة ويقدم لهم الأمثال من العالم المحسوس ومن الواقع المعاش .
إنكم لو كسرتم جرة " الجسد " وتغلبتم على هوى النفس فإن ماء الفهم يسيل خارجا ويصير سلسا رقراقا ، والحواس الظاهرة التي ترد الفهم الصحيح بمثابة الأنابيب التي تهدر الفهم ويشير في البيت 2103 إلى الآية 53 من سورة النور :
لقد سمعت أمر الله تعالى : غضوا أبصاركم ، ومع ذلك فقد اعوج سيرك وسال منك ماء الفهم الصحيح ، كما أن الكلام والاستماع إلى كلام الآخرين قد يمنعان الفهم الصحيح أيضا ، وفي البيت 2105 يقصد بالثقوب الأخرى الحواس الأخرى علاقتنا المختلفة بالحياة المادية والفهم المضمر هو الفهم الصحيح وإدراك الحقائق الإلهية .
وزوال الفهم كأنه تبخر الماء . إن لم يكن هناك عوض من المطر لا نقلب العالم إلى صحراء .

(2111 - 2119) يدرك مولانا نفسه أنه أحيانا يستغرق في المعاني بحيث ربما يترك القصص دون أن ينهيها . ومن المنافذ التي تأخذ مولانا إلى عالم المعنى ذكر أشخاص من مثيل أستاذه ومرشده شمس الدين التبريزي أو حسام الدين جلبي (انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الأول) ، وهنا يذكر مولانا حسام الدين چلبى قائلا : إنه إن مدح السابقين فهو يقصد أيضا حسام الدين چلبى على أساس أن الأولياء نفس واحدة . لقد ثبت يا حسام الدين في القلب والروح ، وهما أيضا جديران بحلول من هو مثلك لأن السماء والأرض والأركان والعناصر لم تلد من هو مثلك . إن أي ثناء سقته لأحد هو ثناء لأولياء الحق . فنحن لا نمدح إلا الخير في الناس ، إنني أسوق هذه الحكايات والأمثال . حتى تأتى " أسرار الأحبة في أحاديث الآخرين " ولا يظن من هم ليسوا بأهل أنني أمدح حسن حسام الدين . والمدح أيضا مهما بلغ لا يبلغ ما هو جدير بحسن حسام الدين .

(2129 - 2133) يواصل مولانا الحديث عن أن كل أنواع المدح هي في الحقيقة مدح الله سبحانه وتعالى ، فالنور الذي يشع على جدار ليس من الجدار في شئ ، وانعكاس القمر في بئر يجعل الضال يدلى برأسه في البئر ويمدح .
وكل هذه الأحداث الخاطئة هي في الحقيقة نوع من توجيه مدح الله سبحانه وتعالى إلى غيره ، هي مثل ذلك الذي رأى شعره من حاجبه وظنها الهلال (انظر الكتاب الثاني وأيضا ماخذ / 43) .

(2135 - 2141) المقصود بالأصنام هو كل موجود سوى الله ، وفي المصطلح الصوفي “ كل ما شغلك عن الحق فهو صنمك “ ومدح هذه الأصنام كمدح الشهوة الوقتية ومن هنا فإن الميل إلى مخلوقات الدنيا ينبغي أن يكون وسيلة للتحليق نحو افاق عليا ، إن الخيال هو السبيل إلى الحقيقة ، والمجاز قنطرة الحقيقة ، والعشق الأرضي وسيلة للسمو إلى العشق الأعلى ، المهم أن توطن النفس على العشق ، المهم أن تحتفظ بهذا الجناح . ولا تعتبر نفسك واقفا على الصور الأرضية وإلا فقدت جناحك الذي تطير به إلى عالم المعنى . وكعادة مولانا يمنع نفسه من الاسترسال في الحديث ، وإن كان يطلب المهلة ويرجىء الحديث إلى موضع اخر حتى يتم قصة “ الدقوقى “ .

(2142 - 2168) يواصل مولانا الرحلة الروحانية للدقوقى (التي توقفت عند البيت 2078 ، وبعد المراقبة يصطف الأبدال للصلاة خلف الدقوقى إن تكبيرة القيام هي بمثابة ذبح النفس ، بحيث لا يبقى من النفس شئ والأضحية في الصلاة معناها إفناء النفس . فالروح تكبر تكبيرة الذبح على الجسد كما كبر إبراهيم عليه السلام تكبيرة الذبح على إسماعيل عليه السلام ، إن البسملة هي بمثابة البسملة على الذبيحة ، والصلاة بمثابة القيامة حيث يعرض الناس جميعا على الحي القيوم . وحيث موقف الحساب ويشتق مولانا من كلام الإمام على رضي الله عنه “ لا يزول قدم ابن ادم حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن شبابه

فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعما عمل فيما علم “ (جعفري 7 / 495) ثم يواصل مولانا تفسيره عن الصلاة ويعطى معاني جديدة لحركات الجسد في الصلاة ، فالأكتاف المرفوعة أمام الخالق في القيام تنوء بهذه الأسئلة الملقاة عليها “ فتركع “ خجلا ، فينادى من الحق أن ارفع رأسك ، وأجب عن أسئلة الحق ، لكنه لا يقوى على مواجهة الحق فيخر ساجدا وهكذا تمر الصلاة ما بين سؤال من الحق ، وخجل وركوع وسجود من العبد ، بحيث لا يبقى له إلا أن يطلب الشفاعة .

(2169 - 2177) إن تسليم الصلاة يعنى أن المصلى وقد أعياه السؤال يتلفت ذات اليمين وذات اليسار هيبة من الله تعالى وبحثا عمن يشفع له أو يعينه فيَيَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍفلا يجد شفيعا ولا حميما ، فكل مشغول بنفسه ، وكل انسان لا يستطيع أن يدافع عن ذنوب غيره . . ويخلص مولانا إلى تنبيه المصلى إلى هذه الإشارات الحسنة طالبا منه أن يستنتج من الصلاة بهذا التعبير الجميل : أخرج الفرخ من بيضة الصلاة : أي استخرج المعاني الكامنة في الصلاة كما يخرج الفرخ من البيضة . والبيضة هي الأفعال والفرخ هو المعاني (مولوى 3 / 299) .

(2193 - 2203) إن الشيطان نفسه ليسخر من العبد العاصي الذي لا يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء والإنابة إلا حين يدركه الغرق . وعبدة الكلاب يعنى يا عبدة النفس الكلبية ، والعلتان : أي ما سبق من نفاق وكفر ، وما يبدو من نفاق حاضر وتظاهر بالتقوى . ولو رددتم لعدتم إلى مما كنتم فيه . ويعلق مولانا : إن حديث الشيطان واضح وظاهر ولكن لا تسمعه إلا الأذن الطيبة .
ويرى بعض المفسرين أن الحديث النبوي المشار إليه في الأبيات هو من كلام الإمام علي عليه السلام “ أول رأى العاقل اخر رأى الجاهل “ (استعلامى 3 / 318) وفي البيت 2201 إشارة إلى حديث نبوي : “ الكيس من دان نفسه

وعمل لما بعد الموت " 2203 إشارة إلى الحديث النبوي " سوء الظن من حسب الفطن " .

(2210 - 2225) يقترب مولانا من " الدرس " المستفاد من الحكاية وهو أن رجال الله لا ينتبهون إلى ما يجرى في الدنيا ، ومن ثم فهم لا يدعون إلا إذا كان الدعاء من مشيئة الخالق سبحانه وتعالى ، فالدعاء من الله سبحانه وتعالى والاستجابة منه أيضا سبحانه وتعالى . فهو الذي يطلب الدعاء ويوحى بهادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْوإن أولياء الله لا يدعون ، لأن وجودهم قد فنى . فلا رغبة عندهم سواء بالنسبة لهم أو لمن سواهم ، فهو عندما يدعو لا يدرى جسمه أو روحه الفردية خبرا عن دعائه .

(2227 - 2244) المقصود بالبطل هو الدقوقى بالطبع . وأهل السفينة هم أهل هذه الدنيا . فالقدرة المعنوية لأهل الله هي قدم الثعلب ، وعلوم أهل الظاهر والتدابير الدنيوية . ومن أجل الوصول إلى الهدف عليك أن تستخدم القدم لا الذيل ، ونحن بالبحث والاستدلال والفكر نريد أن نجذب هذا وذاك إلينا ويعتقد فينا . . وهذا هو الطمع في الألوهية أي أن كلا منا يطمع في أن يكون إلها ، والحفرة المذكورة في البيت التالي هي حفرة الجهل والغفلة وهكذا أنت أيها الديوث يا من أنت في الجهل والغفلة : عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس . إنك أسير الدنيا بعناصرها المادية . وهي مؤخرة الحمار ، وأنت كالحمار لا تنظر إلا إلى مؤخرة الحمار . هذا هو كل عالمك فأين هو من عالم القلب ؟

(2245 - 2282) في رواية للأفلاكى أن مولانا وعظ أحدهم قائلا : الزم القبلات الأربعة . قال : وما هي وعلمنا أن هناك قبلة واحد ؟ . قال : القبلة الأولى هي قبلة الصلاة وهي معلومة ، والثانية السماء قبلة الدعاء ، والثالثة أولو الأمر ما أقاموا العدل وقضوا الحاجات فالله في جانبهم ، والرابعة قلوب رجال الله وهي أسمع وأرفع ، فهي موضع نظر اللَّه ، فهو مسجد الخلق كافة لأن الله هناك

(مناقب 1 / 464) ، ليس كل قلب إذن جديرا بعشق الحق ، فإن الذي يجعل نفسه فانيا في الحق كما يفنى الجزء في الكل هو الذي يصير قلبه جديرا بجذب العناية الإلهية ، " فإن الله سبحانه وتعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأفعالكم ، والقلب الذي ينظر إلى الدنيا الدنية ليس قلبا ، بل هو أشبه بالرطوبة الموجودة في الطين " الجسد " لا تصلح للوضوء ، والقلب عندما يصل إلى مرتبة " البحرية " يكون جديرا بجذب الحق ، وماؤنا أي قلوبنا وأرواحنا حبيسة في الطين " الجسد " وأسيرة في الحياة الدنيا . ويتجه مولانا بالدعاء إلى الله سبحانه وتعالى أن يخلص روحه من سجن الجسد . ولكن الله سبحانه وتعالى لا يجذب إلا القلب المتجه إليه لا القلب الذي يدعى أنه " ماء عذب " ، وهذا الادعاء هو الذي يجعل المرء محروما ويرده عن الباب ويؤذيه .

ويجعله دائما رهين الدنيا ، يحزنه مفقودها ، ويفرحه موجودها ، مع أن الخوف والفرح ينبغي أن يكونا بالله فحسب ولله . أما وأنك هكذا وتعاند وتدعى أنك من أصحاب القلوب ، ولا تبحث عن المدد من أصحاب القلوب الحقيقيين ، لأن قلبك معلق بالدنيا فهو أعمى . والقلب موضع نظر الله فهل يتفق أن يكون موضع نظر الله أعمى ؟ إياك أن تعتبر هذه القطعة الصنوبرية من اللحم قلبا ، فأي اتساع لها للعالم الأكبر وأقصى همها لذات هذه الدنيا التي هي مجرد انعكاس للذة الكلية . هذه القطعة الصنوبرية من اللحم عند الناس جميعا ، لكن القلة القليلة هي التي ظفرت بالقلب الذي هو موضع سر الله ، وبين أصبعي الله ، وموضع يتسع للحق ، هو القلب الذي يعرض عن الغير وعن الإعراض ويفنى بالحق ، يحيط بالوجود وينشر إحسانه على الجميع جودا ، لكنك مشغول كالأطفال تملأ حجرك بالحصى والحجارة وتظنها ذهبا (كليات ديوان شمس تبريز غزلية 1353 بيت 9 ص 525) فهذه المعارف ليس بالعمر وتقدم السن بل هي بالإدراك . . ولا يدركها إلا الرجال .

(2283 - 2295) عودة إلى قصة الدقوقى : والمقصود بهذه الجماعة الأبدال ، والدقوقى ، ويرى بعض المفسرين أن إنكار الجماعة على الدقوقى أن السفينة كانت في سبيلها إلى الغرق في الفناء الإلهى (!) وأن دعاء الدقوقى رد المشيئة الإلهية (!) وهذا التفسير بعيد عن سياق المثنوى الذي ينسى أحيانا لدخول مولانا في تشعبات معنوية عديدة ، فالسياق كان عن الأولياء الذين لا يدعون .
فهم - كما عبر مولانا هنا - لا يبدون الاعتراض على المشيئة . وقصة الدقوقى مع الأبدال فيها كثير من روح قصة سيدنا موسى مع الخضر عليهما السلام فهو لم يستطع معهم صبرا . وكانت النتيجة أنهم اختفوا عن نظر الدقوقى الذي كان رغم مكانته يحمل كثيرا من “ هم الدنيا ومن فيها “ . لقد صاروا في “ قباب الحق “ (أوليائي تحت قبابى لا يعرفهم غيرى) .

(2296 - 2307) تنتهى حكاية الدقوقى عند هذا الحد ويضيف مولانا عليها بعض التعليقات القصيرة ، ولعل أحد المريدين أو الحاضرين قد اعترض على تجلى الحق في صورة البشر ، ويتساءل مولانا : إنك تعترض على أساس أنه كيف يلتفت رجل الحق إلى البشر بينما هو في مشاهدة الحق ؟ أقول لك : إنك تراهم موجودات بشرية مع أنهم ليسوا كذلك . والحمار هو الذي يقف على هذا الاستنتاج ويستريح إليه . وهذا قياس إبليسى : لقد ضل إبليس لأنه لم ير من ادم إلا الطين (ولم ير النفخة الإلهية) . . وها هو يخاطب الدقوقى ، “ وكل من يبحث عن الحق “ بألا يتوقف عن الطلب ، فإن الاستجابة مرهونة بالطلب .ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ(المؤمن / 60) ومن ثم فرجل الحق ليس أقل من الفاختة التي تهدل في سيرها قائلة (كو . . كو : أين أين ؟) وهذا المثل ورد عند سنائى في الحديقة (ص 12) وفي رباعيات الخيام .

(2308 - 2311) يأتي ذكر الطلب ، فتذكر مولانا تلك الحكاية التي بدأت بالبيت 1451 وتركها دون أن يتمها ، مما يدل على أن المثنوى كان يملى بشكل

تلقائى وبنوع من الاسترسال مع المعاني ودون خطة مسبقة . فكثيرا ما يترك موضوع " حتى تنصب الحكمة من فضل الحق " كما ورد في البيت 2311 .

(2334 - 2359) المقصود أن رؤيا يوسف كانت بشارة له عليه السلام ، ومن ثم فإن كل ما كان يحدث له من بلايا مثل الجب والسجن والافتراء والتهم ، كلها كانت خطوات في سبيل وصوله إلى العرش ، مع أنها للنظر السطحي وللمنطق الإنسانى خطوات لا تؤدى إلى هذه النتيجة وقد ورد هذا التفسير في مقالات شمس الدين التبريزي ، " مثل يوسف عليه السلام اعتمادا على رؤيا سجود الشمس والقمر والكواكب استعذب الجب والسجن " (ص 48) : فلو لم يلق يوسف في البئر لما وجده السيارة ، ولو لم يجده السيارة لما وصل إلى مصر وإلى بيت العزيز ، ولو لم تتهمه امرأة العزيز لما دخل السجن ، ولو لم يدخل السجن لما وصل العرش ، وهكذا فإن بعض " ترتيبات " الإله تتناقض تماما مع " تدابير " البشر ، وهذا يشبه " لذة ألست " وبشرى " ألست " أو يوم العهد والميثاق . فالإنسان منذ أن كان في ظهور أجداده وابائه قد شهد بالإيمان وعاهد الله عليه ، ومن ثم فهو يتحمل ما يتحمله في الدنيا ألما في تحقق العهد . إنه هذا اليوم كالحلم ، كالرؤيا التي يظل الإنسان يتذكرها ، وتجعله جلدا على تحمل الشدائد والمصاعب والأثقال كما يتحمل الجمل الأحمال والنقل ، وها هو حال المؤمن في هذه الدنيا . . لكن ذلك الذي لا يذكر " ألست " يظل من المُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذلِكَ لا إِلى هؤُلاءِ وَلا إِلى هؤُلاءِ(النساء / 143) . . . وبما أن مولانا في عجلة من أمره لكي يعود إلى قصة مدعى الثور فهي يوصى السامع أو القارئ بالعودة إلى سورة الشرح ففيها من المعاني ما يكفيك في هذا الموضوع الذي أنا مدين بشرحه . فإن هذا (الشرح) المذكور في السورة الشريفة هو بمثابة شرح الباطن الذي يوصل الإنسان إلى الإيمان والعبودية الحقيقة (انظر بيت 1476 من الكتاب الأول) .

(2360 - 2370) عودة إلى القصة : فها هو مغتصب الثور يثور على صاحبه لأنه دعاه بالأعمى ، وهو يسمى هذا قياسا بقياس إبليس في موضوع السجود ، إنه قياس ليس نابعا من الإيمان ، لأن مغتصب الثور لم يتكد إلا من باب الله ولم يلجأ إلى الخلق ، وعمى العشق هو ألا يرى العبد شيئا سوى الله تعالى وإشارة إلى الحديث النبوي (حبك الشئ يعمى ويصم) وحسن المذكور هو حسن حسام الدين . إنه لم يعتبر الثور غصبا بل اعتبره مجرد استجابة من دعائه لله سبحانه وتعالى . . لقد كان يدعو ولا ينتظر سوى الاستجابة . . تماما مثل رؤيا يوسف التي كانت تدفعه وهو في أشد الظروف سوءا إلى انتظار عرش مصر من الله سبحانه وتعالى .

(2370 - 2375) لا يرى صاحب الثور أبعد من ثوره ، ولا يرى في ضراعة الرجل واتجاهه إلى السماء داعيا وحديثه العميق عن العشق إلا نوعا من الاحتيال لا يخيل عليه . . فهو بالطبع ينكر أن يكون (للدعاء) دخل في (الرزق) أو في نقل الملكية ، أنه مقيد بعالم الحس قد أعمته المادة كما سنرى .

(2391 - 2395) يعدد داود عليه السلام الأسباب الشرعية للملكية :
أهي الهبة أو الشراء أو هل أخذها لكسب على عمل أداه ؟ هل ورثها وهل يعمل له بالزراعة وأعطاه إياه ؟ وداود هنا في صورة البشرية واقف عند ظاهر الشرع يطبق القانون حرفيا ، وذلك قبل أن يلقى الله سبحانه وتعالى في قلبه النور ليعلم لب القضية .

(2403 - 2415) لقد أثر بكاء الرجل قاتل الثور في قلب داود ، وبدأ يحس أن وراء القضية سراما ، لكن كيف له بانكشاف هذا السر ؟ لا حل سوى الخلوة والصلاة ، وهكذا يكون مصداق الحديث النبوي “ وقرة عيني في الصلاة “ حيث تنفتح كوة القلب على الملكوت وتتجلى فيه الأسرار دون واسطة ، وهذا من الصفاء الذي تمنحه الصلاة للباطن ، والخطاب والمطر والنور كلها رموز عن

الإلهامات الغيبية و (معدنى) المقصود به مبدأ الوجود والأصل ، والمنزل الذي لا كوة فيه أي القلب الذي لا طريق منه إلى الخالق : " وفتح الكوة " أي تسليم القلب لله سبحانه وتعالى وفي البيت 2407 : جاهد وقم بعمل حتى تجد الطريق إلى الله سبحانه وتعالى وفي 2408 أيها العبد إنك تحب شمس هذه الدنيا وحياة هذه الدنيا والجمال الموجود وفيها انعكاس للشمس الكلية الموجودة وراء الحجاب ، وإذا انتفى حجاب العلائق الدنيوية ترى تلك الشمس وفي 2409 النور الحقيقي ليس هو النور الموجود في هذه الدنيا ، فهذا النور يراه الحيوان أيضا ، وكرامة الإنسان المذكورة في الآية الكريمةوَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ(آية 70 سورة الإسراء) تعنى أنه كرم بمشاهدة النور الكلى ، ثم يتحدث داود عليه السلام حديث أهل الحق : إن رجل الحق هو النور وهو غارق في النور ولا يرى " ذاته " منفصلة عن ذلك النور ، لكن العبادة من أجل هداية الخلق ، فالعبادة أمر في حد فهم السالكين ، لكنها ليست في المستوى الروحاني لرجل الحق ، وهي مثل الخدعة مع العدو لا بأس بها طبعا للحديث المروى عن الرسول صلّى الله عليه وسلم " الحرب خدعة " . . وينقل جلبنارلى (3 / 259) الحديث النبوي الشريف (كل الكذب يُكتب على ابن آدم إلا ثلاث ، رجل يكذب في الحرب فإن الحرب خدعة ، ورجل يكذب على المرأة فيرضيها ورجل يكذب بين الرجلين فيصلح بينهما) .
ويقول مولانا : لولا أن الله لم يأذن لتحدث داود عليه السلام بكل الأسرار ، وفي 2415 المقصود أن أحدكم أخذ بخناقه لكي يخرجه من حالة الوجد التي هو فيها ، ولكي يوقفه عن الحديث حتى يتحدث حديثا مناسبا للوقت ، وهي عادة بين العارفين إذا تم الوجد وزاد أن يأخذ عارف كامل في إيقاظ العارف الذي في الوجد " مولوى 3 / 328 " .

(2422 - 2443) ما ستره الله هو أن صاحب الثور كان عبدا لوالد مغتصب الثور ، وبعد أن قتله سلب أمواله ، وبالنسبة لتفاسير القران يعترف صاحب

الثور بهذا الذنب ، وفي الرواية أن داود رأى في النوم من يأمره بقتل صاحب الثور فلما علم صاحب الثور بذلك اعترف (استعلامى 3 / 327) لكن مولانا يفصل في القصة بما يتوافق وذوق المريدين . بحيث يطيل في اعتراض صاحب الثور على حكم داود (الملك النبي) ، وكان مولانا لم يكن يجد مندوحة في أن يعترض " متظلم " على حكم الحاكم حتى ولو كان ذلك الحاكم يجمع بين " الحكم والنبوة " وهذه هي روح الإسلام الحقيقية ، كما أن داود عليه السلام كان يعلم سر الرجل برمته ومع ذلك أراد أن ينهى الأمر " وديا " لولا أن الرجل بجهله وعناده ولجاجته في الأمر لم يكن بالذي يقبل . فأي علم لهم بما وراء الحجاب ؟
إنهم في هوى أنفسهم الظالمة فكيف يعرفون الظالم من المظلوم ؟ وهذا الموقف من الناس هو الذي جعل داود عليه السلام يقلع عن ستره على الرجل ، فإن الأمر كان يهدد بأن ينقلب إلى " فتنة " فها هم الناس بدورهم يعذلون داودا عليه السلام .

(2454 - 2473) الفسقة والعجزة هم الذين يفضحون أنفسهم ويعلنون جرمهم على الملأ لأن الله سبحانه وتعالى عندما يسترهم فإنهم يمدون في طغيانهم وفسقهم وفجورهم ، بحيث لا يبقى طي الكتمان وبحيث يستشرى ولا يمكن إخفاؤه والشهود موجودون ، وتشهد اليد والقدم واللسان في الآخرة فقط بل وفي الدنيا أيضا . عندما يعمينا الغضب تكون فرصة الضمير أن يأمر اللسان بأن ينطق ، بل إن الظلم والقسوة التي نرتكبها تأمر الأيدي والأقدام بأن تتحدث وتفشى . وشاهد السر هو الضمير الذي يمسك بزمام الإنسان ويدفعه إلى إفشاء سره بنفسه . فإذا كان هذا الأمر في الدنيا فما بالك بالآخرة ؟ إن الله سبحانه وتعالى يستطيع أن يوكل بك من داخلك من يشهد عليكالْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أَفْواهِهِمْ وَتُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ(يس / 65) إن جوهر الظالم شديد الوضوح ونفسه النارية تشهد عليه أنه ماض إلى النار .

ومثاله ذلك العنود اللجوج العاصي الذي ستر الله عليه ، وأبى إلا أن يفضح نفسه . لقد قام بكل هذا العناد من أجل ثور . ففقد كل ماله وروحه . لقد فعل ما فعل بينما كان غلاما لا يعقل ، ولو كان قد تاب واستتاب ودفع دية قتيله ، وطلب من الله سبحانه وتعالى أند يدفع الدية لأنه " عاقلة " كل القاتلين خطأ منذ يوم ألست " والدية على العاقلة " فحوى حديث نبوي والعاقلة هم أقارب قاتل الخطأ من ناحية الأب وعند الشافعي - رضي الله عنه - قبيلة القاتل وعشيرته (انقروى 3 / 402 - 403) لقد كان در الاستغفار والضراعة والاستنابة كافيا لغفران الله ورحمته وستره .

(2488 - 2505) إلزامه الحجة : أي إثبات الجرم عليه ، وفي البيت 2490 الدم لا ينام أي لا يبقى الجرم خفيا ، ويفسر في الأبيات التالية كيف يكون هذا :
إن عدالة الله توحى للناس أن يتساءلوا عما حدث وأن يتحيروا وبهذا يظل الدم يفور ، وفوران الدم هو عدم بقاء الجرم خفيا ، وهكذا يسجد الناس لداود متذكرين بهذه المعجزة الجديدة معجزاته السابقة بما يطابق الآيات 247 - 251 من سورة البقرة ، معجزة الحجارة الثلاثة التي كلمت داود وهو راع يرعى الغنم قائلة له خذني من أجل غزو جالوت فحملها في مقلاعه وفتله ، وصنعة الدروع ، وتأويب الجبال ، وهبة الحياة الخالدة أي الحياة الباطنية والروحانية التي هي باقية ببقاء الحق ، ونفس المعنى هو المقصود من " الحياة الأبدية " - وحين يموت الظالم تحيا الدنيا ولا يعبد أحد إلا الله بعد الضلال وعبادة الطواغيت ، فالظلم كفر على أساس أنه يؤدى إلى الكفر وإلى الشرك بالله (مناقب العارفين 1 / 23) .

(2506 - 2527) هكذا تنتهى القصة ، ويقدم مولانا الدروس الصوفية المستفادة منها أو المستوى الصوفي لها والمراد بالبيت 2506 أن فناء " الذات " يؤدى إلى الوجود الحقيقي وفي تلك المرحلة " الدنيا " حياة باقية ببقاء الحق والمقصود " بالسيد " الروح الباحثة عن الحق في الإنسان والذي ينبغي أن

تكون " النفس " " أمة " لها . . والبيت مناظر للآية الكريمةفَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ(البقرة 54) فهذا القتل الباحث عن الله ينبغي أن يكون غالبا ومسيطرا على " ثور الجسد " أما الرزق الذي لا تعب فهو الأرزاق - الإلهية والمعنوية التي أعطيت للأنبياء والوصول إلى إلى هذه الأرزاق منوط بصفاء النفس والكنز هو التوفيق في الوصول إلى هذا الرزق ونحن لا نزال في الحياة الدنيا ، ويشير مولانا في بعض الأحيان إلى أن المعاني لا تطيعه فلا بد أنه " أكل شيئا " على أساس أن الطعام يمنع من حدة الذهن ، ثم يعود فيقول : إن الأمر ليس مرتبطا بطعام أو شراب لكنها مشيئة الله سبحانه وتعالى " وحسان العيون " أي أولئك الذين لديهم بصيرة الباطن ، وهؤلاء لا يتعلقون " بالأسباب " لأن فوق الأسباب أسبابا أخرى ، وهم لذلك قائلون بقطع " الأسباب " أي الإيمان بأن هناك أسبابا أخرى تحرك أسباب الدنيا ، وإلا فإن كل معجزات الأنبياء لا علاقة لها بأسباب الدنيا : وفي البيت 2521 : إشارة إلى ما روى عن إبراهيم الخليل عليه السلام ، إنه ذات يوم أخذ النمرود في توزيع الأرزاق على الجميع ما عدا إبراهيم فتوجه إبراهيم إلى الله تعالى طالبا منه الرزق ، ثم ملأ جواله بالرمل عند عودته إلى المنزل ، فحول الله الرمل إلى دقيق خبز منه أهل البيت ، ووجد إبراهيم عليه السلام الخبز جاهزا في الصباح (ماخذ / 110) وفي الشطرة الثانية إشارة إلى تحول الصوف إلى وبر في يد موسى عليه السلام وزوجه بينما كان يغزلانه (ماخذ / 111)

أما سنابل القمح دون زراعة فهي إشارة إلى مائدة عيسى عليه السلام ، وفي البيت التالي إشارة أبى لهب ليس المقصود بها الشخص المعروف بل هي هنا علم الكفار ومنكري المعجزة عموما ، وفي البيت 2523 إشارة إلى واقعة محاولة أبرهة هدم الكعبة على ما ورد في سورة الفيل ، وفي 2524 يحلق عاليا أي يسير في عالم الغيب ويأخذ أمره من الحق وإلهامه فيجندل الحصى الصغير الفيل الضخم وفي البيت 2527 إشارة

إلى معجزة لسيدنا موسى عليه السلام الواردة في الآية 67 فما بعد في سورة البقرة حيث أمر الله تعالى بذبح بقرة ثم ضرب القتيل بذيلها حتى يحيا ويدل على قاتله (انظر كفا في : الكتاب الثاني من المثنوى ص 151 - ص 152 والتعليقات 475 - 476 من نفس الكتاب) وكل هذه دلائل تدعو إلى رفض الأسباب وقطعها .

(2528 - 2538) ما زال مولانا يتحدث عن قطع الأسباب ، إن هذا الأمر ليس موكولا بالعقل الذي يكشف عن الأسباب والعلل ، أو العقل الدنيوي أو العقل المزايد ، والإدراك هذه الحقيقة هنا طريق واحد : العبودية المحضة دون استدلال ، فالفلسفى هو أهل الاستدلال والمنكر للحقائق الغيبية فهو أسير للمسائل العقلية والاستدلالية ، لكن الصفى ذو عقل اخر ، إنه عقل العقل الذي يستمد مداركه من منبع النور والضياء ، فالعقل الدنيوي قشر والقشر لائق بالحيوان والإنسان أجدر باللب ، والقشر باحث عن البرهان ، واللب أو عقل العقل باحث عن اليقين ، والعقل الظاهر همه في تسويد الكتب بالأبحاث والمقالات ، والجدل لكن العقل العارف يمضى في نور من مئات الأقمار والمواجيد الإلهية ، والأسود والأبيض كناية عن مظاهر العالم المادي ، وقيمة كل ما هو موجود في العالم المادي بقدر النور الذي يسطع عليا من عقل العقل ، وكذلك أرواحنا الإنسانية في قيمتها بقدر تقلبلها للنور ومن هنا فالكافرون موتى (ص / 30) لأن أرواحهم بلا نصيب من هذا النور .

(2539 - 2552) هنا يحس مولانا أن كلامه باق للأجيال ويستحث نفسه للحديث فكلامه هذا سوف يبقى “ رفيقا للباحثين عن الحق “ كما أن التوراة والإنجيل كانا قبل القرآن مصدقين للقرآن ومؤيدين لهوَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ وَجاءَكَ فِي هذِهِ الْحَقُّ(هود / 120) هذا هو الرزق الذي بلا تعب فخذه ، إنه الأرزاق المعنوية والغيبة التي تصل إلى رجال الحق

(انظر الأبيات 2509 - 2513) . . إنها تؤدى نفس ما يؤديه الخبز ، هي الخبز الذي بلا مائدة يهبه الله لأوليائه فحسب ، وهي لا تتأتى بالكدح في الدنيا ، بل يعطيها الشيخ لمريديه ، وهو يشبه الشيخ بالنبي داود عليه السلام هو العادل كداود (كما ورد في القصة المذكورة) ونفس داود : هو النفس الروحاني لرجل الحق المستند على العلم الإلهى . إن نفس الشيخ هي بمثابة زمردة التي تعمى عين الأفعى (في المأثور الإيراني أن الزمرد يعمى عين الأفعى) .

(2554 - 2571) يعود مولانا إلى مطابقة أفكاره بالرموز الواردة في القصة فكما كان صاحب الثور كاذبا مرائيا فإن النفس أيضا كاذبة مرائية ، إنها تخدع المدينة بأجمعها إلا الملك (الشيخ ، المرشد ، داود) ، إنها لا تستطيع أن تتغلب على العقل إلا إذا وجدت مجالا في وجودك وبقي عقلك غريبا ، هنا تكون كالكلب الذي يبدو على باب صاحبة أسدا (مثل فارسي عامي) لكن الأسود الحقيقيين هم سالكو طريق الحق ، واجمتهم هي حضور الشيخ ، والعوام في المدينة لا يعلمون مكر النفس ، وليس لها إلا القلب غريما والعوام جميعهم على صلة بالنفس بشكل أو بأخر يصاحبونها ويبتغون هواها اللهم إلا الشيخ فهو ليس من " جنس " النفس وليس رفيقا لها ، " وكل من يرفعه الله عن مرتبة النفس ويوصله إلى مرتبة القلب لا يصبح بعد من جنس الجسد " ومراتب الكمال المطروحة هنا هي اللطائف السبعة أو الأطوار السبعة " الطبع ، النفس ، القلب ، الروح ، السر ، الخفي ، الأخفى " وهي المراتب التي يقطعها الإنسان ليصل إلى " مقام القلب " وليس هذا لكل إنسان ، بل للصفوة ، لأن معظم الناس مرضى من السير وراء العلل والأسباب ، ومن ثم فهم يميلون إلى كل خسيس ظانين أن النجاة في يده ، غافلين عن أنه كالصياد الماكر يصفر للصيد حتى يسقط في شباكه ، إن المطلوب هو الهرب من مثل هذا المدعى ، الذي لا تعرف ضحيته نقده (أي إدراكه المستقيم) من نقله (أي ما ينقله عن الأخرين ويدعى أنه وصل إليه

بجهده هو) المفروض الهرب منه مهما بدا " معنويا " أي مهما بدا عالما بالمعاني ومهما تشتدق بالمعاني ، فإن النجاة على يديه هي عين الأسر ، واليقين الذي يتأتى منه هو الشك بعينه ، ومهما كان المرء ذكيا . إن لم يميز " المدعى " من " الحقيقي " فهو أحمق ، ومن الخير أن تفر من الأحمق .

(2572 - 2601) بما أن الحديث يدور عن الحمق والغواية وغلبة هوى الأحمق ونفسه عليه يسوق مولانا حكاية عن سيدنا عيسى عليه السلام ، وكيف فر من الأحمق رغم أنه كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى لأن :لكل داء دواء يستطب به * إلا الحماقة أعيت من يداويهاوالحكاية وردت عند الزمخشري في ربيع الأبرار وكتاب يذكر فيه حماقة أهل الإباحة للغزالي (ماخذ 112 - 113) والأبيات فيما بعد تعتمد على ما روى من معجزات عيسى عليه السلام في القران الكريم وكتب التفاسير وسير الأنبياء وفي البيت 2590 قول منسوب إلى عيسى عليه السلام " ما عجزت عن إحياء الموتى كما عجزت عن إصلاح الأحمق " وتنتهى القصة بأن هرب عيسى عليه السلام لم يكن خوفا ، فهو امن بالله سبحانه وتعالى ، لكنه هرب لكي يعلمنا أن نهرب من الأحمق .

(2602 - 2613) الحمق هو سبب الكفر ، وهو ليس مقصورا على الأفراد بل قد يكون مرضا جماعيا عند أمة من الأمم ، ويكون منشأه الوصول إلى درجة عليا في الحياة المادية ، وهدا أشبه بما يقال عن نمو الحضارات ووصولها إلى المراتب العليا من الناحية المادية فيغيب الإيمان ، ويتجرأ الناس على الخالق ، فيكون الانهيار المادي نتيجة للانهيار الروحي ، وقد التقط مولانا نموذجا لهذه النظرية من القران الكريم ، حيث قدم قوم سبأ مثالا على الفراغ مع عدم الإيمان والذي يعقبه الانهيار ، وقد بدأ مولانا القصة في البيت 282 ثم تركها إلى البيت

364 ثم تركها ليعود إليها هنا عندما جاء سياق الحديث عن العلاقة بين الحمق والكفر ، ويقدم مولانا فيما بعد نماذج عن نزول الأنبياء في قوم أثقل الترف نفوسهم وختم على قلوبهم وأبصارهم فجرأهم على الجدل وأفشى بينهم المنطق الأرضي فختم الله على سمعهم وعلى أبصارهم وعلى قلوبهم غشاوة فهم لا يعلمون . وفي البداية يقدم مولانا مفارقة عن طريق قصة من قصص الأطفال . .
وكم في قصص الأطفال من عبر ومواعظ ، فكأن سبأ بكل ما فيها من فراغ هي البلدة التي وردت في قصة الأطفال التي يسوقها ، وكأن أهلها قد تلخصوا في هؤلاء الأشخاص الثلاثة الذين يرمزون إلى ما في البشرية من داء عياء ، وكأن الله سبحانه وتعالى أجرى على ألسنة الأطفال وهم صغار العقول ما يدل على هؤلاء الحمقى الذين بلغوا الغاية من الترف المادي ، ويرى يوسف بن أحمد أن المراد بالبلدة الإنسان وسكان المدن العشرة هم الحواس الخمسة الظاهرة والخمسة الباطنة والخلق هم القوى الجسمانية والتقوى الروحانية والأعمى حاد البصر هو الحرص وسليمان الحقيقة ورجل النملة الدنيا ، أما الأصم حاد السمع فهو الأمل والعريان الكاسى هو حب المال والطير السمين النحيل هو الدنيا ، أكلوا منه وهو ميتة مصداقا لقول الرسول ، :
" الدنيا جيفة وطلابها كلاب " وظنوا أنفسهم قد تضخموا لكنهم مضوا من فرجة باب الموت وهي خفية وظاهر والزفاف هو الموت لأنه عودة الروح إلى أصلها (منهج 3 / 351 - 353) ، وهناك تفسيرات أخرى ستأتي خلال عرض الأبيات .

فالمدينة العظيمة الواردة في البيت 2604 هي الوجود المادي وهو في نظر أهل الدنيا عظيم جداً وضخم في حين أنه في نظر أهل الحقيقة صغير جداً لا يعدو حجم الفنجان وفي البيت 2608 تبلغ بنا هذه التناقضات إلى أن أفراد الكائنات في هذه الدنيا بلا وجود حقيقي ، وهو مع هذه الكثرة لا شئ ، ماله وجود هنا هو الشهوة والحرص والغرور أو الادعاء وهم لم يغسلوا وجوههم أي ليسوا جديرين

بحضرة الحق سبحانه وتعالى ، وفي البيت 2609 يعود فيقول : إن الخلائق على كثرتهم لا وجود لهم فالحرص والشهوة والغرور تظهر أنفسها منهم في كل أن ، 2610 فكل هذه النفوس لو أنها لا تسير إلى الله فهي لا تساوى لو كانت آلاف فهي لا تساوى نصف شخص وفي 2612 يصف الشهوة التي تسمتع إلى كلام أهل الدنيا جيداً لكنها صماء عند سماع أسرار الغيب ، ولا يساوى سمعها الحاد شيئاً . أما في البيت 2613 فالعارى هو الغرور أو المغرورون يظنون أنفسهم يملكون كل شئ لكن كل ما لهم لا يمكن أن يكون لباساً فوق الروح الباحثة عن الله تعالى هو فقط ذيل سابغ للثوب يعوق السير إلى الله (استعلامى / 334) .

(2614 - 2619) في هذه المدينة العظيمة التي لا تعدو فنجانا صغيراً في نظر أهل الحقيقة فإن الحرص والشهوة والغرور يتحدث بحديث لا علاقة له بالواقع وهو من نتاج الخيال الباطل عندها ، وهي تستمع من أنفسها لهذه الأباطيل وتصدقها وتخاف وتهرب من المدينة .

(2620 - 2629) إن الحرص والشهوة والغرور ، هي رفاق تخاف من كل شئ بل يخاف كل واحد منها من الآخر ، تفر من مكان إلى اخر ، لكن ما تجده في الحقيقة لا شئ ، فالمدينة هي الأوضاع المساعدة في هذا العلم ، وهؤلاء الأصدقاء الثلاثة يهربون منها إلا ما لا يساوى قربة ، فالطير السمين هو لذات هذه القرية وهو يرضى الأصدقاء الثلاثة لكنه لا يزيد عن جلد وريش وعظامه أشبه بالأغصان الجافة ، واللذة التي تحدث من طيبات " المدينة العظيمة " كلها باطلة ، ومع كل هذه " السمنة " المتخيلة المظنونة يعبر الأصدقاء الثلاثة من طريق الموت بسهولة ، وكم يمر به من حفلات الزفاف أي انتقال الروح من غربتها إلى موطنها الأصلي .

(2630 - 2635) يفسر مولانا في هذه الأبيات رموزه أن هؤلاء الأشخاص

الثلاثة هم : الشهوة وهي صماء والحرص وهو أعمى والغرور الذي يخشى أن يسلب ثوبه بينما في الحقيقة عار ، ثم يقول : إن الشهوة معنا حتى الموت دون أن تعلم أنها هي نفسها إلى موت ، والعاري : هو ادعاء الإنسان الأجوف الذي يظن أن لديه ما يسلب ويخاف عليه من كل الناس ، ورجل الدنيا هو من يتصف بهذه الصفات الثلاثة .

(2636 - 2643) إن الروح لتضحك عندما تسمع النواح عند الموت لأنها تعلم أن الموت هو تحرر للروح من الحرص والشهوة والغرور وفي البيت 2638 يشبه التعلق بالدنيا عندنا بحالة طفل يملأ حجرة بقطع الفخار والحصى وهو مثل تردد كثيراً عند مولانا (أنظر 2245 - 2282) ويستخدمها في ألعابة كفضة وذهب ، وهكذا هو فلا دثار له من العلم ، وهكذا أيضاً يكون الغنى الذي يظن نفسه مالكاً لما في يده بينما هو في الحقيقة مستخلف فيه مبتلى به لينظر الله تعالى ماذا يكون سلوكة فيما استخلف فيه ، فأهل الدنيا في نوم الغفلة ، وشاد الأذن “ هو القدرة الإلهية توقظنا من حلم الدنيا “ (انظر تعليقات البيت 1735 ، الدنيا كحلم النائم) .

(2644 - 2658) لقد مر الحديث عن المدينة العظيمة جداً التي تبدو هكذا لأنظار أهلها لكنها لا شئ ، وعن أهل هذه الدنيا المفلسين الخائفين من اللصوص كالأطفال الذين يملأون حجورهم بالحصى ، ويتحدث هنا عن علماء الدنيا : وهو يسخر منهم بأنهم “ عقلا ذوو فنون “ ، ومن هنا قال عنهم الله تعالى : أنهم لا يعلمون . . إن هؤلاء يشكون دائماً من الناس ويقول أحدهم : إنهم “ يسرقون وقتي “ في حين أن وقته كله لا نفع فيه ، إنه أشبه بالعريان الذي تؤرقه الخشية من سرقة ثوبه ، إن علمه كله خارج ذاته ، ماذا يجديه أن يعرف مئات الآلاف من الفصول دون أن يعرف نفسه ؟ ماذا يجديه لو عرف خاصية كل جوهر وهو لا يدرى شيئا عن جوهره هو ؟ وعلماء الشرع هؤلاء علماء الظاهر الذين يفنون

الوقت في الجائز أو غير الجائز دون أن - يدرى أحدهم ، هل هو نفسه جائز أو أنه في حضرة الحق شيخ مهدم فان لا يتأتى منه أي شئ . . وعالم النجوم الذي يعرف مطالع السعد ومطالع النحس دون أن يعرف هل هو جدير بحضرة الحق أم لا وروح العلوم كلها هو معرفة النفس : لأن من عرف نفسه فقد عرف ربه ، ومعرفتك لنفسك أهم من معرفة الأصوليين “ أصول الفقه وأصول الكلام “ ومعرفة النفس أهم ، لأن فيها النجاة ، فقلل من فخرك بالعلوم الظاهرة ، وتدرك قيمة اللامتناهى في الحقارة أمام اللامتناهى في العظم وهذا هو لب المعرفة .

(2659 - 2670) يعود مولانا إلى قصة أهل سبأ : بدأها في البيت 282 ثم تركها ، ثم عاد إليها في البيت 2602 وتركها وها هو ذا يعود إليها والمقصود من يفرون من أسباب اللقاء : أي السبل الموصلة إلى معرفة الحق ، ويعدد مولانا فيما بعد ذلك من أسباب مظاهر الغنى عند قوم سبأ على ما ورد في كتب التفاسير ويضيف إلى أن النعمة لم تكن نعمة مادية فحسب ، بل كانوا إلى جوار ذلك يتمتعون بالنعمة الثانية وهي نعمة “ الأمن “ فما فائدة الغنى إذا كان المرء غير امن على نفسه أو ماله ؟ وفي الإسلام نعمة المال مقرونة دائماً بنعمة الأمن “ أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف “ ثم يمنع مولانا نفسه عن الاسترسال في الحديث عن نعم القوم ، لأن هذا قد يمنعه عن الحديث في الموضوعات المهمة وبخاصة أن الأمر الإلهى ورد بلزوم الاستقامة ، والاستقامة هي القصد .

(2671 - 2678) حدد عدد الأنبياء الدين جاءوا إلى سبأ بثلاثة عشر نبيا بناء على رواية أبى الفتوح الرازي في تفسيره ، والنعمة والشكر مرتبطان أشد الارتباط ، فلا نعمة بلا شكر ، ولا شكر بلا نعمة ، وإلا فغضب الله سبحانه وتعالىلَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِي لَشَدِيدٌ(إبراهيم / 7) وهؤلاء المرفهون يحسون علل النعمة الذي يسلب منهم الشكر عليها والغول في مصطلح مولانا هو الذي يضل المرء في بيداء الغفلة ولا يزال يناديه بصوت يشبه صوت صديق أو حميم حتى يضله “ أشبه بالنداهة في المأثور الشعبي المصري “ . . لقد بلغ بهم الملل مبلغه بحيث إن النعم المتصلة لم يعد لها طعم في

أفواههم ، وبحيث ضلوا عن منبعها وفي الأبيات بعض ما ورد في تفسير أبى الفتوح الرازي ، " كفروا وقالوا لا نرى لله نعمة علينا ، ولو كانت النعمة منه ، قولوا له أن يأخذها منا " (ماخذ / 113) .

(2679 - 2690) من هنا فصاعدا يطرح مولانا مناقشة قوم سبأ للأنبياء ومن خلالها أيضاً يسوق مولانا الحديث إلى مريديه ، ويدور الحديث هنا عن الروح المريضة التي لا تجد في نفسها ميلا إلى الحق ، والتي طمست النعمة والرفاهية الجسدية طرقها إلى السمو والعلو ، فهي تزهد ما في يدها ، وتتوق إلى ما ليس في يدها مهما كان تافهاً وحقيراً ، فهي من مرضها تظنه عظيماً ، هو الشذوذ إذن الذي تبتلى به النفوس التي عبت من الرفاهية والرخاء ما شاء لها أن تعب حتى لا ينقلب الموت إلى حياة ، إذ لا تجد هذه الروح المريضة شيئاً تدمره فتدمر نفسها . . فكل ما تحصل عليه ينقلب داخلها إلى أداة تدمير ، وكل ما يصل إلى يدها تزهده وتتوق إلى ما وراءه ، هي إذن تلك الحمى التي تنتج من اعتبار المادة هي غاية المنى ومنتهى الأمل ، أترى مولانا كان يستشرف من خلال قصة قوم سبأ ما نشاهده الآن من أمراض في الحضارة الغربية يرى اشبنجلر بفكرة المصير بدلًا من العلية ، إذ إن المصير يعبر عن جزع الروح لما يهدد جوهرها أو كيانها أو تفاعلها ، من أجل إثبات الذات وفي ذلك تعبر عن الحياة ولا يمكن إدراك فكرة المصير إلا بالتجربة الحية فلا يمكن تعرفها بمنطق العلم ، ولا يعبر عن سياق التاريخ في نظر اشبنجلر إلا غير المصير ويسرى على الحضارات ما يسرى على الكائنات العضوية تنبت وتنضج وتذبل وتفنى ، وأهم ما في نظرية اشبنجلر مما ترهص به أفكار مولانا أن القوة الروحية أساس رئيسى من أسس الحضارة وإن للحضارة إمكانات خارجية وإمكانات باطنية وحين تبلغ الحضارة غايتها خارجياً ينضب دمها وتتحجر قواها ، وخريف الحضارة هو فترة مدن باقية وتجارة منتشرة وملكيات مركزية وفيه يبدو انحلال الدين وفقر الحياة الداخلية ، كما أن العقلانية والتنوير علاقاته بظاهره ثم تنحدر الحضارة إلى الشفاء الذي يتمثل في ذبول الإبداع الفنى والذهني وموت الدين وظهور

الشك والمادية المفرطة وعبادة العلم بقدر فائدة العلم وهي أمور يبديها مولانا هنا في مناقشة أهل سبأ للأنبياء وشكهم وظهور الملل من الترف المادي الزائد .
" لآراء اشبنجلر أنظر : مصطفى النشار : فلاسفة أيقظوا العالم 307 - 323 (القاهرة دار الثقافة 1981) وأنظر أيضا عبد الرحمن بدوي : اشبنجلر القاهرة النهضة المصرية طبعة 1945 م - واشبنجلر : تدهور الحضارة الغربية - الترجمة العربية لأحمد الشيباني : الجزء الأول : دار مكتبة الحياة :
بيروت - بدون تاريخ " .

(2691 - 2701) يدور الحديث حول نوعين من العلاقة : أحدهما بين عقلين طالبين للكمال ، وفيها الصفاء والنور المعنوي ، وهي تتوطد وتزداد أو اصرها بمرور الوقت ، هي " الولاء " والثانية بين النفوس الإنسانية تقوم على أسس مادية وهي تقل لحظة بلحظة ، وعندما تكون النفس مريضة تفسد العلاقة وتسوء المودة ، وفي هذه الحالة تسمم كل ما تلمسه بيدك حتى الفنون وحتى الشعر يبدو لك كل ما تقوله ثقيلا ممجوجا مبتذلًا " ميل الحضارات في أفولها إلى كل غريب وعجيب من الفنون مللا من كل ما هو سائد " وكل هذا من العلة والمرض - فإن شفيت من العلة والمرض ، أي التخمة وعبادة المادة ، فإن كل قديم سوف يبدو أمامك جديدا سوف ينقلب الوجود إلى جمال في عينيك . انظر إلى الجذر القديم في الحفرة : أليست تنبت منه في كل أن أوراق خضراء وبراعم وزهور ؟

(2702 - 2711) إن الأنبياء والأولياء أهم أطباء هذه العلة ، وهم الذين ينشق البحر لهم (إشارة إلى معجزة موسى عليه السلام) وهم غير الأطباء الطبيعيين الذين يعرفون أحوال المريض عن طريق النبض ، لأنهم ينظرون إلى القلب دون واسطة " واعلم أنه كما يقال في الطبيب إنه خادم الطبيعة ، كذلك يقال في الرسل والورثة إنهم خادموا الأمر الإلهى في العموم . فالرسول والوارث طبيب أخروي للنفوس منقاد الأمر الله حين أمره فينظر في أمره تعالى وينظر في إرادته تعالى فيراه قد أمره بما يخالف إرادته ولا يكون إلا ما يريد ولهذا كان

الأمر ، فأراد الأمر فوقع " محيي الدين بن عربى - فصوص الحكم - 97 - 98 شرح أبو العلا عفيفي - دار الكتاب العربي ببيروت - بلا تاريخ " تاريخ المقدمة 1946) ، لأن لديهم فراسة من الحق سبحانه وتعالى ، أولئك هم أطباء الغذاء وعلل الجسد ، أما الأولياء فهم أطباء الفعال والمقال ، وهم يعالجون بنور الله سبحانه وتعالى ، أولئك يلاحظون البول ويستنتجون منه ، وأما هؤلاء فوسيلتهم إلهام الله تعالى وهم لا يريدون أجراإِنْ أَجرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ(هود 29) . . وهم يدعون إليهم المرضى . وليسوا مثل الآخرين يذهب المرضى إليهم ، فإن مرض القلب مستتر حتى على صاحبه .

(2712 - 2734) إن المنكرين في كل عصر وزمان لا ينظرون إلى هؤلاء الأطباء من الأنبياء والأولياء إلا نظرتهم إلى كل إنسان أنه جسد " يأكل الطعام ويمشى في الأسواق " ولا فرق هناك بينهم وبين غيرهم من المرضى ، " " فليرعوا " إذن في هذا المرعى " ويعيشوا " دون أن تشغلهم هذه الأمور ، إن المتعة جاهزة فلماذا لا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ؟ ويرد الأنبياء : إن كلامكم هذا هو ناشىء من العلة ، إنهم لا يرون جوهر النبوة ، وهذا من العمى ، إن الشمس هي الدليل على وجود الشمس ، ولو تحدثت لقالت لك : انهض لقد طلع النهار و " الصباح أغنى عن المصباح " . وكل من يطلب في الصباح مصباحا إنما يقدم الدليل على عماه . فإذا كنت لا ترى لكنك تظن أن هذا الكلام حقيقي فاسكت حتى يأتيك الفضل من الله سبحانه وتعالى ، فالصبر والصمت سبيلان إلى الرحمة . فإذا كنت في أثر الدليل فمعناه أنك عليل ، واستمع وانصتوَإِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَضح بمالك وبروحك أمام رجل الحق حتى لا تنتكس ، وضح بنفسك وبعلائقك في سبيل الطريق إلى الله ولا تنبس ببنت شفة ، فإن رضى هؤلاء الأطباء عنا ، فسوف نعرف " أنفسنا " وأننا " لا شئ " أمام عظمة الوجود ، هؤلاء الأطباء لا يشفون الناس من لدن أنفسهم أو الجانب البشرى فيهم ، بل هي هداية من الحق .

(2735 - 2755) يرد المنكرون : ما هذا إلا مكر واحتيال ، فمتى ينيب الله عنه بشرا عاديين ، ونائب الحق ينبغي أن يكون من جنسه لا من الماء والطين ؟
أين أنتم من الله ؟ وأين البعوضة من العنقاء ؟ وأين الهباء من الشمس ؟ إن هذا أشبه بما ورد في كليلة ودمنة من قصة الأرانب والعين التي كان القمر يظهر فيها ، وكيف احتال الأرانب لإبعاد الفيلة ، وكيف أن أحد الأرانب ادعى أن رسول القمر الذي في البئر إلى ملك الفيلة وكيف أن صورة القمر في البئر واهتزازها من اهتزاز الماء قد خوف ملك الفيلة فجلوا عن العين ، وها هم المكرون يقولون :
نحن لسنا من الذين يخافون من وهم (يقول الملحدون المعاصرون كالقدماء تماما : إن الإيمان بالألوهية نوع من الوهم باق من طفولة البشرية) .

(2756 - 2759) يقول الأنبياء : إن الدواء الذي قدمناه لكم والنصح الذي نصحناكم به لم يؤثر فيكم ، بل إن طبيعتكم الكافرة الملحدة قد حولته إلى سم ، وهكذا العلة .
وهذا هو من غضب الله عليكم . إن نبوتنا لا تأتى منكم ، نحن كالبحر وأنتم كالسفين .
وهل يشرف البحر من السفين المليء بالبعر وهو بحر مليء بالدر ؟ ! أي أن الرئاسة التي تتأتى منك ليست أمرا مشرفا .

(2760 - 2774) يستمر كلام الأنبياء مع أهل سبأ ، لكن الواقع أن مولانا يتحدث إلى مريديه . . ويتأسف من عين الظاهر التي لا ترى نور شمس الحقيقة إن هذا كعمى إبليس اللعين الذي لم ير من آدم إلا قبضة من الطين فقال أنا خير منه ، وعين هذا المجنون هي التي أضلته ، فألقى حكما هو نابع من خلقته هو ومن أصله هو ، ومن إدباره وسوء حظه ، لقد واتاه الحظ مرة واحدة فتحول عن

طريقة . لأنه كالعنين الذي يصل إلى حبيبه . وما من سبب لهذا ، لا العين ولا الرأي ، بل هو الحرمان ، هو قضاء السوء ويعود الأنبياء للحديث مرة أخرى موجهين الكلام إلى المنكرين من أهل سبأ : ليس السبب هنا أنكم غير مقتنعين بنا ، ولكن السبب في أن اللعنة قد حلت بكم لأنكم عكفتم على أصنامكم (ذواتكم ورفاهيتكم ونفوسكم المريضة) فإذا كنتم قد اعتبرتم هذه الأصنام آلهة لكم ، فكيف تنكرون أن يكون موضع العقل والروح موضع سر الله ؟ لقد أنكرتم على البعوضة الحية أن تكون موضع سر العنقاء ولم تنكروا ذلك على البعوضة الميتة (دنياكم وأصنامكم) ، ألأن البعوضة هي من صنعكم أما البعوضة الحية فمن صنع الله ؟ إذن لقد وضح الخفاء : إنكم لا تعبدون الله ولا تعبدون الأصنام ، بل أنتم في الحقيقة تعبدون أنفسكم وتعبدون ما تصنعونه أنتم . إنكم تعتبرون أنفسكم آلهة . إن صنع الله حتى في خلق " بعوضة " جدير بالتمجيد والتحميد .

وما عبادتكم لأنفسكم إلا كما يدور ذيل الحية حول رأسها . ولا في الذيل أو في الرأس أية فائدة ، لكنهما من جنس واحد . فالتافه غالبا ما يميل إلى التافه . وهذا يشبه ما ورد عند الحكيم الغزنوي (سنائى الغزنوي " الذي يقول في الحديقة :
اجعل الفضول خارج هذا الموضوع فإن أذن الحمار مناسبة لرأس الحمار (حديقة الحقيقة البيت 403) فقلل إذن الكلام هنا ، فإن المنكرين إنما ينكرون سوء القضاء ، ولا يستطيعون أن يقولوا أكثر من هذا ، وهذا القضاء مناسب لهم (2775 - 2785) إن القضاء مناسب لما نحن جديرون به ، هذا كما تتناسب الأعضاء مع الأبدان ، وكما تتناسب الأخلاق والطباع مع الأرواح ، والله سبحانه

وتعالى هو الذي يضع الصفات الحسنة والصفات القبيحة للأرواح ، لقد (أعطى كل شئ خلقه ثم هدى) (طه / 50) وفعل الحق كفعل الرسام يرسم الصور الحسنة والصور القبيحة كلها تدل على أستاذيته . (انظر : الكتاب الثاني - الأبيات 2546 - 2550) ، وفي البيت 2779 إشارة إلى الحديث النبوي : “ إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء “ وفي المصطلح الصوفي أن الإصبعين كناية عن “ اللطف والقهر “ و “ القبض والبسط “ و “ الخوف والرجاء “ و “ الجلال والجمال “ كلها تجليات لعظمة الله سبحانه وتعالى ، فلطف الحق يسبب البسط في قلب المؤمن : وقهره يسبب القبض ، ثم يخاطب مولانا قلب المؤمن : إن كنت جديرا بعناية الجلال ، إننا نشبه قلما في يد القدرة ، وسن هذا القلم (مفرقة) على مفترق طرق أربعة :
قهر ولطف وقبض وبسط ، وبمشيئة الحق نكون مشمولين في واحد من هذه الطرق ، وأحوالنا كلها كالحروف التي يكتبها قلم القلب ، وهي من كتابه الحق .
فإذا عزمت وإذا فسخت فكل هذا من الله سبحانه وتعالى . وانظر بين إصبعىّ من تكون : أي قدر اليد التي تمسك بك وتقلبك حيث تشاء واخضع ولا تتمرد . .
لكن واسفا ليس كل قلب بالعالم بهذا . لكن هذا القلم (القلب . . قلب مولانا) يعلم لأنه يكتشف قدرة في الخير وفي الشر .

(2786 - 2796) يعلق مولانا على المثل الذي أورده المنكرون بقصة الفيل والقمر أنه من الحيلة والكفر ، وإلا فما قيمة هذه الأمثال أمام الحقائق الأزلية الإلهية ؟ في الأمور يستطيع الله فحسب أن يضرب الأمثال للناس (يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم) (النور 35)

وكيف تكون خاليا من العشق الإلهى - “ أقرع “ - وتضرب المثل للجمال الإلهى بالوجه الحسن والجدائل السوداء ؟ إن موسى - مع مقام نبوته - لم يكن يعلم أن عصاه حية مع العلم بأن باطنه كان عليما بإمكان حدوث هذه المعجزة (انظر طه 19 ، 20) ، أي علم لك بما يضعه الحق في طريقك ليقوم بصدك ؟ إنك بمثلك هذا تحطم نفسك ، فإن الله تعالى يجعل من أمثالك وبالا عليك ، لأنك بمثابة فأر وتتخذ مثلا من فضولك بما لم يقو عليه الأنبياء ، مصيرك كإبليس الذي قاس النار بالتراب ، وقارون ادعى أنه أوتى المال على علم عنده ، ومن ثم فمثلك هذا هو سبب خرابك .

(2797 - 2800) موضوع هذه الأبيات مقتبس من الآية 38 من سورة هود : (ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه) .

(2801 - 2807) ينزل مولانا إلى المستوى العقلي والروحي لأولئك المدعين فيقدم حكاية رائجة من المأثور الشعبي عن الغفلة في القياس والاستنتاج ، فمن الواضح أن اللص ينقب جدار المنزل ، ومع ذلك فالرجل الساذج بدلا من أن يستغيث يدخل معه في حوار عن الذي يفعله ، فلا يجد بدا من السخرية فيجيب بأنه طبال ، فإن سأله : وأين أصوات الطبول ؟ قال أصوات الطبول سوف تقدمها غدا بصياحك واستغاثتك (بالطبع بعد أن تكتشف السرقة) .
وهكذا يكون الجواب للمنكرين إن سألوا : أين الدليل ؟ يقال : غدا تقدم أنت نفسك الدليل عندما تستغيث فلا تغاث إلا بماء يشوى الوجوه .

(2808 - 2824) هنا يرد مولانا على المنكرين من أهل سبأ ، وعلى كل أولئك الذين يتناولون عوالم الغيب بمقاييس العالم المادي الذي يعيشون فيه ، وفيما سبق

(2787) قال مولانا : إن أي إنسان لا يستطيع أن يضرب الأمثال عند الحديث عن عالم الغيب . والآن يتناول المثال الذي قدموه وهو مثال الأرنب : إن مثال الأرنب لا يمكن أن ينطبق على رسالات الأنبياء إن هذا المثال يرمز إلى شئ اخر ، ويهدف إلى بيان معان أخرى ، فالأرنب في هذه الحكاية هو شيطان الفضول ، والفيل هو نفسك ، وماء العين هو معرفة الحق التي تهب الإنسان الحياة الخالدة ، وتفسيركم هذا اللقصة وتكذيب رسالات الأنبياء كفر وانتظروا العقاب عليه ، فأي تشابه بين القمر والفيل والأرنب مع قمر الحقيقة الذي يقف الوجود أمامه عاجزا ؟ إن الخاص ومن هو من العوام كلهم عاجزون أمام ذلك القمر أي قمر الحقيقة ، إنه شمس وشمس الشمس ، بل إن هذا التعبير قاصر ، انظروا إلى المكذبين من قبلكم ، اقرءوا (وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون) (الأعراف - 4) .

انظروا كم خربت من قرى من أمثال قرى عاد وثمود ، بل انظروا إلى جبل الطور وقد انشق من التجلي الإلهى ، بل إن الشمس نفسها في جنون مما ينزل بها من كسوف ، إن غضب الأولياء والأنبياء كفيل بأن يسلب منكم كل نعم الحياة ومتعها ، وأن يحول خواص كل شئ إلى أضدادها ، إنكم موتى لم تكفنوا بعد ، فانظروا إلى ما حاق بقوم لوط ، إذهبوا وانظروا فلا تزال اثارها باقية وما فيلكم هذا ؟ ألم تقرءوا سورة الفيل وكيف مزقت الفيلة طير الأبابيل ؟ ألم تسمعوا عن طوفان نوح ؟ ألم تسمعوا عن حرب جند فرعون مع موسى وغرق قوم فرعون ؟ ألم تسمعوا عن دمار ثمود صرصر عاد ؟

(2825 - 2834) دعنا من فيلة أبرهة . ألم تسمعوا عن الفيلة التي تجندل أي فيل قوى في الوغى ؟ وهذا بقدرة الله لأنهم من رجال الله وأوليائه ، ألم تسمعوا عن الظلمة من الملوك وجبارى الأرض الذين أخذهم غضب قلوب رجال الحق ؟ فمضوا من ظلمة الظلم والجبروت إلى ظلمة القبر دون أن يغيثهم أحد ؟
ألم تسمعوا الذكر الحسن والذكر القبيح ؟ ويتكرر هذا المعنى كثيرا في المثنوى أن القحط يحل حينما يحل غضب الأولياء من الظلم والتعدي على حرمات الله تعالى .
وكثيرا ما أشار مولانا في مجالسه عما حاق بخوارزم من غزو المغول نتيجة ظلم خوارزمشاه الذي دفع والد مولانا إلى الهجرة بأسرته (مناقب - 1 وأنظر الكتاب الثاني البيت 3123 وشروحه) إنكم تتجاهلون هذا الأمر ، لكن الموت هو الذي سيفتح عينك ما دمت قد أغمضتها هنا على بئر الحياة الدنيوية ولم تفتحها على عالم المعنى ، إنك مفعم بالطمع والافتراس فكيف تتخيل جمال يوسف ، إنك لا تسمع مع أن كلمات الحق استمعت إليها الجبال من لسان داود .

(2835 - 2842) العقل هنا هو العقل الناظر إلى الحقيقة والباحث عن الله سبحانه وتعالى . ثم يسوق مولانا بضعة أبيات باللغة العربية والبيت الخامس بالعربية من ليس يرجو خيركم لا يستقيم المعنى ، والمفروض إنه من ليس يرجو " ضركم " ولعله من خطأ النساخ . ولنتحدث الفارسية : أي لنقدم بالفارسية خلاصة ما قلناه بالعربية ، والخلاصة كانوا عبيدا لله وهو ما يسعى إليه الفارسي والتركي والهندي وصدقوا براهين الأولياء ، فقد مالت الملائكة إليهم وسجدوا لآدم عليه السلام .

(2843 - 2863) تحدث مولانا كثيرا عن الحزم وأكد أنه هو التسليم لأمر الله وإطاعة أوامر رجال الله (انظر الأبيات 213 و 267 و 2204) ويقول هنا :

أيها المنكرون انظروا إلى الماضين وإلى الكافرين واتعظوا أو انظروا إلى العاقبة بحزم ، وحتى إن لم تكن مؤمنا فافعل شيئا في طريق الحق من باب الاحتياط ، فمن يدريك أن ما تنكره هكذا ليس حقيقة ؟ ثم يخاطب أبناء الخليقة (بني آدم ، أولاد الخليفة ، ألم يكن آدم هو خليفة الله في أرضه ؟) احزموا أمركم وخذوا بثأركم ممن أضل والدكم وعزله عن عرش الملوكية وطرده من الجنة وهزمه في لعبة شطرنج القلب ، هكذا فعل مع والدكم وهو نبي ، فتخيلوا ما يحدث لكم إن لم تقفوا له بحزم ، تذكروا أباكم في منفاه يبكى حتى ينبت النبات من دمع عينيه وتجرى البحار من غزارة هذا الدمع ، إن ادم ضاق ذرعا منه ، فقس هذا الأمر على نفسك ، فيا عباد الدنيا ، اهزموا هذا الشيطان بتذكر حول الله وطوله وبقولكم :
لا حول ولا قوة إلا بالله ، واعلموا أن كل من زهد في طيبات الدنيا ، يصل إليه قوته من الغذاء المعنوي .

(2864 - 2886) يقدم مولانا مثلا اخر للمتردد بين الفخ والنجاة ، أو بين الشهوة والحزم ، فالشبكة والحبة هي الدنيا ، والخلاء هو عالم المعنى ، والطائر هو الإنسان الذي يستطيع الاختيار بين طريق الحق أو خداع الدنيا ، والطائر الذي ترك التردد هو الإنسان الذي يسلك طريق الحق دون شك ودون تردد ، وما أسعد ذلك الطائر الذي يطير نحو الحق ، هو مقتدى الأحرار الذين تحرروا من خداع الدنيا ، وساروا في الرياض والبساتين أي منازل السير إلى الله ، وهو يخاطب المتردد الذي يسقط ويقوم : لقد أسلمت طريق وصول الغذاء المعنوي إليك “ الحلق “ للذبح أكثر من مرة ثم يتوب عليك التواب اللطيف ، ثم تعود ، “ وإن عدتم عدنا “ (الاسراء / 8) لأن الجزاء من جنس العمل . . وهما : أي الجزاء والعمل

متصلان كزوجين يحمل الزوج أسيرا تسرع زوجته في أثره ، وكثيرا ما أنجاك اللطيف الخبير لكن فراشة النسيان تجذبك ثانية نحو النار ، لقد نسيت أن الشكر على أنه أنجاك من النار هو ألا تعود إلى هذه النار أبدا ، لكنك لا زلت تحوم حول الفخاخ في حين أنك إن ابتعدت عنها سوف يهبك رزقا بلا شباك أي رزقا خالصا معنويا .

(2887 - 2901) يقدم مولانا هنا مثالا اخر على التردد المنبعث من الحرص ، فالكلب المنكمش من البرد يفكر عندما يأتي الصيف أن سيبنى منزلا ، فإن أتاه الصيف وتمددت عظامه واكتست لحما ، اغتر ورأى أن أي منزل لا يمكن أن يسمعه وهذا هو الحرص ، فعندما يكون الإنسان معدما يكون حرصه أقل ، وهذا طبعا عكس أن يكون مالكا فيكون حرصه أكثر وأشد ، وهكذا يفكر الإنسان في التوبة عند الشدة (البرد ، الشتاء) فإن ذهبت الشدة ذهب تفكيره في التوبة وبدلا من أن يشكر على النعمة ويتوب ، إذا به ينكص على عقبيه ، مع أن الشكر هو روح النعمة (أنظر التعليق على الأبيات 2671 - 2678) ويعمد مولانا هنا العودة إلى قصة قوم سبأ .

(2902 - 2910) يعود مولانا إلى قصة قوم سبأ ، وكيف وقفوا أمام نصح الأنبياء قائلين : إن نصحكم هذا لا فائدة منه لأن الله لا يريد لنا أن ننتصح وهو الذي ختم على قلوبنا وهذه إرادته . . هذا ما أراده لنا كما أراد لكل شئ طبيعته ، ولا يتحول عن طبيعته فلا الحجر يتحول إلى ياقوت ، ولا القديم يصير جديدا ،

ولا التراب يصير ماء ، ولا الماء ترابا ، كل مخلوق وقسمته وجبلته التي جبله الخالق عليها ، أي أن المقصود : نحن على كفرنا وإنكارنا مجبرون .

(2911 - 2918) أجاب الأنبياء أن هناك صفات ذاتية وصفات عرضية ، والصفات العرضية قابلة للتغيير والتبديل ، ومن أجل هذا وجد الأنبياء ، فالمبغوض يتغير ويصير محبوبا سواء في علاقته مع الناس أو في علاقته مع الله والتراب ينبت الزهر ، والمعادن قابلة للتحول بالكيمياء والله سبحانه وتعالى خلق لكل داء دواء .

(2919 - 2923) أجاب الكفار : لقد ثبت بالدليل القاطع أن ما بنا من داء لا يقبل الدواء ، والدليل أنكم فعلتم كل ما في وسعكم دون أن يؤثر هذا علينا ودون الوصول إلى نتيجة ، زو يزول ذرة مما فينا ، فالتهاب الكبد وتورمه “ السدة “ يأتي بالعطش الشديد الذي لا يرويه ماء .

(2924 - 2949) يرد الأنبياء : إن هذا الكلام هو من نتاج اليأس واليأس قبيحلا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(الزمر / 53) ولنفرض أنكم قد صرتم كالحجارة ، وأن هناك أقفالا على قلوبكم ، فهذا ليس شأنناوَما عَلَيْنا إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ(يس / 17) إننا مكلفون بنصحكم من لدن الحكيم الخبير ، ولا شأن لنا باستجابتكم من عدمها وأجرنا في هذا على الله ، ونحن لا نكل ولا نمل من خدمة ربنا ، وليس يصيبنا حزن ، فإنما يحزن من هو في فراق عن الحبيب ، ومحبوبنا معنا ، ونحن واصلون إلى الحق ، ولا قيمة للزمن عندنا ، إذا لا تطرأ علينا شيخوخة ، والدليل فتية الكهف الذين

مكثوا في الكهف ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعا ، وما دام قد سقط من حسابنا فلا سأم ولا شيخوخة ولا ملل ، وهذا كلام غريب عليكم “ لأن من ذاق عرف ومن حرم اختلف “ وهل يتوهم الجعل أنفاس الورد ؟ إن كل متوهم معدوم . وحتى الوهم نابع من شخص من يتوهم فهل يتوهم الجحيم الجنة ؟ وهل يتوهم الخنزير القبيح الطلعة الحسنة ؟ إن هداية الله قريبة منكم كلقمة وصلت إلى الفم ، ونحن قد قطعنا الطرق الصعبة ، ولم يبق إلا القليل إن الشيخ هو الذي يقطع الطرق الصعبة لكي يمهدها لمن يأتون من بعده “ ، وإن القلب يصير مثل الخيط ، والروح في شهود حتى يمسك الشيخ بأول الخيط “ . (كتاب 6 / 2943 - مناقب 1 / 76) (2950 - 2956) يكرر المنكرون حجة أخرى طالما وجهت إلى أولئك الذين يرون المجتمع في حاجة إلى إصلاح فيخرجون ويجأرون بالنصح فيرد عليهم أولئك الذين استكانوا إلى الرفاهية : لقد فرقتم جمعنا ، لقد ألقيتم بيننا الفرقة والشحناء ، أنتم سبب ما نحن فيه من بلاء ، ما هذا الكلام عن الآخرة ؟ إنكم تلقون بنا - نحن المنعمين - في فكر الموت وفي هم الموت ، إنكم تسلبون منا الهناء وتثيرون فينا التساؤلات وتأخذوننا من هذه الحياة المنعمة إلى قصص الحزن وحكايات النكال ، ما هذا ، هذه الصورة التي يقدمها مولانا جلال الدين أليست تتكرر في كل عصر وفي كل بيئة ؟ وقد جمعها القران في آية واحدة قالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ(يس / 18) .

(2957 - 2984) أجاب الأنبياء : نحن لسنا بالفأل السئ عليكم ، بل إن نحسكم وشؤمكم يأخذ المدد من داخلكم أنتم طائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ

قَوْمٌ مُسْرِفُونَ(يس / 19) . . لماذا التطير هنا ؟ لماذا تسمع قول الطبيب وقول المنجم عندما يأمرك بألا تفعل شيئا ؟ لماذا لا تقول له : إنه يتحدث بفأل السوء ؟
مع أن المنجم والطبيب قد يخطئان لكن النبي لا يخطئ أبدا ، ومن هنا ففأل السوء معك أينما تمض تدركه وتراه عيانا ، وحينما يحيق بك شر كفرك وعصيانك سوف تجأر بالصياح لما ذا لم تنبهنى ؟ لقد نبهتك يا هذا كثيرا لكنك قابلت الإحسان بالسوء ، وهكذا طبع اللئام ، فعالج نفسك أولا ، اجعلها مطيعة بالصبر إنها لئيمة فاجعلها تتواءم مع الإحسان ، حتى تعلم العرفان بالجميل ، وحتى لا يكون مصيرك هو مصير الكفار الذين يعاندون حتى إذا ألقى بهم في الجحيم نادوارَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْها فَإِنْ عُدْنا فَإِنَّا ظالِمُونَ(المؤمنون / 107) .

(2985 - 2999) في عنوان الأبيات إشارة إلى أن الله سبحانه وتعالى بعد أن خلق الخليقة ينظر إلى السماء والأرض ويقول لهما :ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ(فصلت / 11) ، فالطيب والشرير في الوجود كلاهما في طاعة الله ، والكافر يجأر إلى الله في ملمات الدنيا وعندما يذوق نار الجحيم ، وعندما يدخل اللص واللئيم السجن يجأران إلى الله بالدعاء والشكوى والجحيم بالنسبة للكافر والمنكر مسجد لأنهما يذكران الله فيه ، وكل من في الوجود يعبد الله عبادة ما وبأسلوب ما ،وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ(الذاريات / 56) ، وخلقت الخلق لكي أعرف ، ومن الإنسان يتأتى الشر والخير لكن المقصود في الأصل هو العبادة ، لكنك تترك الأصل من خلق الشئ وتنصرف إلى الفرع . كما تتخذ من الكتاب وسادة ، ومن المسمار سيفا ، والله يجعل من عبادة كل إنسان جديرة به وبشخصه ، فالكريم يعبد طوعا ، لكن اللئيم يعبد كرها ،

لقد أراد موسى عليه السلام أن يذل الجبارين فصنع “ باب الحطة “ وفي خطبة للإمام محمد الباقر رضي الله عنه قال : نحن باب حطتكم (جلبنارلى 6 / 307) وهو أقصر من قامة الإنسان حتى يدخل جبارو بني إسرائيل منحنيني ، وانظر إلى أي جبار في هذه الأرض ، إن الله سبحانه وتعالى يسلط عليه أحقر خلقه لكي يذلوه ويحطوا من كبريائه ولكي يعلم أن فوقه خالقا ، ولكي يجأر إليه بالشكوى شاء أم أبى ! ، أليس هذا هو ما نشاهده كل يوم ؟ وأليست كلمة الخالق سبحانه وتعالى هي التي جعلت مصرع النمرود - جبار الجبارين - على يد أحقر الخلق أي بعوضة ؟ ، انظر إلى مولانا في الأبيات السابقة والأبيات التالية ، كيف كانت عينه دائما على جبارى الأرض ؟ .

(3000 - 3015) بينما يتشدق المتشدقون بأن الإسلام قد قال بالحق الإلهى للملوك ، ها هو ذا مولانا جلال الدين في تحليله لظاهرة الطغيان والجبارين يقدم فكرة جديدة : وهي أن الملك الحقيقي الجدير بالسجود هو الله سبحانه وتعالى وأن هؤلاء الملوك الظاهرين إنما خلقوا فتنة وإذلالا لكي يسلطوا على من لا يقوم بعبادة الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له ، وهو يشبههم ، هنا بالباب الصغير أو باب الحطة الذي أقامه موسى عليه السلام على ربض القدس ، لكي يكون إذلالا لجبارى بني إسرائيل إذ يطأطئون الرؤوس عندما يدخلون إجلالا للحق وحدهوَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطاياكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ(البقرة / 58) ولا يسجد لهؤلاء الملوك الصوريين إلا أعداء السجود للملك الديان ، وبما أن هناك محرابا يتوجه به العابد بالصلاة للخالق وحده ، فهناك “ مزابل “ جعلها

هؤلاء الملوك الصوريين محرابا لهم ، وأسماء هذه المحاريب المزابل (! !) الأمير والبطل ، ولا يأتي إلى محراب الكلب (سلاطين الدنيا) إلا الأخساء ، وعار على رجال الحق أن يميل إليهم هؤلاء الأخساء ، ولا يخشى القط (سلطان الدنيا) إلا من كان فأرا ، فأرا في جبنه وحرصه وطمعه وعبادته للفتات ، هؤلاء جبلوا على الخوف من كلاب الحق “ سلاطين الدنيا “ ومن ثم فهم لا يخافون الله سبحانه وتعالى ، لأن الخوف من الخلق لم يترك في قلوبهم مجالا للخوف من الحق ، فهم جديرون بهذا الرب الذي يعبدونه “ ربى الأدنى “ وليسوا جديرين بعبادة الإله الواحد الأحد “ ربى الأعلى “ ، إنهم العابد والمعبود من جنس واحد ، العابد لاعق للأطباق طفيلى يجرى وراء متاع الدنيا ولا يهمه أن يبيع دينه بدنياه ، والمعبود من هؤلاء السلاطين والأمراء والقواد لاعق أيضا وإن كان لاعقا للقدور كل منهم يجرى وراء متاع جدير به وبمنصبه في الدنيا ، ويرى مولانا أنه قد مضى في شرح هذه النقطة و “ اندفع “ كعادته فيمسك نفسه ساخرا : كفاك . . فلو أنك مضيت في الشرح ، وشرحت هذه الأمور بعمق ، فإن “ الأمير “ سوف يغضب ، وهو سوف يغضب لأنه هو نفسه يعلم أنه كذلك ، يعلم أنه يخيف الناس وهو يخاف من السلطان ، وأن الناس يلعقون أطباقه بينما هو لاعق لقدر “ السلطان “ ، وهكذا يتواتر الظلم والخوف والطفيليون من أعلى إلى أسفل ، ويعود مولانا إلى شرح عبادة اللئيم “ كرها “ وعبادة الكريم “ طوعا “ واللئيم جحود ، والكريم شاكر ، ومن ثم يطغى أهل النعمةإِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى، ومن هو الطاغي ؟ إنه ذلك الأمير الذي يلبس قباء مذهب الحواشى ، إنه يتوهم أنه يخفى بملابسه ، ونياشينه قبح نفسه ، ومن هنا فمن صفت سريرته لا يهمه أن يكون

في قباء ممزق ، فالشكر لا ينبت من النعمة ، إنه ينبت من البلايا والنقم التي تصقل النفوس والأرواح وتذيب من عليها كدر الرفاهية والراحة .

(3016 - 3031) إن أهل البلوى والصفاء شاكرون حتى على عدم العطاء ويقدم مولانا حكاية جديرة بالمقام لم ترد في مصدر قبله ، فها هو ذا أحد الصوفية يرى سفرة خالية معلقة بمسمار (السفرة هي مفرش يبسط على الأرض ثم يعلق بعد الطعام) فيتواجد الصوفي أي يصاب بحالة من الوجد ، ويصاحبه الصوفية في رقصة وهياجه وحرقته وذوبانه ، إن السفرة الخالية المعلقة تقول لهذا الصوفي : إنه وإن لم توجد لديك لقمة خبز واحدة تستطيع أن تكون عاشقا للحبيب ، إنه زاد من لا زاد له يعطى الفقراء والدراويش القدرة على السير أو السلوك الصوفي وعدم النظر إلى العالم المادي ، وإذا وصل المرء إلى هذه المرحلة فإن القحط والآلام لا تؤثر فيه ، وها هو ذا فضولي خال من المعنى يعلن تعجبه لهذا . . ولم لا ؟ إنه صورة بلا معنى إنه صورة إنسان دون معنى الإنسان ، هو معلق بالمادة ، ويترك مولانا الحكاية إلى نتيجتها : إن عشق الخبز بلا خبز هو الضراعة والجذب دون نفع مادي محسوس ، إن هؤلاء الذين يضحون بالوجود إنما يأخذون كسب هذه التضحية قبولا من الحق وهو النفع الكلى ، لأن المقبولين من الحق قادرون على كل شئ دون أن تكون لديهم أداته المادية ، ويذكر أبا الخير الأقطع (انظر تعليقات 1614) نموذجا واضحا ، والعدم المذكور هنا هو العدم الصوري ، حيث لا اهتمام بالوجود الظاهري والحياة المادية وعشاق الحق موجودون في ذلك العالم ، لهم وجود واحد مرتبط بوجود الحق ، ثم يتحدث مولانا عن النضج المعنوي والإدراك ، فالوليد لا يفهم معنى الغذاء المطبوخ

والجنى يتغذى بالرائحة (في اعتقاد القدماء) ، لكن الإنسان ذو احتياجات مادية فإن تجرد منها سما على طبيعته ، وهذا كما يكون ماء النيل دما على قوم فرعون وماء لقوم موسى ، ويكون البحر غرقا لقوم ومعبرا لقوم موسى .

(3032 - 3039) إن كل إنسان لا يستطيع أن يدرك حقائق عالم الغيب ، فإخوة يوسف عليه السلام لم يروا في وجهه تجلى نور الحق ، بينما راه يعقوب ورأى عن طريق اثار الربوبية (رائحة الحق - رائحة القميص) ، ومن ثم فإن يعقوب بكى على يوسف حتى ابيضت عيناه بينما ألقاه إخوته في البئر ، ومن ثم فقد كانت " سفرة " يوسف خالية بالنسبة لإخوته لكن يعقوب رأى فيها القوت المعنوي ، وذلك الذي " لم يغسل وجهه " أي ليس جديرا بإدراك عوالم الغيب ، ولا يمكن أن يرى وجوه الحور أي أسرار الغيب ، فلا صلاة أي لقاء مع عوالم الغيب ، إلا بطهور ، والمعنى هنا تحوير لمعنى شائع " لا صلاة إلا بحضور " ومن هنا ما يعشق هو قوت الأرواح ، ولا قوت للأرواح إلا بتهذيب النفس عن طريق الجوع ، فالجوع يقوى الروح في سيرها ، ومن هنا كان يعقوب يبحث عن يوسف " غذاء الروح " ولم يكن يرضيه سوى هذا ، وبينما كان البشير يحمل قميص يوسف من مصر إلى أرض كنعان لم يكن يشم ريح القميص (عوالم الغيب) بينما كان يعقوب يشمها وهو في أرض كنعان .

(3040 - 3043) العلم إذن غير الذوق ، وليس العلم دليلا إلى عوالم الغيب ، فعلماء الظاهر حفاظ للعلم ولا نصيب عندهم من " علوم " عوالم الغيب ، فهم ليسوا بالأحبة المختصين بهذا العلم ، ومن الممكن للعامي الذي يستمع إلى

علماء الظاهر ويدرك شيئا " معنويا " عن علومهم الظاهرة لأنها ليست متغلبة عليه ، وليس مشغولا بها ، وليس مغرورا باستظهارها وحفظها ، لأن هذا العلم في يد علماء الظاهر مثل قميص يوسف في ذلك البشير أو في مثل جارية حسناء في يد نخاس ، هي في يده مؤقتة وغير باقية ومن أجل المشترى .

(3044 - 3050) هذه هي قسمة الحق ، أي أنها شئ مخصوص بالحق ، وهو لا يعطى رزق أحد لآخر ، وكذا مشاغلنا وأوهامنا في الدنيا هي أيضا من عطاء الحق ، أحيانا يصنع من خيالنا جنة في وجودنا ، وأحيانا يصنع من تصوراتنا وأوهامنا جحيما في وجودنا ، ورياض الله هي قلوب من يفكرون في الله ومزابله هي بواطن الأشرار وأولئك الذين لا طريق لهم إليه . . وكل إنسان لديه الإمكانية أن يجعل من باطنه جنة أو جحيما أو جنة أو مزبلة ، ولا يدرى أحد من أي أركان الروح ، أي من أي النواحي النفسية والنواحي الإلهية لروح الإنسان تنبع هذه الأفكار السيئة أو الأفكار الطيبة ، فالقلب الذي هو في طريق الله لا يرى هذه المنابع في الروح ، ولو كان يراها لسد طريق الأفكار الشريرة بالحيلة لكيلا تتعثر في الطريق إلى الله ، إن أي " جاسوس " أي حارس للقلب الذي في طريق الله لا يخطو خطوة واحدة إلى منبع الخيالات فإن منبع الخيالات حيثما لا يكون وجود صوري ويسميه مولانا العدم ، أي الوجود المطلق اللانهائى الذي يسميه أهل الظاهر العدم .

(3051 - 3056) إن أفكارنا وأحوالنا إذن تنبع من العدم ، ولكي لا نسقط فريسة للأفكار الشريرة ولا تظهر في بواطننا " جهنم " أو " مزبلة " علينا أن

نعتمد على فضل الحق ، التسليم بعمى . . و " قبض الأعمى " مصطلح شرعي فحواه أنه إذا كان المشترى في المعاملات أعمى ينبغي أن تسلم البضاعة المشتراه إلى يده حتى يكون انتقالها مسلما فأمسك برداء فضله إذن كما يمسك الأعمى بما اشتراه ، وما هو طرف رداء فضله ؟ إنه طاعة الله ، والتقى إذن سعيد لأنه في فضل من الله ، ومن يوفق إلى هذه الطاعة والتقى كأنه دائما في مكان جميل ، ومن لا يصل إلى هذا التوفيق يكون في المكان نفسه في عذاب ، ويقول الموفق للمحزون : إنك تستطيع أيضا أن تكون سعيدا فيقول له ، لا أستطيع لأن الله سبحانه وتعالى لم يمنحه هذا التوفيق .

(3057 - 3065) وردت هذه الحكاية قبل المثنوى في مكتوبات مولانا جلال الدين ، وقبلها أوردها والد مولانا في معارف بهاء ولد ، وفي فيه ما فيه لمولانا قصة رجل غير مسلم كان له غلام مسلم بينهما ما يشبه هذه الحادثة وكان زمن القصة هو عهد الرسول ، (ماخذ / 117) وفي 3058 : حجر الطفل حجر كان يستخدم في الاستحمام ، وفي 3063 لم يكن إشارة إلى اخر سورة الإخلاص " لم يكن له كفوا أحد " ، وفي 3065 ذو الفنون أي الله سبحانه وتعالى .

(3073 - 3078) " البحر " في مصطلح مولانا هو عالم المعنى والوجود الإلهى المطلق ، والأسماك هنا هم الواصلون إلى الحق الذين يسبحون في بحر المعنى ، وسكان البر أولئك الذين لا علم لهم بذلك العالم ولا طريق لهم إليه . .
وهم يريدون بالحيلة والتدبير وبالعقل المادي والعلم الظاهري أن يصلوا إلى حقائق الغيب وهذا ليس ممكنا ، ويخاطبهم مولانا : بالتسليم أمام مشيئة الحق

وقبول رضا الحق تستطيع أن تفتح باب عالم المعنى أمامك ذلك أنه لو تبدلت كل ذرات العالم إلى مفاتيح فإن باب عالم المعنى لن يفتح أمام محبي الدنيا اللهم إلا إذا أبدى الله سبحانه وتعالى لطفه ، ولهذا شرطان :
الشرط الأول : أن نترك " التدبير " ، والشرط الثاني : أن يقوم شيخ بهدايتك ، إن نسيان الذات هو باب ذكر الله لك ، والعبودية الكاملة لله هي أساس الحرية الكاملة .

(3079 - 3083) يواصل مولانا قصة قوم سبأ الذين أنكروا رسالة ثلاثة عشر نبيا ، ويشير مولانا في العنوان إلى الآية (110 من سورة يوسف) حيث ييأس الرسل من إنكار الناس وكفرهم فيأتيهم نصر الله ، وها هم أولاء أنبياء قوم سبأ يعبرون عن يأسهم بينهم وبين أنفسهم : إن نصح هؤلاء أشبه بالدق على الحديد البارد والنفخ في القفص الذي لا يبقى على ريح ، أي عمل لا طائل من ورائه والحركة من الخلق من القضاء ، وفي موعد يعلمه الله تعالى ، إنه يجعل أقدار النفس الجزئية منوطة بالنفس الكلية ، فالعقل الكلى من المقدرات الإلهية وظهورها في النفس الجزئية الإنسانية لأن الجزء مغلوب للكل ، فالشفاء مما هو منقوش في اللوح (مولوى 3 / 410) ، إن القضاء جار على الأجزاء الكلية للعالم وكل ما يبدو من الأجزاء أنه هو تابع للكليات ، وحيثما تستوجب الروح الإنسانية القهر ، فإن الروح الكلية للعالم تهاجمها ويبدو فيها فعل الكفر والأفكار لأن عفن السمكة ، من رأسها ، ومن هنا فليس من الممكن هداية هؤلاء وها هم أولاء يبدون يأسهم قائلين : حتام النفخ في القفص ؟ لكن مولانا يجيبهم : أعلم

أن الأمر هكذا ، لكن واصل عملك . . إنك عبد وقد قال لك خالقك أبلغ ولا مهرب من هذا .

(3091) مضمون البيت مقتبس من حديث منسوب إلى رسول الله “ التاجر الجبان محروم والتاجر الجسور مرزوق “ .

(3092) كل الأمور موكولة بالأمل فيها والرجاء في أمور الدنيا ممكن أن يتحقق أو لا يتحقق ، لكن الأمل في الله ليس أملا واهيا ، وإذا انشغلت بأمور الدين فسوف تنجو من هذه الأمور الدنيوية .

(3094) وقرع الباب هو الأمل في الله وهو الطلب (انظر شرح 4783 - 4798) .

(3095 - 3105) المقلد هو من لم يدرك حقائق عوالم الغيب عن طريق القلب ، وعكسه هو المحقق ، فالمقلد يطوى الطريق إلى الله بالخوف والرجاء أما المحقق فقد محى في الحق فلا رغبة عنده حتى يخاف أو يرجو ، ومن ثم يقول :
مع وجود الاحتمال بأنك لن توفق فإن الرجاء يجذبك نحو العمل ، هأنتذا تكافح في هذه الدنيا مع وجود الخوف من الحرمان ، فلما ذا لا تخشى الحرمان في طريق الحق ؟ ولماذا لا يوهنك هذا الخوف في سعيك من أجل الدنيا ؟ ، مع أنه إن كان قد كتب عليك الحرمان فقد كتب عليك منذ الأزل ، فإذا أجبت : إنني إن لم أسع الدنيا فإن احتمال حرماني فيها أكثر ، أسألك : إنك وأنت تسعى في الدنيا تخاف من الحرمان فلماذا لا يمسك بك هذا الخوف من الحرمان في أمور الدين ولا يتركك تعمل ؟ إن السبب هو أنك سيء الظن ولا إيمان عندك أو ربما لا تعلم

أية منافع هي تلك التي يحصل عليها رجال الحق ، إن الفوائد الموجودة في سوقنا لا يعلمها إلا الله تعالى ، مثالها أن النار لا تؤذيهم (إبراهيم عليه السلام) ، وأن البحر يحملهم (نوح وسفينة) ، وأن الحديد يلين في أيديهم (داود عليه السلام) ، وأن الريح تحت حكمهم (سليمان عليه السلام) ، وما هو للأنبياء يكون للأولياء .

(3106 - 3111) وإذا كانت ألطاف الإلة بالأنبياء جلية ، فإن ألطافه بالأولياء خفية ، ذلك أن “ لله أولياء أخفياء رؤوسهم مغبرة وجوهم إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم وإذا غابوا لم يفتقدوا وإذا حضروا لم يدعوا وإن مرضوا لم يعادوا ، وإن ماتوا لم يشهدوا وهم مجهولون في الأرض مشهورون في السماء “ (حديث نبوي مولوى 3 / 413) . إنهم يملكون كل ما ينسب إلى الأنبياء لكن لا عين تقع عليهم ، فكر أماتهم مسبغة بالسر الإلهى وحيث أن الأبْدَال لا يعرفونهم ، إنهم مستترون حتى على من هم من جنسهم ، ومما روى عن أبي بكر الكتاني أنه كان مراقبا في فناء الكعبة وهناك محدث فأتاه الخضر عليه السلام وقال له : لم لم تسمع ؟ قال : إذا حضر النبي لا يسمع من غيره ، قال : من أين يعلم أن هناك نبيا قال : أما أنت الخضر النبي ؟ قال : كنت أعتقد أنى أعلم جميع الأولياء فعلمت الأن أن منهم من يعلمني ولا أعلمه . (مولوى 3 / 413) إن هؤلاء يدعونك ، وإذا دعاك الكريم أن تلقى بنفسك في النار فألق نفسك فيها .

(3112 - 3131) الحكاية هنا قائمة على خبر عن النبي : كان النبي ، يأكل بثلاث أصابع ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعقها فإذا توسخ ألقاه في النار

فينظف فيمسح به وجهه ويقول : النار لا تأكل شيئا مر على وجوه الأنبياء (مولوى / 414) ، ولعل اختيار أنس رضي الله عنه لأنه أدرك الرسول وعايشه والحكاية مصداق للبيت رقم 3111 . لقد سمعت الجارية أمر أنس رضي الله عنه بأن تلقى المنديل في النار ولم تتردد لحظة أنها على ثقة بالكرام ، بل إنه لو طلب منها أن تلقى بنفسها في النار لألقت بنفسها دون تردد ويعلق مولانا طلبا بأن يعرض المرء نفسه على هذا الإكسير أي الثقة والتوكل والثقة بأولياء الله ، ولا ينبغي أن يكون الرجل في صدقه وثباته على الطريق أقل من المرأة ، فرب نساء في الطريق كن أكثر ثباتا من الرجال ، والقلب الذي يكون عند الرجل أقل من قلب امرأة ، ليس قلبا بل هو بطن (وعاء للشهوة الدنيوية) .

(3132) وردت هذه الحكاية التي تبدأ بهذا البيت قبل المثنوى في دلائل النبوة وصحيح البخاري وصحيح مسلم (ماخذ 118 - 119) .

(3152 - 3154) كانت قربة الماء مجرد دريئة - مجرد حجة ظاهرية ، أما الذي روى الظامئين وملأ القرب فهو الفضل الإلهى ، “ وأمره “ أي الإلهى والبحر الأصلي هو عالم الغيب ثم يقول : إن الحرارة تجعل من الماء بخارا وتجعل البرودة من البخار ماء ، لكن الحديث ليس عن العلل والمعلولات فإنه خارج علم هذا العالم فإن قدرة التكوين من العدم الموجودة عن الحق هي التي أوجدت الماء .

(3155 - 3164) إن الأسباب هي العلل الظاهرية للأمور والأحداث ، والتعلق بها من الطفولية وعدم النضج فالنضج يتأتى من الطريق ، فالأسباب تشغل عن المسبب ، وتعلق المرء بالدريئات ، أي بالأمور الظاهرية التي يأتي بها

الله لإخفاء أمور باطنية ، وأنت بسبب هذه الأسباب تجأر بالصياح إلى الله سبحانه وتعالى ، ويسأل الله تعالى : ماذا حدث حتى تذكرت قدرة الله ؟ ! ما دمت تذكرتنى من صنعي ولم تتذكرنى لذاتي إمض إذن إلى هذه الأسباب .
فيقول العبد : إنني لن أخدع ثانية بالأسباب ، فيجيب الله : إنك مثل الكافرين “ ولو رُدوا لعادوا لما نُهُوا عنه وإنَّهم لَكَاذِبُون “ لكني مع ذلك أرحم - وأعطيك كلما دعوت وفي البيت 3163 عودة إلى الحكاية : وفي البيت 3164 : أغرقت العرب والكرد : أي أغرقت من عرفوك ومن لم يعرفوك “ .

(3191 - 3205) يعرج مولانا من حديث العبد الأسود مع صاحبه إلى الحديث عن مسألة عرفانية ، فاللون هنا يرمز إلى قيود الحياة الدنيوية وأماراتها وهو من الأمور العارضة في عالم اليقين ، وفارغة من اللون : أي الروح التي لا تجعلها المطالب المادية والحياة الصورية غافلة عن الله ، والأركان هي العناصر الأربعة في عالم المادة ، والعارفون بالجسد هم الذين لا يعرفون عن الأشياء إلا تعينها المادي ، وبدلا من أن ينظروا إلى الماء ينظرون إلى القربة ، وأولئك الذين يشربون الماء هم أولئك الذين يدركون حقيقة الوجود ، والعالمون بالروح هم أولئك الذين على علمهم بشاربى الماء ، والعدد من سمات عالم الصورة والتعين الذي يستمد أيضا “ عالم الكثرة “ وفارغون من الأعداد كفار غين من الألوان تماما ، فمن عنده علم بحقيقة الوجود هو وجود واحد بلا كيفية ولا عديدة وهو غريق البحر وفي البيت 3194 صِرْ روحا أي خلص نفسك من العلائق المادية واعلم الروح أي اعلم حقيقة الوجود أو ذات الحق ، وهذا ممكن عن طريق الله تعالى . هذا عن طريق الرؤية وليس عن طريق القياس ، وفي البيت 3195

يصعد مولانا إلى أفق أعلى من عالم المادة فمنشأ العقل ومنشأ الملائكة واحد ولكن مشيئة الحق شاءت أن يخرج من منشأ واحد تجليان مختلفان 3196 ، فالملك يطير من الناسوت والملوت أما العقل فقد أخذ المجد الباطني 3198 ادم هنا إشارة إلى سيدنا آدم عليه السلام وإشارة إلى كل إنسان 3199 ، وكما أن العقل والملك من منشأ واحد فالنفس (عند الإنسان) والشيطان من منشأ واحد أيضا ، 3200 ومن هنا لم ير الشيطان من آدم إلا الطين بينما رأى فيه الملائكة الآخرون نور الحق ، وفي الأبيات التالية يتحدث مولانا عن عجزه عن هذا الحديث لعمقه ولعدم وجود من يمكن أن يفهمه ، إذ لو استطاع أحد أن يفهمه لنطق له الحجر والمدر ولشرحا له أسرار الوجود .

(3206 - 3221) يواصل مولانا نفس الفكرة : أن الجماد ليتحدث مع الخبير بأسرار الغيب ، إنه يعتبر الجدارة نوعا من الضراعة وإن الخليقة هي مجموعة من الاحتياجات والضراعات والضرورات والآية المذكورة 62 من سورة النمل ، ولب الكلام إنه عندما يبدي العبد الاضطرار والضراعة فإن الله سبحانه وتعالى ينجده ويغيثه فلولا موقف مريم عليها السلام لما نطق عيسى في المهد مبرئا إياها : والمعنى أنه نتيجة للحاجة والاضطرار فإن أجزاءنا تتحدث عنا ، وهذا الحديث حديث خفى لا هو باللسان ولا هو بالحنجرة ، وفي البيت رقم 3208 تشير الشطرة الأولى إلى شهادة الأيدي والأرجل علينا (يس 62) “ انظر تعليقات 247 “ ، ومن ثم يسأل في الشطرة الثانية : إذن لماذا تستخدم يديك وقدميك في طريق الكفر والإنكار وليس الأمر هكذا فحسب بل إن وجود كل شئ هو نتيجة الحاجة إليه ، فإذا كنت تريد الماء أي جواب الحق فأظهر الظمأ أي الاضطرار

والحاجة ، والمضي إلى الأعلى والأسافل هي مصاعب الحياة أو مشكلات المجاهدة عند السالكين ، ورهينا للحرارة : أي مأخوذا بعقبات هذا الطريق والمقصود زنبور الهواء الرعد ، وهو علامة المطر يقول مولانا : إن هذه الآلام تعرفك بأثار الحق وأمارات عناية الحق ، ونفس هذه الآلام تجعل الصعب عليك سهلا كما أن صوت الرعد يجعل تحمل الظمأ سهلا على أمل الماء ، وكما يحتاج الزرع إلى الماء ، ينبغي حقيقة أن تكون محتاجا حتى تدرك الحقائق ، وفي مزارع أرواحنا يختفى جوهر المعرفة بدلا من حبوب الزرع والمطر الذي ينبغي أن يمطر على هذه المزرعة هو سحاب الرحمة الملىء بماء الكوثر (المعرفة) وفي البيت 3221 إشارة إلى الآية 21 من سورة الدهر (الإنسان)وَسَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراًوفي تعليق للأفلاكى أن عطاء الشيخ بقدر ضرورات المريد وضراعاته واحتياجاته . . معانينا على قدر همم الطالبين . . الاضطرار يوجب الاستحقاق 1 / 200 “ .

(3222 - 3239) الرواية الواردة في هذه الأبيات لم ترد بنصها في سيرة الرسول ، لكن الاسم الوارد فيها يذكر برواية وردت في مسند أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، وفحواها أن خيثمة بن عبد الرحمن روى أن أباه عندما كان طفلا صحبه أبوه إلى رسول الله فسأله عن اسمه فقال : عزيز فقال رسول الله : بل سمه عبد الرحمن (استعلامى 3 / 361) وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال :

جاءت امرأة بصبي ولم يتكلم قط فقال النبي : من أنا يا غلام قال : أنت رسول الله . فقال عليه السلام : صدقت بارك الله فيك (منهج 3 / 427) . وواضح أن الحكاية كلها تأكيد لما ورد من أن الله يعطى العبد قدر حاجته حتى لو أنطق

الطفل “ عيسى “ تبرئة لأمه ، وأنطق الطفل هنا لكي يبرئ نفسه من الكفر ، ولكي يعرف بالرسول ، لأن الأنبياء معروفون من الله سبحانه وتعالى ، وقد يدفع الحجر والمدر إلى الحديث تصديقا بهذا التعريف .

(انظر تعليق الأبيات 3195 - 3200) (3240 - 3256) وردت الرواية المذكورة هنا قبل المثنوى في دلائل النبوة ، وأحياء علوم الدين ، والدعوات الكبيرة ، وقد نقلها يوسف بن أحمد : روى عن ابن عباس رضي الله عنه : كان رسول الله أراد الحاجة يوما وذهب فقعد تحت شجرة فنزع خفيه ثم لبس أحدهما فجاء طائر فأخذ الخف الآخر وطار به إلى السماء وقلبه فسقط منه أسود سالخ فقال النبي) : هذه كرامة أكرمني الله بها :
اللهم إني أعوذ بك من شر من يمشى على رجليه وأعوذ بك من شر من يمشى على بطنه (مولوى 3 / 427) ، والعقاب يتحدث هنا في الحكاية اعتذار للرسول)
وإظهار استبعاد ألا يكون الرسول - عليه السلام - لم يدرك أن في نعله حية ، بل إن العقاب يذكر أنه ما رأى الحية في النعل إلا في الانعكاس النوراني لوجهه الكريم .

(3257 - 3267) هذه الأبيات تعليق على الحكاية السابقةفَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً(الشرح / 5) إذ لا ينبغي أن يشكو المرء من البلايا والمصائب فالمؤمن حقا هو الضاحك عند البلاء ذلك أن يعلم أن هذا البلاء ربما حول عنه بلايا عديدة ، إنه يعلم أنه ما يسميه الآخرون “ عقابا “ من الله تعالى إنما هو “ عقاب “ اختطف الحية

من النعل . والعبارة المذكورة لأحد الصوفية ولم أجد لها أصلا وإن كان يوسف ابن أحمد قد ربط بينها وبين عبارتين إحداهما للجنيد (التصوف الكون مع الله بلا علامة) والأخرى للشبلى " : " التصوف الجلوس مع الله بلا هم " (مولوى 3 / 430) ، ثم مضمون الآية الكريمةلِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ(الحديد / 23) .

(3268) الحكاية التي تبدأ بهذا البيت جديرة بالسياق الذي مر : أي الفرج عند البلاء والنزول على حكم القضاء ، فإن القضاء وإن بدا سيئا هو الذي يحول بلايا كثيرة عن المرء هي أفدح وأعظم ، وبينما يجاهد العبد في أن يحول عن نفسه القضاء " بدعاء نبي " أو " بتدبيره " فإنما يساعد في أن يغرس في صدره سهم البلاء ، إنه يدعو البلاء إلى نفسه بينما هو فرح مختال فخور بأنه حول القضاء ، أو مغتم لنزول القضاء بساحته ، وهذا من نقص معرفته وظلمه وجهله إذ يرى الخسارة الحاضرة ولا يرى النفع الآجل ، ويحاول أن يشارك الله في علمه . وبالرغم من أن الحكاية لم ترد في مصدر قبل المثنوى بكل تفصيلاتها ، لكنها تشترك في معناها مع حكاية وردت في الكتاب الثاني عن شخص أصر على عيسى - عليه السلام - أن يعلمه اسم الله الأعظم لذي به يحيى الموتى ، فلما تعلمه مر على عظام رميمة فقرأ عليها الاسم ، فانقلبت إلى أسد هصور افترسه ، كما أنها شبيهة من حيث المعنى بقصة ذلك الذي نظر إليه عزرائيل في السوق نظرة لم تعجبه ، فتوسل إلى سليمان عليه السلام ، أن يأمر الريح بحمله إلى الهند فأمرها فحملته ، وفي اليوم التالي سأل سليمان - عليه السلام - عزرائيل لم نظر إلى الرجل هذه النظرة ؟ فقال : لقد كنت مأمورا

بقبض روحه في نفس ذلك اليوم في الهند ولما رأيته حيث هو تعجبت وقلت بيني وبين نفسي : ترى بأية وسيلة سوف يكون في نفس اليوم في الهند ، لقد أسلم نفسه للقضاء بفراره من القضاء تماما كبطل حكايتنا هذه (انظر الكتاب الأول الأبيات 956 - 970) .

(3274) الإنسان حريص على ما منع وهو مثل معروف وروى أيضاً كحديث نبوي (استعلامى 3 / 363) .

(3282 - 3287) إن أحد فوائد انعدام القدرة ألا يستطيع الإنسان فعل الشر ، ومن هنا يفتخر الأنبياء بالفقر وبه فخر خير المرسلين " الفقر فخرى " ومن عيوب القدرة أنها تقضى على خير الإنسان وحلمه ، وإن الشهوات التي لا لزوم لها هي التي توقع الإنسان في هوى النفس ويظل دائما وراء أهوائه وشهواته ما دام قادرا عليها وعابدا للدنيا ، أي أن أكل الطين لا يستطيع أن يعتاد على شرب المسكر أو أكل الحلوى (أي لا يجد وقتا أو لزوما لتعلم الحقائق الإلهية) .

(3288 - 3301) يأمر الله سبحانه وتعالى موسى بأن يعلمه قليلا من لسان الطير ، وأن يعطيه فرصة الاختيار (بين لسان الطير) ويجدها مولانا فرصة للحديث عن الاختيار ، فالاختيار هو ملح العبادة . إن العمل في حد ذاته ليس هو معيار الأجر ، لأن العمل قائم على المشيئة الإلهية لكن عند الحساب فإن الخير والشر منوطان باختيارنا ونيتنا ، هل رجحنا الخير على الشر ؟ أم الشر على الخير ؟ فإذا كنا قد اخترنا الخير فهو من " فضلنا " فالعالم كله يسبح طوعا

أو كرها ، فإذا أعطى الاختيار فيمكن له أن يقول إن كان في طريق الحق أم لا ، والاختيار هو سر التكريم فيوَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ(الإسراء / 70) فالملاك خير بطبعه والشيطان شرير بطبعه ، والذي يستطيع أن يكون ملاكا أو شيطانا باختياره هو الإنسان . لكن المؤمن مثل نحل العسل يمتص عصارة النباتات كلها لكن لا يخرج منه إلا العسل والشهد ، فالمؤمنون يشربون من عين الحياة التي لا يموت من شربها ، وما يشربه أهل النفس هو " سم الموت " فهو موت في عالم المعنى - ولنترك عالم المعنى إلى عالم الصورة : إن مدحنا للمحسن وذمنا للمسىء هو دليل على أن لدينا اختيارا وأننا مسؤولون عن أعمالنا ، وفي السجن إن لم يسئ المسيء فلا فضل له ، بل تظهر شخصية الإنسان على حقيقتها عندما تكون له حرية الاختيار ، فاشتغل وقت القدرة في عبادة الله - ومن هنا فالإنسان بعناية الله وكرمه مختار إذا أدرك كيف يستغل هذا الاختيار .

(3315) موت الحمار عرس الكلاب مثل في الفارسية والعربية والتركية (جلبنارلى 3 / 350) .

(3334) يقول الديك : لو وُضِعْنا تحت طست نستطيع في الظلمة أن نعرف مشرق الشمس ، لأن هذه الشمس تشرق من باطننا ، وهنا يشير مولانا أنه يتحدث عن أمور أخرى فوق إدراك الديك وبعض البشر ، فيتحدث في البيت التالي .

(3335) عن شمس الحقيقة التي يعرف الأولياء طلوعها .

(3336 - 3339) إن الله قد خلقنا معشر الديكة من أجل إخبار الناس

بوقت الصلاة ، وهناك حديث في هذا المعنى : لا تسبوا إليك فإنه يوقظ للصلاة ، وفي الروايات الدينية أن الديك يسمع أصوات الملائكة فيصاحبها في التسبيح ومن هنا يقال للديك أبو يقظان ، فإن أذن بلا وقت حل دمه (في اللغة الفارسية خروس بي هنگام وخروس بي محل تطلق على الشخص الذي يبدي الفضول في أمور لا شأن له بها) . والديكة قد يؤذن بلا وقت اللهم إلا ذلك الديك الذي هو روح أولياء الحق فهو على علاقة بالوحي (استعلامى 3 / 366) .

(3351 - 3363) يخرج مولانا من سياق الحكاية لكي يتحدث مع المريدين فالرياضة الصوفية التي وإن كانت مشقة على الجسد إلا أن الروح الباحثة عن الله تجد البقاء والخلود بها ، ومن هنا فإن السالك يتحمل الرياضة لأنه يرى فيها بقاءه بعد الفناء ، وكذلك التضحية بالمال والروح في سبيل الله ذات مقابل ، ومن يضحى يرى العوض كما أن ولى الحق يتخلق بخلق الله ، وتفرغ روحه من هذه الدنيا وتعلقاتها ،وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَراءُ)(محمد / 38) والفقير هو كل إنسان يعطى على أمل العوض ، والدنيا كلها قائمة على الأعواض : كما يسلم الطفل البصلة المتعفنة (الآدمي والدنيا) على أمل التفاح (في الجنان) ، إن الكل يفكرون في الأعواض والدنيا كلها بمثابة سوق ، في المثل العامي الفارسي “ فلا أحد يلقى سلاما على أحد دون أن يكون في هذا السلام رائحة طلب نفع أو فائدة ، هذا اللهم إلا “ سلام الحق “ أي عناية الحق لنا واهتمامه بنا ، فهو لا يطلب لها جزاء ولا شكورا ، وهذا السلام تستطيع أن تسمعه من إنسان تكون رائحة الحق قد عطرت مشامه وإنني “ مولانا “ لأسمع سلام الناس أي لأعاشر الناس على أمل أن أسمع من أحد سلام الحق ، ولا يتأتى

هذا السلام إلا من إنسان يكون قد أفنى نفسه في الحق ، وبعدها يبقى لأنه يتصل بوجود الحق .

(3374) إن من لديه عقلا مدركا للمعارف يرى عن طريق القلب عاقبة كل أمر ، أما الذي يراها في نهايتها فهو قليل المعرفة ، ومضمون البيت الأخير من كلام - الإمام على - رضي الله عنه - (انظر تعليقات 2198 - 2199) (3389) إشارة إلى ما روى عن الشبلي أنه رأى في النوم بعد مصرع الحلاج ما يشبه القيامة وسمع خطاب الحق ، “ فعلت به ذلك إذ أفشى أسرارنا أمام غيرنا “ (استعلامى 3 / 368) .

(3396) منزل سر “ لدينا محضرون “ أي الحضرة الإلهية ، والمعنى مقتبس من الآية الكريمة (وإن كل لما جميع لدينا محضرون) .

(3397 - 3400) يتحدث مولانا عن عدم الأسى على ما فات (انظر 3267 و 3342) ويستنتج منها نتيجة معنوية هي لزوم الرياضة ، ومهما كان فيها من مشاق وصعاب على السالك فينبغي أن يسلم ، فإنه لم يقم بالرياضة باختياره ، لكنها كتبت عليه بأمر الله .

(3401 - 3420) الحكاية المذكورة هنا ذات أصول من أحاديث نبوية ورد في الجامع الصغير عن أبي موسى : إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته قبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده فيقولون : نعم ، فيقول : ما ذا قال عبدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد (منهج 3 / 444) . وفي البيت 3408

إشارة إلى الحديث القدسي " قال الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر " والشطرة الثانية إشارة إلى الآية 35 من سورة النورمَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ الْمِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ وللشاعر العربي أبى تمام :لا تنكروا ضربي له من دونه * مثلا شرودا في الندى والباس
فا قد ضرب الأقل لنوره * مثلا من المشكاة والنبراسوهذا هو ما قصده مولانا : أي تشبيه هذا ؟ إننا نشبه الجنة " التي ليس كمثلها شئ " بهذا المثل كما شبه الله سبحانه وتعالى لنوره من المشكاة وأين المثل من الممثول ؟ لقد كان لطف الحق فوق تحمل هذه المرأة ، والنص المذكور في البيت 3411 هو بيت الحمد المذكور في الحديث النبوي الشريف ، إن المرأة عندما ترى في نومها هذا النعيم تخاطب الحق : افعل بي ما شئت وصب البلاء فوق رأسي واسفك مني الدم ، وفي البيت التالي إشارة إلى الآية الكريمةوَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِما كَسَبَ رَهِينٌ(الطور / 21) وفي البيت التالي مضمون الشطرة الأولىما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَما عِنْدَ اللَّهِ باقٍ(النحل 96) ، وعينا الغيب : بصيرة العارف بعالم الغيب ووعيه ، فالله تعالى لا يفعل إلا الخير بعبده ، فإن سال من أنفه دم كثير فقد كفاه مئونة الفصد ونجاه من الحمى ، فحتى البلايا تنجى

الإنسان من الشر الكثير . وكل ما يملكه الإنسان إنما يملكه من سيره إلى الحق ومن تسامى روحه وتعاليها .

(3421 - 3446) إن أولياء الله تعالى يرون الموت (نقلا) من دار إلى دار أرحب وأفضل ، ويرون الحياة قشرا والموت هو اللب والدليل هذه الحكاية عن سيدنا حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - ، لقد كان في أخريات حياته يدخل الحرب دون ترس أو مجن ، وقد اعتبر بعضهم هذا الأمر من قبيل إلقاء النفس في التهلكة وذكروه بالآية الكريمةوَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ(البقرة / 195) وها هو ذا حمزة رضي الله عنه يرد على أولئك المتهمين الغافلين الذين لا يدركون أفكار حمزة - رضي الله عنه - عن الموت : إنني عندما كنت شابا أهتم بأن أظل حيا لأنى كنت أعتبر الموت وداعاً لهذه الحياة لكني الآن وببركة الإسلام ومن فيض محمد - لم أعد أخاف فخارج هذه الدنيا الفانية أنظر إلى " معسكر " الحق وأرى الجند الذين هم نور الحق ، فأين الخطر هنا وأين الموت ؟ إنني بعون الله وفي حماه أمن من التفكير في الموت ، إنما ينبغي أن يأخذ الآية الكريمة على ظاهرها ذلك الذي يرى في الموت " هلاكا " (في الكتاب الأول البيت 3437 تفسير اخر على لسان الإمام على - رضي الله عنه - لنفس الآية الكريمة) ، لكن الذي يرى الموت فتحا للباب ، فتحا لباب الحياة الأبدية الخالدة فهو يعمل بالآية الكريمةوَسارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَالْأَرْضُ(آل عمران / 133) إن كل من رأى الموت في جمال يوسف قد فداه بروحه ، لكن من راه ذئبا قد ارتد عن الهدى وظن أن الموت هو نهاية المطاف ، فالموت يبدو في " لون " كل إنسان هو يبدو حبيبا لأحباء

الله وأوليائه ويبدو عدوا لأعداء الله ، إنه كالمراة لا تبدى إلا ما ينعكس فيها (انظر الكتاب الأول بيت 3981 - 3982) . في ديوان شمس تبريز " إعلم أنك تساوى ما ترتعد من أجله " ومن هنا فقلب العاشق أعلى من العرش . ص 262 . وفي حديقة سنائى :
الموت لهذا هلاك ولذاك مئونة * والسم لذاك غذاء ولذا موت (ترجمة حديقة سنائى البيت 460) .
إنه مرتبط أيضا بخلفية الروح عندنا ، فمن هو في شوك إنما هو في شوك من أحواله الباطنة ومن هو في خزى فقد نسج هو الخزي حول نفسه ، إنما مصيرك مراة لنفسك .

(3447 - 3476) لكن جزاء أعمال الإنسان لا يتشابه مع هذه الأعمال مثلما تكون الصورة في المرأة ، فعملنا عرض من أعراض وجودنا لكن الجزاء ثابت لأنه من لدن الحق ، كما لا تتشابه الخدمة مع المكافأة ، فالخدمة التي يقدمها الفعلة كلها عنت وعرق ، لكن الأجر عليها طعام لذيذ . فإذا اتهمت بشئ ما فلابد أنك ظلمت أحدا ودعا عليك ، ليس المهم أن تكون اتهمته بما ليس فيه فاتهمت بما ليس فيك ، المهم أنك وضعت بذرة الظلم ، ومتى كانت البذرة متشابهة مع غرسها ؟ انظر إلى جزاء الأعمال متى كان يشبهها ؟ متى كان الجلد كالزنا ؟ إنك لم تضرب أحدا فلماذا تجلد وإنه ليس جزاء الزنا إنه بلاء لا يتشابه الذنب والعقاب ، فأي تشابه للعصا مع الحية ؟ وأي تشابه لقطرة المنى مع الوليد الذي يتحول إلى شخص سنى وإن الجزاء من جنس العمل لكنه لا يشبهه ؟ متى

يشبه حمدك وثناؤك على الخالق الطير ؟ (إشارة إلى حديث نبوي : من قال لا إله إلا الله خلق الله من كل كلمة منها طيرا منقاره من ذهب وريشه من مرجان) إن التشابه هنا غير موجود في الظاهر فإن نطفه الطائر من الهواء (في اعتقاد القدماء أن أنفاس الطيور تؤثر في سفادها) فحمدك وتسبيحك هما أنفاسك تلد هذه الطيور الفردوسية . ومتى تشبه الزكاة الأشجار المورقة في الجنة ؟ وأي شبه لحبك وحنانك وحدبك على الناس بأنهار اللبن في الجنة ؟ فهي جزاء من الحب والحدب ؟ ومتى يشبه شوقك وهيامك بالله أنهار الخمر التي هي جزاء هذا الشوق والحب ؟ إنها أسباب : الصبر والحنان والود ولذة الطاعة والسكر والشوق كلها أسباب للأنهار الأربعة في الفردوس ، فإذا كنت متصفا بها في الدنيا دانت لك الأنهار الأربعة في الآخرة ، إنها أبناؤك كما يسير ابنك خلفك قائلا لك : أنا جزء منك ، وهكذا أيضاً أعمالك الشريرة فإنها (تترجم) في الحياة الأخرى إلى الجحيم وحيات وعقارب وأشجار زقوم ، إنها الترجمة الفعلية لطبعك النارى .

(3478 - 3495) يوجه مولانا الحديث إلى المريدين الذين لا يقبلون الهداية ويجعلون الأولياء منتظرين ، إن هذا سوف يترجم يوم القيامة إلى انتظار للعقاب الإلهى تحت شمس القيامة المحرقة ، أن هذه هي نتيجة التسويف ، إن غضبك هنا (من النار) هو بذور السعير فأطفئه هنا في الدنيا قبل أن يستعر جحيما في الآخرة ، ولا يطفأ إلا بأنوار الأولياء طبقا لما روى عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم - : “ تقول النار للمؤمن يوم القيامة ، جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبى “ (مولوى 2 / 295 - 3 / 453) . “ وانظر الأبيات 1250 فما بعده من الكتاب الثاني “ ، ولا فائدة للتغلب على الغضب بدون عون من أولياء الحق فهذا يكون من قبيل

التكلف ، فإن نارك تكون موجودة لكنها تحت الرماد . سر إذن نحو هذه الطيور المائية : أي الأولياء الغارقين في بحر الجلال حتى يهدوك إلى عين ماء الحياة الحقيقية ، وإياك أن تخطىء فإن الأولياء والبشر العاديين متشابهون في الظاهر والشكل لكنهم لا يمتزجون كالماء والزيت : كما أن الوسواس الشيطانية والوحي كلاهما في عداد المعقولات لكنهما ليسا سيين . ورد في الجامع الصغير عن ابن مسعود - رضي الله عنه - " إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله ومن وجد الأخرى فليعذ بالله من الشيطان " (مولوى 3 / 455) ثم يقول مولانا : كلاهما يعمل من أجل ترويج بضاعته ، فينبغي على " صراف القلب " الذي يعلم الغث من الثمين أن يقيم بين البضاعتين ليختار الأمثل والأثمن ، وإن لم تعلم التفريق بينهما فتمهل ، وامنح نفسك فرصة التفكير وقل " لا خلابة " .

(3496 - 3499) الحكاية القصيرة الواردة هنا لها أصل في أصول الحديث شكا أحد الصحابة إلى الرسول أنه يغبن في البيع والشراء ، فقال له رسول الله - صلّى الله عليه وسلم - : إذا بايعت فقل لا خلابة ولي الخيار ثلاثة أيام . ماخذ 118 ، أي على شرط ألا يكون هناك غبن ولى حق الفسخ إلى ثلاثة أيام . والبيت 3499 إشارة إلى الحديث النبوي : التأنى من الرحمن والتعجل من الشيطان " وبقية الأبيات حتى البيت 3518 عن أهمية أن يلزم المريد التأنى لكيلا يصير من المنبتين فشرط المداومة على الطلب في الطريق هو أن يطلبه المريد بتأن وصبر وعدم تسرع .

(3519 - 3528) لا يزال مولانا يتحدث مبينا أن موت الأولياء هو من قبيل الانتقال والرواية التي وردت هنا بشأن بلال رضي الله عنه وردت قبل مولانا في معظم مصادر الصوفية ومن بينها الرسالة القشيرية وحلية الأولياء ، ففي الرسالة القشيرية ، “ ولما حضر بلالا الوفاة قالت امرأته : واحرباه “ أي وامصيبتاه “ فقال بل وطرباه غدا نلقى الأحبة محمدا وحزبه “ ولكن الرواية في حلية الأولياء وردت بشأن الربيع بن خيثم (ماخذ / 119) . إن كل من لم ينور قلبه بالإيمان ونور الحق كان يرى بلالا مجرد عبد أسود “ كما كان إبليس يرى آدم مجرد مخلوق من طين “ ، لكن إنسان العين أسود وهو مركز الرؤية والبصيرة ، وفي البيت 3525 فما بعده والإنسان الذي لا بصيرة له أي إنسان العين الذي لا يرى الظاهر فحسب هو أعمى ، أما الإنسان العين أو من في منزلة إنسان العين ، أو المبصر بنور الله هو مراة لنور الله سبحانه وتعالى ، وإنه لا يرى الباطن في الدنيا إلا ذوو العيون البصيرة أصحاب الكمال ، إنه لم ير بلالا حقيقة إلا “ إنسان عين المؤمنين “ محمد ، ومن سواه عندما ذكروا بلالا إنما ذكروا صفاته السامية على سبيل التقليد لا التحقيق .

(3529 - 3536) ليس الموت فراقا بل هو وصال ، ليس غربة بل هو عودة إلى الوطن ، عودة من الدنيا القصيرة إلى خاصة أهل اللهفِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ(القمر / 55) هي في أعلى في السمو ، لا في الأدنى أو الأحقر (الحياة الدنيا) إنك تنظرين إلى خراب المنزل ، لكن انظرى إلى ما وراء السحاب تجدين القمر ، وانظرى إلى ما وراء الخراب تجدين العمران ، فالقوم “ الروح “ عظيمة ومتسعة ورحبة ، لا بد أن نخرب منزل الجسد لكي نجد عالمها الذي تحن

إليه مثلما يحن الناى إلى منبته . (انظر الكتاب الأول - الأبيات الأولى) . وهذه الفكرة عبر عنها مولانا تعبيرا رائعا في ديوانه شمس الدين التبريزي :
موتنا هو عرس الأبد * وسر ذلك في قل هو الله أحد إن الشمس لتفرق بين النوافذ * وانغلقت النوافذ وذهب العدد وتلك الكثرة التي كانت في حبات العنب ليست في العصارة التي تنقطر من العنب .
وكل من هو حي بنور الله * يكون من الموت المدد لروحه (غزلية 833 ص 338)
ويوضح هذه الفكرة أكثر :
عندما يحملونى في نعشى يوم وفاتي * لا تظن أنني أهتم بهذه الدنيا فلا تبك من أجلى ولا تنح قائلا واسفاه واسفاه * إن سقوطك في حبال الشيطان هو مدعاة الأسف وعندما ترى جنازتى لا تقل الفراق الفراق * فذاك زمان الوصل واللقاء بالنسبة لي وعندما أودع في قبرى لا تقل وداعا وداعا * فإن القبر هو الحجاب على مجمع الجنان

لقد رأيت الأفول فانظر إلى الشروق * فمتى كان أفول الشمس أو غياب القمر خسارة لهما إنه يبدو لك غروبا لكنه شروق * ويبدو اللحد كالسجن لكنه خلاص للروح فأي حبة غرست في الأرض ولم تنبت * فكيف يكون ظنك هذا بحبة الإنسان ؟
(غزلية 911 ص 367) .

(3537 - 3553) فيما يبدو يجرى الكلام على لسان بلال لكنه حديث مولانا على لسانه يقول : لقد كنت محزونا في هذه الدنيا كادم عليه السلام .
كانت منفى لي كما كانت منفى له لكن روحي الآن تشرف على العالم بأكمله ، كنت في هذا الجب " كيوسف " ثم أصبحت الآن ملكا ، والملك في حاجة إلى قصر ، إن الدنيا لم تكن أنس الأنبياء لأن أنسهم لا يتم إلا بالله سبحانه وتعالى ، وإن لم تكن الدنيا ضيقة فلماذا هذا الكدح والعناء والمشقة فيها ولماذا ينحنى من يعمرون فيها وما هذا النواح للروح في قفص الجسد ؟ ولماذا تتحرر الروح عند النوم من علائق الجسد ؟ ولماذا يتحرر الظالم من ظلمه ، ولماذا لا يحس السجين عند نومه بوطأة السجن عليه ؟ كيف يصير هذا العلم الواسع الرحب (عالم المعنى) ضيقا بحيث تجوب الروح فيه ؟
وانظر البيت 3552 أليس يورد تشبيها شاع في العالم كله الآن على أنه مثل غربى :
ما ذا يجدينى اتساع العالم

إذا كان حذائى ضيقا ؟ وهو يشير في البيت 3553 إلى مفارقة ظاهر الجبار الظالم مع باطنه إنه في موكبه وفي زينته يبدو متهللا سعيدا لكنه في باطنه في عذاب من جراء ظلمه للخلق .

(3555 - 3567) إن النوم هو ملك الأولياء (نوم العالم عبادة) لأنهم في النوم يتخذون طريقهم إلى عالم المعنى ، والنوم هنا مجاز وإلا فإنهم يرون في اليقظة ما يراه غيرهم في النوم ويدلفون إلى عالم المعنى بغير باب " من النوم أو الموت " وإنه إنما يخرب جسده " بالرياضة " عامدا لكي يترك المجال لروحه للطيران سواء في النوم أو اليقظة ، وعندما يتم للروح كمالها مثلما يتم للجنين كماله ، يترك تعلقه بالرحم الضيق " الدنيا " (ما شبهت خروج المؤمن من الدنيا إلا مثل خروج الصبى من ذلك الغمر والظلمة إلى روح الدنيا) " حديث نبوي - استعلامى 3 / 374) ولولا هذا المخاض (هذه الرياضة) لبقيت رهين المحبس بين الظلمات الثلاثة . وكما تشق الطبيعة المادية طريقا للوليد (حتى في الحيوانات) وربما تموت الأم لتخرج الروح مثل الحمل من الشاة ، فإن الطبيعة الروحية تساعد الروح لكي تخرج من سجن الجسد ، مهما كان العناء ، فالعناء على الوالدة في المخاض ، لكن الجنين مستبشر ، هذه هي سنة الحياة ، ليست في الأحياء فحسب بل في الأمهات (العناصر : التراب والماء والهواء والنار) وإن لم يكن لها علم بهذا (هي مجبرة على هذا) إلا إذا كان لها سير إلى الله (السير إلى الله من تكريم الله للإنسان فحسب) . وأولئك الذين لا ينظرون إلى الظاهر " شكل الجنة " يظلون تواقين إلى الأسرار .

(3568 - 3576) يصل مولانا إلى خلاصة قصة بلال والنتيجة المستنبطة

منها إن الجسد عندما يتحول إلى روح ، أي عندما تتخلص الروح من علائق البدن ، فلا شك أن الأسرار تنكشف لها ، وكذلك فعندما تختفى " الأرض " من جو الفلك فلا ظل ، وكذلك عندما يختفى الجسد النور في قلوبنا ، فالدخان من الحطب ، أما الأجسام النورانية فلا دخان لها ، لأنها لا تتصل بالمادة ، وعندما ينبنى الفكر على المادة فمن الممكن أن يقع في الوهم والخطأ ، لكن العقل " عقل الروح " نادرا ما يقع في الخطأ لأنه لا ينظر إلى المشاهد والمحسوسات ، إن الناس يربطون حالات الإنسان بالأخلاط " السوداء والصفراء والبلغم والدم " ، لكنها أي الحالات في الحقيقة من الله " المسبب لا السبب " إن العلة الظاهرة لا يراها سوى أهل الظاهر .

(3577 - 3584) ومن ثم : فإن الروح البعيدة عن اللب " الحقائق " ، والمتعلقة بالقشور " الحياة المادية " لابد لها من طبيب ومن علة ، فالروح أسيرة الجسد هي مريضة وفي حاجة إلى علاج باد : وخلاص الروح من قيد الجسد " كسر القيد " ، الوصول إلى الحرية . . . بمثابة الحياة مرة ثانية يقول في ديوان شمس :
كنت ميتا فأصبحت حيا كنت باكيا فأصبحت ضاحكا * لقد حلت دولة العشق وصرت دولة ثابتة لي بصيرة شبعى ولى روح شجاعة * ولي جرأة الأسد ، إذ صرت متألقا ككوكب الزهرة (غزلية 1393 ص 539)

فالروح الحرة لا تتحدث عن العلل ، الا تؤمن إلا بالعلة الأولى ، هي مع الحركة الكلية للوجود لا علاقة لها بالحركات الجزئية ولا تنظر إلى الكون مجزءا وكأن هذه الروح " عريس " يزف إلى " عروس " الصدق ، والصورة هي الحجلة التي يجلس فيها العروسان ، ليس هذا فحسب بل تسمو على هذا العالم وتمضى إلى عالم لا يحتوى على قيد المكان أو الزمان ، وعقولنا هي ظل لهذه الأرواح الحرة عليها أن تعترف لها بالجميل وأن تقبل قدمها ، وإن المحقق لو أدرك القران لما استدل على شئ من ألوان وجوه الناس ، بلال رضي الله عنه أو غيره ، ولما استخدم القياس عندما لا يدرك الحقائق فلا قياس مع وجود النص .

(3585 - 3596) يتحدث مولانا عن تفسير عدم أهمية القياس مع وجود النص : إن النص القرآني قد أوحى به من جانب الروح القدس ، والروح - القدسية أو الروح الطاهرة - هي الوجود المطلق لإله المنزه عن قيود عالم التعين ، أما العقل الجزئي فهو العقل الذي يستطيع أن يدرك حدود العالم المادي ، ومن ثم فإن قياس هذا العقل واستدلاله في سبيل تأييد النص يظل بلا أثر والروح المذكورة في البيت 3586 هي الروح الإنسانية التي تجعل العقل يعمل ، ومن ثم فهذه الروح سواء الروح الفردية أو الروح المطلقة لا تدخل تحت تصرف العقل الجزئي حتى يثبت العقل باستدراكه أو يؤيده وفي 3586 يدور الحديث حول غرور العقل الجزئي المضل (تنظر تعليقات 3238) إن روح سيدنا نوح كانت تنبؤه من

داخله أنه مؤيد من الحق ، في حين أن روحك لو قالت لك داخلك أنك مؤيد فأين الأمارات الأخرى لرجال الحق ؟ وهذا الخيال والغرور نتيجة لأن العقل الجزئي لا يفرق بين الروح وبين آثار الروح وما يتحدث إليك في داخلك من الممكن أن يكون أثر الروح فنور الشمس غير الشمس ، إنه أشبه برغيف خبز (أي نصيب قليل) وهذا هو الإدراك المحدود لعوالم الغيب ، إن السالك في طريق الحق يسعد من مواجيده الأولى لأن نفى هذه الإدراك هي وسيلة إلى إدراك الحقيقة ، يلقى به النور نحو قرص الشمس ، إن النور الموجد هو آثار الروح المطلقة في عالم المادة ، إنه أفل ، إنه أثر نور وليس النور نفسه والآثار إلى زوال ، أما أولئك الذين وصلوا إلى أصل النور ومنبع الحقائق ، فهم دائما غارقون في النور ، فلا السحاب “ التعينات المادية “ ولا الغروب أي : “ ضياع اثار النور المادي “ تؤثر فيهم ، إنهم لا يحسون مطلقا بذات الحق حتى تحس صدورهم بالغصص والأحزان ، فلعل هؤلاء الواصلين إلى الحق منرهون عن الوجود المادي والترابى ، وأصلهم مما وراء عالم المادة ، وإن كان لهم وجود ترابى فقد تبدل بالنضج الروحاني ، فمن الممكن أن يتحمل الوجود الترابى إشراق نور الحق ، لكن نور الحق لو سطع عليه على الدوام فمن الممكن أن يحرقه ، اللهم إلا إذا كانت عوارض المادة قد انمحت عنه تماما (لا تتحمل القشة الجبل) .

(3597 - 3603) في طريق الحق نلتقى بنوعين من البشر : نلتقى بالكمل الواصلين الذين يسبحون دائما في بحار الغيب ، ونلتقى بالمدعين الذين كالثعابين ينزلون إلى الماء لكنهم لو ظلوا في الماء طويلا لماتوا ، هؤلاء المدعون (الثعابين) ذوو فنون في الجبل “ الدنيا “ وهم يخدعون البسطاء من السالكين

ويعدون أنفسهم سابحين في بحار عوالم الغيب ، لكنهم يستطيعون هذا الادعاء في هذا اليم فحسب “ الدنيا “ ، إن الفنون الحقيقية جديرة بأهل الحق فحسب :
ومن (فنونهم) أنهم يستطيعون أن يصحبوا في طريق الحق العابد للدنيا ، إنهم يسيرون حتى في أعماق بحر الجلال ، بحيث يعلمهم هذا البحر كيف يؤثرون في الآخرين ، إن نفوذهم معنوي وتأثيرهم هو السحر الحلال “ انظر تفسير 4082 “ وهو الذي يجعل غير الممكن ممكنا فهو متصل بقدرة الحق وقوله :
تمضى مائة قيامة ، أي يمضى وقت طويل جداً جدير بانتهاء عالم اخر مائة مرة .

(3604 - 3619) يشير العنوان والأبيات إلى عدم اهتمام بعض المريدين بكلام جلال الدين . . لقد صاروا ملولين يعتبرون أقواله تكرارا لما سبق من قول لكن مولانا يقول : إن هذا الكلام حياة وتكراره هو أن يهب عمرا مكررا للآخرين .
إن ما يجعل الشمعة تظل منيرة ، هو هذا النور الضئيل المتكرر ، وحتى التراب “ الإنسان “ يتغير بسطوع الشمس “ شمس الحقيقة “ عليه . . . أو أن التراب الحقيقي يتغير بسطوع الشمس عليه ويتحول إلى ذرات من الذهب ويعتقد القدماء أن تكوين المعادن الثمينة يتم بسطوع الشمس وإلى هذا أشار سنائى بقوله :
تنبغى سنون حتى يصير حجر بتأثير الشمس * ياقوتا في بدخشان أو عقيقا في اليمن (كليات ديوان سنائى ص 485) وهو يستخدم “ الرسول “ في موضع الشيخ إشارة إلى حديث نبوي : “ الشيخ

في قومه كالنبي في أمته “ (استعلامى 3 / 377) ، كما أن المشايخ هم رسل الضمير لأنهم يخبرون عن الباطن ، والمستمع الذي في طبع إسرافيل هو المستمع الذي يستطيع أن يحيى الموتى (بعث الموتى عن طريق صور إسرافيل) .
إن توقير الأستاذ شرط أول لاستفادة الطالب ، والطالب الذي لا يوقر أستاذه إنما يسد أمام نفسه طريق المعرفة ، ويقنط الأستاذ من قدرته على الاستفادة فينصرف الأستاذ بدوره عنه . إن اذانهم مستحسنه لأنها من حضرة الحق وهم يعلمون بلا من ولا أذى إنهم سلاطين ، وصدقة السلطان تصل إلى من يستحقها ومن لا يستحقها ، فمن ثم يخاطب المرشدين أو يخاطب نفسه : انطلق في طريقك وداوم على التعليم ، فإن التركي “ القائد والمرشد والبطل الهمام “ الذي يسعر الوغى سعيد بعمله هذا ، إنها لذة التعليم ولذة الإرشاد حتى ولو لم يوجد من يستحق ، فالفرس منطلق ، أي الإرشاد والتعليم فقد أغمض عينه عن كل ما سوى الله وعن الغير ، أي غيرة عشاق الحق من اهتمام الناس بغير الحق ، على الشيخ ألا ينظر إلى الأغيار ويقول وينطلق ، وينبغي ألا يدفعه الندم إلى الكف عن إرشاد المريدين ، فحتى الندم نفسه ينتهى عندما يرى الهداية من شيخ طريق .

(3629 - 3636) إن المريد الذي يقف في وجه مرشده هو جرىء على الحق ينازل ما لا يمكن نزاله ومالا يمكنه الصمود أمامه ، إنه أشبه بإنسان يجادل خالقه ويقف في وجهه ويتحداه وهذا ما لا يقع فيه حتى الحيوان ، فالجواد يعرف زئير الأسد ويشم رائحته ، والخفاش لا يخرج في نور النهار لأنه لا يقوى على النظر

إلى الشمس (الخفاش أيضا) رمز لعابد الدنيا وظلمتها والبعيد عن عالم المعنى والساقط في هوى النفس) . . . إن الخفاش لا يواجه الشمس فكيف يواجه المريد شيخه ؟ ومتى تتوارى الشمس بالحجاب أسفا على الخفاش ؟ ويصل مولانا إلى النتيجة : إن عاديت فعاد على حد قدرتك ، لا تعاد من لا سبيل لك إليه ولا استطاعة عليه ، فان فعلت فمصيرك هو مصير قطرة تعادى بحرا ودائرة تعادى سماء ، فإذا كان هذا هو مصير عدو الشمس “ الشيخ “ فما بالك بمصير من يعادى شمس الشمس “ الحق “ ؟ إنك لا تستطيع أن تعاديها بل إن عداءك لها خصومة مع نفسك . إن من ينازل النار إنما يصير حطبا لها ، وهو أيضا لا يتأثر باحتراقك ، إنه رحيم لكن رحمته ليست كرحمتنا فإن الرحمة تتأتى في قلوبنا من الإشفاق على الآخرين والاهتمام بهم والتألم لألمهم ، إن إدراك رحمته غير ممكن ، ولكن انظر فحسب إلى اثار رحمة ربك .

(3637 - 3652) يواصل مولانا هذه الفكرة : إن الله سبحانه وتعالى هو الذي يعرف ماهية رحمته وحقيقتها ، وهكذا أيضاً كل صفات الكمال الإلهى إننا نعرفها بالمثال فقط لا بالماهية ، فمتى يعرف الطفل لذة الجماع ؟
إنك تمثله له بالحلوى ولكن متى كان الجماع كالحلوى ؟ إننا كلنا أطفال كل إدراكاتنا عن الحقائق إنما تتم بالتمثيل لها فحسب ، ولا نستطيع أن ندرك حقيقة الوجود وماهية عوالم الغيب لكننا ندرك اثارها ، ومن هنا فإن قلنا نعرف فهذا صدق على اعتبار أننا نعرف بالمثال ، وإن قلنا لا نعرف فهذا أيضاً صدق على اعتبار أننا لا نعرف الماهية . ونوح هو المثال : إن قلت أعرفه فقد قرأت قصته في القرآن أثناء وجودي في الكتاب وسمعت عنه من الأئمة في المحاريب ، فأنت قد

عرفت قصته ولم تعرفه هو ، إنما يعرفه من هم مثله . وإذا قلت أي علم لي به ، وأين أنا منه قلت صدقا أيضاً أيها الفتى ، لأنك بالعقل لم تعرفه بماهيته ، والعجز عن درك الإدراك إدراك .

(3652 - 3659) إن الكمل والواصلين هم الذين يستطيعون إدراك الماهيات ، فلا تقل : إن هذا الحكم يشمل الجميع ، وسر الماهيات هو العلم الأزلي للحق أو ذات الحق ، وعند بعض المفسرين أن ماهية كل شئ كانت موجودة في العلم الأزلي قبل أن تتحقق في عالم الصورة (انظر الكتاب الثاني الآيات 169 - 180) ، وفي البيت 3656 يرى أعقل البحث والجدال أي العقل الذي يسيطر عليه الحس أو العقل الجزئي يقترن بأن إدراك سر الماهيات أمر أعمق وأبعد غورا من أن نفهمه ، ولا يمكن أن تصل إليه إلا " بالتأويل " ، فابتعد عنه ، ويرد القطب أو المرشد القائل : إنك تتحدث عن مالك أنت وهم أمر واهن وتظن أن مالا تفهمه لا يفهمه الآخرون أيضاً ، ويمكن أن يكون قصد مولانا المريدين الملولين أيضاً مخاطبا إياهم بألا يعمموا الحكم بعدم الفهم لأنهم لا يفهمون ، ويخاطبه قائلا :
أليست الواقعات وهي أول ما يستطع في القلب من نور المعرفة كانت تبدو لك محالا في البداية ؟ وإذا كان كرم الله قد أخرجك من سجونك العشرة أو تأثير حواسك العشرة : الخمسة الظاهرة والخمسة الباطنة ، وسمح لك بهذا أن تنطلق بعيدا عن هذا التيه وهذه الصحراء الجافة (الدنيا) فلماذا تظل أسيرا فيها ما دام الله قد حررك فلا تجعل من هذا الظاهر سجنا لك .

(3660 - 3670) الأمور نسبية ، المهم من أية وجهة نظر تنظر إليها ، وقد يجتمع الضدان (النفي والإثبات) في شئ واحد ومع ذلك فليس في الأمر هنا أي

نوع من التناقض ، ويشير مولانا إلى الآية الكريمة ،وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللَّهَ رَمى(الأنفال / 17) فالآية الكريمة تحتوى على نفى وإثباتما رَمَيْتَورَمَيْتَ: لقد رميت إذ إنك الذي رميت الرمح أو هكذا يبدو لك ، ولكنك لم ترم في الحقيقة فالرامى هو الله سبحانه وتعالى ، والقوة والحول منه والسلطان له جل شأنه ، والنصر والهزيمة بيده فمتى كان لقبضة من التراب أن تهزم جيشا ؟
ومن هنا فالنفى والإثبات " معا " جائزان وحتى الأنبياء (انظر مثال نوح عليه السلام في التعليق على الأبيات 3637 - 3651) ليعرفهم أضدادهم وأعدؤهم لكنهم يكتمون هذه المعرفة (وهذا هو الكفر فالكفر ستر للحقيقة لأن الحقيقة أوضح من أن تنكر)
وهذا مصداقا للآية الكريمةالَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ(البقرة / 146) إذن بم تفسر التناقض بين هذه الآية وبين الحديث القدسي " أوليائي تحت قبابى لا يعرفهم غيرى " ؟ لا تناقض : فإن الحق سبحانه وتعالى يعرف حقيقتهم ويجيزها لكن يمكن لغيره سبحانه وتعالى أن يعرفهم من ظواهر أعمالهم ومن آثارهم . والخلاصة أن ذلك من هذا الجدل فإن الأمر يكشف لك بقدر فهمك وإدراكك (انظر تفسير الأبيات 3637 - 3651) .

(3671 - 3684) يدخل مولانا في مثال اخر من نفس القبيل : وهو موضوع الفناء والبقاء ، والفناء هو ترك العلائق الدنيوية وعدم التعلق بها ونفى الظواهر الخادعة والتغلب بالتالي على كل جوانب الذات والنفس وانمحاء العبد في ذات الحق أما البقاء فهو خلود الحق بحيث يبقى العبد بعد فناء ذاته ببقاء

الحق - ويرى استعلامى أن القائل بأنه ليس في الدنيا درويش هو مولانا نفسه ، والواقع أن مولانا يتحدث بلسان القوم فقد ورد أن الدرويش الذي يدرك أنه درويش ليس بدرويش ، إنه في رؤيتة لذاته قد ابتعد عنه فهو في رؤيته هذه لم ينمح في ذات الحق تماما ولا تزال فيه نظرة إلى نفسه وذاته . . .

ويفسر مولانا أنه إن وجد درويش فليس موجودا بذاته هو ، لكنه موجود بذات الحق ، وليس فيه من الظواهر والأمارات ما يدرك بحواسنا ، وهو موجود غير محسوس كنور الشمعة أمام الشمس أو كنذر يسير من الخل في مائتي من العسل (المن مكيال فارسي يختلف باختلافف العصور وباختلاف أقاليم إيران ويترجم قديما وحديثا بكلمة من أيضاً) ، فنور الشمس غير ظاهر أمام الشمس لكنه يحرق قطعة قطن إن قربتها منها ، وطعم الخل ليس موجودا في الشهد لكنه موجود إن حللت وفصلته عنه " إن السالك أمام الله إذن كالغزال أمام الأسد ، إن ما أقدمه هو " قياس الناقصين " إنه من غليان العشق (تمهيد للحكاية القادمة وتدور حول العشق) .

فكيف يوضع العاشق في كفة أمام المليك ؟ ! لكن العاشق الذي فقد الأدب هو بالنسبة لله في منتهى الأدب .
إن ادعاءه العشق يبدو " مطامنة " لمن لا يطا من ، لكنه وعشقه " معا " فانيان أمام المعشوق سبحانه وتعالى ، ولسنائى الغزنوي " ما دمت لا تصنع من العدم خوذة على رأسك فإنك لا تيمم وجهك شطر البقاء " (حديقة ص 34) إذن لقد أطل العشق من الباب . فإذا بكل خيالاتنا وهم وعبث لقد أسفر العشق عن وجهه فعنت كل الوجوه ، وبهذا يمهد مولانا جلال الدين لواحدة من أروع قصص المثنوى على الإطلاق . . ولم لا ؟ وهي في الميدان الذي يصول فيه مولانا جلال الدين ، ويجول

ويثبت أنه شاعر الإنسانية الأول في كل أنواع العشق المجازى " عشق البشر " والحقيقي " العشق الإلهى " وبينهما برازخ ودرجات .

(3688 - 3698) هنا تبدأ حكاية صدر جهان وعبده الذي هرب منه ثم رده العشق حيث سيده ، ثم يعفو عنه سيده ، فليس المعشوق بأقل انجذابا إلى العاشق من انجذاب العاشق إليه كما سنرى ، وانظر قبل أن تتحدث عن أصل الحكاية (وماذا يهمنا أصلها وأصلها هو العشق ذاته وانجذاب ذرات الحقيقة بالعشق ، ثم انجذابها كلية إلى أصل العشق ومعدنه الحقيقة الكبرى أو الحقيقة الوحيدة . الله سبحانه وتعالى) .
انظر إلى هذا الرمز الواحد في (صدر جهان) " صدر الدنيا " والعبد أية مناسبة ؟ يا لها من مطامنة وياله من طموح إنساني لا حد له وألا يرمز الأمر كله إلى هروب العبد (الإنسان من سيده الأعلى ثم غربته في الأرض بعيدا عن منبته وعن جنته وحنينه إلى العودة ، وتوظيف كل قواه في سبيل هذه العودة ، وأنين روحه كما يئن الناى منذ أن قطع عن موطن الغاب " انظر أغنية الناى مقدمة الكتاب الأول من المثنوى كافتتاحية هي أشبه بافتتاحيات الأعمال الموسيقية الكبرى تمهد بألحانها المتداخلة لكل الألحان الواردة في العمل على طوله وتنبىء عنها وتلخصها في الوقت نفسه) وما صلة هذه الحادثة التي يوردها المفسرون بحكاية صدر جهان وعبده التي نحن بصددها . يقول المفسرون : إن الحكاية مستوحاة من السيرة التي أوردها محمد عوفي في لباب الألباب لمحمد بن عمر بن مسعود من أمراء ال برهان في بخارى ، فر من أبيه لسوء معاملة زوجة أبيه له ، ولجأ إلى مرو حيث هجا زوجة أبيه ، ثم راسل أباه ليعفو عنه وكان عوفي نفسه حامل هذه الرسائل وعفا عنه أبوه فعاد إلى بخارى

(ماخذ ص 119 - ص 121) . وهذه الحادثة ربما كانت نقطة انطلاق مولانا جلال الدين أو الإطار الذي ساق فيه “ إفاضاته “ عن الميدان المحبب إليه العشق “ كليات ديوان شمس الدين التبريزي مائة ألف بيت كلها عن العشق والمثنوى كله لا يزيد عن ستة وعشرين ألف بيت “ ، فهل يمكن أن يكون مثل هذا الجدول الصغير أو هذه البركة الآسنة منبعا لهذا المحيط من العواطف الجياشة ؟ لا أظن ! ينقل مولانا ثلاثة أبيات كقصة : لقد هرب عبد “ صدر جهان “ أو مستخدمه منه ، وساح في البلاد عشر سنوات ، وبعد عشر سنوات كان الفراق وعذبه الشوق ، ويصف مولانا الفراق وتأثيره ، إن كل أنواع الآلام والمتاعب ، وكل مرارة الحياة ومعاناتها هي من جراء هذا الفراق وهذا الانفصال عن المنبع وعن أصل الوجود (انظر أغنية الناى مقدمة الكتاب الأول) : من جراء هذا الفراق تبور الأراضي ويأسن الماء وتصير الريح ناقلة للأوبئة ، وتتساقط أوراق الحدائق وتذبل ولا يتحمل العقل ويتعطل ، وإنما يرتعد الشيخ هكذا من بعده عن الحق ، والنار نفسها لو كانت مورد عنايته لتحولت إلى جنة . . إن الحديث عن الفراق يطول دون أن يوفيه الجزء اليسير جدا من حقه ولا نملك هنا إلا أن ندعو : رب سلم في الفراق (إشارة إلى الحديث : شعار المسلمين على الصراط يوم القيامة : اللهم سلم سلم (استعلامى 3 / 381) ويترك مولانا سياق “ الحكاية “ بعدها حتى البيت 3791

(3702 - 3717) الرواية الواردة هنا إشارة إلى تمثل الروح القدس لمريم عليها السلام بشرا سوياوَاذْكُرْ فِي الْكِتابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها مَكاناً

شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجاباً فَأَرْسَلْنا إِلَيْها رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيًّا * قالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا(مريم 16 - 18) ويبدأ بأن يربط بين ما كان يتحدث فيه انفا وبين ما هو بصدده : الآن وقد أدركت أن كل شئ إلى فناء ، فقبل أن يفوت منك كل شئ انفصل عن صورة الوجود ، وقل كما قالت مريم : إني أعوذ بالرحمن منك ، لقد تمثل لها الروح الأمين (جبريل) بلا نقاب أي بدون غطاء ما من الصورة أو المادة جميلا كل الجمال . لقد كانت عارية وخافت من الغواية . إن الغواية هنا مقرونة بالعرى ، ينميها العرى ويسهلها فإن الثياب الساترة للمرأة وقاء لها من أن تغوى وليس كما يقول بعضهم وقاية لها من إغواء الآخرين . ولما لم تجد طاهرة الذيل بدا فرت إلى الله سبحانه وتعالى .

إن هذه النظرات المحرقة للعقل (تجلى العشق الإلهى والجمال الإلهى في صورة جبريل) تجعل العالم كله طوع أمرها ، فلا أبطال ولا ملوك ولا جيوش ولا بدور . إن هذا التجلي للجمال الإلهى يجعل كل الخليقة عبيدا له ، فما بالك بمريم التي كانت عارية خائفة من الغواية ؟ إن العقل الكلى نفسه ليسلم نفسه طائعا لهذا الجمال .

(3718 - 3724) إن مولانا لا يستطيع أن يعبر عن كل هذا الجمال (حكاية مريم عليها السلام ليست إلا تكأة ، ليتحدث عن الجمال الإلهى كأساس من أسس العشق موضوعنا الأصلي) إن أنفاس هذا الجمال قد أحرقت منبع أنفاسه إن المنبع الأصلي والاشتياق إليه قد أحرق حنجرتى فلا أستطيع الحديث وإن لم تصدق فانظر إلى أثر ذلك فأنت لن تدرى ماهيته وكنهه ، إنني دخان هذه النار . لا إن هذا تعبير باطل ، فاللفظ قاصر عن بيان عوالم الغيب (انظر تعليقات

الأبيات : 4725 - 4732 من هذا الكتاب) إن نور الشمس هو دليل على الشمس (ينظر تعليقات الكتاب الأول بيت 116) وإن الظل ليبدو أحيانا دليلا على الشمس (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) لكن عندما ترى الشمس ما فائدة هذا الدليل وما قيمته ؟ إن عظمة الحق وجلاله كافيان دليلا على وجوده ، أما إدراكاتنا الذهنية فقد حدثت بعد هذا الإثبات ، بل إن هذه الحركة الذهنية بطيئة بالنسبة لإدراك تجليات الحق ولا تصل إليه ، إن تجليات الله سبحانه وتعالى سابقة ، فكيف نصل إليها على هذه الحمر العرجاء (الفكر ، العقل الجزئي ، الوهم ، الخيال) ، إنه يأخذ الطريق عليها دائما .

(3725 - 3735) وبالرغم من هذا فإن هذه الإدراكات البطيئة لا تقعد في سبيل إدراكات تجليات عوالم الغيب ، وإن قوانا الذهنية مثل البازي ، ومثل السهم ، ومثل السفينة في حركة ، وتذهب وتعود ولا تصل إلى مكان ما ، إن هذه الوسائل تزيد في هجومها كلما بدت لها التجليات الإلهية عن بعد وعندما تختفى فإن إدراكاتنا تضل ، ومن ثم فإن هذه الإدراكات تظل في نصب وتعب دونما نتيجة ، فعليها أن تستريح حتى لا تضل ، ينبغي أن يستريج البدن قليلا مثلما يستريح في الليل (ليل اليأس من الوصول بهذه الوسائل) .

(3736 - 3745) يبدأ مولانا بعد انتهائه من البحث في إدراك تجليات عوالم الغيب (إدراكها هو الذي يخفى السالك العاشق على إكمال الطريق ، أليست تجليات المحبوب أو اثاره التي تبشر بقربه ؟) في إرشاد السالكين :

والحديث عن القبض والبسط ، إذا يضيق صدر المريد من فشله في الطريق ، أو يسر من وجدانه المراد وقربه من عوالم الغيب (انظر الكتاب الثاني الأبيات 2971 ، 2975) ، فالقبض والبسط في رأى مولانا مثل الدخل والمنصرف لا ينبغي أن يظل السالك على حال واحد منهما ، فكل فصل من فصول العام له دور في نظام العالم “ حتى الزمان يدور في دورته المناسبة وبتقدير من الحكيم العليم) . .
فإذا حل بك القبض ففكر أنك سوف تصل بعد الوصول إلى المراد إلى البسط ، فما بال هؤلاء المريدين كالأطفال لا يصبرون على المصاعب (القبض) ويريدون السرور (البسط) فحسب ؟ إن المريدين الواعين كالكبد دائما يتحملون أحزان طريق الحق ، أما أولئك الذين لا وعى عندهم فهم كالرئة يريدون دائما السرور (فسر القدماء الأحوال والعواطف تبعا لأعضاء الجسد فربطوا دائما الشجاعة بالكبد والسرور بالرئة منبع التنفس) “ استعلامى 3 / 383 “ وفي البيت التالي يتلاعب بلفظي “ اخر “ “ معلف “ واخر “ عاقبة “ والمعلف كناية عن الدنيا ، فالمريد الواعي يعلم تماما أن المنافع المادية لا توصل إلى عالم الغيب فالذي يرى الدنيا نفعا ورعيا كالأنعام إنما ينتظره في النهاية قصاب القضاء الإلهى ، فعاقبه الدابة ساطور القصاب .

(3746 - 3761) إذن إذا كنت تريد أن تنجو فخذ غذاءك من الحكمة من عوالم الغيب ، من نور الله ، اترك البدن ، وغذاء الروح من غذاء المعرفة الذي يعطيه الله سبحانه وتعالى لخاصته دون انتظار لمقابل ، فعندما قال الله تعالىوَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ(الملك / 15) كان يقصد برزقه هذا المعرفة والحكمة وهو الرزق الوحيد الجدير بالروح والمناسب لها ، فهناك غير هذا الفم الذي يأكل الطعام فم

اخر (انظر تعليقات البيت 18 من نفس هذا الكتاب) يأكل لقمة السر هذا هو قلب العارف ، لكن هناك شرط لكي يظهر لك هذا الفم هو أن تفطم عن لبن الشيطان ، أي اللذات المادية ووساوس الشيطان ، لا إنني لم اشرح هذا الأمر جيدا . لقد أنضجته نصف نضوج ، كما يفعل الترك بثريدهم . استمع إلى شرح هذا من الحكيم الإلهى سنائى الغزنوي يشير إلى ما ورد في الحديقة :

ألم تر أن الذي فوق كل الوجود حين خلق وجودك في الرحم أعطاك رزقك من الدم تسعة شهور ، الخالق الحكيم الذي لا مثيل له ورباك أيضا في بطن أمك وبعد تسعة شهور أتى بك إلى الوجودة ، وحينما أغلق هذا الباب للرزق في وجهك أعطاك بعده بابين أفضل منه ، أعطاك بعد ذلك الألفة بالثديين فهما أمامك طوال النهار والليل ينبوعان جاريان ، وقال لك : امتص من هذين الاثنين وكل هنيئا ، فليسا حراما عليك وحينما فطمت بعد عامين تبدلت جميع أحوالك ، أعطاك رزقك من يديك وقدميك ، امسك بتلك واسعى بذى في كل مكان ، فإذا كان البابان قد جاز غلقهما عليك ، فقد أقام بدلا منهما أربعة أبواب ، فخذ باليدين واسع بالقدمين بدأب ، واطلب الرزق في أنحاء العالم ، وحين يحم القضاء فجأة تكون أمور الدنيا كلها مجازا ، عجزت اليدان والقدمان عن العمل ، وبدلا من الأربعة أعطاك ثمانية فحينما قيدت الأربعة منك في اللحد ، صارت الجنان الثمان خالدة الثمان خالدة من أجلك ، فقد أعاد فتح الأبواب الثمانية لك ، وأحضر أمامك الحور والغلمان تذهب إلى أي باب مسرورا وكيفما تشاء ولا تتذكر شيئا من الدنيا ، فهو أكثر حنانا عليك من الأم والأب ، وهو رائدك إلى الخلد ، والخلعة التي كانت لك يوم عرسك ، لا يستردها منك يوم البعث . . (الترجمة العربية لحديقة الحقيقة الأبيات : 264 - 280) وقوله أيضا :

“ اهتم بنفسك ولا تنكر في الآخرين ضع حمل نفسك أمامك “ لا تهتم بأولئك الذين يشغلوننا بالدنيا ، ولا تكن كالطفل الذي يرجح سكر السرور أي لذات الدنيا ، فسكر السرور الحقيقي هو حصول المراد في طريق الحق ، وليس هو هذا السرور أي سرور الدنيا فهو جرح ومرهمه الغم ، وفي طريق الحق أحبب الحزن ، إنه يشبه الربوة تطل منها على مدينة الحقيقة ، والربوة جبل على بعد ثلاثة فراسخ من دمشق . وقد صارت الشطرة الثانية مثلا ، وأن عاشق الحقائق كالأشياء المحسوسة .
ولم تبتعد انظر إلى ما حولك في الحياة : ألا ترى الحمالين يتشاجرون على حمل واحد ؟ إنه حمل ثقل ينوء به كاهله ، لكنه يريده ولو تشاجر مع الآخرين ، إنه يفعل ذلك في سبيل الآجر فما بالك بالأجر الإلهى ، إن الأجر الذي يعطيه الحق هو الكنز الدائم الذي لا يورث لكنه يتقدمك إلى قبرك .

(3762 - 3768) كن ميتا قبل الموت إشارة إلى حديث يرويه الصوفية عن الرسول عليه السلام “ موتوا قبل أن تموتوا “ أي اميتوا هوى النفس والنزوع إلى الدنيا ، وإن فعلت فسوف تصبح قرينا للعشق السرمدي ، فحب الله وحب الدنيا لا يجتمعان معا ، وإن أصبح المرء قرينا للعشق السرمدي ، فسوف يرى الخير كل الخير فيما يحدث له فلا يتأتى من الحبيب إلا كل خير ، وما دام الحبيب ظاهرا له فإنه سوف يتحمل كل ألوان المجاهدة ، سيكون الصبر قرينا لمجاهدته ، فالحزن في هذا الطريق يساوى السرور الذي يوصل إليه ، بل إنه الضد الذي

يتجلى فيه ضده الآخر ، بقدر ما يكون القبض يكون البسط ، والأمر طبيعي جدا ، كأنه قبض الكف وبسطها ، فمنهما معا يتيسر لهما الرزق ، وتتيسر لهما الحركة ، إنهما مثل جناحي الطائر ، ولا يمكن لطائر أن يطير بجناح واحد بل لابد له من جناحين ، لكي تتيسر له الحركة .

(3769 - 3790) عودة إلى قصة مريم عليها السلام وتجلى العشق لها ، لقد اضطربت مريم عليها السلام لكن للحظة " تسلحت بيقينها وإيمانها فعادت إلى وعيها ، وهذا هو الروح الأمين يطمئنهاإِنَّما أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيًّا(مريم / 19) إنه تجلى الكرم من المقربين من الحضرة الإلهية فكيف تهرب منه إلى عالم الغيب ، إن من المقربين في هذا العالم ، أنه من هذا العالم الذي تسميه مريم " عالم العدم " لكن الوجود الحقيقي موجود داخله ويفسر لها جبريل ما خفى عليها (وهذا التفسير بالطبع من مولانا جلال الدين) . انظرى يا مريم إنني أمثل بالنسبة لك صورة مشكلة : إن لي وجودا ظاهرا وليس لي وجود ظاهر في الوقت نفسه ، إن هذا التمثيل في صورة إنما يتم للحظة ، هو وجود مستعار بالنسبة لي ، إنني وجود عيني " هلال " ووجود ذهني " خيال " هذا الخيال سيظل معك ، لقد استقر في القلب ، أينما تهربين فهو معك ، لأنه وارد حق ووارد الحق يستقر ، أما وارد الباطل فإلى ذهاب وضياع ، وإذا كالصبح الصادق " عالم الأنوار " ذلك الذي لا يكتنفه ليل " ظلمة الجسد ، ظلمة النفس " إنني وجود ثابت لا أفول ولا غروب له ، هيا يا مريم : ولا تستعيذى بالله ولا تلجأى إلى الحق فمن نفس الملجأ أتيت وبمشيئته سبحانه وتعالى تمثلت لك إنما تلوذين بي منى . إنك لا تعرفيننى (مثلما سنكتشف أن وكيل صدر جهان لم يكن يعرفه

حق المعرفة . كان ينتظر منه القهر ولم يكن ينتظر منه اللطف) وعدم المعرفة في الطريق إلى الله هي أكبر آفة في طريق العارف ، نحن جميعا في حمى المقربين إلى الحق دون أن نعرف ، فنحن نسمى الحزن في طريق الله حزنا وهو ليس بحزن بل سرور إن لطف الحق يظللنا كالأشجار الوارفة ، لكنه يمكن أن يكون قهرا وعذابا لمن ينكر الله ، ونحن لصوص لأننا غرباء عن عوالم الغيب ، ومن ثم فإن أشجاره الوارفة لن تكون إلا مشنقة لنا ، مثلما صار النيل دما لقوم فرعون ، إنه ماء ويعلم أنه ماء ويصيح في الناس إنه ماء ، لكن نظر قوم فرعون هو الذي تغير ، ولماذا نبتعد ونأتى بالأمثال من التاريخ : انظر إلى نفسك ! ألا يتغير أصدقاؤك إلى أعداء لك عندما تغير سلوكك معهم ! إنهم لم يتغيروا إن شحمهم ولحمهم لم يتغير ، سحناتهم لم تتغير ، نظرتنا إليهم قد تغيرت !

(3791 - 3796) عودة إلى سياق قصة وكيل صدر جهان : اترك إذن قصة مريم ، فهي شمعة ستظل مضيئة ، وعد إلى هذا الذي يكابد حرقة العشق يمضى إلى بخارى منبع العلم والعرفان ، وكم انتسب إلى بخارى من العارفين الواصلين إلى الحق ، وليس هذا الأمر مقصورا على بخارى فأنت أمام الشيخ كأنت في بخارى فإن لم تبد الذلة ، لن يفيض عليك الشيخ بعرفانه من منبع العلم والمعرفة الموجود في قلبه . وفي البيت 3796 إشارة إلى الخبر " طوبى لمن ذلت نفسه وطاب كسبه وحسنت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره " (استعلامى 3 / 386)

(3809) وطن العاشق حيث يكون المعشوق ، وهذا هو " حب الوطن من الإيمان " فوطن الإنسان في نظر الصوفية هو الجنة التي طرد منها ، ونفى إلى الأرض وامتدت غربته فيها وكل سعيه من أجل الوصول إليها .

(3810 - 3813) فيما يبدو أن مضمون الفكرة ورد في أبيات لسنائى :
وما دامت صورة خيال الحبيب معنا * فنحن في نزهة مع أنفسنا طول العمر وحيثما يكون جمال الحبيب * فوالله يكون صحن الدار منتزها وحيثما يأتي مراد القلب * فان شوكة واحدة خير من ألف من الرطب (كليات ديوان ص 805 - ماخذ / 121)

(3823 - 3831) حتى في المكان الذي يكون فيه موكل (حارس ، شرطي مطارد) ظاهر ، فهناك موكل خفى يحركه ، وإلا فان هذا الشرطي الظاهر لا يبدي كل هذا التوحش وهذه القسوة من نفسه بل لابد أن هناك من يدفعه إليها ، ويسمى هذا الموكل الخفي “ غضب مليك العشق “ ، أي القهر الإلهى . لقد دفع القهر الإلهى هذا الموكل إلى هذا الأذى ، إنه هو الذي يأمره بضربه ولو كان يدرى أن القهر الإلهى هو الذي يحمله لجأر بالشكوى والضراعة إلى حضرة الحق طالبا منه أن يخلصه من ذلك الشيطان المرعب (النفس) . إننا لا نرى ذلك الأمر ، أي أن القهر الإلهى عامل باطني في أعمالنا ، لأن رؤيتنا أنفسنا عظاما تمنعنا من ذلك لأن لنا أجنحة مزيفة من نعيم الدنيا الزائل ، ولو تخلصنا منها لرأينا الحقائق الخفية ، وإلا فان طين الدنيا يجعل الأجنحة ثقيلة ويمنعها من الطيران إلى العوالم العليا .

(3833 - 3847) إن عالمك لا يعرف العشق : تحتمل معنيين : أي أن العالم الذي تأخذ عنه كل هذه النصائح إنما يقولها من واقعة (العقلي) ولا علم له بعوالم

العشق التي تخضع لقوانين أخرى ومعايير أخرى ، أما المعنى الآخر فهو أنك أنت نفسك الذي تدعى العلم لا تعرف عوالم العشق ، ومن ثم فحالك هذا مثل أحوال علماء الظاهر الناصحين الوعاظ الذين يعلمون ظاهرا من القول ولا علم لهم بأحوال العشق ، هؤلاء مهما كانوا في علم أبي حنيفة النعمان أو الشافعي - رضي الله عنهما - إلا أنهما هنا عاجزان وقال جلبنارلى (3 / 426 إن المعنى هنا مأخوذ بنصه من سنائى كما ضمن مولانا في غزلين من ديوان شمس ، ومثل هذه النقطة ركز عليها الشاعر الفارسي الشهير حافظ الشيرازي كثيرا :

امح الأوراق إن كنت رفيقا لنا في الدرس * فإن هذا العلم لا يحويه دفتر وحسنا ما قاله الحلاج على المشنقة لا تسألوا الشافعي عن أمثال هذه المسائل .

ومن ثم فان العبد العاشق يموت كل لحظة ، أي يفنى في ذات الحق ، وفي كل لحظة موت إشارة إلى مراتب الفناء في الله سبحانه وتعالى ، فناء صورة العبد في ذات الحق ، وفناء أوصاف العبد في أوصاف الحق ، وفناء وجود العبد في وجود الحق ، إن روح الهدى “ أي روح المعشوق “ ، تقتل العاشق في كل لحظة ثم تهبه الروح التي تساوى عشرة أرواح من طهرها وعظمتها واطلاعها على عوالم المعنى ، وهذا مصداق للآية الكريمةمَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها(الأنعام) ، إن ما يسميه أهل الظاهر حياة هي في الحقيقة موت ، والخلاص من هذا الموت ، أي الحياة الحقيقية تتم ببقاء الله : إن هذا أشبه بما قاله الحلاج :

اقتلونى اقتلونى يا ثقات * إن في قتلى حياة في حياةوالأبيات فيها بعض التصرف بالطبع لأن مولانا جلال الدين يبدأ في استخدام العربية عندما يستبد به الوجد . إن كل من يتحدث سواء بالعربية أو بالفارسية إنما يتحدث عن العشق ، لكن يظل كثير مما لم يقل : إن تجلى الحق مما لا يوصف ، وما يتأتى منا في وصفه شئ فإنه بالتجلي (تضوع الرائحة) يأخذ بالألباب ، ومن الأفضل أن نصمت ونترك وصف العشق للحق نفسه ، فهو القادر سبحانه وتعالى على وصفه ، ولكن ليس معنى أن نترك الوصف هو أن نترك العشق ، فإياك أن تصدق توبة العاشق إنه لا يزال في عشق حتى وهو يساق إلى المشنقة ، انظر إلى الحسين ابن منصور الحلاج كان يمضى نحو المشنقة وهو في القيود الثقيلة كما يساق العيارون وهو يترنم بعشق الحبيب (رواية تذكرة الأولياء 591) .

(3848 - 3854) يشير مولانا إلى قصة وكيل صدر جهان مجرد إشارة ثم يمضى إلى عوالمه ، إنه يمضى إلى بخارى لكن لا إلى بخارى التي هي منبع العلم بل إلى بخارى الخاصة به ، إلى بخارى منبع العشق ، أنه كعاشق منبت الصلة عن المدرسة والدروس ، فان معلم العاشقين هو الحق ، ودروسهم مشاهدة الحق وتجلى الحق في بواطنهم ، إنه العلم اللدني ، إنهم في الظاهر صامتون لكن درس العشق يتكرر دائما في بواطنهم ، إنهم لا يحبون دروس أهل الظاهر فهي لا توصل إلى شئ ، إن دروسهم هي آداب السماع ، وتجلى

الحرقة والوجد والدوران والرقص ، ولا علاقة لهم بكتاب الزيادات في الفقه لمحمد بن الحسن الشيباني أو للإمام الغزالي ولا يتأتى التسلسل المنطقي للأبحاث والمسائل بحيث يترتب اللاحق على السابق . إن " تسلسلهم هو الغرق في أوصاف الحق وبدلا من أن يتحدثوا عن الدائرة المنطقية يدورون حول الحبيب " الرقص الصوفي " ولا علاقة له بكتاب السلسلة لأبى محمد عبد الله الجويني - جلبنارلى 3 / 427) . أما مسألة الكيس إحدى مسائل عقاب اللص : أي أنه إذا مد يده إلى جيب أحد وأخذ كيسه وما فيها قطع أما إذا حفظ صاحب الكيس كيسه في مكان ماء وسطا عليه اللص ، فان العقوبة تكون أخف ويرى مولانا أنه لا علاقة لأهل العشق بذهب الدنيا وفضتها ، فان معرفة الحق لا تحفظ في كيس وليست قابلة للسرقة ، والخلع الطلاق بميل المرأة بحيث تتنازل عن مستحقاتها والمبارأة أن يتم الطلاق باتفاق الطرفين ، وإن تحدث أهل العشق عن الفراق فلا تقلق فإن الحديث يدور عن وصال الحبيب (استعلامى 3 / 388 / 389) .

(3855 - 3861) يفسر مولانا خروجه عن سياق الحكاية فبالرغم من أن أمواج المعاني تخرجه عن سياق الحكاية إلا أنه في هذا الأمر لا يخلو من إرادة ، إنه يرى في هذه التعليقات معنى كبيرا بحيث يتناولها ، فحتى الكلمات وظواهر الأمور لها معانيها الباطنة . ومن ثم فان تعليقاته على الحكايات هي ماهياتها وبواطنها ثم يتحدث عن بخارى كمركز للعلم الظاهري ، لقد تعلمت فيها كل هذه الدروس السابقة ، لكنك إن قهرت النفس وعرفت الحق عن طريق القلب فسوف تترك كل هذه العلوم . (انظر تعليقات الأبيات من 3794 - 3796) إن وكيل صدر جهان قد عرف الشوق عن طريق القلب وهو متعلق

بصدر جهان تعلقا باطنيا ، فان أية معرفة أو توقى لن تجعله يحيد عن هذا الطريق ، إنها رؤية أهل الخلوة التي لا تجعل من المعرفة وسيلة للشهرة والجاه والمقام ، ومثل هذا الشخص يكون ضائقا من علم أهل الظاهر ، ولأن الرؤية هي الغالبة (على أسماع أهل العلم) فالعوام متعلقون بالدنيا ، لأنهم يروها (نقدا) بينما يرون الآخرة (نسيئة) .

(3862 - 3873) لا يزال مولانا يدور حول بخارى : إن وكيل صدر جهان ليس العاشق الوحيد لبخارى لأنها موطن عشقه ، بل لا يزال مولانا يحن إلى بخارى إحدى عواصم خراسان الكبرى مسقط رأسه “ بلخ “ والذي تركها طفلا ، ولأن المقام مقام شوق يعرج مولانا على قطعة شهيرة للرودكى :
إن حصى نهر جيحون ووعورة طريقه تبدو تحت قدمي كالحرير وإن ماء جيحون من سروره لرؤية وجه الحبيب يطف حتى يصل إلى أواسط مطايانا (انظر جهار مقاله الترجمة العربية لعزام والخشاب) ثم تتداعى البلاد ومعانيها سمرقند التي كالسكر (قند تعنى السكر بالفارسية) .
ولقد شفنى النحول يا بخارى حتى أصبحت كالهلال طلبا للبدر ، وأبحث عن الصدر (صدر جهان أو الرجل الكامل) وسط صف النعال (اخر صف في المسجد حيث توضع النعال وكناية عن الناس العاديين الذين تشغلهم الدنيا) .
وعندما يصل العاشق إلى ظاهر المدينة طفح به السرور ، لم يتحمل كل هذه المشاعر التي جاش بها قلبه ، فأغمى عليه ، وطار وعيه إلى عالم الغيب ، لكن مالك أنت وهذه الأمور ؟ إنك (غافل عن عوالم الغيب) ، إنك بوص

(جسد بلا رحيق وبلا سكر) إنك مأخوذ بعالم المادة غافل عن عالم المعنى ، وغافل عن المقصود بالآية الكريمةجُنُوداً لَمْ تَرَوْها *. (التوبة / 26) .

(3874 - 3885) لقد دخل العاشق دار الأمان حيث معشوقه ، إنه في غيبوبة من عالم الوصال ، لكن الناس لا يزالون يحذورنه ، سوف يكون عقابه بقدر ما كان قربه وعلمه (ادم والله سبحانه وتعالى) . ترى ما الذي جاء به ، وما الذي جعل الأرنب يتوقح على حضرة الأسد ، لكنه القضاء ، وسوف يتضح أن هؤلاء الذين يتحدثون إنما يتحدثون لأنهم لم يجربوا عوالم العشق .

(3886 - 3902) يخرج مولانا عن سياق القصة كعادته ، إلا أن هذا الملمح من ملامح المثنوى يزداد في هذه الحكاية وذلك لأن العشق في حد ذاته علاقة معنوية ولا شائبة فيها من المادة ، فضلا عن أن مولانا يرى نفسه في كثير من أجزاء الحكاية ، إن وكيل صدر جهان هو أحد الطالبين الباحثين في عالم الغيب لا أكثر . . إن العاشق كالمستسقى وفي اعتقاد القدماء أن الاستسقاء كان يحدث عن نوع من “ السدة “ بحيث يجذب الماء إلى داخل الجسم ويهلك الظمأن لكن الماء هنا يرمز بالطبع إلى وصال المحبوب الذي يفنى المحبوب نفسه في سبيله وبالنسبة لهذا المستسقى ، بالرغم من أن الماء فناء له ، إلا أنه يبحث عنه ، إنه يتمنى لو كان جدول ماء ، وما جدول الماء ؟ إنه يتمنى لو سفك الروح الأمين (أي المطلوب - المرشد الكامل - المعشوق) دمه . لقد اختار وكيل صدر جهان “ الفناء في الشيخ “ وهو في سبيل هذا الفناء مستعد لتحمل كل البلايا ، وهكذا هو المريد عندما يغضب الشيخ . إن الشيخ “ عيد “ ، ومريديه هم “ ضحايا “ هذا العيد ،

إنهم “ كالبقرة “ خلقت من أجل العيد ، وعندما تذبح في سبيل الشيخ فكأنها بقرة بني إسرائيل (تفسير الآيات من سورة البقرة 67 - 72) ثماضْرِبُوهُ بِبَعْضِهالقد ضرب القتيل بذيل البقرة المذبوحة فقام حيا وأرشد عن قاتله : وهكذا يرى وكيل صدر جهان : أنه حتى إن قتل فسوف يكون قتله حياة (القتل المادي يؤدى إلى الحياة المعنوية) .

(3903 - 3923) إن هذه هي سنة الحياة : أي أن الموت تعقبه حياة أفضل ، هي سنة الله في الكون وفي نواميسه : إن التراب يتبدل إلى نبات ويصير النبات حيوانا ، ويصيد البشر الحيوان ، وعلى هذا النسق فان وراء كل موت حياة أسمى وأرقى ، وهذه المراحل موجودة أيضا في خلق الإنسان : النطفة والجنين والوليد ، والإنسان الراشد . إن مراحل الجمادية والنامية مقدمتان لمراحل الإنسانية ، والموت عن الحيوانية ترك العلاقة النفسية - وموت الجسم إذن هو مقدمة لعالم الروح حيث يمكن أن يتدرج الإنسان إلى ما هو أعلى من الملائكية . . . .
حيث يكون فناء العبد في الله سبحانه وتعالى لأن كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (القصص / 88) إن
- العدم هو الوجود المطلق وهو الغيب والعدم يحدثني كالأرغون حديثا كالموسيقى ، لأنه حديث لا يستطيع الكلام أن يؤديه ، فاعتبر الموت كما اعتبره الصادقون المؤمنون ظاهره مظلم لكن ماء الحياة مخفى في داخله إن أعمارنا على هذا الطرف من النهر (الدنيا) قصيرة كأعمار الزهور ، فألق بنفسك في الجدول كالمستسقى واغرق ومت .
وأين أنت والعشق أيها المتجمد الذي لا علم لك بعالم المعنى مهما تظاهرت بأنك عاشق .
انظر وأنت في جمودك وحزنك المصطنع ، إن العاشقين يضحون وهم فرحين .

إن المرشد أمامك فأَدْلِ بدلوك وخذ من الأسرار . إن الإناء (المريد) عندما يوضع في الجدول " الشيخ " ينمحى فيه لكن هذا المحو هو عين الحياة ، لأنه لن ينقص بعدها أبدا ، وفي النهاية يتذكر مولانا صدر جهان الذي يقول : لا عودة إليه حتى ولو كانت هذه العودة هي بمثابة " المشنقة " لي فان هذا هو أقل اعتذار على أنني هربت منه .
إن الناس يرونه ماضيا إلى النار ، لكن متى كان المرشد حتى في غضبه نارا إنه كله نور حتى كان عقاب الله غضبا إنه رحمة بالعبد ورأفة به ، إنه لا يمد إلا للظالمين الذين طردهم من رحمته وختم على سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة .

(3924) من هنا تمتزج حكاية وكيل صدر جهان بحكاية أخرى ، ويدخل عاشق اخر إلى الميدان ، ويبقى وكيل صدر جهان في طي النسيان حتى البيت 4380 على وجه التقريب والعاشق هنا إنما يخرج " عشقه " للموت بثقة في أن الجسد إن فنى فالروح باقي ، ويلقى بنفسه في طريق المخاطر بشجاعة نادرة دون أن يبالي على أي جنب في الله كان مصرعه ، وفيما يبدو أصل القصة من الحكايات الواردة في ألف ليلة وليلة " الليالي 424 ، 425 "
وهي قصة عليّ المصري والمنزل المسكون الذي كان فيه كنز ذهبي مرصود باسمه ويقوم الجنى على حراسته ، وكان كل من يبيت فيه يوجد في الصباح ميتا حتى جاء عليّ المصري ورد على الجنى الذي يناديه في منتصف الليل وفك الطلسم وظفر بالذهب ، كما أن هناك العديد من الروايات العامية في كل مدينة حول مسجد أو دار لهما نفس هذه الصفة ، وفي الروايات العامية الإيرانية السائدة في طهران أن المسجد المذكور في الحكاية هنا هو مسجد " ما شاء الله " الواقع في شمال ابن

بابويه ، كما يقص أهل كرمان نفس الحكايات عن مسجد " كنج " بالقرب من حي بامنار في كرمان ، (ماخذ 122 / 123) .

(3935 - 3939) لو فرض أن جسدي قد فنى ، إن هذا الجسد لا يساوى شيئا إنه كحبة واحدة من كنز الروح ، وإن ذهب الجسد وهو صورة فليست الصورة بذات قيمة ، بل إن الصور تتبدل إلى ما هو أفضل ما دامت الروح باقية ، وما دامت نفخة من الإله مصداقا لقوله تعالىوَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي *فمن الممكن لهذه النفخة أن تخرج من الجسد وتتحرر ، وحتى تخرج جوهرة الروح من صدف الجسد ، وإذا كان تمنى الموت هو علامة الصدق مصداقا لقوله تعالى :قُلْ يا أَيُّهَا الَّذِينَ هادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِياءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ * وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (الجمعة / 6 - 8) فانني أقدم روحي قربانا خالصا له سبحانه وتعالى .

(3945) إشارة إلى حديث يروى عن النبي) " الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم " وانظر تعليقات البيت 140 من نفس الكتاب (استعلامى 3 / 393) .

(3949 - 3961) المقصود هنا : أنه عاطل ومشرد فيما يتصل بأمور الدنيا أو فيما يتصل بالحياة المادية ولا مبال بهما وهذا يساعد في السير المعنوي ، أي أنه ليس من أهل العافية وإيثار السلامة بل إني أحب أن تأتيني

الجراح من هذه الدنيا ، إنني عاطل كسول مشرد عن هذه الدنيا ، لكني جلد وسريع إذ أعبر جسرها وأصل إلى عالم الغيب ، إنني أطير عن عالم المادة لكي أوصل نفسي سريعا إلى أصل الوجود ومبدئه ، فالروح في الجسد كالطائر في القفص فعندما يرى الطيور من حوله سعيدة في البستان يضيق بهذا القفص ، فهو فيها وليس فيها ، لكنه عندما يرى قطا يحوم حول القفص “ العقاب الإلهى “ لا يرغب في الخروج من هذه القفص ، وهكذا من يخشى عقاب الله ، لا يرجو لقاءه بل يتمنى أن تزداد الأقفاص حوله ، وما هذا بمنجيه .

(3962 - 3976) إن مثل هذا الطائر الحبيس في القفص الذي يرى القطط خارجة كمثل جالينوس ذلك الذي يضرب به في العلم الدنيوي والمادي المثل لكنه فيما يتصل بالعلم الإلهى لا يقل عن العوام ، والدليل على ذلك أنه كان متعلقا بالحياة الدنيا إلى درجة أنه كان يفضل رؤيتها من “ فرج بغل “ ، عن مغادرتها بالموت ، والعبارات واردة في مقالات شمس تبريزى (عن : ماخذ ص 123) ، وبعد أن يسوق مولانا هذه الحكاية يعود إلى مضمون البيت 3959 ، ويعتبره من أهل الدنيا الذين لا يريدون مغادرتها خوفا من العذاب . إن جالينوس لم يعرف شيئا عن ماهية الحياة بعد الموت - فهو كالجنين في رحم الأم (انظر تعليق الأبيات 53 وما بعدها) ، ثم يقول مولانا إن الفرق بين الأنبياء والناس العاديين هو أنهم يرون بستان عالم الغيب عند مغادرة الدنيا ولا خوف لديهم من موت الجسم .

(3977 - 3994) ويشك مولانا في أن يكون جالينوس هو قائل هذا القول ذلك أنه من المستبعد أن يتعلق من هو في حكمه جالينوس بالدنيا كل هذا

التعلق ، وسواء كان هو القائل أو سواه ، فإن قائل هذه العبارة لم ينور باطنه بنور المعرفة الربانية ، إن روحه كالفأر عندما يرى القطط (عوامل القهر الإلهى) يفر إلى جحر ويصير هذا الجحر عالمه ودنياه يبنيه ويأخذ من العلم ما هو جدير به ، ويظل قائلا للدنيا : هل من مزيد و “ إنه لا يصل حتى إلى الفأر “ إن مثل أهل الدنيا كالعنكبوت ومثل أهل الحق كالعنقاء ومَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِياءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِولكنه مهما فر في جحره فان القطة تمد مخلبها داخل القفص وعوامل القهر الإلهى كثيرة إذ ان رجل الدنيا غالبا ما تصيبه الأمراض والعلل التي هي مخالب الموت من قبل الألم والدوار والمغص ، فالموت قادم إليه لا محالة إذ لا مهرب منه ولا مفر . إن حكمه ماض في الناس جميعا ، والمرض هو الشاهد هو رسول هذا القاضي ، صاحب الحكم النافذ ، والمرء إنما يبحث في الدواء والعلاج عن مهلة أمام هذا القاضي ، إنه هروب من رسول القاضي ، ورتق تلك الخرقة المهلهلة المسماة بالجسد ، وليس من رتق إلا التوبة فقلل من الانشغال بالدنيا (سوق الجواد في الظلمة) فرسول القاضي يستحثك على هذا .

(4001 - 4013) إن الأسد هو الذي يستطيع أن ينازل القضاء ، ومن هو الأسد ؟ ! إنه أبدال الحق الذي تبدل وجوده لأنه يعتمد على قدرة الحق اللامتناهية وهو الذي يهزم الموت (حياته دائمة لأنه ينتقل من دار إلى دار ومصداقا للحديث المنسوب إلى النبي - ، - إلا أن أولياء الله لا يموتون بل ينتقلون من دار إلى دار) ، لقد خلصه الله من سجن الدنيا وحتى الخل يصير خمرا له (عندما

يشرب الولي السم يصير له عسلا 2615 من من الكتاب الأول) ، لكن أولئك الذين ليسوا من رجال الحق يظنون أنفسهم صيادى أسود وهم فريسة لها وفي مقابل رجال الحق هناك المنافقون وعلامتهم أنبَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى(الحشر / 14)
إنهم فرسان المقال يتنفجون فيما بينهم ، يفخرون شعرا ويقعقعون لفظا ، لكنهم عندما تقع الحرب يظلون كالنساء في البيوت " أو يولون العدو الأدبار " ؟ مع أن الرسول ، ذلك القائد المغوار قال إنه لا شجاعة قبل الحروب وقد أخذ جلال الدين مضمون فحواه ، " لا تعرف ثلاثة إلا عند ثلاثة : الحليم عند الغضب والشجاع عند الحرب والأخ عند الحاجة إليه " وهو منسوب في إحياء علوم الدين والرسالة القشيرية إلى لقمان الحكيم (استعلامى 3 / 396) .
ومثل هؤلاء كالباحث عن الصفاء في عشق الحق ، لكنه يفر من الظروف التي تمنحه هذا الصفاء ، يفر من الامتحان الذي ينقيه ومن البلاء الذي يصهره وعندما يريد الموت أو الفناء الدليل فقدمه ، وقبل الحية ، أي اقبل كل خطر في هذا الطريق حتى تصل إلى كنز معرفة الحق (في المأثور الفارسي كل كنز تحرسه حية ولا يظفر بالكنز إلا من يقتلها) .

(4014 - 4038) يقدم مولانا الصور تلو الصور ، لكي يصل إلى معنى عام هو : أن الآلام في طريق العشق ليست إيذاء لروح العاشق ، إنها أذى وقمع للصفات الموجودة في نفس العاشق والتي تبعده عن العشق ، وأولى بهذا التأديب أولئك الذين حادوا عن طريق الرجال (الجهاد في الطريق) إن هؤلاء عار على الطريق ، إياك أيها السالك أن تمضى معهم فأولئك الذين نزلت فيهم الآية الكريمة

لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ ما زادُوكُمْ إِلَّا خَبالًا(التوبة / 47) إن هذا الرفيق الضعيف الواهن يذهب شجاعة الأبطال ويفل عزم الرجال ، فالرجال مهما كانوا في قلة (والكرام قليل) أفضل من أن يكونوا في كثرة مع أولئك النفر ، فلا طريق لخائف جبان ، فالخائف الجبان لا يعرف له طريقا حقا إنما يبذل في سبيل الطريق من هو عالم بنهايته (وما نهايته إلا الحياة) ليس كالمجوسي الذي جعل الدنيا كل همه ومبلغ علمه . إنني لا زلت أوصيك : إذا أردت القتال فاطلبه من الرجال ، وإذا أردت الصيد فاستخدم العقاب لا الطاووس مهما أعجبك ريش الطاووس ، ومن هنا تتخلص من الطبع (النفس والهوى) فإنهما يضلانك كما يغويك ريش الطاووس .

(4039 - 4055) إن المنافق يضل في الحرب . . يتشدق بالشجاعة ثم يكسر الصفوف ، وهذا ما فعله الشيطان مع الكفار في بدر عندما ظهر لهم في صورة سراقة ابن مالك ووعدهم بالعون ورغبهم في قتال المسلمين وقد وردت في تفسيرات الآية الكريمةوَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ وَقالَ لا غالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ نَكَصَ عَلى عَقِبَيْهِ وَقالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرى ما لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقابِ(الأنفال / 48) وواضح بالطبع أن مولانا قد اعتمد في هذه الأبيات على رواية المفسرين تماما بعد أن اكسبها بعض التجديد عن طريق الحوار الحي .

(4056 - 4065) إن النفس الإنسانية هي والشيطان من أصل واحد كما أن الملاك والعقل الباحث عن المعرفة كانا من أصل واحد ، وتجليا في صورتين

(انظر شرح الأبيات 3195 - 3200) . والنفس في داخلك عدو يقف للعقل كل مرصد ، ويسد عليه طريق المعرفة ، وليس لها جحر واحد بل لها جحور عديدة ، إن لها مئات المداخل إلى الإنسان ، وهي العدو الموجود معك في إهاب واحد وعلى ذلك فهو يعرف أنواع ضعفك ، ويعرف نقاط الضعف عندك ، ويعلم مداخلها أنها كالضب يقوم بهجومه ثم يفر إلى جحره . وجحور النفس عديدة ، ومن ثم فقد سميت " الخناس " من " خنوسها " والخنوس هو اختفاء الرأس داخل الجسد ، فكأن الرأس ؟ عندما تختفى تبدأ - بالوسوسة ، إنها تخشى أن تطل برأسها من العقاب الإلهى ، لكنها أن وجدت الفرصة تستطيع أن تخدع الحية نفسها ، ولنا أن نتخيل خطر هذا العدو الذي يأتي من الداخل ، الذي يعرف كل مواطن الضعف فيك ، الذي يصاحبك نفسا بنفس وخطوة بخطوة ، ينتهز فرصة ليدخل إليك فيها وليفسد قلبك فيها ، لا يكف عن الوسوسة ، ولا يكف عن الهجوم ، وقد تكون غافلا عنه فلا تجاهده الجهاد الأكبر .

(4066 - 4072) لا يزال مولانا يتحدث عن أن كل عوامل الضلال فينا تنبع من داخلنا ، إنها تدمر من الداخل ، فيكون التدمير من الخارج سهلا ، وعندما تدمر من الداخل يستطيع الموكلون من قطاع الطرق ، أو من " عمال الحكومة وشرطتها " التغلب عليك كأن مولانا كان يعلم أساليب السيطرة على عقل المتهم وعلى نفسه وأساليب إضعاف الروح المعنوية بحيث يستسلم " المتهم " داخليا قبل أن يعلن استسلامه ، ويكتب كل ما يملى عليه من " اعترافات " . إن الهزيمة تأتى من الداخل تقطع عليك النفس الطريق فتشعر بالخوف والهلع . فتصير فريسة سهلة لقطاع الطريق من الخارج ، تسيطر عليك شهوتك من الداخل فتجعلك

" 600 "

أسيرا للحرص والطمع والآفة ، وشيطان الداخل أي النفس يسلمك إلى شيطان الخارج من عسس وجلادين وشرطة فتصير لصا واثما وفاسقا (لأمراض النفس التي تسلم إلى أمراض البدن ولقبض النفس الذي يسلم إلى قبض الشرطة - انظر أيضا التعليقات على الأبيات (348 - 393) . ومن هنا مصداق الحديث النبوي الشريف " أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك " ، أليس من عداوتها أنها تشغلك كل هذا الشغل بنعيم الدنيا وزخرفها بحيث يبدو العقاب الإلهى في الآخرة سهلا ميسورا في نظرك ؟ إن النفس من سحرها لتبدى لك الموت نفسه سهلا .

(4073 - 4082) يواصل مولانا الحديث عن حيل النفس ، ومن هو أقدر من الطبيب النفساني للمريد أي المرشد على الحديث عن هذه الأمور ، إن سحر النفس داخل الإنسان من أخطر ما يتعرض له المريد ، فإن النفس من حيلها لتجعل الصعب سهلا ميسورا والسهل صعبا ، وتقلب الحسن قبيحا والقبيح حسنا ، وتزين الشر والفسوق والمعصية ، وتقبح الخير وتجعله مكروها . . هذا هو السحر الذي يقلب الأعيان والأشكال ، إن فيه سرا مستترا ، إن تزيينات النفس هي من قبيل تزيينات الشيطانوَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ *. لكن إياك والناس فكما يوجد السم يوجد الترياق ، وكما توجد النفس والشيطان يوجد رجال الحق أطباء النفوس الذين يستطيعون تتبع " تزييناتها " وإبطال سحرها إن هذا الحديث الطويل عن النفس يريد به مولانا أن يبين أن في مقابل عالم العشق والتضحية والتحليق في الآفاق العليا يكون عالم النفس قبيحا ، ولأن النفس حجر عثرة أمام العشق فإن العشق هو الذي يستطيع أن يقضى عليها ، والبيت 4082 إشارة إلى الحديث النبوي ، " إن من البيان لسحرا " .

(4091 - 4100) القصة الواردة في هذه الأبيات فيما يراه فروزانفر لم ترد قبل مولانا ، وإن وردت بعده في بعض المصادر نقلا عنه (ماخذ ص / 124 - ص 125) .

(4101 - 4105) يواصل ضيف المسجد حديثه ، والحديث في الحقيقة هو حديث مولانا : إنني عاشق لأسرار الغيب ، لقد ضحيت بالوجود المادي " لا " في سبيل الوجود المعنوي " إلا " أن هذه التهديدات ما هي إلا من قبيل طبلة الطفل الصغيرة ، بينما تصيرت هي مثل تلك الطبلة الكبيرة التي يحملها الجمل للسلطان محمود . إنني أضحى بالروح كما كان الإسماعيلية أتباع الحسن بن الصباح - شيخ الموت الذين كانوا يقومون بكل ما يكلفه به شيخهم من أعمال انتحارية طمعا في جنة أبداها لهم وهم في غيبوبة المخدر كما في الروايات ، أو طاعة كاملة للشيخ كما هو في الحقيقة (انظر برنارد لويس : " فدائيان إسماعيلى ") (الترجمة العربية تحت عنوان الحشاشون لمحمد العزب موسى) .
أو إنني إسماعيل - عليه السلام - الذي كان مستعدا لأن يكون قربانا في طريق الحق - سبحانه وتعالى - ، إنني أقوم بما أقوم به لا طمعا في الشهرة في الدنيا ، ولا تظاهرا بالبطولة أو رياء ، لقد ناداني الحق ، وهأنذا ألبي النداء (قل تعالوا) استفتاح الآية الكريمة 151 من سورة الأنعام .

(4106 - 4117) الحديث المذكور في البيت الأول هو في الحقيقة من نهج البلاغة " من أيقن بالخلف جاد بالعطية " (استعلامى 3 / 399) . والمضمون من

الآية الكريمةمَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها(الأنعام / 160) وعلى هذا يعيش الناس ومن أجل هذا يعلمون وسوق الدنيا كله قائم على هذا .
كل أعمالك في الدنيا وحرفك وتجارتك قائمه على التنفع ، فلماذا عندما يأتي ذكر الآخرة والربح فيها تنسى ديدنك ؟ ألأن الآخرة أمر معنوي ؟ إذن فما علمك في الدنيا وما فنونك إلا متاع يعرض في سوق الدنيا .
أليست من الأمور المعنوية ومع ذلك تريد بها الجاه والشرف والحيثية والمناصب ؟ هيا فلنقس بهذا القياس : الروح عزيزة ما لم يوجد أعز منها ؟ فإن وجد ما هو أعز منها أصبحت الروح بالقياس إليه شيئا واهيا حقيرا لا قيمة له .
إن الدمية هي للطفلة شئ غال عزيز المنال ، لكنها بمجرد أن تكبر وتصير ولودا للأطفال " يبرد " حب الدمية في قلبها والتعبير من حديقة سنائى ، وهكذا حالك ما دمت متعلقا بالدنيا فأنت طفل ، خيالاتك وتصوراتك ومعتقداتك ومقاييسك ومعاييرك نابعة من هذه الطفولة ، وعندما تكبر ما تفكر فيه هو وصال الحق الذي تعتبر دنياك كلها إلى جواره شيئا حقيرا وواعيا ، إنني لا أستطيع أن أتحدث بصراحة أكثر فليس هناك من هو جدير بأن أتحدث معه عن الوفاق مع الله .

(4118 - 4128) يشير مولانا إلى ما ورد في سورة التوبةإِنَّ اللَّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ (الآية / 111)
فانظر إلى قيمة البضاعة الفانية بالنظر إلى الثمن الخالد الباقي . لكنك بشكك وعدم إيمانك وضعف يقينك لا زلت تنظر إلى البضاعة ولا تنظر إلى الثمن ، وإليك إذن مراتب معرفة البشر : إنها الظن والعلم واليقين : فالظن هو العلم المبنى على المحسوسات ، هو علم الحياة المادية والعلم هو المعرفة القائمة على الطلب

والعقيدة ، وطاعة المرشد ، ثم اليقين وهو الإدراك الذي لا أثر فيه لشك أو استدلال هو كما يقول العارفون ، " مشاهدة الغيب بعد الكشف عن طريق القلب " وفيه ثلاث
مراتب علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ، وهكذا يقول مولانا : إنه حتى أولئك الذين هم في مرتبة الظن يرغبون في معرفة قائمة على اليقين في القلب . ونفس هذه الرغبة توصلهم إلى مرتبة " العلم " وإليها يخلدون قليلا وبدلا من الطيران يسيرون ، وهذا العلم مرتبة أعلى من الظن لكنه أقل من اليقين وهذا في الطريق الذي جريه رجال الحق وقطعوه ، ومن ثم فإن من لديه اليقين يرى الحقائق بعين الباطن عيانا فهو " يبحث عن الدليل " ، وإنك إن كنت في شك من هذه المعاني فاقرأ صورة التكاثركَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّها عَيْنَ الْيَقِينِ (5 - 7 التكاثر) .
إن محبي الدنيا يسيرون من الظن إلى العلم ومن العلم إلى اليقين على ما قاله الله سبحانه وتعالى في سورة التكاثر : أي أنهم عندما يرون الجحيم يعلمون أنه حقيقة ماثلة ، إننا نحصل على البصيرة الباطنية عندما نتيقن بحقائق عالم الغيب . إن هذا التطور ماثل في سورة التكاثر .

(4129 - 4143) القائل هو ضيف المسجد في الظاهر وفي الحقيقة هو مولانا : إن الإنسان الواصل والكامل لا يتحدث عن الظن والعلم واليقين ولا يتحول عن طريقة من لوم اللائمين ، لقد " أكل من حلواه " أي صار ذا نصيب من المعرفة بعالم الغيب ومعرفة الحقائق ، إن هذا الطريق الذي أسير فيه هو عودة إلى مبدأ الوجود ، لقد تجلى الجمال في قلبي ، كما تجلى في ضحك الورود ، وتجلى في امتشاق قامة السرو ، وتجلى في حلاوة السكر في قلب البوص ، وتجلى في

جمال الحسان الموجودات في مدينة شكل (إحدى مدن التركستان) تجليا جعل من الجسم المادي منبعا للجمال ، وجعل حاجب الحسان سالبا للب ، وجعل اللسان ينفث سحرا (إن من البيان لسحرا) . لقد فتح خزانة الأسرار وتجليات عالم الغيب ، أصمى قلبي بسهم من سهام العشق ، فجعل ألم هذا السهم شكرا له وسكرا في فمي ، ومن هنا فكل لحظاتى وأحوالي هي من أجله ، وعقل روحي ، أي عقلي الباحث عن الحق متوجه إليه في كل حال ، والعقل والروح حارسان لجوهرته اليتيمة “ العشق “ . . إنني لا أتقول هذا ، وإن كنت تظن أنني لا أصف ما في نفسي حقيقة فانظر إلى ماء وجودي قد أخمد نار العلائق النفسانية فِيّ فلا خوف ولا اضطراب لدىّ ، إنني لا أستطيع أن أتقول فإن مخزن الأسرار هو في يده سبحانه وتعالى ، ولهذا فأنا صامد لأننى في اعتماد على الحق ، ومن في عناية الله إنما يقضون على أعداء طريق الحق ويفضحونهم كما تفضح الشمس كل ما هو في الخفاء .

(4144 - 4151) لقد صمد الأنبياء ، وكل نبي كان وحده ، كان فارس ميدانه هجم على جيوش الملوك ، وبثباته الذي يشبه الحجر الصلد دك هذه الجيوش التي كانت أمامه كأنها المدر ، إنه الصامد بعون الله وتأييده ، وبينما الآخرون من ملوك وجيوش يستمدون صلاتهم من عوامل دنيوية فسرعان ما يتحطمون ، وهل يضير القصاب كثرة الخراف ؟ وهل للخراف أية قيمة بدون حفظ الراعي وسعيه في خيرهم “ كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته “ والنبي راع من الرعاية والحفظ لا من الرعى ، يرعاهم حبا حتى ولو أغلظ عليهم ، إنما غلظته عليهم من أجل شفقته بهم (تمهيد لموضوع قادم في أن البلاء من الله تعالى صهر للمؤمنين وإنضاج لهم) .

(4152 - 4161) لا شجاعة ولا صمود ما لم يكن هناك أمل في النصر ينبع من الداخل والباطن ، وهكذا لا ينى مولانا ينبه إلى أن عالم الإنسان بكل ضعفه وقوته وهزيمته ونصره وتسامية وسقوطه إنما ينبع من داخله هو . . . إن هناك هاتفا يهتف داخل ضيف المسجد (أو مولانا جلال الدين) ، إن العناية تهتف به : إنني أنا الذي أبتليك فاعتبر البلوى نعمة ، إنني أحزنك حتى أبعد عنك من السوء ، إنني أصهرك داخل هذا الأتون لأعرف معدنك إنني أستطيع أن أوصلك إلى هدفك دون تعب ودون طريق ، لكنك لن تجد للهدف آنذاك مذاقا حلوا ، إنني أعبر بك الدوامات والزوابع ، لكي تصل بعدها إلى الكنز ، وبقدر تعبك تكون راحتك ، وبقدر تشردك تكون اللذة في الاستقرار ، وبقدر غربتك يكون تمتعك بأهلك وسكنك .

(4162 - 4188) بينما يحلق جلال الدين في سماوات عرفانه ، لا يزال ينظر في زوايا الحياة اليومية والواقع المعاش ، إنه يريد أن يقرب الفكرة إلى مريديه على جميع مستوياتهم ، ألم يكن فيهم الأمى والعامي ؟ بكل تأكيد ، وها هو ذا لكي يقرب فكرة أن البلاء هو إنضاج للإنسان وتسام به وتربية لوجوده يقدم صورة من الواقع المعاش صورة " الحمص والبقول الأخرى " تُطْهى في قدر ، ويصور حركتها عند غليان الماء وصعودها إلى أعلى القدر بأنها تحاول الخلاص منه والهرب ، ويتصور مولانا حوارا بينها وبين السيدة التي تغليها ، ويخرج مولانا من صورة حبة الحمص . إلى صورة المؤمن الذي يبتليه الله بالقهر لكي

“ 606 “

يعرف لذة اللطف ، ثم يعود إلى حبة الحمص في تواصل بين الصور كيف أن الإنسان يسمو من البلاء ، وتسمو حبة الحمص من نبات في البستان إلى غذاء يمتزج بروح الإنسان فيصير فهما ونطقا وفكرا . إن الرحمة قد سبقت الغضب “ رحمتي سبقت غضبى “ ولذلك فإن كل ما يراه الإنسان غضبا من الله سبحانه وتعالى هو رحمة به وهو سبحانه وتعالى لا يريد منه سوى التسليم ، وكما تكون حبة الحمص في الحقل والبستان ، ويكون الإنسان في الدنيا ، وعندما يفنى كما تفنى حبة الحمص في القدر فإنه يسمو ، وينجو من صفاته المادية ، ويعود إلى عالمه الأصلي ناجيا من تأثير النجوم والأفلاك .

(4189 - 4198) يعود مولانا إلى الفكرة التي تسيطر عليه كل هذا الكتاب من المثنوى وتنظمه في سلك واحد ، إن كل فناء يستوجب بقاء أعلى منه في المرتبة (انظر تعليقات الأبيات 3903 - 3908) وينقل بيت الحلاج (اقتلونى اقتلونى يا ثقات) ففي هذا القتل تكون الحياة الأبدية الخالدة (انظر 3841) هكذا يكون الكسب بعد الممات ، إن الملائكة تتقرب إلى الله بالأفعال والأقوال الصادقة وعلى نفس النسق فإن المواد الغذائية تجد في أجسادنا تعاليها وتساميها ، وتبدأ المرحلة الثانية من حياتها وهي الحياة الحيوانية ، ثم ينص مولانا على أن هذا البحث لا ينتهى ، فهو دائما ما يوكله إلى فرصة أخرى ليقدم شرحا أكثر تفصيلا . إن القوافل التي تأتى على الدوام من الفلك هي اثار الخليقة ومظاهرها من نبات وحيوان تفعل فعلها في الحياة المادية ثم تعود إلى مبدأئها ومنشئها ، هكذا سنة الحياة فاقبل أنت أيضا الذهاب عن هذه الدنيا واعتبره “ لذيذا وحلوا “

بمحض إرادتك ، فهذه هي إرادة الله ، والله لا يريد إلا ما هو خيرك فامض سعيدا لا كاللص الذي يفتقر إلى الصدق أمام الله ، ويجعل الدنيا كل همه (انظر 4199 وما بعدها) . إنك إن فكرت في عاقبة مشاق طريق الحق لن تجدها من قبيل المشاق . إن هذه المشاق من قبيل العنب المتجمد الذي يحفظ في أوانه في الثلج لكي يؤكل في غير أوانه ، وصب الماء البارد عليه لكي يخرج من حالة التجمد .

(4199 - 4205) عندما يقف المؤمن المدرب بالرياضة الناضج على حقيقة الأمر فإنه يقبل البلاء ، ويقبل هداية المرشد وتأديبه ، وها هي ذي حبة الحمص تقتنع بهذه الأفكار وتطلب من السيدة أن تداوم على تقليبها ، إن في هذا عمرانها ، هيا إياك أن تجعليني في هدوء وسكون كالفيل ، أحلم بالأرض القديمة ، وأرتكس وأحزن عن طريق الحق وأجعل كل همى الدنيا ، اجعليني دائما في حاجة إلى السمو ذلك (إن الإنسان ليطغى أن راه استغنى) .

(4206 - 4214) تتحدث السيدة إلى حبة الحمص مشجعة إياها ، والواقع أن المرشد هو الذي يتحدث ويقص تجربته للمريد ، كي يشجعه على الرياضة والمجاهدة : إنني عندما ذقت لذة المجاهدة صرت قابلا لها وجعلت نفسي قابلا إياها ، وأنا أيضا قطعت مراحل الوجود من الجمادية إلى الآدمية (انظر من 3903 - 3908) وذلك قبل أن تدخل الروح قالب الجسد ، وبعد فترة في قالب الجسد ، وبعد " الغليان " في هذه المراحل صرت أحاسيس قوية أي استطعت أن أجعل أحاسيسى قادرة على إدراك العالم المعنوي ثم نسيت حياة الجسد وصرت

روحا وصرت مرشدا لك ، وحتى عندما كنت في مرحلة الجمادية كنت أفكر في الاتصال بعالم المعنى ، فالجماد له روح والروح تود أن تتجاوز مرحلة الحيوانية ، ففكر أنت أيضا في نهاية الطريق الذي هو الوصال بعالم المعنى والفناء في الوجود المطلق ، وإن كلام الحق يؤثر في الإنسان بقدر قابليته وجدارته ، انظر إلى القران الكريم إنهيُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَما يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفاسِقِينَ(26 البقرة) “ وليست المشكلة في تعاليم الأديان أو إرشاد المرشدين ، ينبغي أن يكون المريد جديرا لا عنودا ، لديه الرغبة في السمو والرقى إلى العوالم العليا والنضج المعنوي .

(4215 - 4229) يعود مولانا إلى قصة ضيف المسجد تلك القصة التي بدأها في البيت 3924 ، وأورد جزءا منها من البيت 4082 وما بعده وها هو ذا يعود إليها ، يخاطب الضيف الذي هو كله باحثا عن الكمال المسجد قائلا : لتكن ميدان قتال “ كربلاء “ لي . . أجل فإن كربلاء هي التي صنعت سيد الشهداء الحسين بن علىّ - رضي الله عنه - ، لتكن مشنقة لي فإنني سوف أتجلى على المشنقة كما تجلى عليها الحسين ابن منصور الحلاج وكما كان يسعى إليها (في ترجمة لفريد الدين العطار عن الحلاج تذكرة ص 589) .
إن الشهادة هي التي تصنع الشهيد ، تجعل منه بطلا وتحييه وتجعله خالدا ، حتى ولو كنت أيها المسجد نارا فسوف أصير كالخليل لا أطلب الغوث حتى من جبريل فسوف أقول لك عندما تسألني : ألك حاجة ؟ أما إليك فلا ، ولن أحترق ، أما إذا احترقت فإن احتراقى سوف يملأ العالم بالعبق كاحتراق الند والعود ، (ودماء الشهداء اللون لون الدم والريح ريح المسك) ، أجل إنني أسرع إلى النار فهي حياة لي وليست

موتا . إن الروح الحيوانية منى كانت في إثر المادة ، ولما كانت جديرة بالاحتراق فلتحترق ، ولو كانت ذات اهتمام بعالم المعنى لأفادت واستفادت ، لعمرت وعمرت ، إن النار التي تحرق حقيقة هي نار العشق ، أما تلك النار التي نراها في الألم فهي انعكاس لها وأثر منها ، إن النار الغيبية هي نار العشق التي تسرى في عالم الملكوت ومنها خلق الملائكة ، وما دام الإنسان على علاقته بالدنيا فإنه لا يرى تلك النار الكلية أي نار العشق (من هنا تتضح الصلة بين هذه الحكاية وبين الحكاية التي وردت بداخلها حكاية صدر جهان فكلاهما يدور حول العشق ، والحكاية هنا أشبه باللحن الداخلي داخل عمل موسيقى كبير) ، ولأننا متعلقون بالدنيا فإن انعكاس هذه النار أي نار العشق لا يبقى فينا طويلا ، إنه بقدر قامة المرء في الزوايا المختلفة لانعكاس النور ، فالقامة هي القامة ، ونار العشق هي نار العشق ، لكنها مرتبطة باستعداد الروح وقدرتها على السمو ، ولأن هذه الانعكاسات لا تجد ثباتا فإنها تعود إلى أصلها ومعدنها (الأمهات) سريعا ، ثم يجد مولانا نفسه قد تعمق في الحديث ودخل إلى المرحلة التي ينبغي أن يصمت عندها ، فيقول لنفسه : انتبه لئلا تحدث الفتنة أي مثلا تحدث تأثيرا منحرفا فإن هذا الكلام يضل من ليسوا بأهل له ، وانته من هذا واجعل عين الكلام جافة فالله أعلم بالرشاد .

(4230 - 4246) يترك مولانا القصة ليرد على العيابين في المثنوى ، وما أكثرهم على مر التاريخ والأزمنة . إن هؤلاء العيابين لا يهجوننى ، لكنهم قد يؤثرون في المريدين ، ثم ينتقل على مولانا سنائى في شأن أولئك الذين لا يرون من الكلام إلا ظاهره وحجبوا عن حقائقه ومعانيه ، والأبيات المذكورة مقتبسة من

بيت شعر لمولانا سنائى :
ليس عجبا ألا يكون نصيبيك من القران إلا حروفه * فإن الأعمى لا يرى من الشمس إلا حرارتها (كليات سنائى ص 52) كما ورد في نفس المعنى في الحديقة (أنظر الترجمة العربية للبيتين (1980 - 1981) إنهم يقولون :
إن هذا المثنوى لا يحتوى على مقامات الفناء ولا سير فيه إلى الله على ما دأب عليه المشايخ من قبل ، ويرد مولانا : إن أمر المثنوى سهل لقد أنكر كثيرون القرآن الكريم وقالوا :إِنْ هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ *(الأنفال / 31) وليس فيه بيان يعجز العقل فيه ، إنه يحتوى على الشريعة ، ويرد عليهم مولاناقُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً(الإسراء / 88) .

(4247 - 4252) يعتمد مولانا في هذا الجزء على حديث نبوي (إن للقرآن ظهرا وبطنا ولبطنه بطنا إلى سبعة أبطن (انظر 1899) . كما جاء الحديث في شروح المثنوى (للقرآن ظاهر وباطن وحد ومطلع) ، وقد فسرها ابن عربى بأنها التفسير والتأويل وما يصل إليه فهم الإنسان وفسر الحد والمطلع بأنهما المعاني والمدركات التي هي أعلى من التفسير والتأويل ولا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى (استعلامى 3 / 407) . وبالرغم من أن مولانا قد تحدث عن سبعة أبطن

إلا أنه لم يتجاوز البطن الرابع بالحديث ، ويرى كما يرى محيي الدين أن ما فوق هذا لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى . ويخلص مولانا أنه إذا نظرت إلى القران الكريم بظاهره فحسب ، فكأنك إبليس الذي اعتبر ادم حفنة من التراب ولم ينظر إلى النفخة الإلهية ، وإياك أن تحكم من الظاهر فإنك لا تعرف عن أقرب الناس إليك إلا مقدار شعرة ، ولسنائى الغزنوي تفضيل اخر في هذا المجال موجود في حديقة الحقيقة حيث خصص فصلا للحديث عن القران الكريم (انظر الترجمة العربية الحديقة الحقيقة ص ص 93 - 100) .

(4253 - 4284) إن الأنبياء لم يعتزلوا الناس هربا بل تعليما ، فأي جبل هذا الذي يستطيع الولي أن يختفى خلفه ، ومن هذا الذي تحسده الأفلاك على قربه ويختفى ؟ إنه مختف في عوالم روحه التي لا نهاية لها ، وهكذا الإنسان فإنه وجود محجوب وغامض لا يستطيع العقل أن يسبر أغوار عمقه ، وإذا كان هذا هو حال الإنسان العادي ، فما بالك بادم صاحب النفخة الإلهية ؟ وما بالك بالأنبياء ذوى المعجزات مع أنهم بشر ، ألم يستطيعوا أن يأتوا بالمعجزات ؟ وما عصا موسى ؟ وما رقية عيسى التي كانت تحيى الموتى ؟ ولم لا ؟ أليس قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن ؟ (انظر 2779) ، وكما أنك تخطىء كثيرا إن اعتبرت عصا موسى مجرد قطعة من الخشب ، واعتبرت رقية عيسى مجرد كلام عادى ، فإنك تخطىء كثيرا إذا اعتبرت الإنسان مجرد هذه البضعة من اللحم والعظام . هذه المظلة السوداء تقدم قليلا لترى الروح الوثابة القادرة على التحليق في الملأ الأعلى ، تقدم قليلا لترى اثار تربية الرجال ، وترى “ همة الرجال تقتلع الجبال “ ، وتجعل الجبال ترقص من هممهم “ انظر 15 ، 16 من هذا الكتاب و 25 ،

26 من الكتاب الأول " وهي هي ذي نفسها تلك الهمة التي تجعل الجبال تئوب لداود وتغنى معه ، ومصداقا لهذا فإن رجال الحق أيضا هم مثل داود لهم أنين ويسمعون أصواتا لا يسمعها كل إنسان ، وإن نغمة هذا الصافي الجسد أي الجبل تصل إلى أذن رجل الحق وحده مهما كان معه جلساء وليست كل أذن مهيأة لسماع تسبيح الجمادات التي تصل من اللامكان ، أي عالم الغيب ، وحتى إن كنت لم تسمعها فينبغي أن تصدق بوجودها لأن " الولي " يسمعها .

(4285 - 4294) يعود مولانا إلى توبيخ الطاعنين في المثنوى قائلا : إنك أيضا تطعن في القران الكريم ، وماذا يكون المثنوى إلى جوار القران ، إنك تريد أن تطعن في القران ولا تجد سبيلا إلى ذلك فتطعن في المثنوى الذي هو قبس من نور القران وهو في هذا المعنى يقتبس من مولانا سنائى :
إذا طعن فيه هذا الجهول فقل له : أطعن ، إنه ليس أفضل من القران (حديقة الحقيقة البيت 11780) إنه كلام الحق ومن يقع فيه فإن القهر الأعلى يستولى على روحه وعلى إيمانه ، إن القران سوف يخاطب هذه الفئة يوم القيامة قائلا :
لقد كنتم تطعنون فىّ قائلين : إنني أساطير الأولين ، وها أنتم أولاء أنفسكم قد رأيتم أنكم أنتم الذين صرتم أسطورة بينما أنا وجود مطلق وغذاء معنوي وعيني وجوهر لا زيف فيه ولا غش . . ثم يتحدث مولانا عن نفسه وعن المثنوى : إنني منبع هذه المعاني أمنح العاشقين الحياة الخالدة ، وإن عفن الحرص هو الذي جعل الحق لا يصب جرعة من هذه المعاني على وجودكم الميت ، أي أن العيب فيكم أنتم يا من لا تتقبلون المعاني ولو كانت فيكم قابلية لها لفهمتموها ، فإن العطايا بقدر

القابليات ويستمد مولانا العون من سنائى الغزنوي ، ويصرح بأن هذا الطعن لن يقعده عن عمله ورسالته .

(4295 - 4312) ينقل مولانا حكاية أخرى عن سنائى :
قال ذلك المهر لأمه : لماذا يصفرون هم بينما نشرب نحن الماء قال الفرس للمهر : امض لا تتحدث عبثا قم بعملك فإنهم يقتلعون لحيهم عبثا .

(ديوان سنائى 162) ويضيف مولانا على لسان الأم : إن هذا هو عمل المزايدين ، أولئك الذين لا تخلو منهم الأرض ، فكما يوجد العاملون الذين يعملون في صمت يوجد أيضا المزايدون الذين لا يجدون ما يفعلون سوى عرقلة أعمال العاملين ، وما على العاملين إلا أن يقوموا بأعمالهم دون النظر إليهم أو الاهتمام بهم ، ومن ثم فإن ماء النهر هو معرفة الحق ، وصوت السائسين هم أولئك الجهلة الذين يطعنون في رجال الحق ولا ينبغي الاهتمام بهم ، فإنهم إنما يقتلعون لحيهم فهيا أيها المريد إن الحقائق التي تفيض من رجال الحق هطالة وفيرة ، هيا قبل أن يمزقك الهجر والبعد والحرمان من هذه الحقائق ، وحتى لا تظل شجرة وجودك بلا ثمر ، فإن كلام الأولياء هو منبع ماء الحياة والحياة الخالدة ، هيا وحتى وإن لم تكن لك بصيرة مهيأة لإدراك الحقائق ، فجرب ، وكن كالأعمى الذي لا يرى الماء ويدلى بدلوه في الماء تقليدا للآخرين (انظر لفكرة التقليد الذي يوصل الحقيقة الكتاب الثاني - هيا إذن وضع القربة التي تفكر في الماء (مفكرا في الماء) في الجدول (أول العمل فكر) .

(4313 - 4323) يستنتج مولانا من مثل الأعمى والقدر وماء الجدول نتيجة أخرى قائلا : إن السفهاء يشبهون هذا الأعمى بقدره الفارغ ، ولأنهم غير ممتلئين بالمعرفة الإلهية فإنهم يجذبون نحو كل صوب ، إن الخفة التي في وجودهم وانعدام " الثقل " تجعل كل ريح تختطفهم ، فلا مرسى لهم ، والمرسى هو العقل الباحث عن الحق الطامح إلى المعرفة الذي يحول دون الضلال ويمنح الثبات و " الوجهة " والهدف ، فإن لم تكن تملكه فاطلبه من الشيوخ والمرشدين فإنهم هم الذين يستمدون من بحر الجود الإلهى ، وهذه الإمدادات الإلهية هي التي تجعل القلب واعيا وتضئ بصيرة القلب ، وفي انعكاس نور القلب يصير البصر كالقلب ، والبصر بلا قلب عاطل ولا يستطيع أن يبصر الحقائق ، لكن دعك الآن من ماء المعرفة ، وعد إلى الماء المبارك الذي أنزل من السماءوَنَزَّلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً مُبارَكاً(ق 9) إننا مشغولون بهذا الماء دون أن نلقى بالا إلى طعن الطاعنين كالمهر الذي يشرب الماء زلالا دون اهتمام بصفير السائسين .

(4324 - 4329) عودة إلى قصة ضيف المسجد (الذي يقدم دون أن يلقى بالا إلى طعن الطاعنين ولوم اللائمين) : ها هو ذا في سبيل الكشف عن الحقيقة مثل غريق في الماء لا ينام ، نومه كنوم الطيور والأسماك " أي لا نوم " وفجأة يسمع صوتا مهولا يهتف به ، إنه صوت يمزق القلب إربا ، وعند هذه النقطة يترك مولانا سياق الحكاية وتسلسل الحوادث فيها وكأنه يريد أن يستغل تشوق السامع لنهاية القصة ، وبالطبع يجدها فرصة للانتقال من الخاص (سياق الحكاية) إلى العام (التعاليم الصوفية) .

(4330 - 4347) إن هذا الصوت المهول هو من قبيل وسوسة الشيطان والعنوان إشارة إلى الآية 64 من سورة الإسراءوَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشارِكْهُمْ فِي الْأَمْوالِ وَالْأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلَّا غُرُوراً(الإسراء 64) والخطاب من الله سبحانه وتعالى إلى إبليس الذي توعد بإغواء أبناء ادم ، وهكذا فإن الشيطان يجرى في بنى ادم مجرى الدم ، يقف للإنسان كل مرصد ، يخوفه من طريق الجهاد . يخوف بالفقر والذل والغربة والانقطاع عن الأصدقاء وهكذا فمن تأثيره تسوف في طريق الدين ، وتؤجل البدء بالجهاد ناسيا أن الموت لك بالمرصاد وعليك أن تأخذ قدرا من العلم والحكمة ، وتعزم على ألا تترك طريق الجهاد خوفا من الخسران في الدنيا ، فيقعد لك مرة ثانية ويصيح بك ويخوفك الفقر ، فتترك الطريق من تخويفك ، وتركن إلى هذا المضل ، ومن هنا فقد أخذ الخوف من صياح الشيطان بحلوق الخلق ، ولا نتيجة إلا اليأس من وصول النوركَما يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحابِ الْقُبُورِ(الممتحنة / 13) .

فإذا كنت تخاف هكذا من صياح الشيطان بك فأولى بك أن تخاف من الصيحة الإلهية . إن الخوف من الشيطان لضعاف الإيمان كخوف الذباب من العنكبوت ، لكن الخوف من الله هو ديدن الرجال ، والصيحتان صيحة الحق وصيحة الشيطان هما من أجل التفرقة بين الخير والشر وبين الصالح والطالح ، وهما لا يجتمعان في انسان ، فالذي يخشى الصيحة الإلهية لا يلقى بالا إلى تهديد الشيطان .

(4348 - 4367) إن هذا الصوت المهول لم يلق الرعب في قلب ذلك الضيف الهمام الشجاع ، إنه لم يعتبره إلا كالطبل الأجوف ، إنه مجرد صوت دون أن يوجد ما يدل عليه ، فيقف للصوت داعيا إياه للمواجهة (كما حدث في ألف ليلة وليلة مع علىّ المصري تماما) . وفي الحال يبطل طلسم ويتساقط الذهب ويظفر الشجاع الهمام بالذهب ، لكن إياك أن تظن أن الذهب المقصود هنا هو هذا الذهب المعروف ، لا . . . فهكذا يفكر عميان القلوب ، وتفكيره هذا لا يعدو تفكير الأطفال الذين يكسرون قطع الفخار ويضعونها في حجورهم ويسمعونها ذهبا : (ينظر كليات ديوان شمس تبريزى ص 525 - غزلية 1353) .

حتام نحن كالأطفال في عالم التراب * نملأ حجورنا بالتراب والحصى وقطع الفخار

فلنرفع الأيدي عن التراب ولنحلق في السماء * ولنهرب من الطفولة نحو محفل الرجال فالذهب هنا ليس ذلك المعدن المعروف ، إنه الذهب الذي ضرب في دار السكة الإلهية أي المعرفة بالله التي لا تنهب ولا تسرق ولا تنتهى ، إن قيم هذه الدنيا انعكاس لقيم ذلك العالم . إن ذهب الدنيا ما هو إلا انعكاس لذهب المعرفة الإلهية الذي إن وصل إليه الباحث أغناه عن كل ذهب الدنيا ، إنه غنى النفس المذكور في الحديث (ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس) (استعلامى 3 / 411) .

(4368 - 4379) إن ضيف المسجد كان باحثا عن الحقيقة ، كان كالفراشة التي تحوم حول النار ولا تبالى باحتراق بدنها ، وكان المسجد كالشمعة أي يحكى الحقيقة الإلهية ومن ثم كان سقوطه فيه نصرا له وفتحا عليه . إياك أن تظن العشق نارا إنه نور ، رآها موسى عليه السلام نارا لكنها كانت عليه نور كانت العناية الإلهية قد حولتها إلى نور ، وانظر إلى الانقطاع عن الدنيا ألا يبدو نارا في حين أن رجال الله قد وجدوه نورا ، وهكذا الولي . إن تعليماته تبدو لك نارا لكنها في الحقيقة نور ، وهكذا كان يبدو صدر جهان للوكيل نارا ، وكان اللائمون والمثبطون يخوفونه من لقائه ، لكنه كان لوكيله عين النور . لقد ساق جلال إذن هذه الحكاية الطويلة بكل ما تخللها من معان لا كانتقال من موضوع إلى موضوع كما فسر أغلب مفسري المثنوى ، بل إن قصة المسجد هي من قبيل المثل أو المثال المحسوس قدم لبعض المريدين من ذوى المستوى المحدود لشرح قصة عشق وكيل صدر بخارى (وهي قصة لمن خبروا مبادئ العشق) .

(4380 - 4388) عودة إلى وكيل صدر جهان : ها هو ذا وكيل صدر جهان يطوف حول صدر جهان كالفراشة تطوف حول الشمعة : فمهما رآها الآخرون نارا فهي ليست بالنسبة لها إلا نور ، ولا يتحمل هذه المقاساة إلا العاشق ، والألم من العاشق يقابله الرحمة من المعشوق (انظر الأبيات 3918 - 3920) . ويتحدث مولانا عن رحمة المعشوق وهو في الحقيقة يتحدث عن رحمة المعشوق الكلى الواحد ، إن العاصي والمجرم عندما يخاف فكأنه يعترف ويقر بالذنب ، وهذا

الاعتراف والإقرار أول أبواب التوبة ، فكان في خوفه الأمل في النجاة . إن الوقح المهذار المتجرىء بالذنب المفاخر به هو الجدير بأن يخيفه الله تعالى ، لكن أي خوف يكون الخائف بالفعل في حاجة إليه ؟ إن أولئك الذين يأنسون مكر الله تعالى وعقابه هو أجدر بالتخويف ، لكن الخائفين أجدر بالحلم والعفو . إن تخويف الخائف أشبه بإشعال النار تحت القدر الذي يغلى في حين أن النار أولى بالقدر البارد ، وقد خاض الصوفية في أفضلية مقام الخوف على مقام الرجاء مما يطول شرحه (انظر كشف المحجوب) .

(4389 - 4405) إن باطن كل الإنسان كأنه جذع الشجرة ، يطرح ما في الباطن على الجذور والأوراق والثمار ، وباطن رجل الحق هو منبع للفيض بالرغم من أن ظاهره يكون جافا مثل الخشب اليابس ، وهكذا في كل أمر يؤثر الباطن على الظاهر سواء على الأشجار أو في الأنفس أو في العقول . . وإن الوفاء والحب أشبه بشجرة فروعها وأوراقها مشمخرة إلى السماءأَصْلُها ثابِتٌ وَفَرْعُها فِي السَّماءِ(إبراهيم / 24) وفي معارف بهاء ولد " ثم فكرت بيني وبين نفسي في أن روحي تعظم الله سبحانه وتعالى وتتفكر في أمر الله وترتاض حتى تزداد محبة الله فيها ولابد وبأي وجه كان . إن هذه الأحوال لا ترضى الله تعالى أو إنها ليست من إلهامه جل شأنه ، فلا يمكن أن تكون المحبة من جانب واحد " (معارف 1 / 24) ، وإذا كانت أوراق الحنان والوفاء صعدت من شجرة إلى السماء كيف لا ينمو الحب في قلب صدر جهان ؟ لقد أخذ العفو يتموج في قلبه " والأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف " وهناك طريق من القلب إلى القلب .
إن ندم الوكيل قد أثمر الرحمة في قلب صدر جهان ، وهكذا تكون العلاقة بين أهل

الباطن .
إن الترابط بين القلوب مثل امتزاج أنوار المصابيح ، فالمصابيح متفرقة لكن الأنوار ممتزجة وفي حين أن العشق يصيب العاشق بالنحول ، فإنه عند المعشوق (لإحساسه بأنه معشوق) جالب للسرور والرضا . وهكذا فاعلم أن حب الحق يستوجب حبا من الحق للعبد . هكذا فقد قرن يحبهم بيحبونه إنه أمر مزدوج كالتصفيق لا يمكن أن يتأتى من يد واحدة ، فكما يحن الظمأن إلى الماء يكون الماء أيضا في حاجة إلى الشارب ، إنها حكمة الله تعالى في خلقه لكي تتجاذب الأشياء وتأتلف ، يعتبرها بعضهم قضاء من الله ومشيئة إلهية ، ويعتبرها بعضهم من أفعالنا نحن .

(4406 - 4423) يواصل مولانا الحديث عن “ العشق “ كسر لتواصل الخليقة ، فكل جزء من أجزاء العالم طالب لقرينه أو أليفه ، والأرض والسماء زوجان من اتصالهما تبدو الخليقة ، وكان القدماء يعتقدون أن الأرض معلقة في الفضاء تحت تأثير جاذبية السماء ، ويردد مولانا اعتقاد علماء الفلك الأقدمين باعتبار الكواكب السيارة “ اباء الخليقة “ (أي الآباء العلويون) والعناصر الأربعة التراب والماء والهواء والنار “ أمهات “ الخليقة ، ويتحدث مولانا عن الأبراج الأربعة أو العناصر الأربعة على أساس أن القدماء كانوا يعتبرون الأبراج الفلكية الاثني عشر في مدار الشمس مخلوقات ذات طبع ومزاج فالثور والسنبلة والجدى أبراج ترابية طبعها بارد جاف أو سوداوى ، والسرطان والعقرب والحوت أبراج مائية وطبعها بارد رطب ، والجوزاء والميزان والدلو أبراج هوائية طبعها حار رطب ، والحمل والأسد والقوس أبراج نارية وطبعها جاف حار . ويريد مولانا أن يقول :
إن هذه الأبراج مؤثرة بحكمة الله تعالى في أحوال العالم الأرضي ، وتوجد في كل

زمان وفصل ظروفا بمقتضى الحكمة والمشيئة ، بل إن الأرض والسماء زوجان حقيقيان يتمتعان بهذا الاتصال وإلا فلماذا تقع الأرض بين أحضان السماء ؟ ومن هذه الحكمة الإلهية يسكن الزوج إلى زوجته حتى يقع الميلاد ، ومن ثم فكل جزء في الخليقة يحن إلى الجزء الآخر ، لكي تحدث الخليقة فإياك أن تظن أن هناك تنافرا فهذا التنافر لا يوجد حتى بين الليل والنهار فكل منهما يطلب الآخر ، ففي الليل تدخر المخلوقات لكي تنفق بالنهار " من القوة والاستعداد للغد " والفكرة هنا من طريق التحقيق لسنائى (مثنويات حكيم سنائى ص 112 والترجمة العربية لطريق التحقيق لأحمد فتحى شتا) .

(4424 - 4450) وينتقل مولانا إلى مرحلة أخرى من علاقة العناصر والأمهات والآباء العلويين ، عندما تتفتت هذه العلاقة ويعود كل عنصر إلى " أبيه " أي إلى أصله السماوي ، فكل برج يجذب من الجسد " الأخلاط " و " الأمزجة " المناسبة له ، وليست الأمراض العديدة إلا نتيجة أن كل عنصر يريد أن يجذب الجزء الخاص به من الجسد ، ويبقيها الله تعالى إلى أجلها . وعندما يجذب كل جزء من الجسد إلى الأصل الخاص به فإن الروح تتألم من فراقها لعالم الأرواح ، وأن وجودنا الصوري ما هو إلا تركيب من أجزاء عنصرية تبقيها الروح حية ، وفي الوقت نفسه فإن كل جزء من هذه الاجزاء يساعد على حفظ هذا التركيب ، وهذا التركيب هو سجن للروح ومن ثم فالروح تحن دوما إلى أصلها ، وكما أن قوت كل عضو من أصله ، فإن قوت الأرواح هو من الحكمة والعلوم والرغبة في الترقي والشرف الذي هو في نفس الوقت سير إلى عالم الغيب والوجود المطلق فهي باحثة عن الحق والحق باحث عنها مصداقا لقوله تعالى :يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ

(المائدة / 54) . ليس العشق من العاشق فحسب لكنه من المعشوق أيضا . إن المعشوق في بحث عن العاشق كما يبحث عنه العاشق ، وهو يبدو ظاهرا بلا حاجة لكنه في الباطن ذو ميل وجذب .

(4451 - 4464) يعود مولانا إلى قصة وكيل صدر جهان : لقد كان صدر جهان أيضا يشتاق إليه ، لكن مظاهر السلطة كانت تمنعه من إظهار هذا الشوق . وليس هذا الأمر قابلا للإدراك ، أكان ميل الوكيل هو الذي يجذبه إلى بخارى أو أن مجىء الوكيل هو الذي أوجد الجذب في قلب صدر جهان ؟ لكن إياك أن تتحدث في هذا ، واترك المراء والتذاكى في هذا الأمر ، إنني لن أواصل في هذا الموضوع فإن تلك القوة غير المرئية (الإلهام - الوحي الإلهى) تأمرني بألا أقول فكيف أقول ؟ إن الأمر ليس بيدي فمهما عزمت ومهما نويت فإن عزم الله هو الذي يكون وما قدره نافذ . إن الأمر أشبه بالجواد والفارس يمسك الفارس بزمام الجواد الذي يجمح في كل ناحية ويوجهه إلى حيث يشاء ، وخير للجواد أن يكون ذكيا وأن يعلم أنه في يد الفارس يوجهه في أي اتجاه شاء . وهكذا فإن قدرة الله تعالى تبدو في فسخ العزائم ونقضها مصداقا لما ورد في حديث علىّ رضي الله عنه “ عرفت الله سبحانه بفسخ العزائم وحل العقود ونقض الهمم “ (استعلامى 3 / 415) .

(4465 - 4475) يحلل مولانا فكرة فسخ العزائم ونقضها وخلاصة ما يذهب إليه مولانا أن الله سبحانه وتعالى يدفعنا إلى العزم في الأمور ثم ينقض هذا العزم حتى نحس بقدرته دائما ونحس أننا خاضعون لقدرة الحق . وهناك

صنفان من الناس في التسليم لقدرة الله تعالى : العاشقون والصادقون أو العاشقون والعاقلون ، والعشاق يعرفون مولاهم بصدهم عن الوصول لآمالهم .
وإن لم تصدق فاقرأ " حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات " . إن انكسار الصادقين العاملين لا يشبه انكسار العاشقين ، فأولئك منكسرون جبرا أما العاشقون فمنكسرون اختيارا ، أولئك عبيد مقيدون ، وهؤلاء في رضا الحق كأنهم يستحلبون السكر ، إن العقلاء هم مصداق " ائتيا كرها " أما العشاق فإنهم مصداق " ائتيا طوعا " طبقا لما ورد في الآية الكريمةثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَلِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ(فصلت / 11) .

(4476 - 4488) يحضر مولانا رواية من السيرة النبوية عن أولئك الذين يستسلمون للمشيئة الإلهية " كرها " وفي الحديث الشريف " عجب ربنا من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل وهم كارهون " وفي مناسبة الحديث روايات فمن قائل : إنه قيل يوم بدر " فروزانفر ماخذ / 125 - 126) ومن قائل إنه قيل في أسارى قريظة وبنى النضير (مولوى 3 / 573 أنقروى 3 / 744) والرواية الأولى أصح لارتباطها بما يلي من آيات . والب أرسلان هو ثاني سلاطين السلاجفة العظام حكم ما بين 455 - 465 ه - (جلبنارلى 30 / 462) .

(4489 - 4505) ما ورد في العنوان جزء من الآية 19 من سورة الأنفال ، ويستمر مولانا في رواية حديث الكافرين وهم يساقون أسارى ، وهنا إشارة إلى ما دعاه أبو جهل قبل وقعة بدر قائلا : اللهم انصر أحب الفئتين ، فالنصر هو لمحمد - ، - حتى في الحديبية التي اعتبرها المؤمنون هزيمة كانت نصرا وبعدها نزلت سورة الفتح (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) (الفتح / 1) .

(4506 - 4514) ذكر هزيمة بني قريظة وبنى النضير هنا خطأ تاريخي ، فالانتصار على بنى النضير وبني قريظة سابق لهذا التاريخ ، وكان الانتصار هنا على يهود خيبر ، على كل حل كان مولانا يقصد الانتصارات التي حققها الرسول - صلّى الله عليه وسلم - بعد الحديبية التي كانت تبدو كهزيمة ، ويقصد مولانا أنه حتى إن لم تتحقق هذه الانتصارات فإن المؤمن في هزيمته كما هو في نصره تماما إنه يستقبل الهزيمة " البلاء " كما يتقبل النصر ، فالبلاء في نظر المؤمن " صعود " ليس " هبوطا " والمهم هو العناية الإلهية .

(4515 - 4532) ومصداقا لهذا يفسر مولانا حديثا منسوبا إلى الرسول - صلّى الله عليه وسلم - " لا تفضلوني على يونس بن متى فإن معراجى إلى السماء ومعراجه إلى الماء " والحديث ورد في مقالات شمس (ص 256) بتفسير أقرب إلى تفسير مولانا ، فاللقاء ليس بالمكان وإنما بالعناية والرعاية ، فليس المعراج بمقاييس الأرض وليس هو الصعود أو الهبوط بل هو التخلص من سجن الوجود ومن قيود المكان وأسر الحياة المادية ، إنه أمر يتصل بالفناء أو كما يعبر عنه مولانا متصل بالعدم الذي تختلف مقاييسه عن مقاييسنا . ومن هنا فإن هزيمة المؤمن لا تشبه بحال من الأحوال هزيمة الكافر ، فالكافر في هزيمتة ساخط والمؤمن راض ، والقدرة على الاستغناء هي اقطاع خاص بهم ، والفقر فخرهم (إشارة إلى حديث نبوي الفقر فخرى وبه أفتخر) . وعلى هذا النسق فإن تفسير الكفار لا بتسامة الرسول - ، - بأنها افتخار بالدنيا وعجب بالنظر ، هو تفسير نابع من تفكيرهم هم .

(4531 - 4538) إن الحارس لم يسمع كلام الكفار الأسرى بالرغم من أنه كان يمشى إلى جوارهم ، بينما وصلت هذه الهمهمة إلى أذن الرسول - صلّى الله عليه وسلم - من لدن الحكيم الخبير ، فالقابلية عند الرسول لتلقى الوحي ، وهذا يتكرر كثيرا في حياة الأنبياء فذلك الذي كان يحمل قميص يوسف إلى يعقوب عليهما السلام لم يكن يشم منه ريح يوسف ، لأن الريح خاص بيعقوب ، وهكذا فإن الرسول - صلّى الله عليه وسلم - يوحى إليه وهو نائم مصداقا لقوله عليه السلام " تنام عيناي ولا ينام قلبي " ، وإدراك عوالم الغيب بمعايير هذا العالم غير متيسر بل لابد من وجود العناية الإلهية ، ومحمد - صلّى الله عليه وسلم - مشمول بالعناية الإلهية ، بحيث إن النجم الثاقب الذي يطارد الشياطين التي تسترق السمع يأمرها بأن تأخذ الأسرار منه عليه السلام إذ تصل إليه مباشرة من لدن الحكيم الخبير ، وهي رزقه لا بحوله أو بطوله . وهكذا العطايا أرزاق ولا تتدخل فيها القوة فاذهب إلى الدكان واسع في سبيل الرزق ، لكن إياك أيضا أن تنسى الذهاب إلى المسجد وطلب الرزق من الله .

(4539 - 4552) يواصل الرسول - ، - الحديث إلى الأسرى من الكفار : إن ضحكى ليس من انتصارى عليكم في المعركة ، وأي ضحك عندي من أناس ماتوا واهترأوا في الفناء سواء عاشوا أو ماتوا فهم أموات ، وأي لذة عندي من انتصار على بضعة من الرمم المهترئة والقمر ينشق عندما أثبت في المعركة ، ثم إن الأمر لم يتغير عندي : هكذا كنتم أراكم من كوة الغيب مهزومين أسارى حتى وأنتم أحرار ، إن سلاحكم الذي تعتمدون عليه في هذه الدنيا لا محالة يؤدى إلى الهزيمة ، فالاعتماد على المال والحسب شأنه كما يوجد جمل على قناة (لا يتأتى منه نفع ولا يحسن التصرف) ، وهكذا فإنني منذ أن تخلصت من صورة الجسد

وعلمت أنها صورة مفتضحة ، كنت على علم بكل ما هو أت ، بل إني أعلم عاقبة كل موجود قبل أن يظهر في عالم الجسد (كنت نبيا وادم بنى الماء والطين) (استعلامى 3 / 418) ، ومن أنتم فقد رأيتكم منذ الأزل ومنذ يوم الميثاق وأنتم مغلولون مقيدون ، إذن لماذا أضحك ؟ كنت أضحك لأنى أرى اللطف في القهر ، أرى أن الله سبحانه وتعالى بقهره إياكم إنما يسوقكم نحو لطفه (المناسبة مناسبة الحكاية لحكاية صد وكيل صدر جهان) ، كنتم تأكلون سكرا ممتزجا بالسم (اللطف الممتزج بالقهر) كنتم تأكلونه وأنتم لا تسمعون كلام الله ولا تدركون قصده من إذلالكم .

(4553 - 4563) يواصل الرسول جوابه لأسرى الكفار : تراكم ظننتم أنني غزوت من أجل الدنيا ؟ إن هذه الدنيا ما هي إلا جيفة وطلابها كلاب " حديث منسوب إلى الرسول - صلّى الله عليه وسلم - وفي بعض الروايات إلى الإمام زين العابدين السجاد رضي الله عنه " ، إنني أغزو لأحيى موتى الكفر الذين يظنون أنفسهم أحياء ، وأسوقهم من قهر الله إلى لطفه ، ولكي يتحرر العالم من طغيان الكفر ومن فساده ، إنكم كالفراش المتهافت على النار وأنا أقف بينكم وبين هذه النار ، وإن نصركم إذا انتصرتم هو هلاك لكم ، كنتم تجدون إلى النار وكنت أحول بينكم وبينها ، كنتم تسرعون بنصركم هذا إلى براثن قدرة الحق ، وكنت أهزمكم لكي أحول بينكم وبين هذا النصر المدمر .

(4564 - 4567) سوف أقدم لكم مثلا على هذا الأمر " سوف أبين لكم أن الطاغية مدمر حتى حين نصره ومأسور حتى حين غلبته ، إنه كلما انتصر على

أعدائه وطغى عليهم وبغى وتجبر إنما يكون مد من الله له فتزداد ذنوبه ، حتى يأخذه القهر الإلهى ، ولو أن الله سبحانه وتعالى ألحق به الهزيمة ، لوقف طغيانه عند حد ، وربما عاد عنه وتاب عنه : ترى مولانا كان يستشرف مصير الطغاة في زمانه ؟ ألسنا نرى في معرض حياتنا اليومية طغاة يتجبرون ويتغاشمون ، وكلما انتصر على فئة ضعيفة ازداد طغيانا وتجبرا وأسرع نحو الهلاك على يد فئة أقوى منه أو أخذه الله نكال الحياة الدنيا والآخرة ، وحين يضرب مولانا المثل يضربه بلص سطا على مال سيده " أليس الطاغية لصا على كل حال ؟ لقد مضى سعيدا بنصره على سيده فوقع عليه الوالي بعد أن حشر له شرطته ، ومن ثم فإن انتصار اللص قد اختطف رأسه " .

(4568 - 4583) وهكذا أنت أيضا يأمن جللت بالنصر على " الناس " على المستضعفين في الأرض ، وقيدتهم في الأغلال ، إنك تجرهم خلفك ، وهو أي القهر الإلهى يجرك إليه ، إن انتصارك وغلبتك وظفرك " بالناس " فخ لك فسق الهوينى وإياك أن تسقط في هذا الفخ ، وليكحل عقلك الباحث عن الحق بكحل العناية ، ولتكن خصومتك مع الخلق إلى حد ، فإن من صفات المؤمن أنه لا يلج في الخصومة ولا يفجر فيها " أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان ، وإذا خاصم فجر " كما نقل يوسف بن أحمد حديثا بهذا المعنى عن الحارث بن وهب أنه - عليه السلام - قال : " ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره " (مولوى 3 / 584) . فهم " إخوان على سرر متقابلين " بينما أهل النار في جدال وخصام ، إن هذا ليس من الضعف بل هو من

الحزم وسوء الظن لقوله - ، - “ الحزم بسوء الظن “ (انظر البيت 268 من نفس هذا الكتاب) ، ومن ثم فإن إظفار الكفار الظاهر في الحديبية هو نصر حقيقي للمؤمنين ، فهو حماية لجماع المؤمنين الضعفاء في قلة وهم عدة الإسلام وعتاده في انتصاراته التالية ، وهذا مصداق للآية الكريمة :وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيراً هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْ لا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِساءٌ مُؤْمِناتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذاباً أَلِيماً(الفتح / 24 - 25) .

وهكذا كان الرسول في نصره ينظر إلى كبرياء الله تعالى وإلى قهره ، وابتسم عليه السلام لأنه يجر الكفار إلى الجنة في السلاسل ويخلصهم من الغضب الإلهي .

(4584 - 4591) وهكذا هو سلوك المقلد الذي يسير إلى الله لا بالقلب أو الطريق بل بالعقل والعلم ، إنه يؤخذ إلى اللطف في صورة القهر ، أما الولي فهو ليس في بلاء حين يحل به البلاء ، بل يقطع الطريق في شوق إلى الحق ، إن الجميع يتحمل هذا الأمر كقدر لا مفر منه إلا العارفين المنورين بنور المعرفة الذي يجعل المشقة في طريق الحق أمرا سهلا ميسورا ، ويخرجه من صورة السخرة ، ثم يقدم مولانا صورة من الواقع المعاش : إنك تأخذ الطفل أول يوم إلى المدرسة وهو يملأ الجو ضجيجا وعجيبا ، لكنه عندما يعتاد على المصروف (مهما قل) يسرع إلى مدرسته جريا .

(4592 - 4603) يقارن مولانا بين عشق الأولياء وعبوديتهم وسلوك المقلدين قائلا : جاهد أنت أيضا حتى تحصل على الأجر من الله تعالى ، حينذاك تغبط المؤمنين الذين نالوا الأجر من قبلك ، فإذا كان الأمر طوعا أو كرها فليكن طوعا أفضل لك ، لا تكن من أهل التقليد تأتى كرها بل كن من أهل الصفاء اتيا برغبتك . ويعود مولانا إلى المفاضلة بين أهل التقليد وأهل الصفاء : إن المرضعة محبوبة للطفل ومحبوبة أيضا لرجل اخر (في سنها) ولا رغبة للطفل فيها إلا في لبنها أو في المنفعة منها ، لكن البالغ يعشقها لذاتها ، وهذا هو الفرق بين المقلد والواصل ، فالمقلد يحبه بالرجاء والخوف ، ويحاول أن يصل إليه عن طريق الدرس (الذي خبره غيره) . . لكن الواصل يحبه دون علة ودون غرض ، والحق في كلتا الحالتين يجذبهما إليه ، ييسر لكل إنسان الطريق الذي يسير فيه ، ويشمله بالعناية التي توصله إليه ، وهذا هو جذب المعشوق .

(4604 - 4617) ها هو ذا مولانا يريد أن يبدأ حكاية أخرى ، لكن وكيل صدر جهان يكاد يهلك انتظارا (يعامل مولانا أبطاله كشخوص حية . . يتفاعل معهم ويتعاطف معهم ويتخيل أنهم ينتظرونه إن طالت غيبته عنهم في الحديث عن موضوعات أخرى) ، ها هو ذا وكيل صدر جهان يريد منه أن يعود لكي يجعله يلتقى مع صدر جهان حتى تدب الروح في جسده الميت ، فإن الحبيب الذي لا ترد به حياة لا يكون حبيبا ، بل يكون كالشجرة فلا ورق ولا ثمر ومن ثم فإن من يفديك بنفسه يمكن أن تسمية حبيبا ، حتى الموت إن مضيت إليه بلا كراهية فهو

صورة للموت فقط وليس حقيقيا بل هو انتقال من دار إلى دار “ ألا أن أولياء الله لا يموتون بل ينتقلون من دار إلى دار “ ومن ثم فلا يكون الموت قائما بل يكون الإنسان عليه “ ومن كان لله كان الله له “ (استعلامى 3 / 421) .
(4618 - 4624) التقى العاشق بالمعشوق ففقد وعيه ، وهكذا فعندما يتم اللقاء يحدث الفناء ، وهكذا العشاق أمام الحق يجدون إليه فإن وصلوا انفصلوا وفنوا ، وكيف يمكن للظل أن يبقى إن سطعت عليه الشمس ؟ وكيف يمكن للقطرة أن تكون ذات وجود إن مزجت بالبحر ؟

(4627 - 4660) لا يبقى الظل عندما تسطع الشمس ، ولا تبقى القطرة إن حضر البحر ويسوق مولانا حكاية موافقة لمقتضى الحال ، والحكاية وردت قبل مولانا في أسرار نامه لفريد الدين العطار (ص 57 - 58 من أسرار نامه تحقيق سيد صادق كوهرين انتشارات صفى على شاه تهران 1338 ه‍ - . ش) ، كما وردت في كتاب اللمعات للشاعر فخر الدين العراقي (المتوفى سنة 680 ه‍ -) (ماخذ 126) وها هي ذي البعوضة تتظلم أمام سيدنا سليمان عليه السلام من الريح ، والريح في أمر سليمان - عليه السلام - ويتعجب سيدنا سليمان من وجود ظلم في عهده ، إن الظلم من الظلمة ، وعندما يسطع النور تنمحى الظلمة ، عندما يسطع نور النبوة والشريعة فلا ظلم ولا بغى فمن الذي يجرؤ على ارتكاب الظلم في عهد سليمان ؟ إن حكمه هو من أجل إرساء العدل ، إنه صورة من العدل الإلهى في الأرض إنه يحكم حتى لا يبكى اليتيم “ فإن اليتيم إذا بكى اهتز العرش لبكائه “ (حديث منسوب إلى الرسول ،)
(استعلامى 3 / 422) ونفس

المعنى ورد عند سعدى في البستان :
“ ألا لا يبكين فإن العرش العظيم * يهتز عندما يبكى اليتيم “ (كليات سعدى ص 270) إن سليمان عليه السلام يقول : نحن بنينا أساس نظم هذه المملكة على الشريعة الإلهية ، ومن ثم فبدلا من أن تشكو لله أشك إلىّ أنا فقد أعطاني الله شريعته وأمرني بالحكم به وسوف يحاسبنى عليها ، لكن لابد من أجل ضمان العدل من وجود الخصم ، ويستدعى داود الريح ، لكن البعوضة المتظلمة تفر هاربة . إنها لا يمكن أن توجد مع الريح في مكان واحد فكيف يمكن لها أن تقف معها موقف الخصومة في مكان واحد ؟

(4661 - 4666) يقارن مولانا بين حال البعوضة أمام الريح وحال العبد أمام القدرة الإلهية ، أو بمعنى أصح هنا حال العاشق أمام المعشوق ، فإن معرفة الحق تمحو الوجود الفردى والصوري للعبد ، فإن شرطها الأول هو فناء العبد في صفات ذات الحق ، ولا شك أن هذا الفناء هو ارتباط بالوجود المطلق ، ومن ثم فهو يحمل معه البقاء الخالد (انظر للبقاء بالحق البيت 3671) وعندما يسلم العاشق رأسه في طريق الحق ، فإن العقل الدنيوي الموجود في هذه الرأس لا يهم وجوده بعد ، ومن هنا فإنكُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ(القصص / 88) ، إن الوجود والعدم أي كل ما هو موجود في عالم المادة هالك أمامه ، ومن هنا فإن الوجود في العدم أي بقاء الموجودات بعد فنائها في الحق هو وجه الطرافه هنا ، فكيف يكون العدم وجودا ؟ إن هذا الأمر غير قابل للشرح أكثر من ذلك ، فقد

حارت العقول وانكسرت الأقلام ولم تبلغه الأفهام والأوهام .

(4667 - 4679) يوجه صدر جهان الحديث إلى عاشقه الذي فقد الوعي ، يحاول أن يعيده إلى وعيه ، إنه لم يقو على اللقاء تماما كأي إنسان لا قدرة له على إدراك معرفة الحق وأسرار الغيب ويتدخل مولانا فيقدم مثالا قريبا : إن وعينا وعقولنا أشبه بكن الطائر لا قدرة لها على استيعاب أسرار الحق ، وهذه عين الصورة التي قدمها في ديوان شمس تبريز :
إن العقل طائر منزلي ، وهذا المنزل هو جسدك * وبعير جمال العشق ضخم سامق الرأس وهذا الطائر لا يحتمل كأس المليك الثقيل * فإن الرائحة التي تفوح منه تتلاعب بمائة عقل (كليات ديوان شمس غزل 2937 ص 1086) إن هذه الناقة هي أسرار الحق ، ولا يستطيع أن يدركها إلا عقل كعقل النبي صالح - عليه السلام الواصل إلى الوجود المطلق ، ومن ثم فإن رجال الحق يدركون هذه الأسرار ، ومن ثم فعندما أطلت أسرار الوجود في قلب صاحبنا وكيل صدر جهان ، دمرت كل وجوده ، إن هذا هو من فضول الإنسان ومن ظلمه وجهله عندما حمل الأمانة (الأمانة هنا هي الطموح إلى أسرار الغيب) إنها عناية

الحق التي تجعلنا في طلب الزيادة بحيث تطمح إلى أسرار الغيب ومن هنا فهذا الإنسان ظلوم وجهول لأنه بقدرته المحدودة يطمح إلى ما هو غير محدود ، كأرنب يحاول أن يعانق أسدا ، ومن ثم فهو ظالم لنفسه (انظر الكهف / 35) ، إنه يقتل نفسه في طريق الحق ، وهو ظلم خير من ألف عدل ، مع أن هذا الجهل خير من علم أهل الظاهر ، إنه يمنحه الجرأة على البحث عن أسرار العالم .

(4680 - 4689) يريد مولانا أن يواصل قصة وكيل صدر جهان ، لكنه يواصل حديثه عن عالم خارج هذا العالم ، إن ما يتحدث عنه هنا هو العلاقة بين الخالق وبين العبد العاشق ، إن بيت الجسد هو الإنسان الفاني في ذات الحق (انظر 3671) الذي يحيا ببقاء الحق ولا يبقى له وجود فردى وكل ما هو موجود هو البقاء المطلق للحق ، ذلك أنه يختلف عن الذي لم يسمح له باستيعاب الأسرار الإلهية ، وليس كالروح التي أصلها من حية أي الروح الواصلة الجديرة بوصال الحق ، إنني أساعده وأعينه ، أنفخ فيه من نفس الحي حتى ينفصل لبه " روحه " عن قشره " الحياة المادية الدنيوية " هذه الروح تصبح جزءا ميتا لا انفصال بينها وبين ذاتي ، أدعوها برفق وأخاطبها خطابا يختلف عن أساليب الخطاب في الدنيا أداة وألفاظا وشكلا ومضمونا ، ذلك أن أساليب هذه الدنيا لا جذب لها لهذه الأسرار ، فهذه الأسرار أشبه بالورود والخضرة التي تنبت على ساحل جدول الغيب ، أو في روح ذلك الذي يسير نحو حضرة الغيب ، ومن ثم تلزم لها أذن تختلف عن أذن الدنيا هي أذن الروح أو الأذن التي بلا أذن من أجل ذلك السر الذي لا تتخيله والذي هو متضمن في الآية الشريفةوَيَفْعَلُ اللَّهُ ما يَشاءُ(سورة إبراهيم / 27) أي يفعل مالا تستطيع أنت أن تحدده أو أن تصل إلى مجرد توهمه وتصوره ، إنها أسرار الحق الخاصة والتي لا يمنحها سوى أوليائه .

(4690 - 4696) يعود مولانا إلى وكيل صدر جهان الذي تدب فيه الروح نتيجة لهذا الخطاب كما يتحول ذرات التراب من رياح الصبا إلى خضرة وورود ، وكالنطفة تتحول بأمر كن إلى إنسان حسن التقويم ، وتتوالد الطيور عن طريق انتقال بذرة وجودها عن طريق الرياح وفي هذا إشارة إلى اعتقاد القدماء بأن الريح هي التي تحمل نطفة الذكر من الطيور إلى الأنثى ، وورد في نزهة القلوب لحمد الله مستوفى أنه إذا تشاجر ذكران من ذكر القطا تحمل منهما أنثى القطا وكان أرسطو يظن أن أنثى النسر تحمل من الريح (شرح نيكلسن 119 / 2) ، (استعلامى 3 / 424) ، كما أن الجبل بأمر الله يشكل ناقة (ناقة صالح) ، ولكن هذه الناقة تلد أيضا فصيلا ، إن أهل العدم أي أهل عالم المادة ينتج عالما ماديا ، والسبب هو العشق بالطبع .

(4697 - 4705) يخاطب العاشق وكيل صدر جهان معشوقه ، لكن أسلوب الخطاب يوحى بأن عبدا ينادى ربه مستغفرا لذنبه ، أو أن مريدا يخاطب شيخه معتذرا مازجا اعتذاره هذا بوجده الشديد ، يخاطبه قائلا : أيتها الروح الواصلة إلى الحق ، ويأتها المرشد الكامل الذي تطوف حوله أرواح المريدين ، حمدا لله إنك عدت من غربتك وراء جبل قاف (جبل أسطورى وفي بعض الروايات جبلان يمسكان بأطراف العالم على أساس أن العالم منبسط وخلفه تعيش العنقاء وهي رمز في التصوف للذات الإلهية وللمرشد الكامل) ، إنك كإسرافيل تنفخ في الصور فإذا بالموتى قيام من قبورهم ، إنك أيضا - يا صدر جهان - تحيى محبك بأنفاسك

يا حقيقة العشق ويا أيها العشق المحض ، ويا من يعشقك العشق نفسه ، إن أول ما أريده منك من هبة وتفضل (وتفضل المرشد أن يفهم حال المريد) ، هو أن تضع أذن السر على كوة قلبي هذا بالرغم من أنك تدرك هذا الحال إلا أنني أريد أن أتحدث ، أريد إن أبوح بما في القلب ، فالبوح راحة ، ومجرد إحساسى بأنك تسمعنى وتصغى إلى بلسم للروح ، وكأن كلامي هذا هو الزيف بعينه لكنك تقبله كالنقد الصحيح ، وهذا الحكم هو ما يعتبر فتنة لروحى وكيانى .

(4706 - 4714) وها هو ذا وكيل صدر جهان يبوح بأحواله في زمن النفي وأوان الغربة (النفي عن الموطن أىّ محل الحبيب والغربة عن أهل الروح) فقد تخلصت من أسراك أيها الحبيب وفررت من أمامك فكأننى قد فقدت كل شئ ، وبحثت ولم أجد لك ندا أو قريبا ، وكأنني منذ فررت من أمامك قد خرجت من ديني ، وقلت ثالث ثلاثة وتجلى لي الإله الواحد ثلاثة كما تجلى للنصارىلَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ وَما مِنْ إِلهٍ إِلَّا إِلهٌ واحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ(المائدة / 73) ، وعندما احترق وجودي من فراقك فقد ضاع منى حساب كل شئ . أن كلامي هذا ما هو إلا مقدمة للبكاء ، فإن البكاء هو التعبير الوحيد إذ أستطيع أن أعبر به ، ومع ذلك فإنني في حيرة أأبكى أم أشكرك على كريم عنايتك وتفضلك .

(4715 - 4721) عندما يحار المرء في التعبير ينطلق في البكاء ، لم يكن أحد يعرف لماذا يبكى ولماذا يضحك ولماذا يتحدث لقد اشتدت دهشتهم إذ كيف يبكى بعد أن وصل إلى الحبيب ؟ إن هذا اللقاء وهذه الضجة وهذا البكاء والوجد

الشديد ذكرت الناس بالقيامة ، وكان الفلك شارك في هذا الوجد ومزقت المجرة ثيابها وتفتت بددا .

(4722 - 4736) يترك مولانا سياق القصة ، ويحدثنا عن العشق أو بمعنى أدق يستمر في تأملاته عن موضوع العشق في تدفق شديد لا يكاد يجمع بينه خيط ، لقد نسي مولانا فيم يتحدث ونسي سياق القصة بحيث لا تبدو الأبيات تعليقا عليها بقدر ما تبدو نوعا من الوجد الشديد وغليان الألفاظ فالعشق شئ لا يشرح طبقا لمعايير هذه الحياة ولا بميزان عالم اخر ، إن كل إنسان مجنون بالعشق بشكل ما ، وكل أتباع " الاثنين والسبعين مذهبا " ، عاشقون ، والحقيقة أن مولانا هنا يقصد الثلاث والسبعين فرقة إشارة إلى الحديث النبوي " افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة " ليس للعشق صلة بالمذاهب والآراء ، فهذا موضوع اخر ، إن الأولياء ورجال الحق أنفسهم حيارى في ماهية العشق وفي حسرة لعدم معرفتهم بالعشق على حقيقة ، إن ملة العشق منفصلة عن كل الأديان (انظر : الكتاب الثاني 183) إن كل ألوان العظمة الموجودة في هذا العالم لا قيمة لها إلى جوار عظمة العشق ، وكل ما هو موجود في هذه الدنيا وله مفهوم يمكن التعبير عنه بالألفاظ إنما هو مانع لإدراك حقيقة العشق ، وسواء كنت في خدمة الآخرين أو كان الآخرون في خدمتك ، فأنت من قبيل المشتغلين بالدنيا ، فالعبودية قيد والسيادة صداع " وملوك الدنيا من سوء خلقهم لا يشمون شيئا من رائحة شراب العبودية وإلا دخلوا مثل إبراهيم بن أدهم وأنهوا بساط الملوكية " (أفلاكى 1 / 353) إن العشق هو عالم الغيب وهو

بحر لا ساحل له ، والعقل غير قادر على إدراكه بل تتحطم قدماه كلما اقترب منه ، إن كل ما تحاول التعبير عنه هو حجاب ، وكل ما نقوله لا يعبر عن الحقيقة ، إن هذه أحوال لا يعبر عنها الكلام ، واللفظ قاصر على الدوام عن التعبير عن الحقائق الغيبية . هذه اللغة التي تتعامل بها لغة أرضية تعارفنا من خلالها على ما نعبر به عن أشياء هذه الأرض ، ومن ثم فإن كل ما يقوله عن العشق لا يرفع حجبا (انظر لغة التصوف من كتابي التصوف عند الفرس ص 62 - ص 64 دار المعرف 1978) بل يضيف حجبا جديدة ، ولو كان الحقائق الوجود لسان لرفعت الحجب عن وجودها ولأدركنا أن موجودات هذه الدنيا لا حقيقة لها ، ولتحدث نفس هذا الوجود الصوري الدنيوي إلى الإنسان قائلا له : إن كل ما تتحدث به عن الحق لا يفصح عنه بل يجعل معرفته أكثر صعوبة . وهل يعبر المقال وهو أرضى عن الحال وهو وارد غيبى ؟ إن الحال قد يوصل السالك لكن الأحوال والأقوال كلها تمنع إدراك الحقيقة ، لأن الحال في حد ذاته هو تعبير عن بعض أعراض هذا العالم ، وهذا العالم نجس كالدم ، ولا معنى لغسل الدم أي النجس بالدم والتعبير مأخوذ من سنائى الغزنوي . إذن فما العمل ؟ ينبغي أن تمحو في نفسك اثار كل هذا العالم حتى تتصل روحك بالروح المطلقة وتدركها ، وهذا هو ما فوق الأحوال والأقوال ، إنني وأنا الصفى لعشاقه والمأذون له بأسرارهم أجد نفسي كالنافخ في القفص ، أقوم بعمل لا جدوى منه (انظر 3080) - وها أنت ذي أيتها الروح ثملة مضطربة تصلين الليل بالنهار . . فإياك أن تتحدثى بهذه الأسرار إلى من لا إذن لهم بها ، تحدثى إلى من أذن له ، وحذار . . إنك كالعاشق الثمل تبوحين بكل ما يعن لك . إن خطر سقوطك موجود (انظر 4542) . وربما ضللت ، إن الأسرار

عندما تأتى على اللسان ، تصاب السماء نفسها بالقلق خوفا من أن تقال لمن ليس بأهل وترفع يدها بالدعاء قائلة : يا جميل الستر ، لكن أي إخفاء ؟ وهل يخفى سر العشق ، إن سر الحق في قلبنا كنار في صوف وقطن فهل يمكن لهذه النار أن تختفى ؟ .

(4737 - 4751) لا يزال مولانا غارقا في الحديث عن العشق مع قناعته بأن هذا الحديث لن يوصل إلى نتيجة : ويمكن أن يكون الخطاب إلى الذات الإلهية ، أو الأسرار الإلهية ، أو الهائمين في العشق الإلهى فيقول مولانا :
إنني أسعى في إخفاء سر الحق أو سر العشق لكن لا أستطيع ، هذا أمر بالرغم من أنفى ، ويا أيها السر بالرغم من أنك لم تبق خفيا ابتعد عن ذهني ، إنك مثل الروح يحس الجميع بوجودك لكنهم لا يدركون حقيقتك ، ويجيب السر على مولانا : لقد حبسني وجودك المادي هذا . . ولولا وجودك المادي هذا لكنت سعيدا هانئا أغلى فرحا كخمر في دن . . ويجيب مولانا : إنني مضطر لحبسك ، إن سكرى هذا سوف يؤدى بي إلى التلف ، امض عنى حتى لا يحل بي هذا التلف ، ويجيب السر : إن كنت لا تريد التلف فأشربنى من الكأس اللطيف ، أي تحدث عنى ببيان مناسب أو خذني من أهل المعنى فهم لا يصيبهم من تلف ، وإن لم تطرحنى أمام من ليسوا بأهل ، ووضعتنى حيث ينبغي وحيث يجب ، فأنا معك حتى تنتهى هذه الحياة المادية ، وحتى أن انتهت فسوف أظل معك ، وسوف أحتفظ لك بكأس أهل المعنى ، فإن العارف لا يحرم من سر الحق حتى بعد انتقاله من هذه الحياة الدنيا ، ومن هنا تسمى الخمر بالمدام ، لأنها دائمة ، ولأن من

يشرب من خمر الحق لا يرتوى أبدا ، إنه شراب التحقيق الذي يغلبه العشق ، وهو من أجل الصديقين ، والعشق هو الساقي ، وإن طلبت وكان التوفيق قرينا لطلبك فسوف تفهم أن الخمر هنا هي الماء (المعرفة) الذي يهب الروح الرشد ، وإن الجسد هو إبريق هذه الخمر ، وعندما يضيق بها الإبريق تسيل وتتفتت هذه الحياة الدنيا . . ويفنى الإنسان في الحق (انظر : 3671) ، وعندما يفنى إبريق الجسد فلا كيانات متفرقة بأسماء الساقي والشارب والخمر ، ويقول أبو يزيد البسطامي : يصير العاشق والمعشوق والعشق واحدا ولا تسل : كيف يمكن هذا ، فهذا في علم الله . إن النبيذ إنما تنعكس فيه أنوار العشق . إن غليان العشق هو الذي سقط في الخمر (مقدمة الجزء الأول البيت 10) . إن كل متحرك يلزمه محرك ، وهذا أمر بَدَهِيّ وسل فيه ذلك الذي تحير في عوالم العشق (مولانا نفسه) .

(4752 - 4765) بالرغم من أن مولانا كان في سبيله إلى ختام الكتاب الثالث من المثنوى المعنوي ، وبالرغم من أنه هو نفسه كان يشكو من أن خيط الحكايات ينقطع منه (والأمر لم يكن كذلك في الحقيقة على ما فسرت أنفا) ، وبالرغم من أن حكاية وكيل صدر جهان لا تعد بعد من الحكايات المنهية ، فإن مولانا يدفع إلى الساحة بعاشق اخر كثير الامتحان ، ويرى زرين كوب أن القصة مأخوذة فيما يبدو حتى قصة قيس ولبنى وما دار بينهما من حوار (سرني 2 / 811) والعشق هنا من نوع العشق المجازى الذي هو قنطرة إلى الحقيقة فالعاشق لا يجد طريقا إلى محبوبه ، بل إن كل الطريق تتحول طرقا مسدودة ، وكل ما يتوسل به لا يحقق شيئا ، إنه من نوع العشق الذي يبدو “ دمويا “ يهرب

منه كل من لم يكن خبيرا بعوالمه ، فالرسول إليها يتحول إلى مانع ، والحطاب الذي يقرؤه مصحفا بحيث لا تؤدى الكلمات المعاني المقصود منها وربما العكس منها ، والرقعة التي يحملها الطائر لا يصل بها إذ تحرقه حرارتها قبل أن يصل بها ، ولماذا هذا كله ؟ إنها غيرة الحق التي تتألم من توجه العبد إلى ما هو غير الحق وتسد أمامه الطريق لكي يكون عشقه كله موجها إلى الحق ، لقد كانت حياته كلها في الانتظار ، وفي النهاية هزمه هذا الانتظار ، وبلغ مرحلة ما بين العشق المجازى والعشق الحقيقي ، فعندما يفور جسده فهذا هو العشق المجازى ، وعندما تسكن روحه كانت عين الاتحاد بالمحبوب تغلى حارة وعندما يئس تماما من العشق المجازى ووطن نفسه على الاستغناء أطل منه عشق الحق ، وأسرعت إليه القدرة على الاستغناء ، لقد صار مثالا للعاشقين الحقيقيين ومرشدا لهم ، لقد خير العشق المادي ويستطيع أن يهدى من خلاله إلى العشق الحقيقي ، وأغلب الظن هنا أن مولانا جلال الدين يتحدث عن تجربة خاضها بنفسه .

(4766 - 4782) إياك إذن أن تغتر بظاهر الناس ، فرب إنسان لا ينبئ ظاهره عن باطنه ، ومن قائل : إنه لا دخل لهذه الأبيات بقضية العشق (استعلامى 3 / 428) ، لكن الحقيقة هنا مرتبطة بأن كل إنسان عاشق في مرتبة وكيل صدر جهان ، فرب أمرىء حمل في صدره الكثير من الأسرار ولا يستطيع أن يبوح بها لأنه لا يجد من هو أهل لها (انظر 4733) ومن ثم فهو عابس لأنه لا يستطيع أن يبوح بهذه الأسرار ، وهناك أناس يموتون ويحملون معهم هذه الأسرار ، وربما إن سرنا بين القبور تكشف لنا بعض هذه الأسرار ، وتكشف لنا كيف كانوا يسيرون في عالم الغيب ، وإن هذا الاختلاف ليذكر باختلاف الأحياء ألست

ترى صورهم الجسدية واحدة ، وحالاتهم النفسية مختلفة ، فكيف تعلم أحوالهم ما لم تسمع أقوالهم ؟ إنك تسمع منهم صيحات الوجد ، لكنك لا تدرى أن أحوالهم الباطنة شديدة التعقيد ، وإذا كانت الصورة تختلف والأصوات أيضا تختلف والحركات أيضا تختلف وإن تشابهت في صورها ، إن صهيل الجياد في المعمعة ، وصوت خفقان الطائر في الفضاء ، كلاهما من قبيل الأصوات لكنهما لا يحملان معنى واحدا ، وهذه الشجرة تهتز لكن من ضربات الفأس " ألما " وتلك تهتز من نسيم السحر " طربا " ، وكثيرا ما خدعت الظواهر فهي كقدر مغطى لا تدرى ما يغلى بداخله ، وكثيرا ما تدفعنا أسرار الموجودات في الخطأ ، ومن الممكن أن يدعونا الطيب والشرير إليه ، وإن لم تصل نفسك إلى مرتبة الوعي والتمييز ، فاستمد العون من إنسان يستطيع أن يستدل على ما يغلى في القدر عن طريق الشم " المرشد " ، وإن لم تصدق أن حاسة الشم تؤثر ، فاقرأ كيف رد بصر يعقوب - عليه السلام - إليه عندما شم قميص يوسف - عليه السلام - وإياك أن تظن أنها حاسة الشم الأرضية ، إنها رائحة روضة الغيب ، وفي البيت التالي ينبه مولانا إلى أنه لم يكمل بعد قصة البخاري (ولم يكملها حتى نهاية الكتاب الثالث) .

(4783 - 4798) الآية الكريمة المذكورة في العنوان من سورة الزلزلة (اية 7) والمثل معروف وورد في المثنوى مرارا . عاد مولانا إلى قصة العاشق البخاري فتحدث عنها في بيت واحد ، لقد ظل يبحث سبع سنوات بحيث صار كالخيال ، وظل الله يكون فوق رأس العبد وعنايته تحوطه طالما هو في مرحلة سعى وفي مرحلة بحث ، ويواصل مولانا الحديث عن هذه الفكرة تاركا حكاية البخاري ويشير إلى الحديث النبوي الشريف " ما دمت في صلاة فأنت تقرع باب الملك ومن

يقرع باب الملك يفتح له " (استعلامى) . وأورد يوسف بن أحمد صيغة أخرى للحديث هي " من قرع بابا ولَجَّ ولج " (3 / 609) .
ومعروف عند الجميع أن سعى العبد في طريق الحق ليس بلا ثمر وإن لم تقبل هذا ، ومن الممكن أن يحدث ذلك نادرا (لكن النادر كالمعدوم) ، وغالبا ما يستند الإنسان على هذه الأحوال النادرة إن لم يكن مشمولا بالعناية الإلهية ، ويقولون إن العبادة بلا نتيجة استنادا على زاهد بني إسرائيل بلعم بن باعوراء الذي أضله الله على علم فادعى النبوة أمام موسى - عليه السلام - (انظر الأعراف / 115) .
وإبليس الذي عبد الله ألف سنة وفي النهاية عصى ، ألا يرى هذا المنكر إلا هذين المثلين مع وجود آلاف الأمثلة التي ترد على راية هذا من الأنبياء والأولياء . . ولم يقع المسكين إلا على هذين المثلين من حمقه وإدباره وبعده عن العناية الإلهية .

(4709 - 4805) لقد ترك هذا المدبر الدنيا المليئة بشموس التقوى والمغفرة والنور وأقمار العرفان والوصول ، ونظر إلى حيث لا توجد هذه المظاهر للعناية الإلهية ، وتساءل أين النور ؟
ارفع رأسك تجد النور فالذي حجبك أنك لا تطلب النور من حيث يطلب ، اترك بئر الحياة الدنيوية والاهتمام بالمادة وامض إلى الإيوان والكروم إلى حيث توجد الإفاضات الربانية ، وإياك والجدل " اللج شوم " ، ولا تعتبر الأمور النادرة قاعدة عامة فالذي عمل نال نتيجة عمله وأنفك راغم .

(4806 - 4813) يعود مولانا إلى قصة العاشق كثير الامتحان ، لقد وصل إلى محبوبة في ظروف لا توصل أبدا إلى محبوب ، لقد فر ذات ليلة من العسس ووقع على بستان فوجد محبوبة كالشمع والمصباح ، فانطلق شاكرا الله سبحانه

وتعالى على أنه يسبب الأسباب من حيث لا تطلب ولقنه درسا على ألا يحتقر أي شئ مهما كان تافها ، وأنه هو الذي يجبر الكسير فيخلق جناحا يحلق به الإنسان بدلا من القدم الكسيرة ، ويفتح بابا للملك من قاع الجب ،
فإياك أن تنظر إلى مظاهر الأسباب بل انظر إلى المسبب الذي يخلق سببا من حيث لا تعلم أنه سبب ، فبيده مفتاح الطريق بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(آل عمران / 26)
وينهى مولانا الكتاب الثالث طالبا من الذي يريد بقية الحكاية أن يلتمسها من الكتاب الرابع .

(تم الكتاب الثالث بحمد الله تعالى ويليه الكتاب الرابع بإذنه تعالى)

*

تم بحمد الله تعالى رب العالمين
عبدالله المسافر بالله

.